



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية



عنوان الأطروحة

الواقع الإقبصا لذي والإجتماعي للمغرب الأقصى في عهدك
أحمد المنصور الكهبي السجدي
(986-1012هـ/1578-1603م).

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في: التاريخ.

تخصص: تاريخ بلاد المغرب الحديث.

إشراف الأستاذ الدكتور:

- لخميسي فريح.

من إعداد الطالب:

- حسين نمير.

أعضاء لجنة المناقشة:

| الاسم و اللقب | الرتبة العلمية | الجامعية الأصلية | الصفة |
|----------------|---------------------|------------------|--------------|
| - فتيحة شلوق | أستاذ محاضر - (أ) - | بسكرة | رئيسا |
| - لخميسي فريح | أستاذ | بسكرة | مشرفا ومقررا |
| - ميسوم بلقاسم | أستاذ | بسكرة | عضوا مناقشا |
| - جازية بكرادة | أستاذ محاضر - (أ) - | بسكرة | عضوا مناقشا |
| - عيسى بوقرين | أستاذ محاضر - (أ) - | الأغواط | عضوا مناقشا |
| - نوي بن مبروك | أستاذ محاضر - (أ) - | خنشلة | عضوا مناقشا |

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2022-2023م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾

[سورة طه الآية: 25-28].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

[سورة طه الآية : 114].

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: يقول

[مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ].

[رواه ابن ماجة في سننه رقم الحديث: 223].



الإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى

والذي الحبيب...

الذي بذل الغالي والنفيس في تربيتي وتعليمي.

إلى أمي الحبيبة...

التي وقفت إلى جانبي في الظروف الصعبة وشملتني بعطفها وحنانها

إلى كل أفراد عائلتي فردا فردا

إلى الأحبة الذين إختارهم الله تعالى إلى جواره جدي الحاج محمد وجدتي زهراء مع خالص دعائي

لهم بالرحمة والمغفرة.

إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد

إلى كل من يهيمه هذا البحث المتواضع من قراء، وطلبة وباحثين

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

بِقَلَمِ: الطَّالِبِ: نَمِيِّنِ حَسْبِيْنِ.



شكرى وعرفان

يشرفني ويطيب لي أن أسجل في أولى صفحات هذه الرسالة شكري الخالص وامتناني العميق لأستاذي المشرف الدكتور فريح لخميسي الذي قبل الإشراف على هذه الأطروحة، ورعاها منذ أن كانت مجرد فكرة حتى أصبحت حقيقة وأخرجت إلى النور، فكان نعم المرشد لي بنصائحه الثمينة، وبتوجيهاته السديدة، وملاحظاته القيّمة، وتشجيعه المستمر لي. بهدف إخراج هذا العمل بصورته النهائية.

كما لا يفوتني أن أتقدم بشكري الخالص إلى كل من الدكتورة درعي فاطمة الزهراء، والدكتورة بليل رحمونة، اللتان لم تبخلا عليّ بتوجيهاتهما القيمة ودعمهما لي، وشملائي بسعة صدرهما وصرهما، وحرصهما بدأب على متابعة تفاصيل عملي. كما لا يفوتني أن أتقدم بشكري الخالص إلى كل من الدكتور عثمان المنصوري، وكذا الدكتور الفقيه الإدريسي، على ما قدماه لي من مساعدة فجزاهما الله عني خيرا .

كما أعرب عن عظيم شكري وامتناني لجميع أساتذتي الدكاترة الذين ساهموا في تكويني سواء في مرحلة الليسانس أو مرحلة الماجستير أو الدكتوراه، وعلى عناء مناقشة أطروحتي، فقد صبروا على قراءتها وتقويمها، وحرصوا على إفادتي بعلمهم، وتوجيهاتهم السديدة، والتي كان لها الأثر الطيب في هذه الأطروحة.

كما أشكر القائمين على مكتبات جامعة مصطفى اسطمبولي بمعسكر، وكذا مكتبات سيدي بلعباس و مكتبات جامعة تلمسان، بالإضافة إلى المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، على ما قدموه لي من خدمات تتعلق بتزويدي بالمصادر والمراجع.

ويمتد شكري العميق إلى كل من أمدني بالدعم المعنوي، وساندي لإنجاز هذه الأطروحة وإخراجها لتصل إلى نهايتها، فجزى الله الجميع عني وعن العلم خيرا.

بِقَلَمِ: الطَّالِبِ: نَمِيحِ حَمِينِ.



مقدمة:

يُعدُّ البحث والتتقيب في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الأقصى خلال الفترة السعدية من بين المواضيع المهمة، والصعبة، خاصة وأن المصادر الإخبارية الأولى التي يتم إستقاء الأحداث التاريخية منها، نادراً ما تمدنا ببعض الإشارات حول الحياة الإقتصادية والإجتماعية. فالمادة الأولية تكاد تكون مقتصرة على حياة الحكام وتقلاتهم وإنجازاتهم، وأهم المعارك والأحداث السياسية التي تخلد ذكراهم، خاصة فترة حكم أحمد المنصور الذهبي، تلك الشخصية التي أخذت حيزاً واسعاً وسط الكتابات التاريخية، حيث تعد فترة حكمه من أفضل فترات الحكم السعدي، نظراً للتطور الكبير الذي شهدته دولته، وكذلك لما إكتسبه من شهرة، خاصة بعد إنتصار السعديين في معركة وادي المخازن (986هـ/1578م). تلك المعركة الفاصلة التي غيرت مجرى الأحداث التاريخية بالمغرب الأقصى، و وضعت حداً للأطماع البرتغالية بالمنطقة، كما أثرت على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وعلى علاقة المغرب الأقصى مع الدول الأوروبية.

إذ بعد مرحلة عصيبة عرف خلالها المغرب الأقصى التقهقر السياسي، والإجتماعي، وكذا الإقتصادي والثقافي، في ظل الحكم الوطاسي، الذي عجز عن رد الخطر البرتغالي، والنهوض بالبلاد وتوحيدها، وكرد فعل على ذلك برز نجم الدولة السعدية، التي إستطاعت أن تغير ذلك الواقع المزري. رغم ما تخلل تلك الفترة من أزمات إقتصادية مهولة، متمثلة في المجاعة الكبرى (928هـ/1521م)، والتي أدت إلى نزيف ديمغرافي، بالإضافة إلى الحروب المستمرة، سواء داخل البلاد أواخرها؛ رغم كل ذلك إستطاع السعديون أن يؤسسوا دولة حديثة، وخاصة في ظل حكم أحمد المنصور، الذي عمل على تقوية مؤسسات الدولة، من خلال إحداث إصلاحات وتحديثات، على مختلف المستويات؛ المستوى السياسي، الإداري، والعسكري. كما تطلب الرهان أيضاً أن يقوم المنصور بإعادة النظر في المنظومة الإقتصادية، وكذا الإجتماعية، وهو ما تضمنه الموضوع قيد الدراسة.

من هذا المنطلق جاءت دراستنا الموسومة بـ: "الواقع الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور الذهبي السعدي (986-1012هـ/1578-1603م)".

- حدود الدراسة:

تتخصر الدراسة لهذا الموضوع على فترة زمنية تقدر بحوالي 26 سنة، وبالضبط من سنة (986هـ/1578م إلى حدود 1012هـ-/1603م). تعتبر تلك الفترة مرحلة إنتقال من العصر

الوسيط إلى العصر الحديث، مع ما شهدته من تحولات وتطورات، كنهاية حرب الإسترداد في الأندلس، وبداية مطاردة المسلمين في شمال إفريقيا، بالإضافة إلى ظهور الكشوفات الجغرافية التي قادت الكنيسة البابوية، وما صاحب تلك الكشوفات من حركة إستعمارية، حيث إستفادت الجزيرة الإيبيرية من خيرات البلاد التي تم إستعمارها لصالح الكنيسة البابوية. وفي مقابل ذلك برز الوجود العثماني بالمنطقة، وهو ما أدى إلى صراع عثماني-أوروبي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

كما شهدت الفترة بروز حركة الإصلاح الديني في أوروبا، وما رافقها من حروب دينية، بين المذهبين: الكاثوليكي والبروتستانتني. تخلل تلك الحروب الدينية بروز النهضة الفكرية في أوروبا، حيث ظهرت بوادر النهضة الأدبية، بإهتمام الأوروبيين بفنون الأدب التقليدي؛ الإغريقي والروماني.

ففي خضم تلك الأحداث ظهرت شخصية المنصور والذي -بلا شك- قد تأثر بما كان يقع في العالم من تحولات آنذاك، وما كان يروج في أوروبا، والدولة العثمانية من تحولات، والتي إنعكست بصورة أو بأخرى على الدولة السعدية.

يمثل المعلم الأول (986هـ/1578م) من هذه الدراسة معركة وادي المخازن، أو معركة الملوك الثلاث، أو القصر الكبير، أو يوم بإفريقيا، أو حرب بلاد البربر، وغيرها من التسميات التي أطلقت على تلك المعركة، التي تعتبر منعرجاً حاسماً في تاريخ المغرب الأقصى، حيث حظيت الدولة السعدية بمكانة مرموقة في العالم، وأصبحت الدول الأوروبية تتنافس لعقد الإتفاقيات التجارية معه.

وتستمر الدراسة إلى غاية (1012هـ-/1603م)، حيث تمثل هذه السنة وفاة الملك أحمد المنصور، بسبب وباء الطاعون الذي أودى بحياته، كما تمثل نهاية مرحلة التطور والإزدهار الإقتصادي والإجتماعي من تاريخ الدولة السعدية، بدخولها مرحلة الفوضى، وإنهيار الدولة.

- أما الإطار المكاني لهذه الدراسة فشمّل المغرب الأقصى، أين سيتم توضيح الإطار الجغرافي في الفصل الثالث، كما سيشهد ذلك الإطار الجغرافي توسعا على حساب السودان الغربي من خلال قيام المنصور بغزوه.

-أسباب إختيار الموضوع:

من بين العوامل التي دفعتني لإختيار هذا الموضوع مايلي:

-ميولي ورغبتي الشخصية في البحث في تاريخ المغرب الأقصى، ولاسيما منه تاريخه الإقتصادي والإجتماعي خلال الفترة السعدية، وبالتحديد زمن المنصور الذهبي، الذي أخذ حيزا كبيرا في الكتابات التاريخية، كأعظم سلطان في فترة حكمه، نظرا لما حققه من إنجازات وإصلاحات داخل دولته، وخاصة على المستوى الإقتصادي والإجتماعي، اللذان شهدا تطورا ملحوظا.

-قلة الكتابات التاريخية حول هذا الموضوع - حسب إطلاعي - مقارنة بمواضيع أخرى، حيث نلاحظ أن أغلب الباحثين يهتمون في دراساتهم بالمواضيع المتعلقة بالحياة السياسية والعسكرية والثقافية، مقارنة بالمواضيع المتعلقة بالجانب الإقتصادي والإجتماعي، وربما يعود السبب في عزوفهم عن الكتابة في مثل هذه المواضيع لقلة المادة الإخبارية التي تتعلق بمثل هذه المواضيع، مقارنة بالحياة السياسية والعسكرية والثقافية، والتي تشغل حيزا كبيرا في المادة الإخبارية، وعلى العكس من ذلك نجد ندرة في المادة الإخبارية فيما يتعلق بالتفاصيل الإقتصادية والإجتماعية، اللهم بعض الإشارات والأسطر المتناثرة بين صفحات المصادر، والتي هي قليلة في أغلبها، وتحتاج إلى وقت وجهد مضاعف من أجل إستخراجها وتحليلها.

-محاولة إبراز دور وجهود المنصور الذهبي في سبيل إخراج المغرب الأقصى من محنته الإقتصادية والإجتماعية، من خلال سعيه للنهوض وإصلاح البلاد، وإعادة إعطاء نفس جديد للإقتصاد، والمجتمع السعدي.

-محاولة البحث في العوامل والأسباب التي ساعدت المنصور على تطوير المغرب الأقصى من الناحية الإقتصادية والإجتماعية، مقارنة بباقي السلاطين السعديين.

- محاولة معرفة مدى التطور الإقتصادي والإجتماعي الذي شهده المغرب الأقصى خلال فترة المنصور، وهل كان لذلك التطور علاقة بما تركه أجداده، أم أنه أحدث قطيعة بينه وبين أسلافه، وهل إستمر هذا التطور بعد وفاته؟.

-المساهمة في إثراء المكتبات الجزائرية بمثل هذه المواضيع التي عالجت الوضع الإقتصادي والإجتماعي المغربي خلال العصر السعدي، حيث لاحظت - حسب إطلاعي - أن أغلب الدراسات التي تناولت المغرب الأقصى تركز في مجملها على العلاقات الخارجية ما بين البلدين، أو حول معركة وادي المخازن، بإعتبارها محطة مهمة في تاريخ المغرب الأقصى الحديث، وهو الأمر الذي شجعتني لدراسة مثل هذا الموضوع الذي تفتقر له مكتباتنا العلمية، وبالتالي كانت دراستنا كمحاولة لسد هذا النقص.

الإشكالية:

إن المتتبع لتطور الأحداث التاريخية للدولة السعودية يلاحظ أن الدولة قد بلغت أوج قوتها ومجدها على جميع الأصعدة خلال عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي (1578-1603م)، وهذا ما جعله متميِّزا عن باقي سلاطين الدولة السعودية، من هذا المنطلق تتمحور إشكالية الدراسة حول رصد مختلف أوجه التغيرات والتطورات التي عرفتها الدولة السعودية في المجالين الإقتصادي والاجتماعي في عهد هذا الأخير.

وضمن هذه الإشكالية تدرج مجموعة من التساؤلات هي كالآتي:

- كيف كان واقع المغرب الأقصى قبيل قيام الدولة السعودية؟ وهل كان لهذا الواقع دوراً رئيسياً في قيامها؟.
- من تكون شخصية أحمد المنصور الذهبي؟ وهل ثمة عوامل ساهمت في بناء شخصيته؟ كيف تمت مبايعته سلطاناً على المغرب الأقصى؟ وما هي الإصلاحات التي قام بها على مستوى دولته بعد توليه الحكم؟ وهل كانت تلك الإصلاحات إيجابية للدولة، أم سلبية؟.
- بماذا تميزت العلاقة الخارجية للدولة السعودية زمن المنصور؟ وهل إنعكست تلك العلاقات على الواقع الإقتصادي والاجتماعي للبلاد؟.
- فيما تكمن التدابير والإجراءات التي إنتهجها المنصور في سبيل النهوض وتحديث إقتصاد الدولة؟ وهل كان الإقتصاد الذي شهده المغرب زمن المنصور قطيعة بينه وبين باقي السلاطين الذين سبقوه؟ أم أنه إحتفظ بإقتصاد أسلافه وقام بتحديثه؟ وهل كان التطور الإقتصادي الذي شهده المغرب الأقصى في فترة حكم المنصور قائماً على أسس سليمة أم ظرفياً مؤقتاً؟.
- فيما تمثلت التغيرات التي طرأت على تركيبة المجتمع في عهده؟ وما هي العناصر الوافدة على الدولة السعودية زمنه؟ وهل أثرت العناصر الوافدة على المجتمع السعودي؟. وهل كان هذا التأثير سلبياً أم ايجابياً؟. أم هما معا؟.
- كيف كان الواقع الصحي بالمجتمع السعودي زمن المنصور؟ وهل أثرت الأوبئة والمجاعات على النمو الديمغرافي؟ أم أن العناصر الوافدة على المغرب الأقصى قد أحدثت فارقاً في ذلك؟.

- كيف كان واقع المجتمع السعودي زمن المنصور؟ وهل أحدث المنصور تغييراً جذرياً لعادات وتقاليد المجتمع السعودي، أم أنه إحتفظ بالموروث الثقافي؟ وإذا كان هناك تغير ففيما تجلت أبرز التطورات والتغييرات التي أدخلها المنصور في دولته؟.

-المنهج المتبع:

من أجل الإجابة عن الإشكالية المطروحة وتساؤلاتها الفرعية إتبعنا المنهج التاريخي التحليلي، الذي يتوافق وطبيعة الموضوع القائم على التحقيق والتدقيق والإستقراء ثم التوثيق، والخروج بقراءة منطقية وواقعية للأحداث. فقد قمت بإستخراج النصوص التاريخية المستقاة من المصادر، وحاولت جمعها وترتيبها وتحليلها، وكذا مقارنتها مع باقي المصادر الأخرى، التي تناولت الموضوع نفسه، أو تطرقت له من إحدى جوانبه. ثم محاولة إعطاء تفسير لها، أو الربط بينها، وبين نوعية العلاقة بينها للوصول إلى نتيجة في صورة متكاملة، تساهم في الكشف عن الكثير من الغموض حول واقع الاقتصاد والمجتمع زمن المنصور. بدوره فالمنهج التاريخي يحتاج إلى المناهج الأخرى لكي تكتمل الدراسة، لذلك فقد إعتدنا على المنهج الوصفي من خلال جمع الوقائع والأحداث التاريخية ووصفها، وتجلي ذلك في أغلب فصول هذه الدراسة.

-المصادر المعتمد عليها:

أولاً: المصادر العربية:

-المصادر العربية:

-المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور: لأحمد بن القاضي (ت1025هـ/1617م) من أشهر العلماء في العهد السعودي، ألف هذا الكتاب سنة(998هـ/1590) عرفانا لجميل السلطان أحمد المنصور الذي فداه من الأسر المسيحي سنة (995هـ/1587م). يعالج الكتاب مواضيع عديدة عن الدولة السعودية، السياسية، الإقتصادية، الإجتماعية والثقافية. إلا أن ما يؤخذ عن الكتاب هو الدفاع عن الدولة السعودية وعن أحقيتها بالخلافة، وكذا الغلو في مدح المنصور ومحاولة تبرير أعماله، وعدم الإهتمام بالطبقات الشعبية، والتركيز على إبراز قوة المنصور وكفاءته في القضاء على الثورات والتمردات التي شهدتها دولته.

-مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء: لمؤلفه فارس عبد العزيز الفشتالي(ت1032هـ/1622م) حيث يعتبر المؤرخ الرسمي للدولة، وقد عاصر فترة حكم السلطان أحمد المنصور، وكتب مصنفه وفقاً لما طلبه منه المنصور. إذا أنّ المصدر تعثره بعض المآخذ، من بينها تركيز المؤلف على

إيجابيات وإنجازات السلطان، وإغفاله لسلبياته، وهذا من الطبيعي إذ أنه كان من الحاشية السلطانية.

نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي: لصاحبه محمد الصغير الأفراني (ت1157هـ/1745م) وهو من المؤلفات المهمة التي لا يمكن لأي باحث في تاريخ المغرب الحديث الإستغناء عنها. ويستمد الكتاب قيمته من كون مؤلفه الأفراني من بين الشخصيات التي أجمعت الدراسات على إستقامة الرجل ودمائة خلقه، كما أنه تكون تكويننا دينيا، وقد إشتغل بالتدريس، كما كان متصدرا للقراءة والتفسير، والتأليف بالإضافة إلى تقلده منصب الإمام وخطة القضاء. والكتاب يعالج مواضيع عديدة عن الدولة السعدية مثل نسب السعديين، كما يقدم ترجمة للسلطين الذين تعاقبوا على حكم الأسرة السعدية ومن بينهم أحمد المنصور، كما أنه يعطي شذرات متفرقة حول الإقتصاد والمجتمع في زمن المنصور، بالإضافة إلى تحدثه عن غزو المنصور للسودان الغربي، وبذلك فهذا المؤلف شامل لكل المواضيع المتعلقة بالدولة السعدية.

-النفحة المسكية في السفارة التركية: لمؤلفها أبو عبد الله بن علي التمكروتي (ت1003هـ/1594م)، هذا المصدر عبارة عن تقرير مفصل لرحلة قام بها المؤلف بأمر من السلطان أحمد المنصور الذهبي إلى الدولة العثمانية ما بين (1589-1591م)، وهذا المصدر يورد العديد من الأحداث التاريخية للرحلة إنطلاقا من المغرب الأقصى إلى غاية وصولها إلى الدولة العثمانية. ولكن ما يهمننا من هذه الرحلة هو الوصف الذي قدمه لنا عن كيفية إحتفال المنصور بعيد المولد النبوي الشريف، بالإضافة إلى وصفه بعض الإحتفالات الدينية كالإحتفال برمضان الكريم.

-تاريخ السودان: لمؤلفه عبد الرحمن عبد الله بن عمران السعدي، (ت1066هـ/1656م). المؤلف ليس سعديا كما يتبادر لذهن القارئ لأول وهلة، وإنما أطلق عليه هذا اللقب فقط، بل هو سوادني وحمل هذا اللقب. يتناول المصدر موضوع غزو أحمد المنصور السعدي للسودان الغربي، إذ يشكل مصدرا مهما سواء في تاريخ المغرب الأقصى، أو حتى في تاريخ الممالك السودانية، حيث يتناول تاريخ السودان عبر مختلف الحقب التاريخية، ويخصص فصولا هامة عن التواجد السعدي بالمنطقة، وخاصة عقب عملية التوسع، أي فترة تولي قادة السعديين للسودان الغربي، أي أنه يعتبر شاهد عيان على الأحداث التاريخية سواء بإيجابياتها أو سلبياتها، غير أن النسخة التي وقعت بأيدينا هي طبعة قديمة نشر هوداس سنة 1898م، وتحتاج إلى إعادة النظر فيها من حيث التعليق والتحقيق وإخراجها بأحسن صورة.

-المصادر المعربة:

-وصف إفريقيًا: لحسن بن محمد الوزان، يعتبر من أهم كتب الرحالة خلال القرن 16م، نشأ المؤلف بمدينة فاس وتعلم على يد شيوخها، وقد تولى بعض الوظائف الإدارية وكذا السياسية في أواخر الحكم الوطاسي، وأوائل الحكم السعدي، ثم إرتحل إلى تونس أين تعرض للقرصنة على يد الإيطاليين والذين قاموا بتتصيره، وأثناء مكوثه بإيطاليا دون الرحلة الفريدة، حيث نشرت أول نسخة لها بالبندقية سنة 1550م، ثم ترجمت إلى العديد من اللغات الأخرى، وقد قام المؤرخ محمد حجي، وكذا المؤرخ محمد الأخضر بنقلها إلى العربية. يعتبر من المصادر المهمة بتاريخ المغرب الحديث، فقد جال مؤلفه المغرب الأقصى طولاً وعرضاً، ونقل لنا كل ما شهدته. فهو بذلك يعتبر صورة واضحة عن أوضاع المغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر. ما يؤخذ عن هذا الكتاب أنه لا يعطي إحصاء وأرقاماً دقيقة في الكثير من الأحيان، مما يصعب علينا معرفة الأرقام بدقة في تلك الفترة.

-إفريقيًا: لصاحبه مارمول كرخال، والذي نقله للعربية محمد حجي وآخرون، أسر المؤلف من طرف السعديين الذين أدخلوه في خدمتهم، حيث بقي أسيراً سبعة أعوام وثمانية أشهر. يعتبر من المصادر المهمة التي كتبت خلال القرن السادس عشر، ويحتل المرتبة الثانية بعد كتاب وصف إفريقيًا لحسن الوزان. فالكاتبان تزامنا في نفس الفترة، ولم يفصل بين كتابتهما سوى أربعين سنة، وقد إتبعنا نفس الأسلوب، حيث أن الكتاب يكمل ما لم يتمه حسن الوزان أو أغفله، ويحدد ويضبط ويوضح ما بقي مبهماً عن حسن الوزان، والكتاب جاء في ثلاثة مجلدات، ويتطرق لمواضيع عديدة ومهمة منها: السياسية، العسكرية، الإجتماعية والإقتصادية.

-تاريخ الشرفاء: لصاحبه ديبقو دي طوريس، والذي نقله إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر. يعتبر من المصادر المهمة، حيث كان شاهد عيان على الأحداث التاريخية، فقد سافر المؤلف وهو صغير السن مع الراهب فيرناند كوميز الذي كان يعمل على إفتداء الأسرى بالمغرب الأقصى، من أجل مساعدته في مهمته. وقد مكث مدة طويلة بالمغرب الأقصى تقدر بحوالي ثلاثين سنة، وخلال مدة مكوثه دون كل تحركات السعديين، بالإضافة إلى نشاطهم السياسي والعسكري، والإجتماعي والعمراني. إلا أنه كان متعصباً لدينه أثناء سرده للأحداث التاريخية، حيث نجده في الكثير من الأحيان يتحامل على الإسلام والمسلمين، ويصفهم بالكفار والمتوحشين، بالإضافة إلى تحامله على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والذي يذكر فيها ما يخالف ما ذكرته

كتب السير. رغم ذلك فالكتاب يعتبر من المصادر المهمة التي عاصرت الأحداث التاريخية ونقلتها كما شهدتها، فهو بذلك يعطينا قراءة مغايرة على ما كتبتة المصادر المحلية.

-**تاريخ الدولة السعودية التكمدراتية:** لمؤلف مجهول والذي من المرجح أن يكون مكناسي الأصل ومن بقايا بني وطاس وحل بمدينة فاس، حسب ما ذكره عبد الرحيم بن حادة عند تقديمه وتحقيقه للكتاب سنة 1994م، حيث يورد أحداثا تاريخية كثيرة ومهمة، مما لا يذكره غيره من المؤرخين. حيث يتناول منجزات الدولة السعودية وأخبار المغرب الأقصى وملوكها، وكذا يورد معلومات حول معركة وادي المخازن، كما يذكر معلومات حول الإجراءات التي قام بها المنصور لغزو السودان الغربي.

كتب التراجم:

-**دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر:** لصاحبه محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني المعروف بإبن عسكر (ت986هـ/1578م). تمت طباعته من طرف دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر سنة (1396هـ/1976م)، يعتبر من أهم كتب التراجم يتناول تراجم شيوخ وعدد من الشخصيات المعاصرة له وبعض رجال الفكر في العهد السعودي، وقد رتبه حسب وفيات أصحابها. والكتاب يورد أيضا بعض الإشارات حول الحياة الفكرية والدينية، والإجتماعية والسياسية بالمغرب في القرن 10هـ/16م.

-**درة الحجال في أسماء الرجال:** لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بإبن القاضي، حقق الكتاب محمد الأحمدى أبو النور، وقد قامت دار التراث بنشره بالقاهرة سنة 1970م. والكتاب يعنى بتراجم كثير من الأعيان المشهورين من الشخصيات الدينية والعسكرية في المغرب الأقصى، والذين عاشوا ما بين أواخر القرن السابع إلى أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر. فالكتاب بذلك يترجم للشخصيات التي عاصرت أحمد المنصور، والتي جاءت من بعده، كما أنه يورد معلومات هامة عن حياة أحمد المنصور السعودي، وعن غزوه للسودان الغربي.

-**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني:** لصاحبها محمد بن الطيب القادري (ت1187هـ/1773م) يتحدث عن تراجم لشخصيات من القرن (11 و 12 هـ/17 و 18م). يسير الكتاب على نظام السنوات ابتداءً من القرن (11هـ/17م)، منتهيا بسنة (1186هـ/1773م)، كما يدرج تفاصيل عن الأحداث التاريخية، وكذا المشنآت والمنجزات المختلفة، كما يشير إلى بعض المعطيات الإقتصادية المتعلقة بالنظام النقدي.

المراجع:

-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: لصاحبه أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1898م) يحتوى على تسعة مجلدات، حيث تناول تاريخ المغرب الأقصى عبر مختلف العصور والحقب التي مر بها، من البدايات الأولى للفتح إلى غاية الفترة العلوية، إلا أنني في هذه الدراسة ركزت على الجزء الرابع والخامس اللذان يؤرخان للفترة الوطاسية والفترة السعدية.

-التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر مساهمة في تاريخ المغرب الإقتصادي: لمؤلفه عثمان المنصوري. هو عبارة عن رسالة قدمت لنيل شهادة دكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ثم حُوّل إلى كتاب حيث قامت مطبعة النجاح الجديدة بطباعته سنة 2001م، يعالج الكتاب موضوعا إقتصاديا، وتاريخيا، للتجارة بالمغرب الأقصى. هو عبارة عن مساهمة في التاريخ الإقتصادي للمغرب الأقصى، حيث يدرس الأحداث والقواعد والمؤسسات الإقتصادية المرتبطة بالتجارة وبالإنتاج والتصريف والتوزيع وإستهلاك البضائع، وما يصاحب ذلك من خدمات، كما يدرس وسائل التبادل التجاري، والوكالات التجارية والطرق المتبعة في الأداء والصرف والرواج النقدي والسوق. وهذا كله يتعلق بمرحلة الإنتاج إلى غاية مرحلة الإستهلاك.

- مداخل بيت مال المغرب في عهد السعديين (1548-1661م): لمؤلفتها حليلة بنكرعي. يعتبر هذا الكتاب بحث قدم لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، والذي ناقشته الباحثة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 1985م، ثم حول إلى كتاب حيث قامت مطبعة دار السلام بطباعته سنة 2006م، يدخل الكتاب ضمن قائمة أبحاث التاريخ الإقتصادي للمغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر والسابع عشر. الكتاب يعالج موضوع بيت المال في العهد السعدي منذ بداية تأسيسه إلى غاية ضعفه وإنهياره، كما يعالج كل ما يتعلق ببيت المال من موارد الدخل بما في ذلك الضرائب الشرعية وغير الشرعية، وكذلك العملة النقدية، وتطورها خلال العهد السعدي. وقد وصلت الباحثة من خلال دراستها هذه إلى فكرة مفادها أن تطور بيت المال خلال العهد السعدي كان موازيا للتطور السياسي، فقد ظهر بظهور الدولة، وإزدهر بإزدهارها وإضمحل بإضمحلها.

-محاولات التحديث والإصلاح في العصر السعدي عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور أنموذجا: لصاحبه كمال النفاع. يعتبر هذا الكتاب بمثابة رسالة قدمت لنيل دبلوم الدراسات العليا، وقد جاء تحت عنوان عبد الملك السعدي، أنموذج من انغراس التاريخ السعدي في السياق المتوسطي (1557-1578م). وعند البحث في هذا الموضوع والوقوف عند مختلف مراحل حياة عبد الملك

السعدي وصل الباحث إلى فكرة أن عبد الملك السعدي يعود له الفضل في محاولة التحديث التي شهدها المغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر للميلاد. والفكرة العامة التي خرج بها الباحث من هذه الدراسة أن تجربة عبد الملك السعدي لا يمكن فصلها عن التجربة التي خاضها أخوه أحمد المنصور. لذلك وضع الكتاب على هذه الشاكلة، والكتاب في عمومه يحاول من خلاله الباحث إعطاء تصوراً حول أهم الإصلاحات والتحديثات التي شهدها المغرب الأقصى في مختلف الميادين سواء على مستوى العلاقات، أو العمارة الدينية، وكذا الإقتصاد والمجتمع، التي أقامها عبد الملك، وأتمها أخوه المنصور.

- **المغرب في عهد الدولة السعدية: لمؤلفه عبد الكريم كريم**، يعتبر من بين أهم المراجع التي تطرقت للفترة السعدية، ولا يمكن لأي باحث الإستغناء عنه، عند دراسته لتلك الفترة. فهو عمدة المراجع، حيث يتناول مواضيع عديدة عن الدولة السعدية، منذ بدايتها إلى غاية ضعفها وإنهيارها. حيث يعالج المواضيع السياسية، والإقتصادية والإجتماعية، وكذا العمرانية والثقافية.

- **السياسة والمجتمع في العصر السعدي: لمؤلفه إبراهيم حركات**. يعتبر من المراجع المهمة التي عالجت تاريخ الدولة السعدية من جميع الجوانب: السياسية والعسكرية والإقتصادية والإجتماعية والعمرانية. إلى أن ما يؤخذ على الكتاب بالنسبة لموضوع دراستنا أنه لا يفصل بشكل كبير في الحياة الإقتصادية والإجتماعية، وإنما يتحدث في العموميات في كثير من حيثيات الموضوع.

المصادر الأجنبية:

وثائق هنري دو كاستري:

- **Henry de castries, sources inédites de l histoire du Maroc ; dynastie saadienne :**

(المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب ، الأسرة السعدية)

وهي مجموعة ضخمة من الوثائق التي جمعها هنري دو كاستري وآخرون ضمن سبعة وعشرين مجلدا خاصا بالدولة السعدية والدولة العلوية، وهي مجموعة من وثائق أوروبية مختلفة تتعلق بتاريخ المغرب الأقصى وعلاقاته مع الدول الأوروبية (فرنسا وإنجلترا وإسبانيا، البرتغال، هولندا). تضم هذه الوثائق تفاصيل عن الحياة السياسية، وكذا الإقتصادية والإجتماعية.

- **أخبار المنصور سلطان المغرب (Cronica de Almançar sultao de Marrocos)**

لمؤلفه انطونيو دي صالدانيا، (Antonio de saldanha): هو أسير برتغالي من أسرة نبيلة إشتغل والده منصب حاكم مدينة طنجة سنة 1591م، ومعه إنتقل إبنه ليشتغل فارسا ضمن حامية

المدينة، قبل أن يقع أسيرا في قبضة السعديين، حيث تم نقله إلى مراكش عاصمة السعديين آنذاك وبقي في الأسر حوالي 14 سنة، ثم أطلق سراحه سنة 1606م. صدر هذا الكتاب بلشبونة سنة 1997م، وقد قام بنقله إلى العربية مجموعة من الباحثين المغاربة: كالدكتور عثمان المنصوري، وآخرون. طبع سنة 2011م. وقد تناول مواضيعا عديدة، منها شخصية السلطان المغربي أحمد المنصور بدون تلميح صورته، عكس المصادر المحلية التي تعطيه نوعا من التقديس. وكذلك تحدث عن مسألة الأسرى بالمغرب الأقصى، وعن الجاليات الأوروبية المقيمة بها. كما نجد في الكتاب بعض النصوص المتعلقة بالتاريخ الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الأقصى في تلك الحقبة. فالكتاب يعتبر إضافة تاريخية رسم فيها الكاتب صورة جديدة عن تاريخ المغرب الأقصى. إذ ساهم في التحدث عما لم تستطع المصادر المحلية التحدث به.

-Mercedes Garcia-Arenal, Ahmad al- Mansur the beginnings of Madern Marocco.

(أحمد المنصور بدايات المغرب الحديث):

للكاتبة الإسبانية مرسيديس غارسيا أرينال. نشر هذا الكتاب في أوكسفورد سنة 2009م. يبحث الكتاب في وقائع تاريخ المغرب خلال القرن السادس عشر، وبالتحديد زمن تولى السلطان أحمد المنصور الذهبي. حيث تقدم الكاتبة شخصية أحمد المنصور كأحد أعظم الرجال في تاريخ العالم الإسلامي، وربطت فترة حكمه ببداية العصر الحديث. يتكون الكتاب من ثمانية فصول، حيث يبتدئ من معركة وادي المخازن عام 1578م، والتي تعتبر محطة مهمة في تاريخ المغرب، وينتهي بمرحلة عصيبة مر بها المغرب السعدي، ألا وهي المجاعات والأوبئة والحروب.

-المجاعات والأوبئة في المغرب القرنين 16 و17م، العنوان الأصلي:

(Famines et épidémies au maroc aux xvi^e et xvii^e siècles)

للمؤلفين روزنبرجي برنار، حميد التريكي (Bernard Rosenberger et hamid triki)، قام بترجمتها عبد الرحيم حزل، وقامت منشورات دار الأمان بطباعته سنة 2010م. يتحدث الكتاب عن الأوبئة والمجاعات التي ضربت المغرب خلال القرنين 16 و17م، كما يبرز بعض تأثيرات تلك الأزمات على المجتمع والإقتصاد.

- الدراسات السابقة:

لم يحظ موضوع دراستي الموسوم بـ : " الواقع الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور الذهبي السعدي (986-1012هـ/1578-1603م) " بإهتمام عدد كبير سواء من قبل المؤرخين والدارسين الجزائريين أو الأجانب، -حسب اطلاعي- اللهم بعض

المحاولات القليلة، وهي في معظمها تعتبر دراسات جزئية لموضوعنا، سواء الدراسات السابقة أو المقالات ومن بينها:

أولاً: الرسائل الجامعية:

-الكوارث الطبيعية في تاريخ المغرب القرن 16م، لمحمد استيتو. هي عبارة عن رسالة مقدمة لنيل دبلوم الدراسات العليا شعبة التاريخ الحديث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، وقد نوقشت هذه الدراسة في السنة الجامعية 1987-1988م، حيث عالجت هذه الدراسة موضوعاً أساسياً وهو الظواهر والكوارث الطبيعية في تاريخ المغرب خلال القرن 10هـ/16م. وقد حاول الباحث الوقوف عند تلك الظواهر الطبيعية والبشرية، والتي ضربت المغرب الأقصى خلال القرن السادس، كما بيّن أنواعها ومسبباتها، ورصد تحولات وإنعكاسات تلك الكوارث على المجتمع والإقتصاد والسياسة قبل وبعد تلك الفترة.

-الجباية في عهد الدولة السعدية مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب: مؤلفه الفقيه الإدريسي. وهي عبارة عن رسالة مقدمة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، وقد نوقشت هذه الدراسة في السنة الجامعية 1994-1995م. حيث حاول الباحث من خلال هذه الدراسة أن يبين أن الجباية في العهد السعدي شكلت مجالا ماليا حيويًا، حيث سعى السعديون إلى الإهتمام بها وتنظيمها، وتنويعها وتطويرها والرفع من قيمتها، وذلك من أجل توفير موارد قارة للقيام بأعمال الجهاد ضد المحتل الأجنبي، وبناء مؤسسات السلطة السياسية، وتقوية الهياكل العسكرية والإقتصادية.

-الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية في الجزائر والمغرب الأقصى من خلال رحلتي الوزان والتمقروتي: لمؤلفها حميد آيت حبوش. أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، بكلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، بقسم التاريخ، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس. نوقشت هذه الدراسة في السنة الجامعية 2013-2014م، والتي بيّن من خلالها الباحث أن إقتصاد المغرب الأقصى خلال القرن 16م قد عرف نوعا من التطور الملموس، بفضل الهجرات الأندلسية، حيث شكّلت عاملا إيجابيا، بفضل مساهمتها في الحياة الإقتصادية، بالإضافة إلى تشجيع النشاط البحري والتجارة الخارجية. إلا أن ذلك التحسن كان مؤقتا نظرا للظروف الطبيعية والسياسية التي شهدتها المنطقة.

ثانياً: المقالات:

-ملاح من الحياة الاقتصادية في المغرب في عهد السعديين: لمؤلفها عمار بن خروف. والتي حاول الباحث من خلال هذا المقال إعطاء صورة مقتضبة حول الواقع الاقتصادي خلال العهد السعدي، مبرزاً دور السلاطين الأوائل في إصلاح المنظومة الاقتصادية بعد أن كانت تعيش أزمة حادة في العهد الوطاسي. حيث يؤكد الباحث على أن السلاطين السعديين الأوائل عملوا على توفير الظروف الملائمة للنهوض بالإقتصاد والزراعة، والصناعة والتجارة. إلا أن ذلك التطور لم يدم طويلاً، إذ أنه بوفاة السلطان المنصور دخل المغرب الأقصى مرحلة الفوضى والضعف، وذلك ما انعكس على الإقتصاد. فبعد أن كان المغرب الأقصى من الأوائل في تصدير قصب السكر، أصبح يستورده من الخارج.

-تطور الأوضاع الاقتصادية على عهد السعديين: لمؤلفه إبراهيم حركات. يستعرض المقال بعض الجوانب عن الحياة الاقتصادية خلال العهد السعدي، كالتحدث عن الجباية، وكذا العملة، والحياة الفلاحية، والصناعة والتجارة. حيث حاول الباحث من خلال هذا المقال أن يقف على التطور الإقتصادي الذي شهده المغرب خلال العهد السعدي، مبرزاً دور السلاطين السعديين، وخاصة الأوائل، إلى غاية فترة المنصور في إنعاش الإقتصاد والنهوض به.

-أقوات وتغذية في تاريخ المغرب الحديث (ق.15-18م)، لمؤلفه محمد استيتو. يعالج المقال أنواع الأقوات التي كان يتناولها المغاربة طيلة العصر الحديث، والتي لم تختلف كثيراً بحكم أن الأطعمة تعتبر من الموروث الثقافي، والحضاري الذي تتناقله الأجيال عن أسلافها. حيث يستعرض لنا الباحث أنواع الأقوات التي عرفها المغاربة، سواء النباتية أو الحيوانية بمختلف أنواعها. بالإضافة إلى التحدث على أنواع التغذية زمن السلم، وكذلك زمن الأزمات، حيث وصل الباحث إلى أن أطباق المغاربة قد تنوعت حسب جهات وأقاليم المغرب، وحسب الفصول. ويفسر ذلك إلى التنوع الذي فرضته عليهم الطبيعة المتنوعة من التضاريس والتربة والمناخ والغطاء النباتي.

خطة البحث:

إنطلاقاً من المادة المتحصل عليها، وبهدف الإجابة عن مجموعة التساؤلات التي شغلتنني أثناء فترة شروعي في إنجاز هذه دراسة، إتبعنا الخطة التالية: فقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى أربعة فصول، حاولت من خلالها الإلمام بالموضوع من جميع جوانبه، فضلاً على المقدمة التي تم فيها

إبراز أهم محطات الدراسة، وتبيين أهم العناصر التي تتركب منها. إذ أنها توحى بفكرة مقتضبة عن الهيكل العام لإطار البحث.

كما إقتضت الدراسة أن نمهد للموضوع بفصل تمهيدي؛ والذي رأيته ضروريا لإزالة الغموض على الدراسة. بحيث تطرقت فيه إلى لمحة موجزة عن الأوضاع العامة للمغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر، والتي كانت مزرية ومتدهورة على جميع الأصعدة، بحيث عجزت الدولة الوطاسية عن توحيد البلاد، وعن رد الخطر البرتغالي. وأمام تلك التطورات والتحديات التي ظهرت بالمغرب برز نجم الأشراف السعديين، الذين أقاموا دولتهم على أساس الجهاد ضد العدو الأيبيري، بقيادة القائم بأمر الله. ثم سرعان ما قضاوا على دولة الوطاسيين، وتولوا زمام حكم المغرب بقيادة محمد الشيخ، الذي يعتبر المؤسس الحقيقي والفعلي للدولة السعدية.

-أما الفصل الأول فقد جاء تحت عنوان: " الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور الإصلاحات والتحديثات "، حاولت من خلال هذا الفصل التعريف بالسلطان أحمد المنصور منذ ولادته إلى غاية توليه الحكم، بعد معركة وادي المخازن الشهيرة (ت986هـ/1578م)، إذ بتوليه حكم المغرب الأقصى واجهته مجموعة من التحديات الداخلية، كان أبرزها الثورات والتمردات التي ظهرت بالمغرب الأقصى ضد حكمه، والتي كانت في مجملها من أفراد الأسرة الحاكمة، وكانت قد عُذيت من طرف الدول الأجنبية. وقد كادت تلك التمردات أن تعصف بالدولة السعدية.

حاولت خلاله إبراز جهود المنصور في سبيل القضاء على تلك الثورات من أجل إسترجاع الأمن والإستقرار للبلاد. وبمجرد إخماد الثورات أعاد المنصور ترتيب البيت السعدي، بإدخال مجموعة من الإصلاحات، على المستوى السياسي والإداري، والعسكري. وقد كانت تلك الإصلاحات التي أدخلها المنصور على دولته مستوحاة من الدولة العثمانية، حيث أنه تأثر بما شهده في الدولة العثمانية أثناء فترة مكوثه كلاجئ سياسي، أين حرص على نقل التجربة التي عاشها بالدولة العثمانية إلى بلاده.

كما شهد الجانب العسكري هو الآخر تحدينا في المنظومة العسكرية بحكم أن السعديين أدركوا من خلال معاركهم مع الغزو الأيبيري ضرورة إمتلاك جيش قوي يكون قادرا على تحقيق النصر لهم ضد أعدائهم. لأجل ذلك أنشأ المنصور منظومة جيش حديثة، كما طور الجيش البحري وجهاز الشرطة.

-الفصل الثاني: موسوم ب: " العلاقات الخارجية للدولة السعدية زمن المنصور ". حاولت من خلال هذا الفصل معالجة طبيعة العلاقة التي ربطت ما بين الدولة السعدية والدول الأوروبية. خلال

معالجتي تلك العلاقة وجدت أن أحمد المنصور كان حذرا في التعامل مع الدول المتوسطة التي كانت تطمح في التوسع على حساب أراضيه، وحتى لا يفتح جبهات القتال المتعددة، كان يلجأ إلى سياسة التسوية والحذر والتماطل، بهدف كسب الود وريح الوقت في بعض الأحيان.

بالإضافة إلى العلاقة التي ربطت ما بين الدولة السعدية والعالم الإسلامي، وفي مقدمتهم الدولة العثمانية، حيث إتسمت العلاقة في بداياتها بالتوتر والصراع الدائم، بحكم عدم قبولهم التبعية للدولة العثمانية، والخوف من توسعهم في المغرب الأقصى، وكذلك ظهور مسألة الخلافة في البيت السعدي، والتي عكّرت صفوة العلاقة ما بين الدولتين، بسبب إدعاء السلاطين السعديين أنهم أحق منهم بالخلافة على أساس أنهم من آل البيت، وأن الخلافة لا بد أن تكون من قریش، وهذا ما زاد من حدة الصراع بينهما.

إلا أنه بوفاة عبد الله الغالب وتولي ابنه المتوكل حكم المغرب نسجت علاقة جديدة ما بين الدولتين حيث عرفت الانفراج في العلاقة، إذ لجأ عبد الملك وأخوه المنصور إلى السلطان العثماني بهدف طلب المساعدة في إسترجاع حكمهم، من ابن أخيهم بحكم أحقيتهم بالخلافة منه، وبذلك تغيرت العلاقات الخارجية للدولة السعدية مع العثمانيين من الصراع والتوتر إلى الانفراج السلمي والتعاون. وتولي أحمد المنصور الحكم عرفت في البداية نوعا من التعكر في العلاقات، إلى أنه بعد ذلك دخلت العلاقة طور الهدوء النسبي مع ما صاحبها من الحذر والحيطه في تعامله مع الدولة العثمانية.

كما عالجت في هذا الفصل العلاقات السعدية مع السودان الغربي والتي تميزت بالصراع والتوتر بحكم أن المنصور كان يبحث عن الموارد الإقتصادية القارة والثابتة لدولته، بالإضافة إلى اليد العاملة. وقد وجد ظالته في السودان الغربي. لذلك راح يخلق الذرائع والأسباب من أجل تحقيق غايته في التوسع على حسابه. وبالفعل فقد تهيأت له الظروف الملائمة لأجل ذلك، وقد قام بالتوسع على حساب السودان الغربي، الذي مر بمرحلتين، مع ما أفرزه ذلك الغزو من نتائج؛ سواء أكانت إيجابية أو سلبية.

-الفصل الثالث: جاء تحت عنوان: " مظاهر الحياة الإقتصادية زمن أحمد المنصور الذهبي". حاولت من خلاله إعطاء صورة عن الواقع الإقتصادي زمن المنصور، الذي عمل على تطوير إقتصاد البلاد بسلوكه نفس السياسة التي إنتهجها أسلافه من السلاطين السعديين، غير أن عهده عرف نوعاً من التطور في الإقتصاد، حيث إستغل المنصور ما يمتلكه المغرب الأقصى من الثروات الطبيعية والحيوانية، بالإضافة إلى الموقع الإستراتيجي، بالإشراف على واجهتين

بحريتين في إنعاش الإقتصاد السعودي. عمل المنصور في بداية حكمه على تطوير المنظومة الجبائية، بالإضافة إلى إصلاح المنظومة النقدية، خاصة في ظل تدفق ذهب السودان الغربي، كما قام بتنويع مصادر الدخل؛ الثابتة والمؤقتة، كغنائم الحرب وإفئداء الأسرى. كما عرفت البلاد صناعة الأسلحة، التي كانت ضرورية بحكم إدراك السعديين الأوائل حتمية إمتلاكها لتحقيق الإنتصار، من أجل ذلك عمل المنصور على النهوض بالمنظومة العسكرية، بإنتاج مختلف الأسلحة والذخيرة، مستغلا الخبرات الأجنبية، والوافدين الجدد إلى المغرب الأقصى، وفي مقدمتهم العثمانيون، والأسرى والأوروبيون. كما عمل على إستيراد الأسلحة رغم منع دولة الإسبان لتجارة الأسلحة معهم.

ونظرا لوفرة النشاط الزراعي والصناعي نشطت التجارة؛ سواء الداخلية أو الخارجية، وبغية تعزيزها وتحسينها عمل المنصور على توفير الأمن والإستقرار النسبي، بالإضافة إلى إصلاح طرق المواصلات، وبناء الجسور، وبذلك نشطت التجارة السعدية.

الفصل الرابع: والموسوم ب: " مظاهر الحياة الإجتماعية في عهد أحمد المنصور الذهبي". حاولت من خلاله التعريف بالمجتمع السعودي من ناحية تركيبة المجتمع، والتي تكونت من العنصر المحلي، العرب، والبربر. كما توافد على المغرب الأقصى العديد من العناصر الأجنبية، وفي مقدمتهم الأندلسيون واليهود والعثمانيون، بالإضافة إلى العنصر الأوروبي والسوداني. ساهمت تلك العناصر في بناء المجتمع السعودي، من خلال التفاعل مع المجتمع، بنقل معارفهم وخبراتهم التي تعلموها من بلدانهم إلى المغرب.

كما عالجت من خلال هذا الفصل التحديات التي واجهت المغرب الأقصى، بداية من النمو الديمغرافي، الذي عرف عدم الإستقرار، بسبب الأزمات التي ضربت البلاد من الأوبئة والمجاعات والكوارث الطبيعية، ناهيك عن الحروب المستمرة، سواء داخل البلاد أو خارجها. أدت كل تلك العوامل إلى حدوث نزيف ديمغرافي. حاول السعديون التعامل مع تلك الأزمات من خلال إنشاء منظومة صحية، كمحاولة للحد أو التقليل منها، وقد كانت المنظومة الصحية في مجملها بدائية تعتمد على الطب الشعبي، بالإضافة إلى وجود بعض المستشفيات، إلا أنها لم تكن تف بالغرض لمحاربة تلك الأمراض الخطيرة. وفي مقابل ذلك فقد حرص السلاطين السعديون على إحاطة أنفسهم بالأطباء الخواص من الدول الأجنبية. رغم ذلك فقد مات السلطان المنصور بالوباء رغم كل الحيطة والحذر.

كما حاولت من خلال هذا الفصل التعريف بأنواع التغذية والأشربة السعدية، التي كانت متنوعة بين مختلف المناطق وجهات المغرب الأقصى، وقد فرض هذا التنوع إختلاف التضاريس، والأقاليم المناخية وتنوع الفصول. كما أدخلت على المطبخ السعدي العديد من التطورات والتعديلات بسبب الوافدين الجدد. وقد صارت مع مرور الوقت ضمن الموروث الثقافي للمجتمع المغربي.

كما عالجت من خلال هذا الفصل المرأة في المجتمع السعدي، وأدوارها الفاعلة في المجتمع سواء في البادية أو الحضر، وقد سجلت إختلافا كبيرا فيما بينهما، من ناحية الأخلاق واللباس والتزين والأعمال، إلا أن أهم شيء إشتريت فيه كل منهما، هو الإهتمام بالأسرة السعدية والحفاظ عليها.

كما تناولت في هذا الفصل أهم التحديثات التي شهدتها المجتمع، كاللباس والإحتفالات الدينية، والموسيقى، حيث وجدت أن المنصور حافظ على ما ترك أسلافه السعديون. إلا أنه حاول التعديل والتطوير. فعلى مستوى اللباس إستحدث "المنصورية"، أما على مستوى الإحتفالات فقد أدخل زينة الشموع في الإحتفالات الدينية: خاصة في المولد النبوي الشريف، كما كان يكرم العلماء بالعطايا في مثل تلك المناسبات. أما في مجال الموسيقى فقد أدخل بعض التعديلات مثل الموسيقى الإستعراضية في موكب السلطان أو إعلان الحروب، وهو مستتب من الدولة العثمانية. بالإضافة إلى فن المديح (القصائد الدينية)، كما عرف المغرب الأقصى طبوعا جديدة من الموسيقى؛ كفن كناوة، الذي أدخله السودانيون معهم، بالإضافة للطبوع الأخرى التي جاء بها الأندلسيون.

ومن خلال دراستي لهذا الموضوع فقد أنهيت هذا البحث بخاتمة رصدت فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال ثنايا البحث، كما ذيلت دراستي هذه بمجموعة من الملاحق والخرائط التي تخدم الموضوع.

-الصعوبات:

من الطبيعي أن تواجه أي باحث الكثير من الصعوبات أثناء شروعه في إنجاز بحثه، وقد تختلف هذه الصعوبات من باحث إلى آخر، ولكن لا يختلف اثنان بأن أي بحث يرتبط نجاحه بمدى توفره على مادة البحث، من مصادر ومراجع، ومدى قدرة الباحث على معالجتها وتحليلها، وفي حقيقة الأمر أنه عند معالجتني لهذا الموضوع صادفتني جملة من الصعوبات أبرزها:

ندرة المادة التاريخية الأولية التي تعنى بالإقتصاد والمجتمع، إذ أن أغلب المادة التي تحصلت عليها كانت تركز على الحياة السياسية والعسكرية، بينما الحياة الإقتصادية والإجتماعية تكاد تكون مقتصرة على بعض الأسطر أو بعض الصفحات، مما جعلني أتردد كثيرا في بداية الطريق، وخشيت من مغبة ركوب صعاب هذا الموضوع وخوض غماره، لطوله وتشعبه وقلة المادة التاريخية فيه، وظننت أن تصرفني قلة المادة عن إستيفاء جوانب البحث، وإماطة اللثام عن جميع مراحل وأبعاده. وعلى الرغم من هذه الشكوك فقد عزمت على البحث، و قد حاولت أن أجمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع بما توفر لي من وقت وجهد، من أجل الإلمام بالموضوع من جميع جوانبه.

ولكن رغم ذلك واجهتني صعوبة السفر إلى المغرب، بحكم توتر العلاقة ما بين البلدين، والتي وصلت إلى حد القطيعة. بالإضافة إلى جائحة كورونا -كوفيد 19 - التي إجتاحت العالم، وهو ما صعب من مهمة البحث، حيث أغلقت أغلب المكتبات أبوابها، كذلك المكتبات الجامعية، وحتى المعارض الدولية لم تتعقد كما هو مسطر لها.

إضافة إلى قلة الدراسات السابقة التي تتناول الموضوع - حسب ما إطلعت عليه - وإن وجدت بعض الدراسات السابقة؛ سواء الرسائل الجامعية أو الكتب أو المقالات، فإن هذه الدراسات تناولت موضوعي بدراسة جزئية أو بعض الفقرات العابرة، التي تكون في ثنايا الموضوع. وهو ما جعل حصولي على المادة العلمية يتطلب وقتا وجهدا مضاعفا.

كذلك صعوبة الحصول على أهم المخطوطات والوثائق الرسمية التي تخص الفترة قيد الدراسة. كل هذه العوامل ساهمت في عرقلة مهمة البحث، وعدم حصولي على المادة العلمية. إلا أن هذا الواقع لم يثن من عزمي في البحث المستمر عن المطلوب، بل دفعني إلى البحث عن طرق أخرى من أجل الوصول إلى الهدف المنشود من هذه الدراسة ، حيث قمت بالتواصل مع العديد من الباحثين بالمغرب على غرار الدكتور البروفسور " عثمان المنصوري " صاحب الكتاب: " التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر مساهمة في التاريخ الإقتصادي " .

وقد تناقشت مع البروفسور حول حيثيات الموضوع وصرح لي حول صعوبة تناول الموضوع الإقتصادي والإجتماعي خلال الفترة الحديثة، بحكم شح وندرة المادة التاريخية التي تعالج هذه المواضيع، بصفة عامة وبحكم أن أغلبية المادة التاريخية تركز على الأحداث السياسية والعسكرية، إلى أنها لا تخلو من وجود بعض الشذرات المتفرقة بين صفحات هذه المادة. كما أنني أثناء حديثي معه ذكرت له صعوبة واجهتني أثناء البحث حول مسألة ضبط الأرقام والإحصاءات

خلال الفترة قيد الدراسة، وبدوره أكد لي نفس الملاحظة أنه من الصعب جداً وجود أرقام دقيقة خلال الفترة قيد الدراسة. حيث أن أغلب المادة الإخبارية التي كتبت حول الفترة تستخدم أرقام تقديرية، وبإستعمال وحدة حسابية غير دقيقة، مثلاً: عند إستخدام وحدة قياس كانون والتي هي مُعطى غير ثابت، ولا يمكننا بأي حال من الأحوال من معرفة العدد الحقيقي للسكان.

كذلك في الكثير من الكتب الجغرافية؛ مثل كتاب (وصف إفريقيا) لحسن الوزان، أو (إفريقيا) لمرمول كربخال، في الكثير من الأحيان لا يستخدم وحدة القياس؛ الكانون، بل يصف السكان بكثرة فقط، وفي بعض الأحيان لا يذكر بعض المناطق من المغرب الأقصى، كما أن حسن الوزان كتب مصنفه في فترة أسره بإيطاليا، معتمداً على ما بقى راسخاً في ذهنه.

رغم ذلك فقد وجهني البروفسور إلى أهم المصادر والمراجع والدراسات التي تعالج موضوعي قيد الدراسة، ولو بشكل غير مباشر. كما تواصلت مع الدكتور الفقيه الإدريسي من جامعة بني ملال، والذي هو الآخر متخصص في تاريخ الإقتصاد خلال العهد السعودي، وبالضبط في الجباية خلال العهد السعودي، فقد ساعدني هو الآخر بما يمتلكه بحوزته من مادة حول الفترة.

كما أجريت في هذا الإطار عدة تنقلات ميدانية عبر مختلف التراب الوطني، إذ قمت بالتنقل إلى جامعة مصطفى إسطنبولي بولاية معسكر في سبيل الحصول على المادة العلمية، كما تنقلت أيضاً إلى جامعة جيلالي اليابس بولاية سيدي بلعباس، وأيضاً إلى جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، وغيرها من الجامعات الجزائرية، على أمل إيجاد أكبر عدد ممكن من الكتب، وكذا الرسائل الجامعية التي تناولت موضوعي. كما تنقلت إلى الجزائر العاصمة للحصول على الغرض نفسه. ومن خلال هذه التنقلات، وكذلك المساعدات والتوجيهات التي قدمها لي كل من الباحثين، وكذلك مساعدة أستاذي المشرف، فقد أماطت هذه العوامل اللثام عن هذه الدراسة، وبالتالي ساهمت في إكمالها وإخراجها إلى النور بعدما كانت مجرد فكرة إلى أن أصبحت حقيقة.

ولا شك أن هذه الدراسة شأنها شأن أي بحث مبتدئ لا تخلو من ثغرات، ومع ذلك فإنني حاولت أن أساهم في رسم صورة حول الواقع الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الأقصى خلال فترة السلطان أحمد المنصور الذهبي (1578-1603م)، ولا أدعي بأي حال من الأحوال كمال هذه الدراسة، بل الكمال لله وحده سبحانه.

الفصل، التمهيدي:

لمحة موجزة عن قيام المملكة وليت السعدية.

أولا: الوضع العام للمغرب الأقصى قبيل ظهور الدولة السعدية.

أ-: الوضع السياسي:

1-التفكك والتجزء.

2- الغزو الأيبيري.

ب-: الوضع الإقتصادي:

ج-: الوضع الإجتماعي:

د-: الوضع الثقافي:

ثانيا: قيام الدولة السعدية:

أ- نسب الأشراف السعديين ودخولهم إلى المغرب الأقصى.

ب - تأسيس الدولة السعدية.

إنه لمن الضروري في بداية هذه الدراسة أن نخصص فصلا تمهيديا، والذي يوحي بفكرة مقتضبة عن الأوضاع العامة للمغرب الأقصى قبيل بروز الدولة السعدية حتى نفهم الخلفية التاريخية والسياق العام الذي برزت فيه تلك الدولة. فقد شهد المغرب الأقصى في ظل الحكم الوطاسي التقهقر والعجز العام عن توحيد المغرب الأقصى، الذي كان مقسما إلى عدة وحدات متناحرة فيما بينها، بالإضافة إلى العجز عن رد الخطر الأيبيري. ففي رحم تلك المعاناة برز نجم دولة الأشراف السعديين، والذين أقاموا دولتهم على أساس الجهاد ضد الغزو الأيبيري. ومع تسارع الأحداث التاريخية بدأت ملامح ظهور دولتهم تتضح بقيادة القائم بأمر الله، ثم سرعان ما تأسست تلك الدولة بقيادة محمد الشيخ، بقضائه على الحكم الوطاسي في فاس. ومن خلال هذا الفصل التمهيدي سوف نحاول توضيح ذلك.

أولاً: الوضع العام للمغرب الأقصى قبيل ظهور الدولة السعدية.

أ-: الوضع السياسي:

1-: التفكك والتجزء:

يعتبر تصدع دولة الموحدين⁽¹⁾، ابتداءً من القرن (7هـ/13م) نقطة تحول في تاريخ المغرب الكبير⁽¹⁾، إذ فقدت بلاد المغرب الكبير وحدتها السياسية، بظهور دول إقليمية تقاسمت إرث دولة الموحدين، فالحفصيون⁽¹⁾ بتونس يحكمون المغرب الأدنى من إقليم طرابلس الغرب⁽¹⁾ إلى نواحي دلس⁽¹⁾ (603-943هـ/1207-1574م)، وبنو زيان⁽¹⁾ (بنو عبد الوادي) بتلمسان بيبسطون

(1) - قامت تلك الدولة سنة (524-667هـ/1130-1269م): حيث أسسها المهدي بن تومرت في أواسط القرن السادس هجري، وقد استطاع الخليفة عبد المؤمن بن علي أن يجمع تحت حكمه كل من تونس والجزائر، والمغرب والأندلس. وبذلك تمت وحدة البلاد من الناحية السياسية والدينية. ينظر: الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ط.3، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1404هـ/1984م)، ص 18.

(1) - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية-ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، ط.1، (الرباط: دار الإيمان، 1436هـ/2015م)، ص 21.

(1) - قامت تلك الدولة سنة (625-982هـ/1228-1574م)، وهي أسرة من البربر حكمت إفريقيا (تونس حالياً)، أسسها أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي (ت 571هـ/1175م)، تمتعت الدولة الحفصية مدة إستقلالها بسلطة واسعة، و قد غلب عليها المرينيون أحيانا. دخلت تحت حكم العثمانيين عام 977هـ، ثم ضمها العثمانيون نهائيا (982هـ/1574م). ينظر: حسين محمد نصار وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، ط.1، (بيروت: المكتبة العصرية، 1431هـ/2010م)، ص 1390.

(1) - إسم مدينة مشتق من الكلمة اليونانية، والتي تعني المدن الثلاث، حيث كان القسم الغربي من ليبيا خلال العصر اليوناني ثلاث مدن هامة وهي لبدة العظمى، وصبراتة، و اوثيا، أما في الفترة المبكرة من العصر الإسلامي أطلق عليها العرب إسم " إطرابلس" وفي أواخر القرن (5هـ/11م)، صارت تكتب " طرابلس ". و في العصر العثماني أضيف إلى إسم طرابلس كلمة الغرب، فأصبحت تعرف بـ " طرابلس الغرب " تمييزا لها عن طرابلس الشام. للمزيد ينظر: صلاح أحمد البهنسي، طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني، ط.1، (القاهرة: دار الآفاق العربية، 1464هـ/2004م)، ص 8.

(1) - مدينة عتيقة بناها الأفارقة على بعد نحو تسعة وثلاثين ميلا من شاطئ البحر المتوسط. تحيط بها أسوار قديمة متينة، وجل سكانها صباغون لوجود عدد من العيون والجداول بها. ينظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج.2، ط.2، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1983م)، ص 42.

سيطرتهم على المغرب الأوسط من إقليم مدينة الجزائر إلى منطقة الملوية⁽²⁾ (633-962هـ/1236-1554م)، وبنو مرين⁽³⁾ ثم حجابهم من الوطاسيين⁽⁴⁾ يتولون حكم المغرب الأقصى من غرب الملوية (إلى منطقة السوس⁽⁵⁾ (656-957هـ/1258-1549م)⁽⁶⁾.

عاش المغرب الأقصى مع بداية القرن السادس عشر محنة تاريخية تمثلت في إستفحال الخطر البرتغالي⁽⁷⁾، إذ كان البرتغاليون يسيطرون على معظم سواحل المغرب الأطلسية، وكان المغرب الأقصى يمر بأزمة سياسية واقتصادية، واجتماعية حادة⁽⁸⁾ إذ كانت الأوضاع الداخلية للمغرب الأقصى تتسم بالفتن السياسية والعسكرية والتمردات القبلية، مما أدى بالبرتغاليين إلى تركيز نظرتهم الإمبريالية⁽⁹⁾ إتجاه السواحل المغربية؛ المتوسطة والأطلسية⁽¹⁰⁾.
لقد كان لضعف سلطة الوطاسيين بفاس⁽¹¹⁾ وعجزهم عن صيانة الأمن والدفاع عن البلاد أثر بالغ في إنتشار الفوضى والفتن، مما أدى إلى تجزئة المغرب الأقصى إلى وحدات سياسية

(1) - هي أسرة من البربر تنتمي إلى قبيلة زناتة حكمت المغرب الأوسط (الجزائر) (633-796هـ/1235-1393م)، كانت قاعدتها تلمسان أسسها يغمراسن بن زيان عندما ضعف أمر الموحدين إثر هزيمتهم في موقعة حصن العقاب بالأندلس. وتعرض المغرب الأوسط لتقلبات عديدة بين بني عبد الواد والمرينيين حتى بسط العثمانيون سلطانهم على المنطقة في 1518م. ينظر: حسين محمد نصار وآخرون، المرجع السابق، ص 791.

(2) - وادي ملوية يقع إلى وادي صاع فيجتمعان معا ويصبان في البحر ما بين جراوة ابن قيس ومليلة. ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مج.1، [د.ط.]، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1422هـ/2002م)، ص 247.

(3) - أسست تلك الدولة سنة (613-876هـ/1216-1471م): وهم فخذ من قبيلة زناتة بدأ أمرهم في الظهور عندما دخلت دولة الموحديين في دور الإحتضار، ونشبت معارك فاصلة بين الدولتين إنتهت بسقوط مراکش في أيدي المرينيين سنة 668هـ. ينظر: إسماعيل بن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين، تح: عبد الوهاب بن منصور، [د.ط.]، (الرباط: المطبعة الملكية، 1382هـ/1962م)، ص 08-09. ينظر أيضا: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 18.

(4) - هم فخذ من بني مرين كانت الرياسة فيهم لبني الوزير الذين يزعمون أنهم من أعقاب يوسف بن تاشفين، لحقوا بالبادية ونزلوا على بني وطاس بالريف وخاصة بحصن تازوطا، وقد ثار فيه على المرينيين عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي عام (691هـ/1291م)، ضد منصور بن عبد الواحد في عهد عمه يوسف بن يعقوب المريني، فحاصر يوسف الحصن وتملكه من نفس السنة. ينظر: عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، ج.4، [د.ط.]، (المحمدية: مطبعة فضالة، 1401هـ/1981م)، ص 279.

(5) - يطلق هذا الإسم على ناحية كبرى من نواحي الجنوب تقع بين الأطلسين، الكبير والصغير في مساحة تقدر بنحو 20 ألف كلم مربع، وتنقسم إلى أربع مناطق: هواره، رأس الواد، شتوكة، أزغار، وأهم مركزها أكادير وتارودانت وتزنيت وتافراوت. ويطلق هذا الإسم أيضا على وادي كبير ينحدر من الأطلس الكبير وينصب جنوب أكادير في المحيط الأطلسي. للمزيد ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 233.

(6) - ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، [د.ط.]، (الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2012م)، ص 11.

(7) - عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب، ج.1، ط.1، (الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 1427هـ/2006م)، ص 46.

(8) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، المغرب الأقصى لليبية، [د.ط.]، (دمشق: منشورات جامعة دمشق، 1420-1421هـ/1999-2000م)، ص 12.

(9) - في معناه العام تعني سيطرة شعب أو نفوذه على شعب آخر، وهو ليس بالحديث العهد، بل ظهر مع الإمبراطوريات القديمة. ينظر: حسين محمد نصار وآخرون، المرجع السابق، ص 423.

(10) - محمد شونم، " إحتلال المغرب ونشأة الدولة السعودية خلال القرنين 15 و 16م "، مجلة ليكسوس الإلكترونية، المغرب، ع. 35، س. 2020م، ص 08.

(11) - يبدأ إقليم فاس من غرب نهر أبي رقراق، ويمتد شرقا إلى نهر ايناون، وينتهي بينهما شمالا عند نهر سبو، وجنوبا عند سفح الأطلس. ينظر: حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج.1، ط.2، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1983)، ص 207.

شبه مستقلة، بعضها أملت ظروف الجهاد ومقاومة العدو المحتل للسواحل، وبعضها شعر ببعيد مركز الحكم وضعفه، والبعض الآخر كان مضطرا للمهادنة والدخول تحت حماية المحتل⁽¹⁾.

ومن بين تلك الكيانات السياسية، والإمارات الشبه المستقلة نذكر:

- إمارة بني راشد في شفشاون⁽²⁾:

ظهرت مدينة شفشاون كمركز للمقاومة الوطنية ضد الإحتلال الأجنبي منذ أن إتخذها المولى على بن راشد⁽³⁾ قاعدة لجهاده ضد البرتغال، وقد ثار المولى على بن راشد ضد الوطاسيين وانتقد مهادنتهم للبرتغال، ورغم إخضاع ثورته فإن مدينة شفشاون ظلت تحتل مكانة مرموقة في حركات الجهاد بإعتبارها من الثغور القريبة من مراكز الإحتلال البرتغالي⁽⁴⁾.

- عائلة العروسي في القصر الكبير⁽⁵⁾:

إلى جانب شفشاون هناك مدينة القصر الكبير التي كانت سوقا تجلب إليها بضائع العدوتين، وثرعا بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى، وقد تولى حكم تلك الإمارة عائلة العروسي، والتي كان من أشهر أبنائها القائد أحمد، ومن الذين عُرفوا بحملاتهم المتواصلة ضد مراكز الإحتلال⁽⁶⁾.

- إمارة بني المنظري⁽⁷⁾ في تطوان⁽⁸⁾:

هي عائلة أندلسية تسمى أسرة المنظري توارث أبنائها الحكم في تطوان، وقد إشتهروا بأعمالهم الحربية ضد الأعداء. إذا كانت ظروف الجهاد والمناداة بقتال المحتلين قد ساعدت على ظهور تلك الوحدات السياسية في شمال المغرب، فإن ضعف الحكم الوطاسي في فاس قد دفع

(1)- عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعودية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، ط.3، (الرباط: منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، 1427هـ / 2006م)، ص 16.

(2) - هي مدينة متوسطة تقع في سفح جبل شفشاون على إرتفاع ألف متر بين وهاد وهضاب، ذات مناظر بديعة خلابة أسست سنة 866هـ في عهد الأمير أبي حسون المريني، ثم جدد بناءها بن راشد الشريف العلمي، فجعلها قاعدة لمقاومة الإحتلال الأجنبي للشواطئ، ثم اتسعت عمارتها في العصر السعودي. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 240.

(3) - يُعد من بين الشخصيات التي صارعت الإحتلال البرتغالي، كما يعد من بين الذين بنو مدينة شفشاون، واتخذها مقرا لقاعدة جهاده. ينظر: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 16.

(4) - المرجع نفسه، ص 16.

(5)- تعرف أيضا بالقصر العظيم، أسسها رابع ملوك الموحدين. ينظر: مارمول كرخال، المصدر السابق، ج.2، ص 190.

(6) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 16-17.

(7) - تعود تلك الإمارة إلى أبي الحسن علي المنظري الغرناطي الذي أشرف على بنائها وتولى الحكم فيها. ينظر: محمد داود، مختصر تاريخ تطوان، ط.1، (المغرب: المطبعة المهدية، 1375هـ/1955م)، ص 15.

(8) - هي مدينة صغيرة بناها الأفارقة القدامى على بعد نحو ثمانية عشر ميلا من المضيق، وستة أميال من البحر. وقد فتحها المسلمون عندما أخذوا سبتة من يد القوط. ينظر: حسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 318.

بعض الولاة في المناطق البعيدة إلى محاولة الإستقلال عن العاصمة، ومن تلك المدن مدينتي مراكش⁽¹⁾ ودبو⁽²⁾. ففي جنوب المغرب الشرقي تأسست:

-إمارة دبو:

ظهرت كمركز لإمارة شبه مستقلة منذ العهد الأول لقيام الوطاسيين، إلى غاية سقوط الحكم المريني⁽³⁾.

-إمارة بني هنتاتة⁽⁴⁾ بمراكش:

إستقر أمراء بني هنتاتة في جنوب المغرب وإتخذوا من مراكش عاصمة لهم، وقد أخذ نفوذهم يزداد منذ منتصف القرن الخامس عشر، حيث إمتدت سيطرتهم حتى المحيط الأطلسي⁽⁵⁾.

-أما في وسط المغرب، وغربه:

نجد كلا من إمارات ابن حدو، وأخيه أبي فارس في الجبل الأخضر، وإمارة ابن عامر في تنسيتة، وإمارة آل فرحون في آسفي⁽⁶⁾، وجمهريات مدن تافزة، والجمعة⁽⁷⁾، وأزمور⁽⁸⁾، ونفوذ

(1)-تم بناؤها سنة 454هـ من طرف يوسف بن تاشفين، والذي بناه منها الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوفاً من جامع الكتبيين منها، ثم بنى سورها في عهد ابنه علي سنة 526هـ ، كانت عاصمة المرابطين والموحدين ثم السعديين. ينظر: محمد بن محمد بن عبد الله الموقت المراكشي، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، تع: أحمد متفكر، ط.3، (مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، 1432هـ / 2011م)، ص ص 15-16.

(2)- هي مدينة كبيرة على منحدر جبل شاهق، على بعد 20 فرسخاً من مليلية في إتجاه الجنوب، أسسها أحد أمراء بني مرين عندما حكموا موريطانيا الطنجية. ينظر: مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص 270.

(3)- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 17.

(4)- وهم فرع من قبيلة مصمودة، قوم أثرياء محبوبون للحرب، يدعون أنهم أشرف سكان إفريقيا. ينظر: مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص 67. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تع: خليل شحادة، سهيل زكار، ج.6، [إ.ط.]، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1431هـ/2000م)، ص370.

(5)- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 18.

(6)- هي مدينة متوسطة تقع على الشاطئ الأطلسي بين الجديدة والصويرة يرجع تاريخ تأسيسها إلى العصر القديم. إحتلتها البرتغال مرارا خلال القرن العاشر الهجري. كان لها دور مهم في حركة طرد البرتغاليين من الشواطئ خلال العصر السعدي. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص ص 60-61.

(7)-هي مدينة قديمة أسسها الأفاارقة، تقع في سهل على ضفة النهر، بعيدة بفرسخين عن جبال الأطلس من جهة الشمال. ينظر: مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص 42.

(8)- هي مدينة مغربية قديمة، أسسها الأفاارقة على شاطئ المحيط عند مصب نهر أم الربيع، الذي كان يسمى كوفة في القديم. للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص 87 .

رؤساء القبائل في سهول دكالة⁽¹⁾، وتادله⁽²⁾، كل هذه الإمارات الصغيرة لم تكن تخضع للحكم الوطاسي⁽³⁾.

وبذلك يتأكد أن الوطاسيين كانت سلطتهم ضعيفة ومشتتة، فالمناطق الصحراوية لم تكن لهم عليها سلطة، أما الجهات القريبة منها فنفوذهم فيها ضعيف جدا، وهي أول المناطق مبادرة إلى تأييد الدولة السعدية. كذلك فإن المناطق الجبلية قد وقفت موقف التريص من الأحداث في إنتظار دولة أقوى سلطة وأحكم نظاما. ولا شك أن للعامل القبلي أثرا كبيرا في ذلك الموقف، حيث لا يحظى الوطاسيون بسند ديني ولا مذهبي⁽⁴⁾.

وقد سهلت تلك البيئة المحتلة مهمة الإيبيريين في غزو شواطئ المغرب الأقصى، لأنهم كانوا يعتبرون عملهم بالمغرب الأقصى إمتدادا لما قاموا به في شبه الجزيرة الأيبيرية⁽⁵⁾. إذ أن تصفية الوجود الإسلامي بشبه الجزيرة يجب أن يعزز بتطويق المسلمين بشمال إفريقيا، خاصة المغرب الأقصى لضرب أي محاولة من شأنها التفكير في إعادة غزو جديد لشبه الجزيرة⁽⁶⁾.

2-:- الغزو الأيبيري: (7)

بعد تغير موازين القوى بين ممالك المسيحيين وممالك المغرب الأقصى، بدأت التحرشات الأيبيرية تطال السواحل الشمالية المغربية، وقد ساعدت ظروف التفقت والركود في خلق القابلية للإحتلال⁽⁸⁾. فقد أدخلت أحداث القرن السادس عشر إفريقيا الشمالية بأسرها في إطار السياسة الأوروبية مدة طويلة، وكانت تجري في أوروبا ذاتها أحداث أخرى تتجه إلى حفظ التوازن، ثم إلى مواجهة التوسع الإسلامي الذي تولى العثمانيون توجيهه وقيادته منذ قرون، وكانت المقاومة وحركة الإسترداد⁽⁹⁾ قد إنطلقت من أقصى بلدان أوروبا الغربية، ونعني بها البرتغال، وإسبانيا التي

(1)- يطلق هذا الإسم على مجموعة القبائل القاطنة بالناحية التي تفصل الشاوية عن " عبدة والرحامنة ". للمزيد ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص ص 134-135.

(2)- يعرف هذا الإقليم قديما بإسم فازاز، يبتدئ هذا من نهر العبيد وينتهي عند نهر أم الربيع عند منبعه، كما ينتهي جنوبا بين جبال الأطلس، وشمالا في المكان الذي يلتقي فيه وادي العبيد ونهر أم الربيع. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 176. ينظر أيضا: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص ص 91-92.

(3)- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص46.

(4)- إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، [د.ط.]، (الدار البيضاء: دار الرشد الحديثة، 1408-1987م)، ص27.

(5)- تتكون من دولة إسبانيا والبرتغال الحاليين. ينظر: سامي الكيلاني، في الربوع الأندلسية، [د.ط.]، (سوريا: مكتبة الشرق، 1936م)، ص 15.

(6)- محمد رزوق، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، ط.3، (الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ط.3، 1998)، ص 142.

(7)- ينظر: ملحق رقم 01، ص266.

(8)- مقالاتي عبد الله، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)، [د.ط.]، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2013م)، ص 10.

(9)- تجدر الإشارة إلى أنه هناك إختلاف حول مصطلح الإسترداد (al reconquista) (الريكونكستا) بين المؤرخين، ولكن تم الإتفاق على هذين المفهومين وهما: =

الفصل التمهيدي:.....لمحة موجزة عن قيام الدولة السعودية.

إستطاعت في سنة 1492م، أن تطوي صفحة آخر الممالك العربية الإسلامية في غرناطة⁽¹⁾، وقد أصدر الملك الكاثوليكي فرديناند دي أراغونا⁽²⁾، والملكة إيزابيلا دي كاستيليا⁽³⁾ أمرا يقضي بإجلاء جميع المسلمين من شبه جزيرة أيبيريا، ولم يكتفوا بطرد المسلمين⁽⁴⁾ بل وانتهوا بالضرورة إلى إحتلال سواحل إفريقيا الشمالية والتوسع في إحتلال بلدانها⁽⁵⁾. بنص موجب إتفاقية ثورديسلاس⁽⁶⁾ 07 جوان 1494م إذ تدخل البابا ألكسندر السادس⁽⁷⁾ وحدد حجر بادس⁽⁸⁾ كحد فاصل لتقادي الصدام بين الدولتين⁽⁹⁾، ثم وقعت معاهدة أخرى بين الدولتين، والتي عرفت تاريخيا بمعاهدة سينترا⁽¹⁰⁾ سنة 1509م، التي نصت على تقسيم المغرب الأقصى بين تلك القوتين الإستعمارييتين،

=أولا: يشمل جهودهم ومقاومتهم لكل غاز لشبه الجزيرة الأيبيرية من القوى الأجنبية، التي نزحت إليها. وثانيا: أنها لا تقتصر على مقاومة المسلمين الذين سيطروا على شبه الجزيرة الأيبيرية سنة (92هـ / 711م)، حتى طردهم منها سنة (897هـ / 1492م). للمزيد ينظر: قاسم عبد سعدون الحسيني، " حركة الإسترداد الإسبانية reconquista (الريكونكيستا) قراءة في المصطلح و المضمون"، مجلة كان التاريخية، الكويت، مج.2، ع. 5، س. 2020م، ص 305. ينظر أيضا: بلبل رحمونة ، القنصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010/2011، ص 03.

⁽¹⁾—تُعد من أقدم المدن، بينها وبين ألبيرة ستة أميال، ويقال لها أيضا غرناطة وتعرف بمدينة اليهود. ينظر: أبو محمد الرشاطي وإبن الخراط الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار إقتباس الأنوار، تق: تح: ايميليو مولينا وخاينتوبوسك بيللا، [د.ط.]، (مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، 1990م)، ص 174.

⁽²⁾— هو ابن خوان الثاني ملك أراغون، تولى الحكم سنة 1479م، تزوج الملكة إيزابيلا، وبذلك اتحدت المملكتان الإسبانيتان في ظل عرش واحد. يعد الملك فرديناند من أعظم ملوك إسبانيا، عرف بقدرة فائقة سواء في الإدارة أو في ميادين الحرب والسياسة. ينظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط.3، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1386هـ/1966م)، ص ص 180، 182، 184.

⁽³⁾— هي أخت هنري الرابع الذي إعترف بحقها في العرش عقب وفاة أخيها ألفونسو سنة 1468م، تزوجت ابن عمها فرناندو الذي مهد لتوحيد إسبانيا. ينظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 180.

⁽⁴⁾— تجدر الإشارة الى أن الاكتشافات الجغرافية كانت لحظة تحول هائل في ذهنية الإنسان الأوروبي الذي أصبح يشعر بالقوة والتفوق، وبدا عليه طموح الإستحواذ وإرادته. ودخلت أساطيل أوروبا أعالي البحار بفضل إستعمالها تقنيات جديدة مكنتها من معاكسة الرياح. وقد كانت رحلة كريستوف كولمب أساس التجاوز الأوروبي لباقي العالم. للمزيد حول هذه الجزئية. ينظر: عبد المجيد القدوري، المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)، ط.2، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012م)، ص 79.

⁽⁵⁾— أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، تر: خليفة محمد التليسي، ط.2، (مصر: الدار العربية للكتاب الإسكندرية، 1991م)، ص 167.

⁽⁶⁾— هي مدينة إسبانية عقدت فيها معاهدة بين إسبانيا والبرتغال، سنة 1494م، حددت بموجبها مناطق المستعمرات الإفريقية لكل من الدولتين المسيحيتين. ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج.1، [د.ط.]، (المغرب: مطبعة فضالة، 1396هـ / 1976م)، ص 40.

⁽⁷⁾— ألكسندر السادس (1492-1503م) كاردينال قام بشراء منصب البابوية، وأنشأ عصابة البندقية ضد ملك فرنسا، أشرف على إتفاقية ثورديسلاس بين إسبانيا والبرتغال. ينظر: نجيب دكاني، الإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري 10هـ السادس عشر ميلادي 16م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص 18.

⁽⁸⁾— هي مدينة على ساحل البحر المتوسط يسميها الإسبان " فليس دولا كوميرا " ينسبها البعض إلى الأفارقة والبعض الأخر إلى القوطيين، تقع بين جبلين شاهقين. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 325.

⁽⁹⁾— شوقي عطاء الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)، ط.1، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1977م)، ص ص 77-78.

⁽¹⁰⁾— وقعت تلك المعاهدة في 18 سبتمبر 1509م، بين إسبانيا والبرتغال، لوضع حد للخلاف بينهما حول مناطق النفوذ. ينظر: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 12. ينظر أيضا: عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 47.

حيث إنفرد البرتغال بالمغرب الأقصى ولم يبق للإسبان سوى⁽¹⁾ حصن سانتا كروز⁽²⁾. وهكذا بسطت البرتغال نفوذها على جميع بلاد المغرب الأقصى⁽³⁾، إذ إحتلوا كل من مدينة سبتة⁽⁴⁾ سنة 1415م، والقصر الصغير سنة 1465م، وطنجة⁽⁵⁾ سنة 1471م⁽⁶⁾، ومدينة ماسا⁽⁷⁾ سنة 1479م، ثم موقع مازكان⁽⁸⁾ في سنة 1502م، فأغادير⁽⁹⁾ سنة 1505م، وموكادور سنة 1506م، وآسفي في سنة 1508م، وأزمور في سنة 1513م. وتطلعوا في سنة 1515م إلى إحتلال مدينة مراكش، ولكن حملتهم عليها باءت بالفشل⁽¹⁰⁾، ولم يبق في أيدي المغاربة إلا عدداً قليلاً من الثغور المغربية، مثل سلا⁽¹¹⁾، والرباط⁽¹²⁾، وقد عملوا على طرد أهلها بعيداً عن المدن الساحلية، مما دفع بالمغاربة إلى الإنطواء في أطراف الصحراء، والقرى النائية⁽¹³⁾.

ب-: الوضع الإقتصادي:

أدى الغزو البرتغالي إلى خنق الإقتصاد الوطاسي، وشل تجارته الخارجية التي كانت أحد أسباب إزدهاره، ذلك أن المغرب الأقصى كان يقوم خلال عدة قرون بدور الوسيط بين أوروبا الغربية، التي كان إقتصادها النامي بحاجة إلى المعادن الثمينة، وبين إفريقيا السوداء التي كانت حاجتها إلى المواد المصنعة تتزايد مع تطور المجتمع الإفريقي بتأثير إنتشار الإسلام.

- (1) - أبيهي محمد، " الحاحيون ومقاومة الاحتلال البرتغالي "، مجلة ليكسوس الإلكترونية، المغرب، ع.10، س.2017م، ص56.
- (2) - هي مستعمرة أنشأها البرتغاليون على مقربة من أغادير مطلع القرن السادس عشر ميلادي. ينظر: محمد الفاسي، " سوس عند الجغرافيين والمؤرخين قديماً وحديثاً "، مجلة المناهل، الرباط-المغرب، ع.23، س. 1982م، ص ص 14-15.
- (3) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، ج.6، ط.1، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1414هـ/1994م)، ص83.
- (4) - هي مدينة عظيمة تقع على ساحل البحر المتوسط من جهة الغرب، تقابل الجزيرة الخضراء في الأندلس. ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خير الأقطار، تح: إحسان عباس، [د.ط.]، (بيروت: مكتبة لبنان، 1974م)، ص303.
- (5) - تقع هذه المدينة في رأس بوغاز جبل طارق بين البحر الأطلنطي، والبحر المتوسط، في مقابلة الشاطئ الإسباني. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 164-165. ينظر أيضاً: أبي عبيد البكري، المسالك والممالك، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، ج.2، [د.ط.]، (دمم): الدار العربية للكتاب، 1992م)، ص787.
- (6) - زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، [د.ط.]، (بيروت: دار النهضة العربية، 1985م)، ص534.
- (7) - هي مدينة قديمة أسسها الأفارقة عند قدم جبال الأطلس على ساحل المحيط. للمزيد ينظر: مارمول كرخال، المصدر السابق، ج.2، ص 28.
- (8) - هي مدينة حصينة بناها ملك البرتغال، تبعد عن هذه الأخيرة بثلاثة فراسخ، وتقع في سهل على شاطئ المحيط، هي الآن خربة تسمى دار الفارس. ينظر: مارمول كرخال، المصدر نفسه، ج.2، ص 85.
- (9) - هي مدينة كبرى من مدن الساحل الأطلسي، أسست قصبته في أوائل القرن العاشر، واحتلتها البرتغال سنة 917هـ، ثم حررها السعديون، فأعادوا بناءها. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص ص 52-53.
- (10) - عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 48.
- (11) - هي مدينة قديمة بناها الرومان، تقع على ساحل المحيط الأطلسي، غير بعيدة عن الرباط بأكثر من ميل ونصف. ينظر: حسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 207. ينظر أيضاً: حمدي عبد المنعم محمد حسين، مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، [د.ط.]، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1993م)، ص03.
- (12) - هي مدينة كبيرة أسسها المنصور ملك مراكش وخليفته. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 201.
- (13) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص83.

أدت الحروب والفتن وإنعدام الأمن إلى تعطل التجارة الداخلية، وهجرة سكان المدن والقرى إلى الجبال، وتقلص مساحة الأراضي المزروعة، وتوسع العنصر البدوي الرعوي، وانتشاره في السهول الخصبة⁽¹⁾. فتعطلت بذلك الزراعة فيه، وهجر الفلاحون حقولهم إلى مناطق أكثر أمناً ولو كانت جبلية، كما تعطلت التجارة بين المناطق، حيث إنعدم الأمن عبر الطرق، وفي الأسواق، ولا تكاد تتجو قافلة من الإعتداء عليها، إما من البرتغاليين أو الإسبان أو الأعراب. وتدهورت تجارة المغرب الخارجية مع أوروبا، حيث فرض البرتغاليون والإسبان حظراً على تجارة المغرب الأقصى مع الأوروبيين خشية أن يورد له هؤلاء الأسلحة التي كان في حاجة إليها. ونافسوا المغرب الأقصى في تجارته مع بلاد السودان⁽²⁾، ومالت محاور التجارة مع هذه الأخيرة نحو الجزائر وتونس⁽³⁾.

وأما الصناعة التي كانت ولا تزال في طورها الحرفي فتأثرت هي الأخرى بما أصاب الفلاحة والتجارة من أضرار، وبالذات ما أصاب قطاع المدن التي كانت تحتضن الحرفيين، وورشاتهم من تخريب، وغزو واحتلال، وقتل للحرفيين مثل غيرهم، بحيث لم يبق من المراكز الحرفية النشيطة في أوائل القرن السادس عشر سوى مدينة فاس التي كانت عاصمة للمرينيين، ثم غدت عاصمة للوطاسيين، والتي سلمت من الغزو الخارجي وتخريبه⁽⁴⁾.

عانى المغرب الأقصى خلال تلك الفترة من مجاعات مهولة أدت إلى الموت وإنخفاض عدد السكان، مقارنة مع ما كان عليه خلال القرون الماضية، وقد أدى ذلك إلى تناقص اليد العاملة في الزراعة، وبالتالي تقلصت المساحات المزروعة وتراجعت كمية الإنتاج، وانتشر الترحال على حساب الاستقرار⁽⁵⁾.

ج-: الوضع الاجتماعي:

لقد كان لاضطراب الأحوال السياسية في المغرب الأقصى لمدة طويلة أسوأ الأثر على الوضع الاجتماعي للسكان، وتجلى ذلك في حالة الفقر التي آل إليها الكثيرون، والتي غدت الملمح الغالب للسكان في المدن والقرى، وهو ما يستخلصه القارئ لكتاب حسن الوزان وصف فيه

(1) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 31.

(2) - يُعرف وسط إفريقيا بالسودان الكبير، أي السودان الغربي والأوسط والشرقي، وهو المنطقة الفسيحة الممتدة من المحيط الأطلسي في الغرب حتى السودان وادي النيل في الشرق، وبين المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية في الشمال إلى نطاق الغابات الاستوائية في الجنوب. ينظر: عابدة العزب موسى، تجارة العبيد في إفريقيا، ط.2، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 1428هـ-2007م)، ص 105.

(3) - عمار بن خروف، " ملامح من الحياة الاقتصادية في المغرب في عهد السعديين "، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، ع.2، س. 1987م، ص 68.

(4) - عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 48.

(5) - بصراوي يحيى، " الحضور المغربي في المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي "، دورية كان التاريخية، الكويت، ع. 27، س. 2015م، ص

حالة السكان في المدن والقرى التي زارها، في كل أنحاء المغرب الأقصى. كما يتجلى في حركة الهجرة القسرية التي عرفها سكان المغرب الأقصى في المناطق التي تعرضت للغزو البرتغالي والإسباني، أو التي كانت هدفا لغاراته إلى الجهات والمناطق الأكثر أمنا. ولكن الأثر السيئ للغزو الخارجي والتفكك الداخلي يظهر واضحا في تقلص قطاع المدن، نتيجة الإحتلال أو التخريب الذي أصاب الكثير منها، وتدهورت معظم المدن الباقية نتيجة التهديد الذي كانت تعيش تحته، وقد نجم عن ذلك أن أضحي أغلب سكان المغرب الأقصى يعيشون في البوادي، وفي الجبال رغم صعوبة الحياة فيها⁽¹⁾.

فلئن كانت هناك مدن قد ازدهرت من قبل ولا زالت بها بعض المظاهر الحضارية، فإن الأغلبية العظمى من السكان كانوا يعيشون في البادية، حيث يسود نظام العشيرة⁽²⁾ والقبيلة⁽³⁾. فمدينتا فاس وتطوان كانتا تمثلان مستوى رفيعا من التقدم الحضاري: الأولى بإعتبارها العاصمة السياسية منذ⁽⁴⁾، عهد المرينيين، والثانية تدين بوجودها وتقدمها إلى المهاجرين الأندلسيين الذين نقلوا من وطنهم الأصلي مظاهر شتى للحضارة العربية الأندلسية. وتأتي بعد فاس وتطوان مدينة مراكش التي لا تزال بها بقايا من مجد غابر عرفته في عهد المرابطين⁽⁵⁾ والموحدين. أما بقية المدن فقد كانت في مراحل التطور وخاصة الواقعة منها في الداخل، لأن المدن الساحلية كانت قد وقعت جميعها تقريبا في قبضة الإحتلال الأجنبي، والتي كانت تمثل القسم الأعظم والهام. فقد صارت حياة القبيلة ونظام العشيرة هما السائدان من بين أنماط الحياة بالمغرب الأقصى. ولا تخفى علينا المظاهر التي تغلب على المجتمع القبلي خاصة فيما يتعلق بالتمسك بالأعراف والتقاليد

(1) - مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص 35.

(2) - هو عبارة عن وحدة اجتماعية ينحدر جميع أعضائها من جد واحد، ينتسبون إليه في خط واحد؛ هو خط الذكور (في العشائر الأبوية)، أو خط الإناث (في العشائر الأموية)، وتشمل العشيرة على عدد من الوحدات العائلية، وتختلف عن العائلة في أن أفرادها ينتسبون نسبهم عن طريق أحد الوالدين. والروابط العائلية في داخل العشيرة تتعدى الحدود البيولوجية، فالواجبات والإلتزامات المفروضة على أفراد العائلة تمتد إلى كل أفراد العشيرة، مهما بعدت درجة قرابتهن. ويحرم التزاوج بين أفراد العشيرة الواحدة، وبخاصة في المجتمعات البدائية، فإنها لا تشجع عليه، وذلك على العكس في العشائر العربية التي تفضل التزاوج بين أبناء العمومة المباشرة. ينظر: حسين محمد نصار وآخرون، المرجع السابق، ص 2246.

(3) - هي جماعة تنتمي إلى نسب واحد، يرجع إلى جد أعلى، وتتكون من عدة بطون وعشائر فرعية. وغالبا ما يسكن أفراد القبيلة إقليما مشتركا يعدونه وطنا لهم، ويتحدثون لهجة مميزة، ولهم ثقافة متجانسة، أو تضامن مشترك ضد العناصر الخارجية على الأقل. ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات، وآخرون، الموسوعة العربية العالمية، ج. 18، ط. 2، (المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م)، ص 67.

(4) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 18.

(5) - دولة إسلامية حكمت المغرب والأندلس من (1053-1147م). ويعتبر المرابطون عدة قبائل تنسب إلى حمير أشهر قبيلة لمتونة وهي بطن من بطون قبيلة صنهاجة. تزعم دولة المرابطون الأمير يوسف بن تاشفين الذي إستطاع ضم المغرب والأندلس إلى حكمه، والقضاء على الفتنة، كما اتخذ مراكش عاصمة له. للمزيد ينظر: حسين محمد نصار وآخرون، المرجع السابق، ص 3083. ينظر أيضا: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 17. ينظر أيضا: علي ابن زرع الفاسي، الأنيس المطرب برووض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، [د.ط.]، (الرباط: دار للطباعة والوراقة، 1972م)، ص 119-171.

المحلية، مما يحول دون قيام ترابط بين أفراد المجتمع، أو فيما يتعلق بإستمرار النزعات العصبية⁽¹⁾، وما يتبعها من فوضى وفتن.

تعتبر فترة القرن 16م، في ظل الحكم الوطاسي صورة حقيقة لما آلت إليه أحوال الناس من عادات وتقاليد، سواء بالنسبة لسكان المدن أو القبائل المنتشرة في البوادي المغربية، والظواهر التي برزت في تلك الفترة من إنحراف الناس عن مبادئ الإسلام الصحيح، وإحداثهم الكثير من البدع، وإيمانهم بالكهان وشيوع عادة شرب الخمر، وإستعمال الوشم، والغش في المعاملات. وهذا الإنحراف عن الدين القويم لم تتصف به طبقات العامة فقط، بل ولقد تجلى بصورة أشد عند الفقراء، والفقهاء؛ أي رجال الدين، ثم طبقة الأمراء⁽²⁾.

وبذلك تغيرت أوضاع المغرب الأقصى خلال تلك الفترة، تغيرا مزريا يبعث على الأسف، حيث أصبحت عقولهم لا تؤمن إلا بما يردده المشعوذون من أن لآخر من دعوات خرافية، وقد أدت دورا خطيرا في إفساد الأذهان، وتحطيم العزائم، وحمل النفوس على الإستسلام، وكان عامة الناس في إيمانهم بذلك الإعتقاد السخيف تابعين ومقلدين لبعض سلاطينهم، الذين إتخذوا من أولئك المشعوذين أولياء، يأترون بأوامرهم ويتحركون وفق رغبتهم⁽³⁾.

كما تميز القرن (10هـ/16م) بالكثير من الفواجع التي ألمت لاسيما بشعوب حوض البحر المتوسط، بسبب تقلبات المناخ، وكثرة السيول والفيضانات، وكثرة القحط والمجاعات، والأمراض والأوبئة الفتاكة، والزلازل وغيرها من الكوارث التي كان وقعها شديدا خاصة على سكان المغرب الأقصى⁽⁴⁾.

د-: الوضع الثقافي:

إن الباحث في ملاح الحياة الثقافية والعلمية بالمغرب الأقصى مع مطلع القرن (10هـ/16م)، يلاحظ أن كثيرا من المراكز العلمية التي كان يركز بها المغرب الأقصى قد خفت إشعاعها العلمي، وهذا نتيجة الإضطرابات الداخلية والهجمات الخارجية، وتدهور مركز مدينة مراكش التي

(1) - تتجلى العصبية القبلية في العصبية للأقارب وذوي الأرحام. وهذا النوع من العصبية يكون داخل إطار القبيلة ذاتها، فعلى الرغم من أن أفراد القبيلة يربطهم نسب واحد، إلا أن الرباط الكائن بين ذوي القرى من أمثال أبناء العمومة والخوالة يكون أمتن من النسب العام. وأفراد القبيلة يشعرون بالتراميم بنصرة من يشترك معهم في البيت (الفصيلة) ثم تأتي بعد ذلك نصرة المشترك معهم في الفخذ فالوطن ثم العشيرة ومع أن العصبية للقبيلة أضعف شأنها من العصبية نحو العشيرة، إلا إن عصبية القبيلة تطغى على ما سواها بمقدار الخطر الذي يهدد القبيلة كما يمكن أن تتجاوز هذه العصبية نظام القبيلة إلى القبائل الأخرى المتحالفة أو عصبية الولاء، وذلك حين يطلب أحد الأفراد الجوار من قبيلة ما ومن ثم يكتسب حصانة بأن يكون تحت حمايته، وتهب لحمايته كأبي فرد من أبنائها. ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات، وآخرون، المرجع السابق، ج.18، ص ص 69-70.

(2) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 19.

(3) - محمد الأمين، محمد علي الرحماني، المفيد في تاريخ المغرب، [د.ط.]، (الدار البيضاء: دار الكتاب، [د.ت.])، ص 180.

(4) - استيتو محمد، " الكوارث الطبيعية في تاريخ مغرب 16م "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة-المغرب، ع.2، س. 1991م، ص 158.

أصبحت تعيش تحت تهديد القبائل المجاورة لها، هذا بإستثناء مدينة فاس التي لم تتعرض للغزو الخارجي، وغدت مقصد العلماء والطلبة القادمين من المراكز الأخرى، ومن الجزائر، للأخذ والعطاء من مدارسها، وجوامعها، وزواياها العديدة.

إشتهرت كذلك مدينة تطوان التي أعاد المهاجرون الأندلسيون بناءها⁽¹⁾ وإستوطنوها مع علمائهم وطلبتهم. وعلى الرغم من إنتشار المساجد في أريافها وقراها، فإنها كانت تعج بظواهر الجهل والبدع، التي إنتشرت في المغرب الأقصى بعد تدهور الحياة العلمية والفكرية التي عرفها منذ أواخر العهد المريني.

ساهم الغزو البرتغالي للسواحل المغربية في تراجع الحركة الفكرية بمنطقة دكالة التي إضطر فقهاؤها وعلمائها إلى هجرة موطنهم في إتجاه فاس، الأمر الذي أسهم في تراجع نسبة القادرين على القراءة والكتابة، ليس بالنسبة لعامة الناس فحسب، بل حتى الأعيان⁽²⁾. تلك كانت بإختصار ملامح الوضع المتأزم الذي عاشه المغرب الأقصى زمن ظهور وضعف الوطاسيين، وعشية بروز السعديين كسلطة جديدة عملت على إخراج البلاد من محن التمزق والتهديد الخارجي، والتقهر الإقتصادي والإجتماعي والثقافي⁽³⁾.

(1) - مقالاتي عبد الله، المرجع السابق، ص35.

(2) - أحمد بوشرب، دكالة والإستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور، ط.1، (الدار البيضاء: دار الثقافة، 1404هـ/1984م)، ص ص 472-473.

(3) - مقالاتي عبد الله، المرجع السابق، ص36.

ثانياً: قيام الدولة السعودية.

أ- نسب السعديين ودخولهم إلى المغرب الأقصى:

اختلفت الروايات التاريخية في نسب السعديين⁽¹⁾، فمنهم من قال أنهم يعودون إلى نسل محمد النفس الزكية⁽²⁾، وأن أول جد⁽³⁾ لهم هو (أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله)⁽⁴⁾، ابن زيد عبد الرحمن، بن علي بن مخلوف بن زيدان، بن أحمد بن محمد، بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن، بن عبد الله بن أبي محمد، بن عرفة بن الحسن، بن أبي بكر بن علي، بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل، بن قاسم بن محمد المهدي، الملقب بالنفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى، بن الحسن السبط، بن علي وفاطمة رضي الله عنهم⁽⁵⁾.

ويذهب الأفراني إلى القول: "... بأن القاسم ليس ابن محمد النفس الزكية، بل هو أحد أحفاده، إذ أن القاسم بن الحسن بن عبد الله الأشتر بن محمد النفس الزكية، وأنه وقع خطأ من ذهول الناسخ، أو جهله بحقيقة الأمر..."⁽⁶⁾.

أما عن سبب قدومهم إلى المغرب فإن الروايات التاريخية تقيد على أنهم قدموا في أوائل القرن الثامن الهجري، في عهد بني مرين بطلب من بعض سكان درعة⁽⁷⁾، الذين يبدو أنهم إتصلوا

(1) - ينظر: ملحق رقم 02، ص 267.

(2) - هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، بن علي بن أبي طالب المعروف بالمهدي، ولد ونشأ بالمدينة، كان شجاعاً، غزير العلم، إتفق رجال من بني هاشم بالمدينة على مبايعته سرا، ولما قامت دولة العباسيين خلف هو وأخوه إبراهيم حول الوفود إلى أبي العباس السفاح، ثم أبي جعفر المنصور، فلما طلبهما تواريا فقبض على أبيهما وإثني عشر من أقاربهما، وعذبهم ثم ماتوا، وعلم محمد بموت أبيه، فخرج من مكمنه تائراً بصحبة 250 رجلاً، فقبض على أمير المدينة، وبايعه أهلها بالخلافة، فكتب إليه المنصور يحذره، ثم أرسل إليه ولي عهده عيسى موسى، على رأس طائفة من الجند لمقاتلته، فقتله وأرسل رأسه إلى المنصور. للمزيد ينظر: حسين محمد نصار، المرجع السابق، ص 3399. ينظر أيضاً: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج 6، ط 15، (لبنان: دار العلم للملايين، 2002م)، ص 220. ينظر أيضاً: لأبي الفرج الأتفاني، مقاتل الطالبين، تح: السيد أحمد صقر، ط 3، (لبنان: مؤسسة الاعلمي لمطبوعات، 1419هـ/1998م)، ص ص 206-263.

(3) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للدولة السعودية، تح: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، ج 5، [د.ط.]، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1997م)، ص 03.

(4) - أول ملوك الدولة السعودية، بويع له بتيديسي سنة 915هـ. ونظراً لكبر سنه، تنازل لإبنه أحمد عن الملك، توفي سنة (923هـ/1517م). ينظر: أبو القاسم الزياني، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تح: رشيد الزاوية، [د.ط.]، (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1429هـ/2008م)، ص 74.

(5) - أحمد بن القاضي، المنتقى المفسور على مآثر الخليفة المنصور، تح: محمد رزوق، ج 1، [د.ط.]، (الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1986م)، ص ص 242-243.

(6) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تق وتحر: عبد اللطيف الشاذلي، ط 1، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1419هـ/1998م)، ص ص 29-30. ينظر أيضاً: إيناس كاظم حسين الموسوي، الدولة السعودية في عهد الخليفة أحمد المنصور الذهبي (986-1012هـ/1578-1603م)، رسالة قدمت لنيل درجة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب - قسم التاريخ، جامعة ذي قار العراق، 2016-2017م، ص 08.

(7) - هي مدينة يقال لها " تيومتين "، وهي قاعدة درعة، وبها وادي درعة ومنبعه من جبل درن. وهي مدينة عامرة، بها جامع، وأسواق جامعة ومتاجر رابحة. ينظر: أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، [د.ط.]، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، [د.ت.])، ص 155.

بهم وقت أداء مناسك الحج حتى يتيمينوا بوجودهم في إستصلاح زروعهم وثمارهم⁽¹⁾، إذ أن أهل درعة كانت لا تصلح ثمارهم وتعزيرها العاهات، فقبل لهم لو أتيتهم بشريف إلى بلادكم، كما أتى به أهل سجلماسة⁽²⁾ إلى بلادهم، لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم.⁽³⁾ فأتوا بالمولى زيدان⁽⁴⁾ للحصول على بركته مضاهاة لأهل سجلماسة، حسب ما ذكره الأفراني والناصري " فقد عادت عليهم بالبركة "⁽⁵⁾.

ويذهب الباحث إبراهيم علي حسن: إلى قول أن أول من دخل منهم كان الشريف المولى زيدان في (أوائل القرن 8هـ/ أوائل القرن 14م)، وقد إستقر ببلاد درعة في جنوب المغرب الأقصى وراء جبال الأطلس⁽⁶⁾، وإستقر الشريف زيدان وأهله من بعده في قرية تكمادرت⁽⁷⁾ من بلاد درعة في الوسط بين زاكورة وتامكروت⁽⁸⁾ نحو قرن ونصف القرن، ثم إنتقلت جماعة منهم نحو منطقة السوس، وإستقرت بقرية تدسي⁽⁹⁾ جنوب غربي تارودانت⁽¹⁰⁾ وظلوا حتى (منتصف القرن 9 الهجري/منتصف القرن 15 ميلادي)⁽¹¹⁾ يعيشون حياة بسيطة كعلماء، وكان نبلهم يكسبهم شيئاً

(1) - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، ج.2، [د.ط.]، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1420هـ/2000م)، ص 243.

(2) - هي مدينة في جنوب المغرب الأقصى، تقع على طرف بلاد السودان، تبعد عن فاس أياما في اتجاه الجنوب. أسسها بني مدرار؛ الخوارج في أواسط القرن الثاني للهجرة. ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج.3، [د.ط.]، (بيروت: دار صادر، 1398هـ/1977م)، ص 192. ينظر أيضا: مقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط.3، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1411هـ/1991م)، ص 213. ينظر أيضا: حسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص ص 120-121.

(3) - محمد الصغير الأفراني، المصدر السابق، ص 33.

(4) - هو بن أحمد من حفدة الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو جد السعديين، جاء من البنبوع بالمشرق إلى درعة في أوائل القرن الثامن للهجرة، يطلب من أهلها لتصلح ثمارهم، كما جاء من قبل ابن عمه الحسن الداخل إلى سجلماسة. ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج.2، [د.ط.] (المغرب: مطبعة فضالة، 1398هـ/1978م)، ص 538.

(5) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ص 03. ينظر أيضا: محمد الصغير الأفراني، المصدر السابق، ص 33. ينظر أيضا: إيناس كاظم حسين الموسوي، المرجع السابق، ص 09.

(6) - هي سلسلة جبلية عظيمة تفصل المغرب إلى شطرين من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وتنقسم إلى ثلاث سلاسل يطلق عليها الأطلس المتوسط، والأطلس الكبير والأطلس الصغير، ويتراوح ارتفاعها في بعض النقاط بين 2000م و 4000م. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 113.

(7) - تقع مدينة تكمدرات جنوبي شرقي مدينة زكورة، على يمين الطريق الذاهية منها إلى تمكروت، تعتبر هذه المدينة مسقط السعديين الأول، ومنطلق دولتهم، وهي الآن خراب. ينظر: محمد حجي، المرجع السابق، ج.2، ص 538.

(8) - تقع تمكروت على بعد عشرة فراسخ من تكمدرات، وعلى جانب نهر درعة. ينظر: مارمول كريخال، إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج.3، ط.2، (الرباط: دار النشر للمعرفة لنشر والتوزيع، 1408-1409هـ/ 1988-1989م)، ص 150.

(9) - هي مدينة في السوس، تعد من المدن الكبيرة، أسسها الأفرانقة على بعد ثلاثين ميلا شرق تروادنت، وستين ميلا من البحر، وعشرين ميلا من الأطلس. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 119.

(10) - هي مدينة عظيمة أسسها الأفرانقة الأقدمون، تقع جنوب الأطلس (الكبير) بعيدة عنه بما يزيد قليلا عن أربعة أميال، وشرق تيبوت بعيدة عنها بخمسة وثلاثين ميلا. ينظر: حسن الوزان، المصدر نفسه، ج.1، ص 117.

(11) - إبراهيم علي حسن، أحمد المنصور الذهبي السعدي، ط.1، (الرباط: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1407هـ/1987م)، ص 54. ينظر أيضا: محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 29. ينظر:

-Bernard Lugan, Histoire De L'Afrique Du Nord (egypte, libye, tunisie, Algérie, Maroc) Des Origines à nos jours, (Monaco : Groupe artège édition du rocher, 2016), p161.

من الإحترام⁽¹⁾. إذا أن أهل المغرب الأقصى كانوا يُنزلون الأشراف⁽²⁾ في مرتبة عالية ويركنون إليهم باعتبارهم من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين يمكن أن تطمئن إليهم النفوس، حيث كانوا يتحلون بجميع الصفات الحميدة، وبمكارم الأخلاق التي من جملتها الشجاعة والشهامة⁽³⁾. وقد بقيت تلك الأسرة تعيش حياة بسيطة، إلى أن ظهرت على المسرح السياسي؛ وذلك بإزدياد نشاط البرتغاليين، وتوسعهم في كثير من المناطق الجنوبية بالبلاد من جهة، وعجز الوطاسيين عن المقاومة، ثم رغبة السكان في البحث عن يتولى الجهاد ضد المحتلين من جهة أخرى⁽⁴⁾.

أما عن سبب تسميتهم بالسعديين فهو الطعن في نسبهم، والتصغير من شأنهم، بحيث لم تكن تطلق عليهم في بداية حكمهم، وإنما ظهرت هذه المسألة في أواخر حكمهم، ولم يجرأ أحد على تسميتهم بذلك. فقد أشار الأفراني إلى ذلك فقال: "... وأعلم أنه جرى على الألسنة وصف هؤلاء الأشراف بالسعديين، ولم يكن لهم هذا الوصف في القديم، ولا وقعت تحليتهم به في ظهائرهم وسجلاتهم وصدور رسائلهم. بل كانوا لا يقبلون ذلك، ولا يجترئ أحد على مواجعتهم به. لأنه إنما يصفهم بذلك من يقدر في نسبهم ويطعن في وشيخ أصلهم"⁽⁵⁾. وقد وردت روايتان حول أصل التسمية.

الرواية الأولى للمقري، نقلا عن الناصري على أن نسبهم يرجع إلى ابني سعد بن بكر بن هوزان الذين منهم حليلة السعدية، مرضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁶⁾. وقد فند الناصري ما ذهب إليه المقري صاحب "نفح الطيب"، وقال وهذا النقل ضعيف، لأن الشيخ المقري صرح في نفح الطيب بشرف هؤلاء السادة في غير موضع.

(1) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 29.

(2) - يقصد بالشريف عرفا هو من كان من ذرية النبي صلى الله عليه وآله، بواسطة ابنته فاطمة رضي الله عنها، ومن ذرية الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، لقوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: "ومن ذريته داود وسليمان" إلى أن قال "وعيسى" فدخل عيسى في ذرية إبراهيم من قبل أمه إذ ليس له أب. وأما إطلاق الشريف على كل هاشمي فغير معلوم. والمعروف عن الذين من ذرية علي دون فاطمة أن يوصف أحدهم بالعلوي، وفي الذين من ذرية عبد المطلب وأبيه هاشم أن يوصف أحدهم بالهاشمي. ولهذا ترى أن المؤرخين يصفون أولاد العباس بن عبد المطلب بالهاشميين، ولا يصفونه بالأشراف. ينظر: السيد عبد الرزاق كموه الحسني النجفي، فضائل الأشراف، [د.ط.]، [د.م.]: مطبعة الآداب في النجف الأشرف، 1390هـ/1970م)، ص 6.

(3) - محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، [د.ط.]، (الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر والتوزيع، 1975م)، ص 21.

(4) - المرجع نفسه، ص 21.

(5) - محمد الصغير الأفراني، المصدر السابق، ص 35.

(6) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج 5، ص 04.

أما الرواية الثانية والتي ذكرها الأفراني: قيل أنما لقبهم العامة بالسعديين، تيمنا بهم لأنهم سعدوا بدولتهم⁽¹⁾.

ويبدو أن هذه المسألة أثارها العلويون⁽²⁾ في أواخر عهد السعديين حينما كانوا يتحركون ليحلوا محلهم⁽³⁾. وأول من قام بذلك هو أول سلاطين الدولة العلوية المولى محمد (فتحا) بن الشريف⁽⁴⁾ (السجلماسي)، إذ صرح في بعض الرسائل التي كانت تدور بينه وبين محمد الشيخ ابن زيدان⁽⁵⁾، قال فيها⁽⁶⁾: " ... وقد اعتمدنا في ذلك، يعني في عدم شرفهم، على ما نقله الثقات المؤرخون لأخبار الناس من علماء مراكش وتلمسان وفاس، ولقد أمعن الكل التأمل بالذكر والفكر فما وجدوكم إلا من بني سعد بن بكر "⁽⁷⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن السعديين قد تعرضوا لحملة تشويه من قبل بني عمومتهم، وذلك بسبب أنهم كانوا يحقدون عليهم لعدم الإهتمام واللامبالاة بهم، وعدم السؤال عنهم، وهذا ما أدى في الأخير إلى طعنهم. وموطن الشاهد في ذلك ما ذكره مؤرخ الدولة العلوية أبو القاسم الزياني في مصنفه الموسوم ب: " البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف " حيث قال: سمعت من سيدي محمد بن عبد الله ما وقع من الخلاف في نسبهم فقال: " أسكت ولا تعد لمثل هذه المقالة، فإنهم إخواننا وبنو عمنا، وجدنا واحد، وقريتنا بالينبع واحدة، يقال لها " بنو إبراهيم "، وجدهم أحمد بن محمد خرج لدرعة قبل جدنا الحسن بن قاسم، وهو ابن أخيه وقد ورد علينا من بني

(1) - محمد الصغير الأفراني، المصدر السابق، ص 36.

(2) - أسرة نشأت في جنوب المغرب الأقصى ينحدر نسبهم إلى الحسن بن علي، وقد استقر أسلاف الأسرة منذ قديمهم من الحجاز في القرن 8هـ في واحة تافيلات، وتمكنوا من إعادة وحدة البلاد بعد أن تمزقت في عهد السعديين، وخاضوا من أجل ذلك معارك داخلية وخارجية. ينظر: حسين محمد نصار، المرجع السابق، ص ص 2277-2278. ينظر أيضا: م.ت. هوتسما، وآخرون، موجز دائرة المعارف الإسلامية، تر: إبراهيم زكي وآخرون، ج.1، ط.1، (الإمارات: مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1418هـ/1998م)، ص ص 7406-7414.

(3) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 29.

(4) - المعروف بالمولى محمد الأول يعتبر المؤسس الأول للدولة العلوية، ولد ما بين سنة (1610-1615م) بمنطقة تافالالت. عمل على توطيد دعائم دولته الناشئة خاصة بجنوب المغرب الشرقي وشماله، توفي بعدما تنازع مع أخيه الرشيد في موقعة قرب مدينة وجدة سنة (1075هـ / 1664م). ينظر: مارية دادي، " ورقة حول شخصية السلطان المولى محمد الأول "، ندوة الحركة العلمية إلى أواخر القرن التاسع عشر أيام 9-10-11 ديسمبر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 3، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1995م)، ص ص 18-21. ينظر أيضا: محمد بن شريفة، " ملامح من شخصية محمد الأول "، ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر، الوسط الطبيعي، التاريخ، الثقافة أيام 13-14-15 مارس 1986م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 02، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1988م)، ص ص 325-338.

(5) - ولد سنة 1488م، عرف بالشيخ أو بأمغار، لقب بالمهدي، أسس الدولة السعدية في المغرب الأقصى، واتخذ من مراكش عاصمة له، قضى بصفة نهائية على الحكم الوطاسي في المغرب بإستلثه على مدينة فاس سنة 1554م، توفي بعد اغتياله من طرف العثمانيين سنة 1557م. ينظر: إبراهيم حركات، المغرب عبر...، المرجع السابق، ص ص 246-250. ينظر أيضا: محمود السيد، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، [د.ط.]، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2006م)، ص 279.

(6) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 04.

(7) - محمد الصغير الأفراني، المصدر السابق، ص 36. ينظر أيضا: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 04.

عنا من ينبع من حقق نسبهم، وعرف فرعهم وأصلهم، إلا أنهم لما صار إليهم ملك المغرب، لم يعاملونا معاملة الإخوان، واقتصروا على التوقير والإحترام، فكان سلفنا رحمهم الله يحقدون عليهم ذلك الإهمال وعدم المبالاة وعدم السؤال هذا موجب طعنهم بهم، الحق أحق أن يتبع لا ينكر نسبهم إلا جاهل من لا معرفة له بالأنساب⁽¹⁾.

ومن خلال هذا النص الذي أورده أبو القاسم الزياني يتضح لنا أن نسبهم صحيح وأن مسألة الطعن في نسبهم جاءت كرد فعل من بني جدلتهم بسبب حقدهم عليهم، ولعدم الإهتمام واللامبالاة بهم وإقصائهم من الحكم.

ولكن رغم كل الأدلة التي قدمت حول صحة نسبهم وأصلهم الشريف، بقيت تسميتهم بالسعديين، بحيث أصبح متداولاً لدى العام والخاص، وحتى لدى المؤرخين، وهذا ما يؤكد الناصري بقوله: "... وإنما نصفهم نحن بذلك لأنهم إشتهروا عند الخاصة والعامة فصار كالعلم الصرف المرتجل مع أنه لا محذور بعد تحقيق النسب وثبوت الشرف..."⁽²⁾.

وتجدر الإشارة أن السعديين أيضاً كانوا يقبون بالزيدانيين، نسبة إلى جدهم زيدان بن أحمد، إلا أنه وكما سبق وأن أشرنا سابقاً أن إسم السعديين هو الذي شاع إستعماله وخاصة في المصادر الغربية والمراجع العربية التي ألفت تاريخهم بعد إنقضاء حكمهم في المغرب الأقصى⁽³⁾.

ب- تأسيس الدولة السعدية:

أحدث الإحتلال الصليبي للسواحل المغربية رد فعل قوي في داخل المغرب الأقصى، إذ ظهرت حركات تدعو إلى حمل السلاح والتقدم لتحرير الأراضي المغتصبة، وأصبح أمر السلطات القائمة بالبلاد يتوقف إلى حد كبير على مدى إستجابتها لذلك النداء، إلا أنها لم تتجح في نشر الأمن في الداخل، وصد العدوان الخارجي⁽⁴⁾.

في ظل تلك الأوضاع المزرية التي سبق وأن أشرنا إليها، بزغ نجم الأشراف السعديين الذين إنتدبتهم القبائل السوسية لتولي مهمة الدفاع عن البلاد ضد هجمات النصارى، وتنظيم القوات الجهادية وطرد المحتلين، في ظل ضعف السلطة الحاكمة في فاس عن حمايتهم⁽⁵⁾. و قد عبر أبو القاسم الزياني عن مدى الضعف الشديد الذي وصلت إليه البلاد وعدم القدرة عن رد هذا الخطر

(1) - أبو القاسم الزياني، البيستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف، تج: رشيد الزاوية، ط.1، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1992م)، ص31.

(2) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص06. ينظر أيضاً: إيناس كاظم حسين الموسوي، المرجع السابق، ص 11.

(3) - عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 50.

(4) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص33.

(5) - فيصل مبرك، "سلطة مقدمي الجهاد بتطوان وشفشاون خلال القرن 16 ميلادي"، مجلة أفكار وأفاق، الجزائر، مج. 7، ع.2، س. 2019م، ص205.

فقال: " وإنقطع مدها وعجز سلطانها عن توحيد العساكر للسوس ففسدت الطرقات وهدمت الأحكام وأكل القوي الضعيف " (1).

بعد أن تمّ التأكد من عدم جدوى المقاومة غير المنظمة، في غياب الدور السياسي الفعّال للسلطة في فاس عزم السوسيون على وضع إطار جديد لعملهم والبحث عن يتولى قيادتهم، فعرضوا الأمر على شيوخين منهم: محمد بن المبارك (2)، زعيم زاوية أقا، وبركات بن محمد زعيم زاوية تيدسي بمنطقة جزولة (3)، لمكانتهما وتأثيرهما الكبير على القبائل، لكنهما رفضا هذا الإقتراح، وأشار عليهم محمد بن المبارك بشريف درعة، الفقيه محمد بن عبد الرحمان التاكمدراتي (4).

وكنتيجة حتمية لما آل إليه وضع المغرب الأقصى التفتت أنظار أهل الجنوب إلى هؤلاء السعديين لقيادة صفوفهم ضد البرتغاليين، بعد أن رفض المرابط ابن المبارك أن يتولى هذه المهمة، ووجههم إلى أبي عبد الله (5) محمد، عميد الأسرة السعدية الذي قبل توليها بعد اتصالات ومشاورات بينه وبين المرابط الأنف الذكر، وبينه وبين بني قومه، وفقهاء السوس وأعيانه في سنة (915هـ/1509م)، وتمت المبايعة له في مدينة تديسي بالسوس في سنة (916هـ/1510م) (6). وبذلك فقد تم تعيينه زعيما للسعديين بدعم من الجزوليين، كقائد للجهاد، ولقب نفسه " بالقائم بأمر الله " (7).

مما سبق من سرد للوقائع التاريخية حول مبايعة الشريف يتضح لنا أن أبي عبد الله لم يفرض نفسه على أهل السوس، وإنما فرضته الظروف القهرية والحتمية التي كانت تمر بها البلاد، بسبب الاحتلال البرتغالي، وفي المقابل عجز وضعف السلطة الوطاسية عن رد ذلك الخطر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن نسبه الشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كان يكنه الناس للأشراف، علاوة على سمعته الطيبة وسط أهل المغرب الأقصى، وبالإضافة إلى تزكية ابن المبارك له. كل تلك الأمور مجتمعة أهلته لكي يبايعه المرابطون أهل السوس، وما يمكن أن

(1) - أبو القاسم الزياني، المصدر السابق، ص 75 .

(2) - هو بن علي بن الولي الصالح الشهير أبي عبد الله محمد بن المبارك، سمي بالأقاوي نسبة إلى أقا، وهي منطقة صحراوية جنوب المغرب الأقصى، كان من أشهر أعلام الدولة السعدية، توفي سنة 1015هـ. ينظر: محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الأفراني، صفوة من انتشار من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تق وتحر: عبد المجيد خيالي، ط.1، (الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي، 1425هـ/ 2004م)، ص 236-237.

(3) - هي بلاد أهلة بسكان البربر من قبيلة مصمودة، يحدها شرقا إقليم درعة، وجبل العلم غربا بإقليم سوس، وتمتد شمالا إلى سفح جبل الأطلس تقريبا. ينظر: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص 69.

(4) - زهراء النظام، المرجع السابق، ص 63. ينظر أيضا:

- Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale (berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu' à la conquête française (1830), T. III, (paris : Ernest LEROUX Éditeur , 1868), p10.

(5) - مقالاتي عبد الله، المرجع السابق، ص 37.

(6) - المرجع نفسه، ص 38.

(7) - Bernard Lugan, op.cit, p 161.

نستخلصه مما سبق أن إختياره لهذا المنصب لم يأت على أساس العصبية القبلية⁽¹⁾ كباقي الدول السابقة التي حكمت المغرب الأقصى، وإنما تم على أساس الجهاد ومقاومة العدو. وهذا ما سوف نحاول أن نؤكد من خلال محاولات أبي عبد الله العمل على الدفاع عن المغرب الأقصى وتطهير الأراضي المحتلة، وإسترجاعها لحكمه.

للإشارة فإنه بعد مبايعته من طرف القبائل السوسية تلقب بالقائم بأمر الله، وقدمت له كل قبيلة بايعته عشرة من رجالها المقاتلين، فبلغ المجموع 500 رجل؛ مما يعني أن عدد القبائل التي بايعته كان خمسين قبيلة. فكانت تلك القوة هي نواة الجيش السعدي النظامي⁽²⁾.

كان أول عمل قام به " محمد القائم بأمر الله " بعد مبايعته، هو مهاجمته للبرتغاليين وأعاونهم، أين تمكن من تحقيق العديد من الإنتصارات الأولية عليهم، مما دفع بسكان " حاحا "⁽³⁾ إلى إستقدامه ليقود جيش الجهاد ضد النصارى، وذلك بعد أن عقد البيعة لابنه الأكبر أحمد الأعرج⁽⁴⁾ كولي للعهد سنة (918هـ / 1512م)⁽⁵⁾، وترك مدينة السوس لابنه محمد الشيخ، وخرج هو و ابنه أحمد الأعرج " أبو العباس " لجهاد النصارى البرتغاليين، إستجابة لنداء أهالي حاحا والشياطمة. إستغل السعديون فرصة ضعف الوطاسيين وشرعوا في عملية إقناع الناس بضرورة إسقاط حكم الوطاسيين الذين لم يعودوا قادرين على رد الخطر البرتغالي. وفي سنة (923هـ / 1517م) توفي محمد القائم بأمر الله، ويويع بعده ابنه أبو العباس الأعرج⁽⁶⁾.

بوفاة القائم بأمر الله صار الأمر لولده أحمد الأعرج، ولأخيه محمد الشيخ؛ فركّز الأخوان جهودهما على ضرورة الإستمرار في محاربة البرتغاليين وأعاونهم، إذ استطاع السعديون عن طريق الموالين لهم القضاء على أخطر عقبة كانت تواجههم، وذلك بمقتل يحيى بن تافونت⁽⁷⁾

(1) - عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 51.

(2) - مقالتي عبد الله، المرجع السابق، ص 38.

(3) - هي أحد أقاليم مراكش، تقع غربها، يحدها المحيط الأطلسي من جهة الغرب والشمال، وجبال الأطلس من الجنوب، ومن جهة الشرق يحدها نهر اسيف نوال. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 95.

(4) - هو أحمد بن محمد بن محمد الحسني، أبو العباس السعدي، ثاني مؤسسي الدولة السعدية ببلاد السوس ومراكش، ولد سنة (891هـ - 1486م). بويع بولاية عهد أبيه القائم بأمر الله، سنة 918هـ. تولى الحكم مدة 23 سنة، ثم دخل في صراع مع شقيقه محمد الشيخ انتهى بسجنه، ثم قتل مع أولاده سنة (965هـ / 1557م)، خوفا أن يطالب أحدهم بالعرش. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج.1، ط.15، (بيروت: دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 2002م)، ص 234.

(5) - عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 51.

(6) - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ...، المرجع السابق، ص ص 244-245. ينظر أيضا: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 14.

(7) - قائد عرب دكالة وحاحة، والقائد العام للقوات الموالية للبرتغاليين منذ عام 1516. ينظر: هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربيين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين (633-962هـ / 1233-1554م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، 1434-1435هـ / 2013-2014م، ص 115.

سنة (924هـ/1518م) المتحالف مع البرتغاليين، وبموته خسر البرتغاليون أكبر حليف لهم في المنطقة، وبذلك تراجع نفوذهم في العديد من المناطق الداخلية، وياتوا مهتدين في كل من آسفى وأزمور وغيرها، وقد قابل ذلك التقهقر والانحسار، تزايد نفوذ السعديين في جنوب المغرب الأقصى، وكان من أهم ما حققه أبو العباس الأعرج هو إخضاع مدينة مراكش تحت حكمه سنة (930هـ/1524م)⁽¹⁾، وذلك بعد التخلص من أميرها الناصر بوشنتوف⁽²⁾ أخطر خصوم السعديين. إعترف أبو العباس بالسلطة الإسمية للسلطان الوطاسي، لكن الوطاسيين لم يقبلوا تدخل السعديين في مراكش، فنشبت الحرب بين الطرفين في أنماي⁽³⁾ سنة (935هـ/1528م)، أين تدخل العلماء والصلحاء لفك النزاع، وتم وضع الإتفاق بينهما؛ على أن يعترف أبو العباس بسيادة الوطاسيين على الجزء الواقع بين تادلا والمغرب الأوسط، وسيادة السعديين على ما بين تادلا والسوس، ولكن تم نقض ذلك الإتفاق. وعلى إثر ذلك تعرض الوطاسيون لهزيمة نكراء على يد السعديين عند مشرع أبي عقبة⁽⁴⁾ بتادلا سنة (943هـ/1536م)⁽⁵⁾.

الجدير بالذكر أنه في الوقت الذي كان من المنتظر أن يوجه السعديون جهودهم لتحرير منطقة مازاكان التي بقيت بيد البرتغاليين، نشب نزاع بين الأخوين⁽⁶⁾؛ فقد أدت الدسائس والمؤامرات خلال حكم الأعرج إلى حدوث صراع بينه وبين أخيه محمد الشيخ الذي كان بمثابة مستشاره في حروبه مع البرتغاليين والوطاسيين⁽⁷⁾، فقد كان محمد الشيخ كما وصفه الأفراني يساند أخاه أبي العباس في تسيير أمور دولتهم، إذا على الرغم من حداثة سنه كان ثاقب الذهن، نافذ البصيرة، مصيب الرأي، حازما في أموره، وقد كان رهين إشارة أخيه. فقد كان أبو العباس يستشيريه ويفوضه في مهمات الأمور وعظيم النوازل، ويستضيء برأيه في ظلم المعارك، إلى أن نشب

(1) - عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص ص 51-52.

(2) - هو أحد البربر المنتسبين إلى قبيلة هنتاتة عرف بالاستبداد في حكم مراكش. ينظر: مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.1، ص 455.

(3) - هي مدينة صغيرة بناها الأفارقة القدامى على منحدر أحد جبال الأطلس المسمى أنماي، وفي هذه المدينة وقعت معركة ما بين أحمد الأعرج والوطاسيين سنة (935هـ/1529م). قبل معركة "بوعقبة" وانتهت بعقد الصلح بين الطرفين في حدود عام (940هـ/1534م). ينظر: مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص ص 61-62. ينظر أيضا: أبو القاسم الزياتي، البيستان الظريف...، المصدر السابق، ص 70. ينظر أيضا: أحمد بوشرب، " أنماي "، معلمة المغرب، ج.3، ط.2، (الرباط: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر دار الأمان، 1435هـ/2014م)، ص 867.

(4) - تُعد هذه الواقعة من أعظم المعارك التي وقعت ما بين الوطاسيين والسعديين سنة 1536م، والتي إنتهت بهزيمة أحمد الوطاسي. جرت أحداث تلك المعركة في أحد مشارع واد العبيد، من بلاد "بني جابر" في إقليم تادلا. ينظر: أبو العباس أحمد خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج.4، [د.ط.]، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1418هـ/1997م)، ص ص 153-154. ينظر أيضا: أبو القاسم الزياتي، البيستان الظريف...، المصدر السابق، ص 70.

(5) - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ...، المرجع السابق، ص ص 245-246.

(6) - عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 55.

(7) - كاظم عبد نتيش، " الدولة السعدية في عهد السلطان عبد الله الغالب (965-981هـ/1557-1574م) "، مجلة آداب ذي قار، العراق، ع.18، س. 2016م، ص ص 247.

خلاف بينهما⁽¹⁾. وفحوى ذلك الخلاف كما ذكره طرويس هو إقتناع أحمد الأعرج بكلام بعض المتملقين بأن أخاه محمد الشيخ لم يعدل في توزيع الغنيمة التي ظفر بها في حملته على أكادير، وأنه لم يتصرف كنائب للملك في ذلك فحسب، بل في جميع الأمور.

وهذا ما جعله ي كاتب أخاه برسالة يعاتبه فيها، ويأمره بالحضور، وإرسال خمس الغنائم التي ظفر بها من الأعداء، لكن محمد الشيخ رفض الحضور بحجة أنه منشغل بشؤون الدولة، ولا يمكنه أن يذهب إليه شخصيا، هذا بالإضافة إلى أنه حسد أخاه لما وصل إليه نتيجة للإنتصارات التي حققها في حملته على أكادير، يضاف إلى ذلك الشهرة التي نالها بعد هذا الإنتصار، وقد فسد جو العلاقة ما بين الأخوين، وتطور الأمر بينهما إلى حمل السلاح، وقد تدخل بعض الشيوخ لمحاولات إصلاح ذات البين، لكن محاولات الإصلاح باءت بالفشل⁽²⁾.

ومما زاد من خطورة ذلك الصراع هو إنقسام الجيش بينهما، الأمر الذي كاد أن يعصف بوجود الدولة السعدية على الرغم من النجاح التي حققتها وهي في بداية مهدها، إلا أن محمد الشيخ وبمساعدة أهل السوس الذين كان يحكمهم، إستطاع أن ينتصر على أخيه سنة (946هـ/1539م)، وعزله عن الحكم وتولى بدلا عنه، بعد أن زجه هو وأولاده في السجن⁽³⁾.

بعد انفراد محمد الشيخ بالملك وعزله لأخيه أحمد الأعرج إتخذ من مدينة مراكش عاصمة له حتى يبقى قريبا من أنصاره، أهل السوس، وتابع محمد الشيخ محاولته لتوحيد المغرب الأقصى، فتوجه شمالا وإستولى على مكناس⁽⁴⁾ عام (955هـ/1548م)، وفتح حصن فشتالة⁽⁵⁾، ثم حاصر مدينة فاس حتى تمكن من فتحها عام (959هـ/1552م). على إثر ذلك قام أبو حسون الوطاسي⁽⁶⁾

(1) - محمد الصغير الأفراني، *نزهة الحادي...*، المصدر السابق، ص 59.

(2) - ديكنودي طوريس، *تاريخ الشرفاء*، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، [د.ط.]، (الدار البيضاء: المدارس شركة النشر والتوزيع، 1988م)، ص 77-80. ينظر أيضا: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، *الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية (1255-1334هـ/1839-1916م)*: تح: إدريس بوهليسة، ج.1، ط.1، (المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2005م)، ص ص 261-262. ينظر أيضا: عمار بن خروف، *العلاقات السياسية...*، المرجع السابق، ص 55.

(3) - محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، المصدر السابق، ص ص 261-262. ينظر أيضا: كاظم عبد نيتيش المرجع السابق، ص ص 247-248.

(4) - هي مدينة كبيرة أسستها قبيلة مكناسة فسميت باسمها. وتبعد عن فاس بنحو ستة وثلاثين ميلا، وعن سلا بخمسين ميلا وعن الأطلس بخمسة عشر ميلا. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 214.

(5) - هو الحصن الواقع على طريق بين فاس ومراكش. ينظر أيضا: هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 127.

(6) - هو علي بن محمد الشيخ بن أبي زكريا يحي الوطاسي، أبو الحسن، ثالث ملوك بني وطاس في فاس، وآخرهم، ببيع بعد وفاة أخيه (محمد بن محمد) سنة 932هـ، وثار عليه ابن أخيه أبو العباس أحمد الوطاسي وخلعه في السنة نفسها، وبقي في مدينة فاس إلى أن استولى عليها السعديون سنة 1549م، وفر إلى الجزائر مستنجدا بحكامها، واستطاع استرجاع حكم فاس، لكن سرعان ما ثار عليه السعديون مجددا وقتلوه. بموته إنتهت الدولة الوطاسية. ينظر: خير الدين الزركلي، *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*، ج.5، ط.15، (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م)، ص ص 11-12.

بالإستتجاد بالعثمانيين بعد أن أخفق مسعاه في إستمالة الإسبان والبرتغال⁽¹⁾ إلى صفه، وإستطاعت القوات العثمانية دخول مدينة فاس عام(961هـ/1554م)، وقاموا بتثبيت أبي حسون الوطاسي فيها⁽²⁾ إلى أنه في سنة(961هـ/1554م) عاد السلطان السعدي محمد الشيخ إلى فاس فحارب أبا حسون الوطاسي، وحاصر المدينة إلى أن دخلها، وظفر بالسلطان الوطاسي وقتله، وبذلك إنتهى حكم الوطاسيين أو بقايا الدولة المرينية، وأصبح للدولة السعدية وحدها السلطان على المغرب الأقصى كله⁽³⁾.

وعليه يمكن القول أن محمد الشيخ هو المؤسس الحقيقي والفعلي للدولة السعدية، وواضع أسسها السياسية والعسكرية. وتعد فترة حكمه من أبرز المحطات التاريخية للدولة السعدية، إلا أنه وبسبب سياسته العدائية للحكم العثماني هذا من جهة، ومن جهة أخرى فرضه للضريبة على الرعية التي أنقلت كواهلهم، كلها عوامل عجلت بإنهاء فترة حكمه، إذ لم يمر وقت طويل على حكمه حتى تم إغتياله من طرف العثمانيين.

وبوفاته تولى حكم المغرب الأقصى ابنه عبد الله الغالب، هذا الأخير الذي سوف يحاول رسم معالم جديدة للمغرب الأقصى، بمحاولة سعيه لتوحيده ووضع حد للوجود العثماني بها، كرد فعل على إغتيال والده، وبالفعل وبمجرد توليه الحكم قضى على كل العناصر العثمانية، كما خاض معركة مع الدولة العثمانية في معركة وادي اللبن(965هـ/1558م). بعد وفاة هذا الأخير سوف يتولى حكم المغرب الأقصى ابنه المتوكل، والذي سوف تعرف الدولة في عهده صراعا على العرش مع أعمامه، عبد الملك وأحمد المنصور، حسب أحقيتهما منه في حكم المغرب الأقصى، وهذا ما سوف نتطرق إليه في الفصل القادم.

(1) - إنطلق الأمير أبو حسون الوطاسي إلى ملك اسبانيا يطلب منه العون قبل العثمانيين، لكن ملك الإسبان شريكان رفض ذلك، بحجة أن الأمر يهم البرتغاليين أكثر منه، ولم يجذب الدخول في حرب مع السعديين، بينما قرر ملك البرتغال إعانتته، وأمدته بالسفن والمال خاصة مع تصاعد خطر السعديين على البرتغال الذين أخذوا يسترجعون ما احتله من أراض. وفي حقيقة الأمر أن أبا حسون الوطاسي لم يكن يهمه أمر من سوف يقدم له يد المساعدة، وإنما كان همه الوحيد هو استرجاع عرشه. للمزيد ينظر: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م)، [د.ط.]، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.ت.]، ص341.

(2) - محمد أحمد هريود العيساوي، " الأبعاد السياسية الإدارية والإقتصادية لدولة الأشراف السعديين للفترة (915-1070هـ/1509-1659م) دراسة تاريخية"، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، العراق، مج.6، ع.17، س. 2019، ص140. ينظر أيضا: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.4، صص156-157. ينظر أيضا: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 341-342.

(3) - محمد الأمين محمد، محمد علي الرحمانى، المرجع السابق، ص188.

الفصل الأول:

الدولة السعديّة في عهد أحمد المنصور: (محاولة الإصلاح والبحوث).

أولاً: التعريف بشخصيته.

أ- مولده ونشأته:

1: صفاته:

2: ثقافته:

ب: معركة وادي المخازن 1578م.

1- السياق التاريخي للمعركة:

2 - أسباب اندلاع معركة وادي المخازن:

أ- الأسباب الخارجية:

ب- الأسباب الداخلية:

3- مجريات المعركة:

4- نتائج المعركة:

ج: مباحته وخلافته بالسلطة:

د: وفاته:

ثانياً: سياسته الداخلية:

- جهوده في القضاء على الثورات والتمردات الداخلية:

أ- القضاء على ثورة داود بن عبد المؤمن (987هـ/1579م).

ب- القضاء على ثورة بن قرقوش (996هـ/1589م).

ج- القضاء على ثورة الناصر بن عبد الله الغالب (1003-1004هـ/1595-1596م)

د- القضاء على ثورة ولده المأمون (1010هـ/1601م).

هـ- تمرد العرب الخلط.

ثالثاً: نظام الحكم في دولته وأهم الإصلاحات التي استحدثها.

أ- الجانب السياسي:

1- الخلافة.

2- ولاية العهد.

3- الوزراء.

ب- الجانب الإداري:

1- الديوان.

2- القضاء.

3- ختم الرسائل السلطانية (الطغراء).

ج- الجانب العسكري:

1- الجيش.

2- الأسطول.

3- الشرطة.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

يهدف هذا الفصل إلى محاولة التعريف بالسلطان أحمد المنصور منذ ولادته إلى غاية توليه حكم المغرب الأقصى، بعد معركة وادي المخازن الشهيرة (ت986هـ/1578م)، إذ بتوليه الحكم واجهته مجموعة من التحديات الداخلية، كان أبرزها الثورات والتمردات التي ظهرت بالمغرب الأقصى ضد حكمه، وقد كانت في مجملها من أفراد الأسرة الحاكمة. وقد غدت تلك الثورات الدول الأجنبية، حيث كادت أن تعصف بالدولة السعدية وهي في مرحلة تطورها.

كما يهدف هذا الفصل إلى محاولة إبراز جهود أحمد المنصور في سبيل إحتواء تلك الثورات والقضاء عليها، من أجل إسترجاع الأمن والاستقرار النسبيين للبلاد، كما يعالج هذا الفصل أهم الإصلاحات التي قام بها أحمد المنصور على المستوى الداخلي، بهدف النهوض بالبلاد، بدءا بالجانب السياسي والإداري، وصولا إلى الجانب العسكري. كانت تلك الإصلاحات التي أدخلها أحمد المنصور على دولته مستوحاة من الدولة العثمانية، حيث أنه تأثر بما شاهده في الدولة العثمانية أثناء فترة مكوثه كلاجئ سياسي. وقد حرص على نقل التجربة التي عاشها إلى بلاده.

أولا: التعريف بشخصيته:

أ- مولده ونشأته:

هو أبو العباس أحمد⁽¹⁾ بن محمد الشيخ السعدي، سابع سلاطين الأسرة السعدية التي حكمت المغرب الأقصى، والمشهور بلقب المنصور الذهبي⁽²⁾، ولد بفاس عام(956هـ/1549م) من أمه الحرة مسعودة⁽³⁾ بنت أحمد بن عبد الله الوردكي⁽⁴⁾؛ والتي تبوأَت مكانتها السامية في قلوب المراكشيين، بما قدمته لهم من معروف وإحسان، وما شيدته من مؤسسات خيرية كبرى مثل:

(1) - ينظر: ملحق رقم 03، ص268.

(2) - تجدر الإشارة أن كلمة المنصور الذهبي لا تعتبر مجرد لقب أطلق على السلطان أحمد أبو العباس، بل إنه لقب بالمنصور تخليداً للإنتصار الذي حققه السعديون في معركة وادي المخازن1578. وأما لقب الذهبي فأطلق عليه بعد غزو سنغاي في السودان الغربي، وذلك نتيجة لكثرة الذهب الذي جلبه من السودان. ينظر أيضا: نمير عقيل، "السياسة الداخلية للمغرب الأقصى في عهد السلطان أحمد المنصور السعدي (1578-1603م)"، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، ع.135، س. 1439هـ/2017م، ص 401. ينظر أيضا: المريني نجاة، "من الملوك الشعراء أبو العباس أحمد المنصور السعدي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ع. 8، س. 1992، ص74.

(3) - هي الحرة عودة أو مسعودة الوردكيية إبنة الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الوردكي الوردكي، وهي أمازيغية، وأطلق عليها بالحرّة لأنها تزوجت زواجا شرعيا من السلطان محمد الشيخ المهدي، أنجبت السلطان أحمد المنصور الذهبي. توفيت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من محرم عام (1000هـ/1591م). ينظر: أقبوش إدريس، "مسعودة الوردكيية: امرأة وراء عظمة أحمد المنصور السعدي"، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع. 62، س.2020، ص128. ينظر أيضا:

-Osire Glacier, Femmes politiques au Maroc d'hier à aujourd'hui La résistance et le pouvoir au féminin. (Maroc: Tarik éditions, 2016), p92.

(4) - عبد الوهاب بن منصور، إعلام المغرب العربي، ج.5، [د.ط.]، (الرباط: المطبعة الملكية، 1410هـ/1990م)، ص220.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

المسجد الكبير الذي خصصت له الكثير من الأوقاف. وبذلك يمكن القول أن أحمد المنصور قد نشأ من أبوين ملكين لعرش المغرب الأقصى، واللذان سوف يساهمان في تكوين شخصيته⁽¹⁾. يمكن تقسيم نشأة السلطان أحمد المنصور إلى مرحلتين: المرحلة الأولى والتي تمثل فترة صباه؛ فقد عاش في كنف والده الذي حرص على تربيته وتكوينه على سيرة الملوك، وذلك بالتعهد به إلى علماء عصره، بقصد توعيته وإرشاده وصقل شخصيته، وهذا ما سوف نتعرف عليه أثناء تطرقنا لتكوينه الثقافي. أما المرحلة الثانية: فتبتدأ بعد وفاة والده محمد الشيخ 1557م والتي تعتبر محطة هامة في حياته، حيث ساهمت في تكوين شخصيته، أين إستفاد منها في تسيير شؤون حكم دولته.

نشأ أحمد المنصور في بيئة أقل ما يقال عنها أنها كانت مضطربة، تسودها الفتن والإضرابات، فالناحية الشرقية للمغرب الأقصى كانت معرضة للتوسع من طرف الحكم العثماني، والناحية الشمالية والغربية كانت تترجح تحت نير الإحتلال الإسباني والبرتغالي. يضاف إلى ذلك إنقسام الأسرة المالكة للعرش السعدي على أنفسهم، بحيث تنافس الأمراء على الملك، وإستعان بعضهم على بعض بالأجانب، كما أبدوا إستعدادهم للتنازل عن أجزاء من أراضيهم، أو الدخول تحت حمايتهم مقابل تقديم العون والنجدة لهم⁽²⁾.

بعد مقتل والده ونشوب الصراع بين إخوته سنة 1557م، توارى الأمير الصغير عن الأنظار بمعية أمه وأخيه في واحات سجال⁽³⁾. ثم فرا في عهد أخيها السلطان عبد الله الغالب بالله⁽⁴⁾ إلى تلمسان، خوفاً منه، فأقاما بها مدة، ثم إرتحلا إلى الجزائر فسكنا فيها مدة أخرى⁽⁵⁾، وقد كان لمقامه هناك أثر واضح على سيرته، إذ تعلم الكثير خلال مكوثه في الجزائر؛ وهو ما ساهم في تكوينه السياسي والعسكري، إذ إكتسب الخبرة في السياسة الدولية والعسكرية، بالإضافة إلى

(1) - محمد بن عثمان، " المنصور الذهبي "، مجلة المغرب، عدد خاص، الرباط، ع.6-7، س. 1936م، ص ص9-10.

ينظر أيضا: Osire Glacier, op. cit, p92.

(2) - عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج.5، ص221.

(3) - محمد نبيل ملين، السلطان الشريف الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، تر: عبد الحق الزموري وعادل عبد الله، ط.1، (الرباط: المعهد الجامعي للبحث العلمي-جامعة محمد الخامس-)، 2013م، ص56.

(4) - هو عبد الله بن محمد الشيخ بن محمد بن زيدان الحسني، أبو محمد، الغالب بالله من ملوك السعديين ولد، سنة (933هـ/1527م) بتارودانت، وانتقل إلى فاس فبويع له فيها يوم أن إغتيل أباه من طرف العثمانيين أخر سنة 964هـ. توفي بمراكش سنة (981هـ/1574م). ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج.4، ط.15، (بيروت: دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 2002م)، ص 128.

(5) - عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج.5، ص 222.

الفصل الأول:: الدولة السعودية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

تعلمه بعض فنون السياسة العثمانية. كما تدرب على فنون القتال وإطلع على الخطط العسكرية العثمانية وحيلها⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة أن كلا من عبد الملك⁽²⁾ وأحمد المنصور كانا ينتظران موت عبد الله الغالب ليحاولا تسلم الملك حسب أسبقيتهما في السن، وما إن علما بوفاة أخيهما الغالب حتى هبّا إلى القسطنطينية⁽³⁾ لكي يتصلا بالخليفة سليم الثاني⁽⁴⁾ لمساعدتهما على تحقيق رغبتهما. وكانت ترافقهما مسعودة الوزكيتية -أم المنصور- غير أن الخليفة العثماني ردّهما⁽⁵⁾ بسبب إنشغاله بأمر إيالة⁽⁶⁾ تونس⁽⁷⁾، التي إستولى عليها الإسبان⁽⁸⁾. أصدر السلطان العثماني سليم الثاني أوامره بتجهيز القوات العثمانية بقيادة سنان باشا⁽⁹⁾، لتحرير إيالة تونس⁽¹⁰⁾. إستأذن الأخوان الخليفة سليم

(1) - إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص 64.

(2) - هو رابع أولاد السلطان السعودي محمد الشيخ المهدي، وهو أبو مروان عبد الملك بن محمد الشيخ المهدي. تمت بيعته بفاس. أرسى قواعد الدولة السعودية بعزيمة، ويلقب بالغازي، كما يلقب بالمتعصم بالله، قام بتوطيد أركان الدولة ومقاومة خصومها الداخليين، وأعدائها الخارجييين. توفي قبل انتهاء معركة وادي المخازن. ينظر: عبد الله كنون، **موسوعة مشاهير رجال المغرب**، مج 5، ط 2، (القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1414هـ/1994م)، ص ص 5-6.

(3) - هي عاصمة الإمبراطورية البيزنطية قديما، وبعد ذلك تحولت إلى عاصمة للخلافة العثمانية، تقع غرب تركيا حاليا؛ على ضفتي البوسفور بين البحر الأسود وبحر مرمرة، وتسمى أيضا باستانبول أو الأستانة. للمزيد ينظر: حسين محمد نصار، المرجع السابق، ص 2558-2559. ينظر أيضا: محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحق: إحسان حقي، [ط.1]، (بيروت: دار النفائس، 1401هـ/1981م)، ص ص 125-263.

(4) - هو السلطان الحادي عشر من سلاطين بني عثمان، ولد عام (930هـ/1525م)، تولى الخلافة عام 1566م، وإستمر في حكم البلاد إلى غاية 1574م، من أهم الأحداث التي شهدها عصره فتح جزيرة قبرص، وإنهزام العثمانيين في معركة ليبانتو 1571م. توفي سنة (982هـ/1574م). ينظر: عزتلويوسف بك آصاف، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**، ط 1، (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014م)، ص ص 69-70.

(5) - إبراهيم حركات، **السياسية والمجتمع...**، المرجع السابق، ص 66.

(6) - تُعد الإيالة أكبر تقسيم إداري في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إداريا إلى إيالات، والايالات إلى سناجق، والسناجق إلى أقضية، والأقضية إلى نواح، والنواحي إلى قرى. وقد كان يشرف على تلك الإيالات أمير الأمراء، ثم الوزراء بعد القرن السادس عشر الميلادي، حيث كانوا يمثلون السلطان، ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري. ينظر: سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، [ط.1]، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ/2000م)، ص 45.

(7) - لقد سعى فيليب الثاني من أجل تشجيع إحتلال تونس بسبب لجوء السلطان الحفصي أبي العباس الثاني الذي حكم تونس (1535-1572م)، إليه، وطلب منه المساعدة في إخماد الثورات بإعطائهم إمتيازات كبيرة، تتيح لهم سكن جميع أنحاء تونس، ويتنازل عن عناية وبنزرت، وحلق الواد. فرفض أبو العباس الشروط، ولكن أخاه محمد بن الحسين قبلها، بعد ذلك خرج "دونجون" بأسطوله من جزيرة صقلية في (981هـ/أكتوبر 1573م)، على رأس أسطول مكون من 138 سفينة تحمل خمسة وعشرين ألف مقاتل، ونزل بقلعة حلق الواد التي كانت تحتلها إسبانيا، ثم باغت "دونجون" تونس، واحتلها وخرج أهلها بوادي تونس فارين ببدينهم من شر الاسبان، كما إنسحب الحاكم العثماني إلى القيروان. ينظر: علي محمد محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، [ط.1]، (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1421هـ/2001م)، ص 284.

(8) - عبد الله كنون الحسني، **مدخل إلى تاريخ المغرب**، ط 1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1438هـ/2017م)، ص 119.

(9) - هو قائد عسكري عثماني، ورجل دولة من أصل ألباني شغل في بداية عهد منصب أمير لواء للعديد من الإيالات العثمانية، وفي فترة حكم السلطان سليمان القانوني ترقى إلى رتبة أميرال عام 1555م. عيّن بعد ذلك واليا على مصر سنة 1568م، كما كانت له جهود في استرجاع تونس للحكم العثماني، وطرده الإسبان منها، بالإضافة إلى توليه العديد من المناصب في جهاز الحكم العثماني. توفي سنة 1596م ودفن في استانبول. للمزيد ينظر: رابحه محمد خضير عيسى، " القائد العثماني سنان باشا وجهوده في إستعادة اليمن وتونس 1568-1574م"، **مجلة جامعة تكريت للعلوم**، العراق، مج 18، ع 1، س 2011م، ص ص 352-354.

(10) - علي محمد محمد الصلابي، **صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)**، [ط.1]، (عمان: دار البيارق للنشر، 1442هـ/1998م)، ص 326.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

الثاني للمشاركة في الدفاع عن تونس فوافق على طلبهما⁽¹⁾. استطاعت القوات العثمانية تحرير تونس من أيدي الإسبان⁽²⁾، بعد معركة حلق الوادي عام 1574م، وإنهاء الحكم الحفصي فيها، وفرض السيادة على تونس⁽³⁾. قبل وصول الخبر إلى مسامع السلطان عاد الأخوان إلى القسطنطينية يبشرون الخليفة الجديد، السلطان مراد الثالث⁽⁴⁾ بالانتصار، قبل وصول الخبر بطريقة رسمية⁽⁵⁾. وقد سر السلطان بذلك الخبر، مما جعل الأخوين ينتهزان الفرصة ويطلبان منه أن يمدّهما بالجيش⁽⁶⁾ لانتزاع الحكم من ابن أخيهما، فأجابهما السلطان إلى طلبهما⁽⁷⁾.

جاءت المساندة العثمانية للأميرين عبد الملك وأحمد المنصور بعد أن تعهدا للسلطان العثماني مراد بإتفاق 1575 بدفع مبلغ قدر بـ (500) ألف دينار ذهبي، والإلتزام بعقد حلف مع العثمانيين لمهاجمة الإسبان، والإلتزام بالتخلي عن ميناء العرائش⁽⁸⁾ للعثمانيين، حكام الجزائر، لإتخاذة قاعدة لإنطلاق عملياتهم البحرية في المحيط الأطلسي، فوافق الإثنان على الشروط العثمانية⁽⁹⁾.

أمر السلطان العثماني مراد الثالث عامله على الجزائر بأن يمدّهم بما يحتاجونه من قوات وذخائر ومؤن⁽¹⁰⁾. يذكر الأفراني أن عبد الملك إتفق مع باشا الجزائر على تمويل الحملة وإلتزم: " بدفع عشرة آلاف على كل مرحلة، بمجرد وصوله إلى فاس"⁽¹¹⁾. قدر عدد القوات التي رافقتهم بحوالي 5 آلاف جندي، معظمهم من الإنكشارية⁽¹²⁾، ومن زاوية والسباهية⁽¹⁾ و 6 آلاف من فرسان

(1) - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص 66.

(2) - علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 326.

(3) - محمد علي داهش، الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف، [د.ط.]، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1971م)، ص 46.

(4) - هو السلطان الثاني عشر من سلاطين الدولة العثمانية، ولد في القسطنطينية سنة (953هـ/1546م)، تولى الحكم بعد وفاة والده السلطان سليم الثاني 1574م. من أهم الأحداث التي وقعت في عصره، ثورة الإنكشارية بسبب منعه لظاهرة الشرب التي شاعت زمن والده، وكذلك وضع الحماية على بولونيا بالإضافة إلى محاربة الدولة الصفوية ودخول عاصمتهم تبريز، توفي سنة (1003هـ/1595م). ينظر: فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 259-266. ينظر أيضا: إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، [ط.1]، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ/1996م)، ص 99-102.

(5) - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 46.

(6) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، المرجع السابق، ص 257. ينظر أيضا: عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص 170.

(7) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص 120.

(8) - هي مدينة متوسطة تقع على الشاطئ الأطلنطي بين القصر الكبير وأصيلا، على الضفة اليسرى لوادي اللكوس، بنيت قصبها سنة 897هـ، واحتلها الإسبان سنة 1019، إلى أن حررها السلطان المولى إسماعيل سنة 1101، فجند بناءها، وحصنها. لعبت المدينة دورا هاما في عصر السعديين. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 200.

(9) - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 46.

(10) - المرجع نفسه، ص 46.

(11) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص 123.

(12) - يقصد بمصطلح الإنكشارية " yeniceri " يني جري بمعنى القوات الجديدة، وقد تشكلت فيالق عسكرية للجيش الإنكشاري حسب بعض المؤرخين من أبناء رعايا الدولة الذين تم جمعهم ما بين السادسة والخامسة عشرة من عمرهم من مختلف الولايات العثمانية في أوروبا، في حين هناك من يرى أن أفراد=

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

العرب، وجاء العثمانيون بـ 20 قطعة مدفع، وكمية مهمة من المدخرات وخرجت الحملة من مدينة الجزائر سنة 1576م⁽²⁾.

تجدد الإشارة أن الأخوين قبل شروعهما في تجهيز الحملة قاموا بتوجيه رسائل إلى رؤساء القبائل يخبرون أنصارهم في المغرب الأقصى بأمر الحملة، ويدعونهم بأن يكونوا على استعداد لمساندتهم في هذه الحملة. فقد كان لعبد الملك أنصار من القادة في صفوف جيش المتوكل، وكانوا على استعداد للإنتقام⁽³⁾ من المتوكل، ويرغبون في عودة عبد الملك، وأحمد المنصور إلى المغرب الأقصى، وأخذ الملك من ابن أخيه⁽⁴⁾.

وبالفعل نجح الأخوان في إستمالة عدد من قادة جيشه من العلوج والأندلسيين، والذين إتفقوا بصفوف قوات عبد الملك، وهو ما أدى إلى إنهزام المتوكل خلال المواجهة التي تمت بينه وبين عمه⁽⁵⁾. فر المتوكل إلى مراكش، وتقدم عبد الملك⁽⁶⁾ نحو فاس فدخلها، وبايعه الناس سنة (983هـ/1575م) وصار ملكا للمغرب الأقصى، ولقب بالمعتصم⁽⁷⁾. عمل السلطان الجديد منذ توليه الحكم على إستقرار أحوال المغرب الأقصى، وذلك بإعادة الأمن للبلاد، بدون أن يتوانى عن ملاحقة المتوكل الذي ما فتئ يؤلب القبائل، ويهيء القوات المحاربة لإسترداد عرشه المسلوب، وقد خاض ضد أعمامه أربعاً وعشرين معركة خلال سنتين إنهزم فيها جميعاً⁽⁸⁾.

تجدد الإشارة بإننا سوف نتوقف عند هذا القدر من سرد الوقائع التاريخية حول نشأته أحمد المنصور الذهبي، وذلك لعدة إعتبارات من بينها أن القيادة كانت لأخيه عبد الملك، وبالتالي فإن شخصية أحمد المنصور لن تظهر في هذه الفترة على إعتبار أنه كان مرافقا لأخيه عبد الملك في جميع حروبه، وإنجازاته وأعماله، بالإضافة إلى أن عبد الملك وأحمد المنصور كان ههما الوحيد

=الانتشارية كانوا من أولاد المسلمين. قدمت الإنتشارية للدولة العثمانية خدمات كبيرة، ثم فسد نظامها وأصبحت مشكلة كبيرة في الدولة، وقد تمردت على النظام فأبادهم السلطان محمود الثاني في مذبحه جرت في الأستانة سنة 1826م. للمزيد ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص41.

(1) - ويعنى الخيالة، والفرسان في الجيش العثماني. واصطلاح على إستخدامه للدلالة على الخيالة أصحاب الأرض الميري، الذي يشترك في الحرب مع أفراد من الذين كلفوا بإحضارهم للحرب. ينظر: إبراهيم الكيلاني، " مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة الأيوبية والملوكي والعثماني "، مجلة التراث العربي، سوريا، مج.13، ع.49، ص. 1992م، ص49. ينظر أيضا: سهيل صابان، المرجع السابق، ص132.

(2) - زهاء النظام، المرجع السابق، ص263.

(3) - يشير المؤرخ عمار بن خروف في مسألة الإنتقام أن الأندلسيين كانوا ناقمين من مولاي عبد الله وولده محمد لتخاذلها عن مساعدة إخوانهم في ثورتهم على الإسبان في الأندلس سنة 1569م. ينظر: عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص195.

(4) - المرجع نفسه، ص ص 194-195.

(5) - إنلقى الجمعان بمنطقة تسمى الزكن من أحواز فاس وقد وقعت سنة 1576م، وفي هذه المعركة مال عسكر أهل الأندلس إلى عبد الملك على حساب المتوكل مما أدى إلى إنهزام المتوكل. ينظر: محمد الصغير الأقراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص124.

(6) - زهاء النظام، المرجع السابق، ص ص 263-264. ينظر أيضا: محمد الصغير الأقراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص 124.

(7) - عبد الله كنون الحسني، المرجع السابق، ص120.

(8) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 99.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

آنذاك هو أخذهما ملك المغرب الأقصى من ابن أخيها حسب أسبقيتهما في السن، وإعادة بناء الدولة السعدية الحديثة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن دور أحمد المنصور سوف يظهر بشكل جلي بعد معركة وادي المخازن 1578م، وإستلامه الحكم بعد موت أخيه عبد الملك.

1- صفاته:

أما فيما يتعلق بصفاته فيمكن القول أنه من خلال ما توفر لدينا من مادة مصدرية فسوف نحاول أن نرسم له صورة توضح بعض معالم شخصيته إنطلاقا مما إستقيناها من هاته المصادر، محاولين في ذلك تقريب صورته لذهن القارئ، لقد وصفه الناصري في مصنفه " الاستقصا "...: كان رحمه الله طويل القامة ممتلئ الخدين، واسع المنكبين، تعلوه سفرة رقيقة، أسود الشعر، أدعج أكحل، ضيق البلج⁽¹⁾، براق الثنايا، حسن الشكل، جميل الوجه، ظريف المنزع، لطيف الشمائل...⁽²⁾. كما وصفه مجهول في كتابه " تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية " فقال: "... أنه أسمر اللون غائر العينين وافر اللحية له شرطات على خده الأيسر، غليظ الجسم جهير الصوت له لثة [في كلامه] يبذل الشين سينا وافر الثياب يسحبها بالأرض حتى تغطي أقدامه وكان في المشي يكاد يطأ على كعبيه..."⁽³⁾.

كما وصفه الفشتالي وزيره وكاتب دولته بالكرم والجود والشدة والحزم وحبه للعلماء فقال: "... كان جوادا كريما سخيا دمث الأخلاق ظاهر الحياء والحشمة، مؤثرا للعدل حسن السيرة قوي الشكيمة⁽⁴⁾ شديد الوطأة على الأعداء محبا للعلماء..."⁽⁵⁾. وذكره السملالي في مصنفه بأنه كان محبا للعلم وللعلماء، مهتما بما تعلق بأمور الدين، حيث قال: "... كان مشتغلا بالإستفادة والإفادة من العلماء الأعلام بأنواع العلوم، كالتفسير والنحو واللغة والتاريخ والأدب والمنطق، ويجمع لذلك علماء الأمصار، ويشتغل بقراءة صحيح البخاري في رمضان..."⁽⁶⁾.

كما قال عنه أنه كان محافظا على التكاليف الشرعية والصلوات فقال: "... كان محافظا على التكاليف الشرعية والأعمال البدنية والاعتقادات الأشعرية مواظبا على الصلوات في أوقاتها،

(1) - تعنى تباعد ما بين الحاجبين، وقيل: ما بين الحاجبين إذا كان نقيا من الشعر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج.2، [د.ط.]، (بيروت: دار صادر، [د.س.])، ص 215.

(2) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 91.

(3) - مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية، تح: عبد الرحيم بنحادة، ط.1، (مراكش: مطبعة تينمل نشر طباعة توزيع، 1992م)، ص 63.

(4) - هي بمعنى الحزم والصرامة. للمزيد حول أصل الكلمة. ينظر: ابن منظور، المرجع السابق، مج.12، ص 324.

(5) - فارس عبد العزيز الفشتالي، مناهل في مآثر موالينا الشرفاء، تح: عبد الكريم كريم، [د.ط.]، (الرباط: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، 1972م)، ص 25.

(6) - العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ج.2، ط.2، (الرباط: المطبعة الملكية، 1413هـ/1993م)، ص 252.

محافظا على مفروضها ومسنونها، لا يرى إلا على طهارة يوم الناس في المسجد ويلزم تراويح رمضان ويعمل فيه بالسنة...»⁽¹⁾.

وعلى النقيض من هذه الصورة اللامعة، يورد لنا الأفراني جانبا من صورة إستبداد أحمد المنصور مع رعيته خاصة فيما يتعلق بفرض الضريبة على الرغم من تعدد وتنوع المصادر داخل الدولة حيث قال: "...وكان المنصور على ما هو عليه من ضخامة الملك وسعة الخراج يوظف على الرعية أموالا طائلة، يلزمهم بأدائها، وزاد الأمر على ما كان عليه الحال في عهد أبيه...»⁽²⁾.

وكذلك يشير الأسير أنطونيو إلى صورة سوداوية للسلطان، إذ يصفه على أنه كان معجبا بالنساء أو زير نساء، فقال: "...إذ شيد إقامة لم يكن يسبق لها نظير من الملوك، وفي داخلها غرف لأزيد من ألف امرأة، من جملمتهن العديد من النصرانيات...»⁽³⁾.

وأغلب تلك الجوارى من النصرانيات اللواتي تم أسرهن في حملة دون سبستيان على المغرب الأقصى، حيث كانت ترافقه العديد من الواصفات والخدم... كما أنه لما توسع على حساب السودان الغربي سبا الكثير من السبايا في الحملة الثانية على يد محمود باشا بن زرقون، فقد أرسل إليه العديد من العبيد والغلمان حيث قال: "...ولما استوثق له الأمر هنالك، بعث نصف جيشه مع هدية للمنصور فيها من الذخائر ما لا يحصى، وهي اثني عشر مائة مملوكا من الجوارى والغلمان...»⁽⁴⁾.

كما سجل لنا الأسير أنطونيو إستغلال نفوذه في إجبار إينة إحدى أعيان مدينة القصر الكبير على الزواج منه رغما عنها وعن إرادة أبيها، ويسرد لنا المؤلف تفصيلا كيف أن أباهما توفي حزنا وكمدا على إجباره تزويج إبنته رغما عنه، والذي توفي بعد إستدعائه إلى القصر، ثم ما لبثت أن توفيت إبنته هي أيضا بعد شهرين نتيجة للصدمة التي ألتمت بها⁽⁵⁾.

(1) - العباس بن إبراهيم السملالي، المرجع السابق، ص 253.

(2) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج. 5، ص 189.

(3) - أنطونيو دي صالديانيا، المصدر السابق، ص 76.

(4) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص 171.

(5) - أنطونيو دي صالديانيا، المصدر السابق، ص 188.

كذلك نجد في المذكرات بخلاف ما تذكره المصادر المحلية حول أدب السلطان وسمو أخلاقه ورفعته وحلاوة أقواله، يذكر لنا أنطونيو بعض الكلمات البذيئة والعبارات الساقطة التي كان يتقوه بها أحمد المنصور في وجه خصومه⁽¹⁾.

أما فيما يتعلق في إدعاء مسألة الخلافة والجهاد وحملاته العسكرية التي خاضها ضد السودان الغربي يقول: "... لم يكن يشغل الشريف سوى توسيع ممالكه والتحكم في أمرها وملء خزائنه بالأموال..."⁽²⁾.

من خلال ما ذكرته المصادر المحلية، وكذلك ما أوردته المصادر الأجنبية حول صفات أحمد المنصور سواء أكانت محمودة منها، أو مذمومة فإنه لا يمكن أن ننساق وراء المصادر المحلية فقط، بل لابد من رؤية رأي الآخرين، بحيث أن المصادر المحلية كتبت في ظروف وأهداف معينة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تصديق كل ما نسجته المصادر المحلية من صفات الزهد والتقوى والورع والشجاعة وسمو الأخلاق ورفعتها، في شخص السلطان، دون ذكر أي سلبية حوله، فالكمال الذي وصفته به المصادر لا يكون إلا لله سبحانه وحده. إذ أن المصادر المحلية ترصد فقط إيجابيات السلطان، بينما لا نكاد نجد ولا سلبية للسلطان، وهذا ما يجعل هذه الكتابات محل الشك والنقد والتمحيص.

2-: ثقافته:

عُرف السلطان أبو العباس أحمد المنصور بثقافته الواسعة، إذ جمع ما بين الثقافة التقليدية والخبرة بالمسائل العصرية، والدبلوماسية والإدارية، هذا بالإضافة إلى تقريب العلماء والفقهاء من حاشيته⁽³⁾. وتجدر الإشارة أن تلك الثقافة الواسعة لم تأت من فراغ، فقد تلقى العلم والمعارف منذ نعومة أظافره عن أشهر علماء وأدباء عصره، وسيبقى حبه للعلم الذي تشربه في صباه مرافقا له طيلة حياته⁽⁴⁾. فقد عهد به أبوه منذ نشأته الأولى إلى كوكبة من علماء زمانه ليجعل منه العبقرى الذي تهتدي بآرائه الصائبة أرجاء المغرب الأقصى، وينشئه كما تنشأ همة الملوك، لذلك خصص له مربي الملوك، الأستاذ أبا عبد الله محمد بن يوسف الدرعي، ليتولى تربيته وفق ما تقتضيه التقاليد والأعراف، فكان أول ما بدأ به حياته العلمية هو حفظه لكتاب الله وإستظهار تجويده⁽⁵⁾. ثم

(1) - إبراهيم القادري بوتشيش، "مذكرات أسير برتغالي في المغرب القرن السادس عشر"، مجلة أسطر للدراسات التاريخية، قطر، ع.1، س. 2015م، ص 181.

(2) - أنطونيو دي صالديانيا، المصدر السابق، ص96.

(3) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص56.

(4) - محمد نبيل ملين، المرجع السابق، ص55.

(5) - محمد بن عثمان، المرجع السابق، ص ص 10-11.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

شرع بعد ذلك في نهل مختلف العلوم منتقلا بين مختلف المراكز العلمية، ولا سيما بتارودانت، ومراكش وفاس، وكلها تتقل بينها برفقة والده وبإشراف أسرته. وقد اشتملت دراسته مختلف العلوم من اللغة والأدب والتاريخ، والتراجم والفقهاء والحديث، والمنطق والبلاغة والفلك والرياضيات والأصول، والتفسير⁽¹⁾.

ومن أبرز أستاذته، أبو العباس سيدي أحمد بن علي المنجور⁽²⁾ المعروف بثقافته الموسوعية، وعنه تلقى أحمد المنصور العلم في المعقول والمنقول، وأخذ عنه ما اشتملت عليه فهرسته، وأخذ النحو من أبي العباس أحمد بن قاسم القدومي⁽³⁾ الذي أجمع عليه أهل عصره بأنه لا يجارى في علم النحو. وقد ألف القدومي لخزانة المنصور مصنفه الموسوم بـ "الهادي في حل مقفلات المرادي" في أربعة أسفار⁽⁴⁾. كما أخذ الفقه والتفسير على يد العالم شقرون بن هبة الله⁽⁵⁾ نزيل مراكش، وبفاس استكمل تكوينه على يد شخصيات علمية ذات مكانة، كالقاضي أبو مالك عبد الواحد الحميدي⁽⁶⁾ والذي أخذ عنه النحو والتفسير، وكذلك أخذ الحديث عن أبي النعيم ولي سيد رضوان بن عبد الله الجنوي⁽⁷⁾ وغيرهم من العلماء، وتولى بنفسه دراسة الهندسة مباشرة من كتاب إقليدس، وقد برع فيه⁽⁸⁾.

- (1) - إبراهيم حركات، "أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة"، مجلة دعوة الحق، الرباط، ع. 8، ص. 1978م، ص 59.
- (2) - هو أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله المنجور، المكناسي، النجار، الفاسي الدار والقرار (أبو العباس) ولد سنة (926هـ/1520م) محدث، فقيه، أصولي، مشارك في بعض العلوم. من تصانيفه: شرح المنهج المنتخب على قواعد المذهب، حاشية على شرح الكبرى للسوسني في العقائد، "مراقي المجد في آيات السعد"، "شرح المطول"، "وشرحا على قصيدة ابن زكري في علم الكلام مطول ومختصر". توفي سنة (995هـ/1587م). ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ج. 1، [د.ط.]، (دمشق: مؤسسة الرسالة، 1414هـ/1993م)، ص 204.
- (3) - يكتى أبو العباس أستاذ نحوي، انتهت إليه رئاسة النحو في عصره، وله تقييد على المرادى سماه "بالهادي في حل ألفاظ المرادي" في نحو الأربع مجلدات، توفي سنة 992هـ. ينظر: أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي، ديرة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمدي أبو النور، مج. 1، ط. 1، (القاهرة: دار التراث، 1390هـ/1970م)، ص 156.
- (4) - أحمد بن محمد المقري، روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط. 2، (الرباط: المطبعة الملكية، 1403هـ/1983م)، ص 34.
- (5) - هو محمد شقرون بن هبة الله الوجدجي، المعروف بشقرون، التلمساني: ولد سنة (908هـ/1503م) من أكابر فقهاء المالكية، عرف بمالك الصغير في وقته، له مشاركة في علوم المنطق والفرائض والبيان ولي الإفتاء بتلمسان. رحل إلى فاس سنة 927هـ، فنال حظوة عظيمة عند الغالب بالله السعدي، فنصب له كرسيًا للتدريس داخل قصره، "وقلده الفتوى ورئاسة العلم بحضرة مراكش وسائر أقطار المغرب الأقصى" على حد قول ابن عسك، توفي بفاس له "شرح" على أرجوزة أبي إسحاق التلمساني، في الفرائض. توفي سنة (983هـ/1575م). ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط. 2، (بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1400هـ/1980م)، ص ص 188-189.
- (6) - هو قاضي فاس أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الحميدي من الأئمة الكبار ومن أشهر حاملي لواء المذهب المالكي وإليه كان المرجع في المسائل الفقهية في المغرب الأقصى، توفي سنة 1003هـ. للمزيد ينظر: محمد بن الطيب القادري، نشر المئاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي، أحمد التوفيق، ج. 1، ط. 1، (الرباط: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1398هـ/1978م)، ص ص 44-45.
- (7) - هو الولي الصالح المحدث المكثر الرواية ولد في فاس عام 910 هـ توفي عام 991 هـ. للمزيد حول هذه الشخصية. ينظر: ابن القاضي، المصدر السابق، مج. 1، ص ص 274 - 275. ينظر أيضا: العباس بن إبراهيم السملالي، بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ج. 3، ط. 2، (الرباط: المطبعة الملكية، 1413هـ/1993م)، ص ص 227-236.
- (8) - أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ص 35.

تنوعت مشارب ثقافة أحمد المنصور السعودي فشملت مختلف العلوم، فقد كان مبرزاً في كل ميدان معرفي سلك شعابه⁽¹⁾. وقد علق أحمد ابن القاضي في كتابه " جذوة الإقتباس " عن ذلك فقال: "... معدود في العلماء، بارع الخط، مشارك في الحساب والآداب والنحو وغير ذلك من العلوم، وله معرفة بأيام الملوك الماضية وسياساتها وقد ألف في ذلك، ملك أزمة الأدب، ناظماً للشعر... " ⁽²⁾.

- من مؤلفاته:

تجدر الإشارة أنه على الرغم من تعدد إلتزاماته وضخامتها بصفته ملكاً للمغرب إلا أنه شارك في التأليف والكتابة أيضاً⁽³⁾. ومن بين مؤلفاته:

1. المعارف في كل ما تحتاج الخلائق: يتكلم هذا الكتاب عن فقه الدولة وسياستها، ويهتم بالطرق العلمية لصناعة الأسلحة والذخيرة، وبناء نقاط للدفاع، ويهتم بالطرق التقنية ويرسم التفكير الإستراتيجي القتالي.⁽⁴⁾ ويرى المؤرخ إبراهيم حركات أن بالنظر لأهمية الكتاب وسرية الموضوع، فمن المرجح أن هذا التأليف لم يكن متداولاً⁽⁵⁾.

2. مؤلفه في معالجة الحديث النبوي: (نحن معاشر الأنبياء لانورث، ماتركناه صدقة)⁽⁶⁾، حيث حاول أن يزيح بعض الإشكالات العلمية المتعلقة ببحت الحديث والفقه⁽⁷⁾.

3. كتابات أدبية وشعرية متميزة، تظهر فيها المحسنات البديعة أحياناً⁽⁸⁾.

ومما يمكن أن نستنتجه من خلال ما وفرته لنا المادة العلمية حول حياته الثقافية أن أحمد المنصور كان موسوعياً. فلم يترك باباً في العلم إلى إقتحمه، وإجتهد فيه. فكان محباً للعلم والعلماء. وما يؤكد ما ذهبنا إليه هو إهتمامه بالحياة الثقافية التي عرفت إنتعاشاً كبيراً في فترة حكمه، إذ أولى عناية خاصة بالعلم والعلماء، سواء من الناحية المادية، أو من خلال تشجيعه لهم على التأليف والكتابة في مختلف ميادين العلوم، وفي نظم القصائد، كما عمل على تقريب العلماء

(1) - الميربيني نجاة، المرجع السابق، ص74.

(2) - أحمد ابن القاضي، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ط.1، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973م)، ص115.

(3) - إبراهيم حركات، أحمد المنصور ...، المرجع السابق، ص 59.

(4) - علي محمد محمد الصلابي، دولة المو...، المرجع السابق، ص342.

(5) - إبراهيم حركات، أحمد المنصور ...، المرجع السابق، ص 59.

(6) - علي محمد محمد الصلابي، دولة المو...، المرجع السابق، ص342.

(7) - إبراهيم حركات، أحمد المنصور ...، المرجع السابق، ص 59-60.

(8) - علي محمد محمد الصلابي، دولة المو...، المرجع السابق، ص342.

الفصل الأول:: الدولة السعودية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

من حاشية حكمه، فكان يستشيرهم⁽¹⁾ في العديد من القضايا التي تطرأ على دولته، كما إهتم بإنشاء المؤسسات الثقافية، وإنشاءه للعديد من الأوقاف التي أوقفها خدمة للعلم والعلماء والمجتمع⁽²⁾.

ب- معركة وادي المخازن 1578م.

1- السياق التاريخي للمعركة:

تعتبر معركة وادي المخازن⁽³⁾ صدى لمسلسل الصراع المرير بين الأيبيريين والمغاربة، وهو صراع بدأ قبل المعركة بقرنين وانتهى بطرد المسلمين من الأندلس. والمعركة في سياقها حلقة أخيرة من الصراع بين السعديين والبرتغاليين، فقد وضعت حدا للأطماع البرتغالية في المغرب الأقصى⁽⁴⁾. حيث تُعد معركة وادي المخازن من أهم الوقائع التاريخية بالنسبة للمغرب والبرتغال على حد سواء، لأن مصير الدولتين معا كان مرتبطا بنتائج تلك المعركة الحاسمة⁽⁵⁾ على المنطقة، التي سوف تعرف رسم حدود جديدة بين الضفتين، التي كانت تعرف تموجا في المنطقة، فإما أن يحافظ المغرب الأقصى بقيادة عبد الملك على المكتسبات التي وصل إليها، وإما أن يتراجع عن كل شيء ويصبح مستعمرة برتغالية.

2- أسباب إندلاع معركة وادي المخازن:

لابد لأي معركة كانت من أسباب مباشرة وغير مباشرة قبل نشوبها، ومعركة وادي المخازن 1578م، من بين المعارك التي كانت لها بعض العوامل التي عجلت بنشوبها. ومن خلال هذا العرض سوف نحاول أن نعطي تصورا عن تلك الأسباب، والتي يمكن تقسيمها إلى أسباب داخلية، وأخرى خارجية؛ وهي كالتالي:

(1) - تجدر الإشارة أن المنصور كان يستشير العلماء في الكثير من القضايا التي كانت تطرأ على مجتمعه، من تلك القضايا مسألة التبغ، والذي ارتبط وجوده بإنتشار النفوذ السعودي فيما وراء الصحراء من بلاد السودان، بحيث حمله السودانيون الذين رافقوا الفيلة المبعوث بها إلى مراكش بين سنتي (1597-1598م)، وإلى فاس سنة 1599م، والذين كانوا يزعمون أن فيه منافع كثيرة، فشاع استعماله مما أدخل العلماء في صراع ما بين محرم ومحلل، وعند سماع السلطان المنصور بالخبر قام بإستفتاء العلماء حول المسألة في أكتوبر 1602م، وأقر العلماء بوجود إتلافه، لذلك أمر أحمد المنصور بإنتزاعه من الباعة وحرقه. للمزيد ينظر: مراد المعاشي، " دور الفقهاء في التصدي لبعض المستحدثات خلال العهد السعودي " التبغ نموذجا "، *مجلة ليكسوس الإلكترونية*، المغرب، ع. 21، س. 2018م، ص ص 45-54. وكذلك في مسألة إفتاء العلماء حول غزو السودان الذي سوف نتحدث عنه بشكل أكثر تفصيلا في الفصل الثاني عند حديثنا عن علاقات الدولة السعودية بالسودان الغربي.

(2) - للمزيد أكثر حول هذا الموضوع ينظر: فوزية لزغم، " الحركة العلمية بالمغرب في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي على ضوء كتاب روضة الأسر العاطر الأنفاس " للشيخ أحمد المقرئ "، *مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية*، مورتانيا، ع. 42، 2020م، ص ص 243-278.

(3) - ينظر: ملحق رقم 04، ص 269.

(4) - محمد القاضي، " معركة وادي المخازن 1578م "، *مجلة الوعي الإسلامي*، المغرب، ع. 391، س. 1419هـ/1998م، ص 38.

(5) - بيبير بيريتي، *معركة وادي المخازن*، تر: محمد بن عبود، وآخرون، ط. 1، (الدار البيضاء: النجاح الجديدة، 1991م)، ص 05.

أ- الأسباب الخارجية:

لاشك أن الحقد الصليبي على بلدان المغرب تنامي بعد إسقاط الإمارة الإسلامية في بلاد الأندلس، ثم طرد مسلمي الأندلس نحو الشمال الإفريقي من جهة، وسقوط عاصمة المسيحيين في الشرق الإسلامي من جهة أخرى، وبالإضافة إلى ما ذكر أراد البرتغاليون أن يمحوا عن أنفسهم العار والخزي الذي لحقهم بسبب ضربات السعديين الموفقة، والتي جعلتهم ينسحبون من آسفي وأزمور، وأصيلا وغيرها في فترة يوحنا الثالث⁽¹⁾ (1521-1557م)⁽²⁾.

كما أراد ملك البرتغال الجديد دون سبستيان (**Don Sebastion**)⁽³⁾ ابن يوحنا أن يخوض حربا مقدسة ضد المسلمين حتى يعلو شأنه بين ملوك أوروبا، وزاد غروره بعد ما حققه البرتغاليون من إكتشافات جغرافية جديدة، أراد أن يستفيد منها من أجل تطويق العالم الإسلامي، يدفعه في ذلك حقه على الإسلام وأهله عموما، وعلى المغرب الأقصى خصوصا. حيث جمع ذلك الملك بين الحقد الصليبي والعقلية الإستعمارية التي ترى أن يدها مطلقة في كل أرض مسلمة تعجز عن حماية نفسها من أي خطر خارجي من جهة، ومن جهة أخرى خطط لغزو واحتلال المغرب الأقصى⁽⁴⁾.

ب- الأسباب الداخلية:

نتج عن الصراع الذي إحتدم بين الإخوة حول سلطة المغرب الأقصى هزيمة المتوكل، وتولى زمام الحكم عبد الملك الذي بايعه الناس، أما أخوه المنصور فقد عين نائبا له في فاس، مما إضطر محمد المتوكل إلى مغادرة العاصمة، ومحاولة الإستعانة بالقوى الأجنبية، وفي البداية طلب الإستجداد بملك إسبانيا، لكن هذا الأخير ماظله ولم يرد التدخل في المغرب الأقصى لضمان مناطق نفوذ البرتغال، فإضطر للتوجه إلى البرتغال حيث أيده الملك " دون سابستيان " (**Don Sebastion**) الذي أبدى حماسا منقطع النظير للموضوع، بحيث أن هذا الطلب كان يوافق

(1) - هو ملك البرتغال، حكم سنة 1521م عرف بالضعف والتخاذل، وفي عهده إنسحب البرتغاليون من آسفي وأزمور وأصيلا وغيرها. توفي سنة 1557م. ينظر: شوقي أبو خليل، **وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة - القصر الكبير**، ط.1، (دمشق: دار الفكر، 1409هـ/1988م)، ص45.

(2) - موسى المودن، " معركة وادي المخازن بالقصر الكبير - معركة المصير -"، **مجلة ليكسوس مجلة إلكترونية**، المغرب، ع. 35، ص. 2020م، ص46.

(3) - هو ملك البرتغال وابن أخت فيليب الثاني ملك إسبانيا، حكم سنة 1554م، ساعد مولاي محمد بن عبد الله (المسلوخ) بإسترجاع ملكه من عمه مولاي عبد الملك السعدي، قاد الجيوش المتحالفة لمحاربة المغاربة والعثمانيين المنتصرة لمولاي عبد الملك السعدي في موقعة وادي المخازن الشهيرة، قتل مولاي محمد في تلك الموقعة سنة 1578م. ينظر: محمد الغساني الأندلسي، **رحلة الوزير في افتكك الأسير (1690-1691م)**، تح: نوري الجراح، ط.1، (الإمارات العربية المتحدة: دار السويدي للنشر والتوزيع، 2002م)، ص174.

(4) - عيسى الحسن، **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية**، ط.1، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2008م)، ص ص550-551.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

أحلامه وأمانيه، ذلك أن هذا الملك كان مازال في العشرينيات من عمره، ومسيحياً متعصباً إلى حد الصليبية، ومعتداً بنفسه إلى حد الغرور والعجرفة⁽¹⁾ وقد قبل ملك البرتغال دعمه للعودة إلى حكم المغرب الأقصى مقابل تسليمهم عدداً من المدن الساحلية، في حين رفض عبد الملك هذا المخطط وسرعان ما قام بإعلان الحرب على ابن أخيه من أجل الحد من خطر البرتغال، والتخلص من شبح التصير الذي بدأ يهدد دولته، وعمقه بشكل غير مسبوق⁽²⁾.

انفتحت جموع المغاربة حول قيادة عبد الملك المعتصم بالله، ولكن المتوكل المخلوع أراد أن يخترق ذلك التلاحم فكتب إلى أهل المغرب الأقصى قائلاً: ما إستتصرت النصارى حتى عدت النصر من المسلمين، وقد قال العلماء: إنه يجوز للإنسان أن يستعين على من غصبه حقا بكل ما أمكنه، وتهدهم⁽³⁾ قائلاً: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾⁽⁴⁾. فأجابه علماء المغرب الأقصى عن رسالته برسالة دحضت أباطيله، وفضحت زوره وبهتانه وكذبه، مما جاء فيه: لو رجعت على نفسك اللوم والعتاب، لعلمت أنك المحجوب والمصاب... وأما قولك في النصارى فإنك رجعت إلى أهل العدو وإستعظمت أن تسميهم بالنصارى، فيه المقت الذي لا يخفى، وقولك رجعت إليهم حين عدت النصر من المسلمين ففيه محظورات يحضر عندهم غضب...⁽⁵⁾.

كذلك من بين الأسباب وراء معركة وادي المخازن هي الإصلاحات والتحديثات التي قام بها عبد الملك من أجل النهوض بالمغرب الأقصى:

- إصلاحات عبد الملك ودوره في نشوب الحرب:

بعد أن تولى عبد الملك زمام الحكم عمل على تحديث دولته متأثراً في ذلك بالدولة العثمانية أين إستفاد أثناء فترة مكوثه في القسطنطينية، هو وأخوه أحمد المنصور، مما وصل إليه العثمانيون في العديد من المجالات، فأرادوا نقل التجربة العثمانية إلى المغرب الأقصى، ومن أهم تلك الإصلاحات والتحديثات نذكر:

- سعى عبد الملك من بداية توليه الحكم إلى تجديد القوة البحرية السعدية لحماية الثغور، وتعقب الأعداء، وتنشيط الحركة التجارية، هذا بالإضافة إلى الإهتمام بتأسيس قوة عسكرية نظامية

(1) - محمد القاضي، المرجع السابق، ص 38.

(2) - موسى المودن، المرجع السابق، ص 47.

(3) - علي محمد محمد الصلاحي، الدولة العثمانية...، المرجع السابق، ص 261.

(4) - سورة البقرة: رقم الآية: 279.

(5) - عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 551.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

دائمة، وقد إتبع النظام العثماني في أساليبها ولباسها وسلاحها ومراتبها في القيادة، وحقق ذلك في مدة قصيرة جدا⁽¹⁾.

- لقد لاحظ عبد الملك أهمية التجارة البحرية في الإقتصاد السعدي، فعمل على إعطائها أهمية، بحيث كانت تدر أموالا طائلة، من غنائم الحروب الدائمة على سواحل المغرب الأقصى، والتي ساهمت في إزدهار إقتصاد الدولة⁽²⁾.

- كما إستطاع عبد الملك أن يؤسس جيشا نظاميا متطورا، مستفيدا من خبرة الجنديّة العثمانية، وتشبه بهم في التسليح والرتب، كما إستطاع أن يبني علاقات متينة مع العثمانيين، وجعل منهم حلفاء وأصدقاء له⁽³⁾. وسوف يظهر دورهم في معركة وادي المخازن، وفي دعم عبد الملك.

- سعى عبد الملك إلى وضع أسس للإصلاحات الإدارية⁽⁴⁾، بهدف تقوية مؤسسات دولته ودواوينها وأجهزتها، وإستطاع أن يشكل جهازا شوريا للدولة، وأصبح على معرفة بأمر الدولة الداخلية، وأحوال السكان عامة، كما أنه إتخذ من أخيه أحمد المنصور وزيرا له، وساعدا أيمن في تسيير شؤون الدولة⁽⁵⁾. كما إهتم بتحسين العلاقات الدبلوماسية التي سوف تستمر في فترة حكم أخيه أحمد المنصور⁽⁶⁾.

إن أهم ما يمكن أن نسجله من تلك الإصلاحات أن عبد الملك سعى لتحديث دولته وفقا للدول العظمى آنذاك مستفيدا من التجربة العثمانية كما شهدنا آنفا، غير أن تلك الإصلاحات الجذرية التي قام بها عبد الملك أثارت مخاوف البرتغال من ظهور قوى جديدة في المنطقة، فلم يكن لها أن تسمح بحدوث مثل هذا الأمر، وهذا أسهم في مسعى البرتغال من أجل القضاء على تلك القوى الجديدة.

3- مجريات المعركة⁽⁷⁾:

إستغل البرتغاليون فرصة الخلاف الذي دب في الأسرة السعدية على الحكم ليحققوا حلمهم التاريخي والمقدس في القضاء على السعديين والتخلص منها إلى الأبد، فألّفوا جيشا ضخما بقيادة

(1)- شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص 175-176. ينظر: محمد الفاسي، "موقعة وادي المخازن الحاسمة"، مجلة البحث العلمي، المغرب، ع.9، س. 1966م، ص 222.

(2) - شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص36.

(3) -علي محمد محمد الصلاحي، الدولة العثمانية...، المرجع السابق، ص 259.

(4)-Mercedes garcia –Arenal , Ahmad al-Mansur the beginnings of Modern Morocco, (oxford: published by oneworld publications, 2009), p22.

(5) -عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 549-550.

(6) - Mercedes garcia –Arenal , op.cit, p22.

(7) - ينظر: ملحق رقم 05، ص 269.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

سبستيان ملك البرتغال، إلا أن السعديين تداركوا الأمر، ووجدوا صفوفهم بقيادة عبد الملك، وانتقوا مع القوات البرتغالية في معركة فاصلة سميت بمعركة وادي المخازن⁽¹⁾، أو معركة الملوك الثلاث. لقد جرت أحداث تلك المعركة في وادي المخازن، حيث التقى الجمعان بذلك الوادي يوم الإثنين (30 جمادى الثانية 986هـ/ 4 أوت 1578م)، وانطلقت عشرات الطلقات النارية من الطرفين كليهما إيذانا ببدء المعركة⁽²⁾، أما عن تفاصيل التسليح بين الجيشين فكانت على النحو التالي:

أ- الجيش البرتغالي:

لقد كان الجيش البرتغالي يتكون من حوالي 125.000 فرد، وما يلزمهم من المعدات، مع محاولة الرواية الأوروبية التقليل بعد الهزيمة من عدد جيشها، وتضخيم عدد الجيش السعدي، فهي تتحدث عن حوالي 14.000 راجل، و2000 فارس، و36 مدفعا، ومقابل 50.000 فارسا في الجيش السعدي و22.000 راجلا، وحوالي 1.500 من رماة المدافع.

هذا وللإشارة أنه إضافة إلى الجيش البرتغالي -الذي أشرنا إليه- فقد كان يصاحبه من المتطوعة الأوروبيين حوالي: 20.000 إسباني، 3000 ألماني، 7000 إيطالي... وغيرهم عدد كبير... مع ألوف من الخيل، وأكثر من أربعين مدفعا، وكل تلك القوى البشرية والمادية بقيادة الملك دون سبستيان بالإضافة إلى ذلك، إلتحق السلطان المخلوع المتوكل - المسلوخ - بشرزمة تتراوح ما بين 300-600 رجل على الأكثر⁽³⁾.

ب- الجيش السعدي:

أما في الجهة المقابلة فكان الجيش السعدي يبلغ تعداد حوالي 50.000 فارس تفوقا وحوالي 22.000 راجلا، وحوالي 1.500 من الرماة المدربين على الرمي، بالإضافة إلى ذلك ما يقارب أربعة وثلاثين مدفعا فقط، وكانت معنوياتهم مرتفعة جدا، بسبب الإنتصارات الساحقة التي حققها السعديون على الجيوش البرتغالية في العديد من المواقع الفاصلة، وخاصة في واقعة تحرير آسفي وأزمور وغيرهما⁽⁴⁾.

هذا وللإشارة أننا لن ندخل في سياق أحداث المعركة بكل تفاصيلها لأنها لا تخدم الموضوع قيد الدراسة بشكل كبير، ولكن سوف نعطي تصورا حول الأحداث، فخلاصة تلك المعركة أنه دخل

(1) - موسى المودن، المرجع السابق، ص48.

(2) - شوقي أبو خليل، المرجع السابق، صص63-65.

(3) - على محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية...، المرجع السابق، ص263.

(4) - موسى المودن، المرجع السابق، ص51.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

ثلاثة ملوك في صراع، وهم: عبد الملك، والمتوكل، ودون سيبستيان، من أجل الظفر بحكم المغرب الأقصى. وسوف تتلاحق الأحداث وتتصاعد لتتفجر في حرب طاحنة عرفت بمعركة وادي المخازن 1578م، والتي نتج عنها في الأخير مصرع الملوك الثلاث، ولذلك عرفت بمعركة الملوك الثلاث⁽¹⁾، وانتهت المعركة بانتصار ساحق للسعديين على حساب البرتغاليين.

4- نتائج معركة:

كان من أهم نتائج معركة وادي المخازن 1578م، ظهور خليفة سعدي جديد، إعتبر من أعظم ملوك الدولة السعدية، حيث قاد الدولة نحو القوة والإستقرار، وشهد عصره توسعا للدولة ونموا في علاقاتها مع القوى الخارجية الأوروبية والإسلامية⁽²⁾، حيث تولى عرش مراكش⁽³⁾ مباشرة بعد وفاة عبد الملك، وتلقب بالمنصور تيمنا له بالنصر في تلك المعركة. ويعتبر أحمد المنصور رابطة عقد الدولة السعدية، فقد ظل متربعا على عرش البلاد مايزيد عن ربع قرن (سنة وعشرين عاما) شهدت فيها البلاد مظاهر التقدم والتطور⁽⁴⁾.

ومن المكاسب التي حققتها المعركة للسعديين هو زيادة تسليح الجيش السعدي، بما غنمه من أسلحة العدو، كما تدفقت النقود الذهبية والفضية على الخزينة السعدية، مقابل فك أسرى المعركة، بالإضافة إلى أن معركة وادي المخازن أعطت للدولة السعدية سمعة طيبة في العالم الإسلامي، وهيبة في العالم المسيحي الأوروبي، كما أنه بمجرد مبايعة المنصور حاكما على المغرب الأقصى توافدت عليه سفارات التهئة بالنصر، وسفارات كسب الود والصدقة وحسن الجوار.

إن أهم ما يمكن أن نرصد من نتائج معركة وادي المخازن هو تشبث إسبانيا بمراكز إحتلالها على الساحل الشمالي للمغرب الأقصى، بل أخضعت مراكز الإحتلال البرتغالي، سبتة وطنجة وأصيلا⁽⁵⁾، للسيطرة العسكرية الإسبانية، كما فرضت إسبانيا على المنصور، بأن يسلمها ميناء العرائش نظرا لأهميته، وكأن إسبانيا بهذا التصرف أرادت أن تقلل من قيمة الإنتصار الذي حققه السعديون على البرتغال.

(1)-Mercedes garcia –Arenal , op.cit, p7.

(2) -عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص191.

(3) - Nabil Matar, Europe Through Arab Eyes 1578-1727, (New York: Columbia University press, 1893), p04.

(4) -عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص191.

(5) - هي مدينة صغيرة من مدن الشمال على الشاطئ الأطلنطي بين طنجة والعرائش، يرجع تاريخ تأسيسها إلى العصر القرطاجني. إحتلها البرتغال سنة 876م، ثم سقطت في يد الإسبان إلى أن حررها المولى إسماعيل سنة 1103هـ، ولا زالت بها عدة آثار إسلامية من عهد السعديين والعلويين. للمزيد ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص57.

وتجدر الإشارة أنه من أهم نتائج معركة وادي المخازن على البرتغال أنها فقدت إستقلالها ومستعمراتها، إذ أثرت الخسارة التي تكبدها البرتغال من نظيره المغربي ونظرا للضعف الذي أظهره البرتغال بعد المعركة، وعدم وجود وريث للعرش قامت إسبانيا بإحتلالها⁽¹⁾.

ج-: مبايعته وخلافته بالسلطة:

تعتبر معركة وادي المخازن، بداية عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، نظرا لموت أخيه عبد الملك، سلطان المغرب الأقصى خلال تلك المرحلة، وبذلك بُيع خلفا لأخيه واتخذ لقب المنصور، تخليدا لهذا الإنتصار العظيم⁽²⁾، فقد بويغ سنة (986هـ/1578م) إثر الإنتصار الكبير الذي حققه الجيش السعدي بقيادته، وقيادة أخيه السلطان عبد الملك على النصارى الذين ساندوا المتوكل على الله في معركة وادي المخازن، أو معركة الملوك الثلاث كما هو معروف، وبموت عبد الملك بويغ السلطان أحمد المنصور ملكا للمغرب الأقصى⁽³⁾، "وقد إجتمع على البيعة من حضر هناك من أهل الحل والعقد. ثم لما قفل المنصور من غزوته تلك، ودخل حاضرة فاس يوم الخميس العاشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة جُددت له البيعة بها، ووافق عليها من لم يحضرها يوم وادي المخازن، ثم بعث إلى مراكش وغيرها من حواضر المغرب الأقصى وبواديه، فأذعن الكل للطاعة، وسارعوا إلى الدخول فيما دخلت فيه الجماعة"⁽⁴⁾.

ثم بادر بإستغلال النصر الذي حققه السعديون على البرتغال في معركة وادي المخازن 1578م بإرسال رسائل تبشيرية⁽⁵⁾، حيث أرسل أحمد المنصور تقريراً في الوقت نفسه إلى جميع الدول المجاورة من الممالك الإسلامية يبلغهم بهزيمته للبرتغاليين، بإعتبار أنه إنتصار العالم الإسلامي على العالم المسيحي⁽⁶⁾. وقد توالى عليه وفود التهئة من الدولة العثمانية، والجزائر وقشتالة⁽⁷⁾ وفرنسا، وحتى البرتغال محملة بالهدايا والتحف الثمينة، إستعرضت في حفل شعبي بفاس⁽⁸⁾.

(1) - إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص 47-49.

(2) - محمد أمراني علوي، الدولة السعدية وسياسة التوحيد في عهد أحمد المنصور الذهبي، ط.1، (الرشيدية: مطبعة أركوبرانت - المعهد المغربي للدراسات والتواصل الثقافي الرشيدية، 2017م)، ص 17.

(3) - المربيني نجات، المرجع السابق، ص 75.

(4) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 91.

(5) - عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب القديم والعصر الوسيط، [د.ط.]، (الدار البيضاء: مكتبة السلام، الرباط: مكتبة المعارف، [د.س.]، ص 174.

(6) - Mercedes Garcia- Arenal , op.cit , p75.

(7) - هي مملكة قديمة بشمال ووسط اسبانيا، تنقسم تقليديا إلى منطقتين: قشتالة القديمة في الشمال، حيث مدن برجوس وسانتاندر وسجوفيا، وقشتالة الجديدة في الجنوب حيث مدن مدريد وطليلة وكونسا. ينظر: حسين محمد نصار وآخرون، المرجع السابق، ص 2560.

(8) - عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص 174.

د-: وفاته:

توفي السلطان أحمد المنصور الذهبي، في شهر ربيع الثاني سنة (1012هـ/1603م)، وقد دفن أولاً بفاس ثم نقل جثمانه إلى مراكش بوصية منه لابنه⁽¹⁾ زيدان⁽²⁾. لكن تضاربت الروايات في سبب وفاته؛ فقد أورد الأفراني روايتين عن وفاته:

الرواية الأولى يذكر فيها الأفراني أنها كانت بسبب إنتشار الوباء الذي إستمر يحصد في أرواح المغاربة حتى عمّ جميع أرجاء المغرب الأقصى، خلال الفترة (1007-1016هـ/1598-1607م). ومن جراء إنتشار ذلك الوباء أصيب به العديد من سكان المغرب الأقصى، ومن بينهم السلطان أبو العباس أحمد المنصور، فمرض به وألزمه الفراش إلى أن توفي بسبب الوباء.

أما الرواية الثانية فإنه توفي بسبب تسمم؛ إذ أن ابنه زيدان سمّمه، بإشارة من أمه الشبانية، في باكرة وقطع عنه الأطباء إلى أن هلك، وأن أحمد المنصور لما أحس بذلك قال له: "لما استعجلتها يا زيدان، لاهناك الله فيها"⁽³⁾. وسبب توصية عائشة بنت أبي بكر الشبانية ولدها زيدان بتسميم والده أبو العباس حسب ما ذكره المؤرخ إبراهيم حركات، أنه أوصى أن يكون ولده أبو فارس خلفاً له، وكان يقيم بمراكش. وأن المنصور توفي بينما كان متوجهاً من فاس إلى مراكش وأنه لم يتم الإعلان عن وفاته إلا بعد دخول جوذر⁽⁴⁾ إلى مراكش.⁽⁵⁾

تجدد الإشارة أن الأفراني أثناء عرضه مسألة خبر وفاة أحمد المنصور وذكره للروايتين في سبب موت السلطان، فقد رجح الرواية الأولى عن الرواية الثانية، وذكر أن سبب الوفاة هو الوباء الذي فتك بالعديد من سكان المغرب الأقصى، ومن بينهم السلطان أبو العباس أحمد المنصور، وأن الرواية الثانية تعد محض إشاعة تم الترويج لها من طرف العامة، وموطن الشاهد في ذلك ما أكده الأفراني حيث قال: "... وهو كذب محض. لأن المنصور طعن بالوباء، ولم يذكر أحد ممن يوثق به في ذلك، بل إنما شاع ذلك على السنة العامة..."⁽⁶⁾.

(1) - إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع...، المرجع السابق، ص 87.

(2) - هو الابن الأصغر للسلطان أحمد المنصور، بويغ في فاس يوم 16 من شهر (1012هـ/1603م) وقعت بينه وبين منافسه المولى فارس معركة قرب نهر أم الربيع، انهزم فيها المولى زيدان، وبويغ المولى الشيخ مكانه بفاس، توفي سنة (1307هـ/1627م). ينظر: البارون دي كولاصو-ماكمارا، الملوك المغربية، تر: عثمان المنصوري، ط.1، (الرباط: مطابع الرباط نت، 2016م)، ص 44.

(3) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص 279-280.

(4) - هو قائد عسكري من المغرب الأقصى، ولد بإسبانيا والتحق بالخدمة العسكرية في عهد السلطان المنصور الذهبي، ساهم في غزو إمبراطورية صنغاي. ينظر: محمود كعت، تاريخ الفتاش: في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس وتكلمته تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، تقديم: حماد الله ولد

السالم، ط.1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1971م)، ص 194.

(5) - إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع...، المرجع السابق، ص 87.

(6) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص 280.

ثانياً: سياسته الداخلية:

- دوره في القضاء على الثورات والتمردات الداخلية:

واجه أحمد المنصور خلال فترة حكمه العديد من التمردات والثورات، والتي كانت في مجملها من أفراد الأسرة الحاكمة، وما يمكن ملاحظته من تلك الثورات هو تدخل الدول الأجنبية في تغذيتها، هذا بالإضافة إلى أن تلك الثورات كادت أن تعصف بالدولة السعدية كما سنشاهد أثناء عرضنا لها، إلا أنّ ما يمكن قوله أن أحمد المنصور قد تمكن من إحتوائها والقضاء عليها وإسترجاع الأمن لدولته. ومن تلك الثورات نذكر:

أ- القضاء على ثورة داود بن عبد المؤمن⁽¹⁾ (987-988هـ/1579-1581م):

تعتبر ثورة الأمير السعدي أبي سليمان داود بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ، فاتحة الثورات التي قامت في عهد أحمد المنصور، حيث إندلعت في أوائل العام الثاني من حكمه، وقد شكلت تلك الثورة، بؤرة خطيرة على عرشه⁽²⁾، لملايساتها الداخلية والخارجية. فبالنسبة للملايسات الداخلية، كان قيامها وإستمرارها مدة سنة تقريباً، دليلاً على ضعف جهاز الدولة في السيطرة على أنحاء البلاد، وكذا إختيار الثورة منطقة سوس بجنوب المغرب الأقصى كمهد له، شوه الأساس الذي قامت عليه الدعوة والدولة السعدية. لأن قبائل سوس هي التي⁽³⁾ دعمت دعوة السعديين، وهي التي أرسلت دعائم حكمهم. لذلك فإن ثورة القبائل، على الحاكم السعدي الشرعي، تعتبر نكسة لتلك الإعتبارات، من جهة أخرى دلّت ثورة داود بن عبد المؤمن على أن أحوال المغرب الأقصى لم تكن مستقرة عندما تسلّم أحمد المنصور الحكم، فالواقع أن بلاد السوس، كانت مسرحاً لحروب أهلية دامية، أثناء صراع المتوكل والمعتمصم على السلطة، إذ إنحازت إلى جانب المتوكل، وحرّبت في صفوفه بأبنائها وإمكانياتها ضد المعتمصم، وجيشه الذي كان يقوده المولى أحمد المنصور قبل وصوله إلى العرش.

وهكذا لعبت بلاد السوس دوراً خطيراً، في إنكفاء الصراع على العرش السعدي. مرة أيام الأعرج وأخيه محمد الشيخ، ومرة أيام المتوكل وعمه عبد الملك وهذه المرة كانت بين المنصور وإبن أخيه داود. أما عن الملايسات الخارجية لثورة الأمير السعدي داود، فالمعروف أنه من مواليد

(1) - هو إبن أخ المنصور، شارك في معركة وادي المخازن بجانب عمه، وبعد المعركة عينه أحمد المنصور الذهبي عاملاً بمكناس لمدة قصيرة ثم عزله مما جعله يثور ضد عمه بالسوس عام (987هـ/1579م)، بمساعدة قائد أندلسي، لكن المنصور قضى عليه وأخمد ثورته. ينظر: أبو العباس خالد الناصري، المصدر السابق، ص 94. ينظر أيضاً: محمد ابن عزوز حكيم، "داود بن عبد المؤمن"، *معلّمة المغرب*، ج.12، [د.ط.]، (الرباط: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا، 1410هـ/1989م)، ص 3947.

(2) - إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص 78.

(3) - المرجع نفسه، ص 78.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

مدينة تلمسان في بلاد الجزائر⁽¹⁾، وأمه من العثمانيين، ووالده الأمير عبد المؤمن، هرب من المغرب الأقصى إلى الجزائر، في أوائل عهد أخيه المولى عبد الله الغالب، وأقام في تلمسان لذلك كان داود على صلة وثيقة بالعثمانيين، وهو ما أفرغ أحمد المنصور، إذ إشتدت مخاوفه من التدخل العثماني في المغرب الأقصى، خاصة وأن العثمانيين كانوا قد إتصلوا سرا بـداود في مراكش، وشجعوه على الثورة ضد عمه.

كما بعث الوالي العثماني بالجزائر رمضان باشا⁽²⁾، إلى الأمير داود، يؤكد إستعداده لمد يد المساعدة العسكرية له. وأن تصرفات أحمد المنصور معه جعلته يفقد الأمل ويشك في نواياه إتجاهه بحيث أنه عينه كحاكم لمدينة مكناس، ثم عزله من المنصب، بل وأجبره على الإقامة بمراكش. علاوة على تعيين أحمد المنصور إبنه المأمون⁽³⁾ وليا للعهد، مما أفقده كل الأمل للوصول إلى السلطة، فهرب نحو السوس، وأعلن الثورة ضد عمه⁽⁴⁾. وقد إستجابت قبائل السوس لدعوته للثورة، وإتفقت على طاعته وحمائته، ثم إمتدت ثورته إلى بلاد درعة. ونظرا لخطورتها فقد خرج أحمد المنصور بجيشه نحو بلاد السوس، كما أرسل ثلاث حملات عسكرية، دخلت في حروب متتالية مع داود وأتباعه، حتى تمكنت من هزيمتهم⁽⁵⁾، مما جعل داود ينسحب إلى الصحراء، ملتجئا عند قبائل بني معقل⁽⁶⁾، ولكنه لم يلبث أن توفي هناك سنة (988هـ/1581م)⁽⁷⁾.

(1) - إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص79.

(2) - يعود أصله من جزيرة سردانية وقع أسيرا بيد تاجر عثماني فهذب وعلمه، ونظرا لذكائه وخصاله الحميدة ترقى في المناصب الإدارية إلى أن ولي رئاسة حكومة الجزائر سنة (981هـ/1574م). شهدت فترة حكمه ازدهارا واستقرارا، كما عُرف بشدته وقوته، لم تطل فترته حتى تم نقله إلى ولاية تونس سنة (985هـ/1577م)، ومن مآثره بالعاصمة بقايا الحصن الموجود بالقرب من جامع سيدي رمضان سنة (984هـ/1576م). للمزيد ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج.3، [د.ط.]، (الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2014م)، ص100.

(3) - هو محمد الشيخ المدعو بالمأمون بن أحمد المنصور بن محمد الشيخ ابن محمد القائم بأمر الله السعدي، ولي العهد زمن والده على مدينة فاس، ثار ضد والده السلطان المنصور. ينظر: العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ج.5، ط.2، (الرباط: المطبعة الملكية، 1413هـ / 1993م)، ص ص 223-248.

(4) - إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص80.

(5) - المرجع نفسه، ص81.

(6) - هم قبيلة من بني معقل، كانوا جندا للدولة السعدية، وكان سلاطينها يستفرونهم للغزو لاعتيادهم ذلك كونهم بالصحراء، ثم أنزلوهم ببسيط أزغار مراغمة لعرب جشم من الخلط وسفيان وغيرهم. ينظر: أبو العباس أحمد خالد الناصري، لاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج.7، ط.1، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1418هـ/1997م)، ص50.

(7) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، المرجع السابق، ج.2، ص263.

ب- القضاء على ثورة بن قرقوش (996هـ/1589م):

كان ابن قرقوش رجلا من عامة الشعب، يعمل حائكا خياطا في مدينة مكناس. ومنها خرج في ثوب المتصوف الزاهد، إلى جبال غمارة⁽¹⁾، بأقصى شمال المغرب الأقصى. حيث أعلن من هناك ثورته ضد أحمد المنصور، وهو في أزهى وأقوى فترة من فترات حكمه. وادعى ابن قرقوش المهدي⁽²⁾، وأنه من أبناء المولى عبد الله الغالب، وتسمى بأمر المؤمنين، وقد إنتشرت ثورته بسرعة مذهلة، حتى عمت أقصى شمال المغرب الأقصى.

لاشك أن ابن قرقوش كان على قدر كبير من العلم والثقافة الدينية، ويظهر أنه كان خطيبا مؤثرا بارعا، عرف كيف يستهوي أفئدة ومشاعر الناس. فتآزروا معه دون تحفظ وناصروا ثورته بشكل يدعو إلى الإعجاب⁽³⁾. حتى أننا نجد الفشتالي: وزير أحمد المنصور والمؤرخ الرسمي للدولة يقول في مصنفه: ... فانثالت عليه غوغاؤهم من كل فج عميق، وطافوا به، وانفعلوا لزيفه فركبوا سنن الخلف ولبسوا جلدة النفاق وتفاقم بذلك أمر الدعي فلبس شارة الملك وتسمى في كتبه بأمر المؤمنين ..."⁽⁴⁾.

وبعدما ذاع صيته وأصبح يشكل خطرا على الدولة خاصة مع تأييد العديد من الناس لثورته، خرج من مدينة فاس، بأمر من السلطان أحمد المنصور، جيش أعد إعدادا تاما، بأحدث الأسلحة في ذلك العصر، تعداده ستة آلاف محارب، بقيادة القائد محمد ابن إبراهيم بن بجة، بهدف القضاء على الثورة. فقابله ابن قرقوش وأنصاره بشدة، إلا أن الحرب دارت أخيرا على الثوار، وهرب ابن قرقوش وبعد إنهزامه أمام قوات المنصور فر إلى إحدى المراكز الإسبانية القريبة منه⁽⁵⁾، ولكن سرعان ما تم القبض عليه وقتله سنة (996هـ/1588م)⁽⁶⁾. وقد إنتقم جيش أحمد المنصور من

(1) - هي مجموعة من قبائل تحتل مناطق شاسعة بالريف وبشاطى البحر المتوسط، من بينها قبائل بني زيات وبني سميح وبني رزين منصور.. الخ. وقد عرفت المنطقة بتجدد الزعامات والطموح السياسي فيها من الفينة إلى الأخرى. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 205. ينظر: إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع...، المرجع السابق، ص 86.

(2) - المهدي اسم مفعول من هدى وهديت القوم الطريق أهديهم هداية، فأنا هاد، وهم مهديون أي عرفتهم إياه ودللتهم عليه، ويستعمل في الذي قد هداه الله إلى الحق، وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة، وبه سمى المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم أنه يجيء في آخر الزمان، وقد وردت في حق المهدي المنتظر العديد من الأحاديث. وخلاصة ما ورد من أحاديث في المهدي وصفه وظروف خروجه، ومهمته، ومدة مكوثه، ونظرا لمكانة هاته الشخصية في نفوس المسلمين فقد ظهر العديد من مدعي النبوة عبر مر التاريخ الإسلامي. وعادة ما كانت ترتبط فكرة المهودية بإقامة الدول والكيانات وقلب بعض الأنظمة القائمة. للمزيد حول الموضوع ينظر: سيد أحمد مهدي، "دعوى المهودية: العوامل والآثار"، مجلة أنثروبولوجية الأديان، تلمسان- الجزائر، مج. 13، ع. 1، 2017م، ص ص 105، 119.

(3) - إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص 82.

(4) - أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص ص 93-94.

(5) - ابن القاضي، المنتقى المقصور...، المصدر السابق، ج. 1، ص 183.

(6) - إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع...، المرجع السابق، ص 86.

الفصل الأول:: الدولة السعودية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

صهر ابن قرقوش الذي كان قد بقي على ثورته، فأباد عشيرته عن آخرها، وهدم ديارها، لتكون ردعا وعبرة لسواها⁽¹⁾.

بعد القضاء على ثورة ابن قرقوش شنت القوات المحاربة حملات متواصلة ضد قبائل جبال غمارة، وكل جبال الريف، أي أن أحمد المنصور وطّد دعائم سلطانه على كل الشمال المغربي، حيث تواجد قواعد الإحتلال الإسباني⁽²⁾.

ج- القضاء على ثورة الناصر بن عبد الله الغالب (1003-1004هـ/1595-1596م):

تعتبر ثورة الناصر⁽³⁾ من أخطر الثورات التي واجهها أحمد المنصور طيلة فترة حكمه نظرا للدعم الكبير الذي حظى به الناصر من طرف الإسبان⁽⁴⁾، وكان قد إلتجأ الأمير السعودي إلى البرتغال منذ وقعت معركة وادي المخازن (986هـ/1578م). وعندما ضمت إسبانيا البرتغال إليها، كان الناصر في لشبونة⁽⁵⁾، وقد وجّه رسالة إلى فيليب الثاني⁽⁶⁾، يطلب فيها مساعدته على إسترجاع حكم أبيه في المغرب الأقصى، لكن ملك إسبانيا لم يرحب بطلبه⁽⁷⁾، بسبب مشاغله الداخلية والخارجية، وكذلك نظرا للعلاقات الودية التي كانت له مع أحمد المنصور⁽⁸⁾، إلا أن هذا الأخير وقف إلى جانب إنجلترا، ووعدهم بمساعدة دون أنطونيو⁽⁹⁾ المطالب بعرش البرتغال، مما جعل موقف فيليب الثاني يتغير إتجاه أحمد المنصور⁽¹⁰⁾.

(1) - إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص 83.

(2) - ابن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص 183.

(3) - هو أمير سعودي قاد الجيش في عدة معارك في عهد أبيه السلطان عبد الله الغالب، فيعد أن كان خليفة لأبيه بناحية تادالا عزل من طرف أخيه المتوكل الذي أمر بسجنه مدة من الزمن. ينظر: محمد ابن عزوز حكيم، "الناصر ابن عبد الله الغالب"، معلمة المغرب، ج.22، [د.ط.]، (المغرب: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا، 1426-2005م)، ص ص 7376-7377.

(4) - ابن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص 183.

(5) - مدينة غرب البرتغال وعاصمتها، احتلت مكانة تجارية كبيرة منذ القديم، إذ كان يتاجر السكان الأوائل فيها مع البحارة الفينيقيين والقرطاجيين، وتراجعت أهميتها منذ أن فتحها العرب في 1147م. بها بعض مباني العصور الوسطى، رغم أن مبانيها القديمة حطمتها الزلازل وخاصة زلزال 1755م. للمزيد ينظر: حسين محمد نصار وآخرون، المرجع السابق، ص 2862.

(6) - يعد من أعظم ملوك إسبانيا في القرن السادس عشر، ولد سنة 1527م في بلد الوليد، وفي سنة 1528م تولى حكم إسبانيا، كان أول عمل قام به بعد اعتلائه عرش إسبانيا تكوين جمعية دينية لدراسة قضية الموريسكيين سنة 1565م. توفي سنة 1598م. للمزيد ينظر: محمد عبده حنامله، التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني 1527-1598م، ط.1، (عمان: الجامعة الأردنية، 1403هـ/1982م)، ص ص 11-19، ينظر أيضا: محمد قشتيليو، محنة الموريسكوس في إسبانيا، ط.2، (تطوان: مطابع الشويخ، 1999م)، ص ص 35-40.

(7) - إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص ص 85-86.

(8) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 191.

(9) - هو ابن لدون لويز (D.luiz)، الابن الثاني للملك ايمانيل الأول (Emannel) ملك البرتغال، وقد تم أسره في معركة وادي المخازن لكنه أفتدي بعدها ووصل إلى البرتغال بعد وفاة الكاردينال هنري (Henry) الذي حكم البرتغال بعد مقتل الملك سيباستيان. ينظر: عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج.8، [د.ط.]، (المحمدية: مطبعة فضاله، 1408هـ/1988م)، ص 194.

(10) - إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص ص 85-86.

الفصل الأول:: الدولة السعودية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

وبذلك أقدم ملك إسبانيا على مساعدة الأمير من أجل الثورة ضد عمه⁽¹⁾ وهكذا فقد أبحر الناصر من مالقة⁽²⁾ يوم 7 ماي 1595م ومعه قوة جرارة معظمها من الموريسكيين⁽³⁾ الذين كانوا يقاسون سوء العذاب بإسبانيا للتعصب الديني، والذين وجدوا في المشاركة في هذه الثورة فرصة للفرار من جحيم الإضطهاد، كما وجد فليب الثاني بالمقابل في ذلك وسيلة للتخلص منهم، ونزل الجميع بمدينة مليلية⁽⁴⁾، إحدى قواعد الإحتلال الإسباني بشمال المغرب الأقصى في 17 شعبان 1003هـ الموافق 9 ماي 1595م، وأعلن منها الثورة ضد عمه أحمد المنصور⁽⁵⁾. ومما زاد من خطورة ثورة الناصر هو إستجابة أعداد كبيرة من قبائل المغرب الأقصى الشرقي⁽⁶⁾، حيث تجمع للناصر من مجموع ذلك قوات جرارة⁽⁷⁾ لا تحصى. فخرج من مليلية قاصدا تازة⁽⁸⁾. وما يؤكد ما ذهبنا إليه، ما وصفه الفشتالي في كتابه حيث قال: "... ثم لحق به سائر الأحلاف فالتفوا به وأعلنوا بدعوته وخرجوا به إلى أحيائهم ففشا أمره بتلك الناحية من أهل الجبال،... فطاروا إليه من كل أوب وصوب، وتسايلوا نحوه من كل فج عميق، فالتف به منهم جموع لاتحصى..."⁽⁹⁾ وهنا لابد من طرح سؤال حول سبب كل هذا التأييد من القبائل لهذه الثورة؟.

للإجابة على هذا السؤال لابد من معرفة الأسباب الحقيقية وراء كل هذا التأييد؛ فحسب رأي المؤرخ إبراهيم علي حسن بسبب معاناة قبائل شمال المغرب الأقصى عامة من صرامة أحمد المنصور، منذ بداية توليه الحكم وإلى بعد ثورة الأمير السعودي دواد بن عبد المؤمن، كما أشار الباحث إلى كثرة الضرائب المختلفة التي فرضها أحمد المنصور على تلك القبائل، والتي أرهقت كاهل الرعية، وأرغمهم بشتى الوسائل على تأديتها، مما أفقدهم محبتهم، وثقتهم في السلطان⁽¹⁰⁾،

(1)- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص191.

(2) - هي مدينة بالأندلس على شاطئ البحر المتوسط، بنيت قبل دخول المسلمين. ينظر: عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: لافي بروقنصال، ط.2، (بيروت: دار الجيل، 1408هـ/1988م)، ص ص 177-179.

(3)- هو مصطلح إسباني يتكون من كلمة " مورو "، والتي إتصلت بكلمة Morisco باللاتينية، وتعني سكان شمال إفريقيا، ثم تحولت لفظة موريسكي إلى معنى المسلمين الذين بقوا في إسبانيا تحت الحكم المسيحي بعد سقوط الممالك الإسلامية، وأجبروا على إعتناق المسيحية. للمزيد ينظر: مولاي أحمد الكامون، هاشم السقلي، التأثير الموريسكي في المغرب، ط.1، (وجدة: مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2010م)، ص10.

(4)- هي مدينة قديمة أسسها الأفاقة في داخل الخليج، وكانوا يسمونها كرت، تقع مليلية في سهل، ويشرف عليها جبل من جهة الغرب، جعل منها الرومان مدينة شهيرة، ثم استولى عليها القوط إلى أن جاء العرب، وبقيت تحت حكمهم إلى أن احتلها الإسبان وبقيت إلى يومنا هذا تحت حكمهم. ينظر: مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص ص 258-259.

(5)- إبن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص183.

(6)- إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص90.

(7)- إبن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص184.

(8)- محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص177.

(9)- أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص171.

(10)- إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص89.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

في حين يرى ابن القاضي أن سبب الإستجابة لدعوة الناصر راجع إلى الأموال الطائلة التي وزعها الناصر على رؤساء القبائل، علاوة على الوعود و الأمانى التي منّاهم بها بعد تحقيق الفوز على أحمد المنصور⁽¹⁾.

وحسب رأيي من المسألة، فإنني أرجح رأي المؤرخ إبراهيم علي حسن فيما ذهب إليه، أن سبب تأييد القبائل راجع إلى قسوة وظلم أحمد المنصور لتلك القبائل، ولعلنا نجد من يدعم رأينا هذا ما ذهب إليه الناصري في كتابه حيث قال: "... لأن الناصر اهتز المغرب لقيامه وتشوشت النفوس إليه لميل القلوب عن المنصور لشدة وطأته واعتسافه للرعية."⁽²⁾.

بالإضافة إلى السبب والذي أراه مهما في لجوء أحمد المنصور إلى زيادة فرض الضرائب هو تعرض المغرب الأقصى بعد معركة وادي المخازن إلى كوارث طبيعية ما بين المجاعات والأوبئة، ولا شك أن ذلك أثر على مداخل الدولة، وبالتالي أثر في الإقتصاد السعدي، وكان لابد للمنصور من تعويض تلك الخسائر من خلال فرضه للضرائب بطرق مختلفة وبوسائل عديدة ومتنوعة، وهذا ما جعله يحكم البلاد بحزم ويقسوة على الرعية من أجل تعويض خسارة الإقتصاد السعدي، ولكن تسبب ذلك في إرهاب الرعية وسخطها منه.

وعندما شعر أحمد المنصور بخطورة ثورة الناصر أرسل له جيشا ضخما للقضاء عليه، غير أن الناصر هزمهم واستفحل أمره، وإستوثق له الأمر، فأمر أحمد المنصور ولي عهده⁽³⁾، ونائبه على فاس المولى محمد الشيخ المأمون بتوجيه حملات عسكرية ضد الناصر، إلا أنها منيت بالفشل والهزيمة، مما شجع الناصر على الزحف نحو مدينة فاس، التي خرج منها الأمير المأمون على رأس قوات عظيمة⁽⁴⁾، وحدثت معركة كبرى إتقى فيها الجيشان على مقربة من فاس قرب جبل مدغرة⁽⁵⁾ (أواخر ذي القعدة 1003هـ/ أوائل أوت 1595م)⁽⁶⁾، في معركة دامت ساعة ونصف⁽⁷⁾ إنهزم فيها الناصر⁽⁸⁾، فمازال ولي العهد يلاحقه إلى أن قبض عليه وصحبه، وسيق

(1) - ابن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص184.

(2) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص145.

(3) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص178.

(4) - ابن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص184.

(5) - ابن قومار جلول، " المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السعدي 986هـ-1012هـ/1578م-1603م"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات غرداية- الجزائر، ع.20، 2014م، ص176.

(6) - إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص91.

(7) - Henry de Castries, Les sources inédites L' Histoire du Maroc, première série-Dynastie saadienne, Archives et Bibliothèques de France, T.2, (paris : Ernest Leroux éditeur, 1909), p224.

(8) - إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص91.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

الجميع إلى فاس، وبذلك تم القضاء على ثورة الناصر التي دامت سنة كاملة من (1595-1596م)⁽¹⁾.

تجدر الإشارة إلى أن ثورة الناصر تعد من أخطر الثورات التي شهدتها الدولة السعدية زمن أحمد المنصور، وما يدل على ذلك -خطورة الثورة- أن أحمد المنصور قد أمر بإقامة مظاهر الفرح، وجلس لقبول التهاني، وكتب لجميع ولاته يعرفهم بالنصر والقضاء على ثورة الناصر، كما ترددت أصداً هذا النصر في الرسائل التي بعثها المنصور إلى حكام الحرمين الشريفين بمكة والمدينة المنورة، وإلى كبار علماء مصر، كما خلد الشعراء السعديون لهذه المناسبة قصائد شعرية غاية في الإبداع هنؤوا فيها السلطان أحمد المنصور الذهبي⁽²⁾.

د. القضاء على ثورة ولده المأمون (1010هـ/1601م).

لقد أخذ المنصور البيعة بولاية العهد لابنه المأمون وهو لم يبلغ الحلم بعد، وفي شوال سنة (922هـ/1584م) جدّدها وأخذها له على إخوته الذين كانوا في البيعة الأولى قبل البلوغ، فأراد أن يستوثق منهم بعد البلوغ حسماً للنزاع بينهم وتمت البيعة في تامسنا⁽³⁾ بحضور الأعيان وأهل الحل والعقد⁽⁴⁾.

وقد ظل محمد الشيخ الملقب بالمأمون كما تقدم ولي عهد أبيه أحمد المنصور، وكان خليفته على فاس وأعمالها سائر مدة أبيه، وكان للمنصور إعتناء تام به وإهتمام بشأنه حتى قيل أن المنصور كان لا يختم على صندوق من صناديق المال إلا قال: " جعل الله فتحه على يد الشيخ" رجاء أن يقوم بالأمر بعده⁽⁵⁾.

ولكن سرعان ما خبت ظنون المنصور في ولده وولي عهده المأمون الذي انتفض عليه، وسبّب له متاعب كثيرة في أواخر أيامه، فشقي به شقاء كبيراً⁽⁶⁾. فقد ساءت سيرته بين الرعية، نظراً لما كان عليه من فسق وخبث وإدمان على الخمر، غير مكترث بالصلاة، ولا برعيته وقد نقل لنا الأفراني جانب من صورة المأمون وشخصيته السيئة فقال: "...إلا أنه أساء السيرة وأضر

(1) - ابن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص 184 - 185.

(2) - إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص 93-94.

(3) - هي كلمة تطلق قديماً على الأراضي الواقعة بشاطئ المحيط من نهر أبي رقراق إلى أم الربيع، وكانت مركزاً لدولة برغواطة منذ القرن الثاني الهجري، حاربها الأدراسة والزنتيون والمرابطون، ولما سقطت في عهد الموحدين استقدموا إلى أراضيها أعراب بني هلال القادمين من المشرق، فاندمجوا مع السكان وأصبحت تعرف منذ الحين بالشاوية. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 97.

(4) - محمد بن معمر، " قضية العرائش بين المطامع السياسية وضغوط العلماء (1019هـ / 1610م) "، مجلة إنسانيات، الجزائر، ع. 19-20، ص. 2003م، ص 90.

(5) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 169.

(6) - محمد بن معمر، المرجع السابق، ص 90.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

بالرعية، فكان فويسقا خبيث الطوية مولعا بالعبث بالصبيان مدمنا للخمر سفاكا للدماء غير مكترث بأمور الدين من الصلاة وشرائطها ولما ظهر فسادُه وتبين للناس عواره نهاه القائد إبراهيم السفيناني⁽¹⁾ وزير أبيه عن سوء فعله، فلم ينته واستمر على قبحه...⁽²⁾.

ومما زاد من تأزم الوضع وكاد أن يقضى على الدولة هي الأوضاع المضطربة التي كانت تمر بها البلاد من جراء إنتشار مرض الطاعون، ومن مرض والده، فوجد المأمون في ذلك فرصة مناسبة للإستبداد بالسلطة ومحاولة الخروج عن والده⁽³⁾. ولما كثرت قبائحه وترددت شكايته لأبيه من سوء عمله، ولم يكثر لوالده، عزم أحمد المنصور على رده، فتوجه إلى فاس بقصد أن يمكر به ويؤدبه بما يكون رادعا له⁽⁴⁾، غير أن ولي العهد محمد الشيخ الملقب بالمأمون لما سمع بذلك جمع عساكره وهياً جنده ودفع الرواتب لأصحابه، وعزم أنه إذا بلغه خروج أبيه من مراكش فإنه سوف يتوجه إلى أصحابه في تلمسان ويستجير العثمانيين، فلما بلغ أحمد المنصور ما عزم عليه الشيخ تراجع عن فعله، وولاه سجالمة ودرعة وتخلي له عن خراجهما، وقال له: " قد سوغتك ولا اطالبك فيه " ومراد ذلك أن تسكن عزمته ويرجع عن فعله⁽⁵⁾ وحتى لا يستجير العثمانيين ويكف عن هذا التصرف، ثم فاجأه المنصور بتجهيز حملة من مراكش في أوائل جمادى الأولى سنة (1011هـ/1602م) وجرت مطاردة بين قوات المنصور وابنه المأمون، حتى حاصره، فما كان من المأمون إلى أن هرب من فاس والتجأ إلى زاوية أبي الشتاء ببلاد قشتالة، فبلغ الخبر المنصور فوجه له قوات لحقته إلى أن تم القبض على المأمون، وأودع السجن بمكناس، وبذلك قضى أحمد المنصور على ثوراته، ولم تمض إلا شهورا حتى مات المنصور بفاس، متأثرا بمرض الطاعون⁽⁶⁾.

هـ -تمرد العرب الخلط:

كان لتلك الثورات أيضا وزنها فيما يتعلق بخلق الإضطراب والتشويش على السلطة، لكنها على أي حال لم تصل إلى خطورة الثورات السابقة، حيث أن أحمد المنصور أسكن عرب الخلط⁽⁷⁾

(1)- أبو سالم ، فقيه ، قائد المنصور الذهبي من خواص مجالسه. ينظر: العباس بن إبراهيم السلامي، المصدر السابق، ج.1، ص181.

(2)- محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص268.

(3)- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص 219-220.

(4)- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص169.

(5)- محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص268.

(6)- إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص96. ينظر أيضا: محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص ص 269-270.

(7)- هم بنو المنتفق من بني عامر بن عقيل بن كعب، قبيلة عربية كانت من أتباع القرامطة بالبحرين، فلما ضعف أمر القرامطة رحل بنو المنتفق مع بنو سليم إلى إفريقية، ويعرف بنو المنتفق بإسم الخلط وحسب ما أورده حسن الوزان في كتابه فإنهم كانوا يسكنون منطقة سهل أزغار وحاليا هم يسكنون بالقرب =

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

في أزغار⁽¹⁾ الذين أكثروا الفساد بالمنطقة ولم يكتفوا بذلك فحسب، بل إنه كثر سلبهم ونهبهم خاصة إلى أولاد مطاع، وبذلك كثرت الشكاية منهم، حتى وصل تمردهم على المنصور عندما طلب فئة منهم لتكورارين⁽²⁾، فتصدى لهم وأجمع على الإنتقام. وكان ذلك خلال حركة السلطان أحمد المنصور في عام (989هـ/1582م)، فهرب العرب الخلط من سطوة أحمد المنصور⁽³⁾. إن أهم ما يمكن أن نسجله في تمرد العرب الخلط أن هذا التمرد لم يكن بهدف تغيير السلطة الحاكمة أو ذات بعد سياسي كباقي الثورات التي سبق وأن أشرنا إليها، وإنما كان التمرد يعتمد على السرقة والنهب، ولما كثرت تمرداتهم وإشتكى منهم عامة وخاصة أولاد مطاع الذين كانوا يقومون بنهبهم حتى وصل تمردهم للمنصور فعمل على إخماد ثورتهم والتخلص منهم.

من القصر الكبير، وقد كانت لهم فتن وحروب مع سلاطين الموحدين وبنو مرين. للمزيد ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص 40. ينظر أيضا: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص301. ينظر أيضا: عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج.1، ص 420.

(1) - تقع في مملكة فاس، تنتهي عند المحيط شمالا، ونهر أبي رقراق غربا، وبعض جبال غمارة شرقا، وبعضها عند زرهون وسفح جبل زلاغ، وتنتهي جنوبا بجوار نهر بونصر، وهذا الإقليم عبارة عن سهل أرضه جيدة، ولذلك سكنته أقوام كثيرة، وقامت فيه مدن وقصور. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص301.

(2) - تقع هذه المنطقة بصحراء نوميديا، وتبعد عنها بنحو أربعين فرسخا يسكن أهلها بخمسين قصرا متفرعة، ويأكثر من مائة مدشر وسط النخيل الفسيح. أهل تيكورارين أغنياء، ويتنقلون كثيرا إلى السودان من أجل التجارة التي تدر عليهم أرباحا طائلة. ينظر: مارمول كرخال، إفريقيا، تر: محمد حجي، وآخرون، ج.3، [د. ط]، (الرباط: دار المعرفة للنشر والتوزيع، 1988-1989م)، ص163.

(3) - ابن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص185. ينظر أيضا: عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 102.

ثالثاً: نظام الحكم في دولته وأهم الإصلاحات التي إستحدثتها.

أ- الجانب السياسي:

1- الخلافة:

على الرغم من إنحسار الخلافة الأموية عن قرطبة سنة (422هـ/1030م)، والخلافة الفاطمية عن مصر المهدية في النصف الثاني من القرن (4هـ/10م)، والخلافة الموحدية عن مراكش في النصف الثاني من القرن (7هـ/13م)، فإننا سوف نلاحظ إنقسام بلاد المغرب بعد سقوط دولة الموحدين إلى ثلاثة دويلات متناحرة فيما بينها الحفصية في تونس، والزيرية بالجزائر والمرينية بالمغرب الأقصى، وعلى إثر هذا الإنقسام الذي شهده المغرب الإسلامي فإن المرينيين لم يحملوا الخلافة، وإنما قد إنتهت إلى تونس في خلافتها الحفصية الموحدية⁽¹⁾.

فقد ميّز المشهد السياسي في العالم مع مطلع القرن السادس عشر ميلادي، تغير في موازين القوى بين الشرق والغرب، بينما عرف العالم العربي حالة من الضعف، والركود والفضي. وفي المشرق الإسلامي وصلت دولة المماليك إلى حالة من الضعف والإعياء الشديدين، مع تعاضم نفوذ الدولة العثمانية. أحست الدولة العثمانية بواجبها بضرورة الدفاع عن المناطق الإسلامية، بعد أن لمست عدم قدرة المماليك⁽²⁾ على مواجهة البرتغاليين، إثر هزيمتهم في معركة ديو البحرية⁽³⁾ عام 1509م⁽⁴⁾، مما أدى بالعثمانيين إلى الدخول في صراع مع الدولة المملوكية لضم أراضيها.

كان الحجاز قبل إلحاقه بالدولة العثمانية، تابعا لمصر، ويعيش على الأوقاف المصرية المحبوسة، على فقراء مكة والمدينة، وعلى الحرمين الشريفين، ولذا فإنه عندما سقطت دولة المماليك في يد العثمانيين، إنتقلت مسؤولية الدفاع عن الأراضي المقدسة الإسلامية إلى الدولة العثمانية⁽⁵⁾، وكذلك أن التوسع العثماني في الشرق الإسلامي، جعل شريف مكة أبو البركات

(1)- فهد بن محمد السويكت، " مواقف الأشراف السعوديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية"، مجلة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، مج.19، ع.1، س.2006م، ص.178. ينظر أيضا: إيناس كاظم حسين الموسوي، المرجع السابق، ص.42.

(2)- صنف من العبيد أصلهم من الأتراك والجراسية، والمغول إستقدمهم الأيوبيون للخدمة العسكرية، انشؤوا دولتهم على أنقاض الدولة الأيوبية سنة (651هـ - 1253م)، وهم ينقسمون إلى: المماليك البحرية، والمماليك البرجية. ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط.1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1416هـ - 1996م)، ص.408.

(3)- وقعت تلك المعركة سنة 1509م، حيث تعتبر من بين المعارك الفاصلة، التي قضت على التجارة الهندية، تركت أثارا جسيما على الأوضاع العامة، في بلاد الهند الإسلامية، وسواحلها، ومن أهم الآثار التي نجمت عن تلك معركة، هو استيلاء البرتغاليين على مدينة ديو. ينظر: ياسر عبد الجواد المشهداني، " النفوذ البرتغالي وأثره على الهند الإسلامية (904-920هـ / 1498-1514م)"، مجلة التربية والعلم، العراق، مج: 14، ع. 2، س.2007، ص.34.

(4)- عزة بنت عبد الرحيم بن محمد شاهين، خدمات الحج في الحجاز خلال العصر العثماني، ط.1، (مصر: دار القاهرة، 2006 م)، ص.28.

(5)- محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، [د.ط.]، (عمان: دار الأهلية للنشر والتوزيع، 1989 م)، ص.25.

الفصل الأول:: الدولة السعودية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

الثاني⁽¹⁾، يواكب هذه التطورات السياسية في هذه المنطقة، بإعتبار الحجاز منطقة تابعة للدولة المملوكية لذلك أعلن شريف مكة ولاءه للدولة العثمانية، بإرسال ابنه محمد أبي نمي⁽²⁾، إلى السلطان العثماني بالقاهرة لتقديم الطاعة⁽³⁾، وتسليم مفاتيح مكة والمدينة المنورة والآثار الشريفة⁽⁴⁾ المتواجدة بمكة⁽⁵⁾.

ولم يتوقف التوسع العثماني في المشرق، بل شمل حتى أراضي شمال إفريقيا بإستثناء أراضي المغرب الأقصى التي بقيت بين المد والجزر، وفي ظل تلك التطورات شهدت الخلافة الحفصية تفكك دولتهم ودخولها في إطار الخلافة العثمانية، وقد سبقتها في ذلك الدولة المملوكية- كما أشرنا سابقا-. بعد أن رأت في الخلافة الإسلامية بصرف النظر عن أحقيتهم في التلقب بلقب الخلافة، وخاصة بعد أن إمتلكوا إمبراطورية إسلامية كبرى، ولم يعد غير سلاطينهم من يحمل لقب الخليفة وهو اللقب الذي حملوه قبل القرن السادس عشر ميلادي كلقب إداري أو شرفي غير أنه صار إبتداء من القرن 16م يعني لقبا سياسيا ودينيا⁽⁶⁾.

أما في المغرب الأقصى فبعد زوال الحكم المريني إعترف الوطاسيون الذين تولوا زمام الحكم بفاس حوالي (869هـ / 1463م) بالخلافة العثمانية أواسط القرن (10هـ / 16م)، غير أن هذه التبعية الرمزية لم تمس بشيء سيادة المغرب الأقصى الداخلية أو الخارجية⁽⁷⁾، غير أنه في العهد السعودي سوف تعرف مسألة الخلافة تطورا. ففي بداية الحكم السعودي لم يبادر القائم بأمر الله إلى إتخاذ ألقاب الخلافة بوصفه مؤسسا للدولة التي تنتمي إلى الأشراف، بل إكتفى بلقب الأمير بعد

(1) - هو بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن زين الدين، ولد عام 861هـ، دخل القاهرة في عام 878هـ، ومعه قاضي مكة فأكرمه السلطان وأشركه مع أبيه. ينظر: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج.3، [د.ط.]، (بيروت: دار الجيل، 1412هـ-1992م)، ص 14.

(2) - تولى إمارة مكة بعد وفاة والده، وقد انحصرت إمارة مكة في نسله، وامتاز أبو نمي بحزمه وصرامته في الحكم. فهابته الأعراب والأهالي واحترمه الحجاج والمجاورون، وقدر منزلته أصحاب السلطان من العثمانيين، وقضى بحزمه على أصحاب الفتن وساعد على رخاء الأسعار. ينظر: أحمد السباعي، **تاريخ مكة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران**، ج.2، [د.ط.]، (الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 1419هـ - 1999م)، ص 395، 396.

(3) - محمد شاكر، **التاريخ الإسلامي: عصر العثماني**، ج. 8، ط.4، (بيروت: المكتب الإسلامي، 2000م)، ص ص 242-243.

(4) - لقد حمل سليم تلك الهدية معه إلى إستانبول، حيث حفظت في خزانة قصر قباي، وأطلق عليها "أمانات مقدسة"، وكانت هذه الآثار تضم برديته، وسجادة صلاة، والبيرق النبوي -أي العلم النبوي- وقوسا وسهما، ونسختين من القرآن الكريم، ومفاتيح مكة. ينظر: محمود محمد الحويري، **تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى**، ط.1، (مصر: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2002م)، ص 223.

(5) - إبراهيم بك حليم، **التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العلية**، ط.1، [د.م.ن.]: مطبعة ديوان عموم الأوقاف، 1363هـ - 1905م)، ص 84.

(6) - فهد بن محمد السويكت، المرجع السابق، ص ص 179-180.

(7) - المرجع نفسه، ص 181.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

إحتلاله مراكز ودرعة، غير أن أول من لقب بالخليفة هو محمد المهدي الشيخ، ثم سار على ذلك خلفاؤه⁽¹⁾.

وبذلك فما يمكن قوله أنه ببداية العهد السعدي بدأت سياسة سعدية جديدة ترفض فكرة الخضوع للخلافة العثمانية، من منطلق أنهم من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبمجرد أن إستولى محمد المهدي الشيخ على مراكز إتخذ على الفور لقب الخلافة، كما فعل سلفه يعقوب المنصور⁽²⁾ المريني⁽³⁾، في حين أن العثمانيين كانوا يرونهم أقل من ذلك، إذ كانوا يرون فيهم مساعدين لهم في مسألة الجهاد، وأنهم مجرد شيوخ عرب، إذ أرسل السلطان سليمان القانوني⁽⁴⁾ رسالة إلى محمد الشيخ، بحيث أن ديباجة السلطان سليمان ومضمون الخطاب أزعج المهدي إزعاجا كبيرا خاصة مناداته بشيخ العرب، وبصيغة الأمر الموجهة إليه⁽⁵⁾، وهذا ما يؤكد أن السلطان سليمان القانوني لم يكن يشك البتة أنه أحق بخلافة المسلمين، لذلك إكتفى بمناداته بمجرد ذكر إسمه، في حين أن محمد الشيخ كان يطعن في إستحقاق ملوك العثمانيين للخلافة، ويرى في مطالبته بذكر إسمهم مساسا بسيادته، وخيانة لدولته التي بايعته على السمع والطاعة كأمر للمؤمنين، وإن خضوع عدد من الأقطار الإسلامية للحكم العثماني في نظر محمد الشيخ هو بسبب التسلط والقهر⁽⁶⁾.

لكن بقدوم السلطان أحمد المنصور ظهرت فكرة الخلافة مرة ثانية عند السعديين، وبكيفية أقوى وتقديرات أكثر واقعية، فأحمد المنصور كان أحب أولاد محمد الشيخ وأقربهم إليه، وبالتالي فقد نشأ متشبعا بأفكار الخلافة، فما أن تمت له البيعة بعد معركة وادي المخازن الشهيرة، حتى

(1) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص 327.

(2) - هو يعقوب بن عبد الحق المنصور المريني، ولد سنة (607هـ/1210م) أشهر سلاطين بني مرين. و على يده انتهت دولة الموحدين بني عبد المؤمن، إستولى على كثير من بلاد الأندلس. له آثار كبيرة في البناء منها " المدينة البيضاء " قرب فاس، و قبضة " مكناسة " ومدارس ومارستانات كثيرة. توفي سنة (685هـ/1286م). ينظر: عزيزة فوال بابتي، موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، ج.4، [د.ط.]، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1971م)، ص224.

(3) - إبراهيم حركات، " الأجهزة السياسية المركزية لدى المخزن السعدي "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط- المغرب، ع. 11، س. 1985م، ص07.

(4) - هو عاشر سلاطين الدولة العثمانية، حكم سنة 1520م، استمر حكمه ستة وأربعين عاما. وقد وصفت فترته بأنها: " أزهى عصر "، فقد وسع أراضي الدولة العثمانية، نحو الغرب ووسط أوروبا، وعلاوة على ذلك تم للمرة الأولى اتباع سياسة تسمى " ما وراء البحار "، حيث أحرز العثمانيون تقدما نحو شمال وغرب إفريقيا، و إلى سهوب روسيا، حتى وصلوا إلى المحيط الهندي. توفي سنة 1566م. ينظر: فريدون أمجان، سليمان القانوني: سلطان البرين والبحرين حقائق في ضوء المصادر، تر: جمال فاروق، أحمد كمال، ط.1، (مصر: دار النيل، 1435هـ - 2014م)، ص ص 12، 13.

(5) - عزيز سامح التر، الإتراك العثمانيون في شمالي إفريقيا، تر: محمود علي عامر، ط.1، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1409هـ/1989م)، ص177.

(6) - فهد بن محمد السويكت، المرجع السابق، ص 186.

الفصل الأول:: الدولة السعودية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

عرف كيف يوازن حساباته محافظا بكل الوسائل على حسن العلاقات مع العثمانيين. فقد كتب للسلطان مراد الثالث يخبره بالانتصار في معركة وادي المخازن⁽¹⁾.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد ردّ أحمد المنصور على الخلافة العثمانية بأن دعا كل أقطار إفريقيا الغربية إلى بيعته حتى يفوز ببركة لقب الخليفة، وحتى يسير بعيدا في توسيع رقعة نفوذه لتبرير حق الخلافة الذي طمح إليه⁽²⁾.

كما تراجع أحمد المنصور عن سياسة سلفه عبد الملك المتمثلة بالدعاء للسلطان العثماني في خطب الجمعة، في حين إستعمل ألقابا لشخصه، منها الخليفة والإمام وأمير المؤمنين، وعقد المجالس على هيئة الخلفاء⁽³⁾، وهذا كله لكي يعطي لنفسه شرعية في حمل لقب الخليفة، وأنه من سلالة الرسول لابد أن تكون الخلافة محصورة في نسله. وما يؤكد ما ذهبنا إليه أنه كان يبدأ خطبه بذكر: " الحمد لله الذي رفع أعلام الخلافة بعد نكوصها، وأضحك مباسم الأيام عند قطوبها وعبوسها، وجدد معالمها الدارسة وأركانها الطامسة، بلمة من عترة نبيه وخليله وصفيه فنفق بهم كسادها وأصلح فسادها، وامن في الغيال من الاغتيال أسادها وكادت السحلة أن تفترس الضرغام، وتدس فيه على رغمه الرغام رافة بالعباد من العبث ورحمة للبلاد كالغيث..."⁽⁴⁾.

ولكن للحقيقة والإنصاف التاريخي أن أحمد المنصور كان يمارس فكرة الخلافة في السودان الغربي، حيث أراد المنصور أن يبسط سلطان حكمه على الأقاليم الجنوبية بدعوى التبعية اللازمة وكان يعلم أن العثمانيين لو أرادوا الإستخلاف، بحكم الأمر لكل البلاد العربية وبعض البلاد الإسلامية، فإنهم بعيدون ماديا عن المغرب الأقصى وتلك الأقاليم، ولذلك كان يخاطب سلاطين بني عثمان بالسلطين ويخص نفسه بلقب الخليفة⁽⁵⁾، محاولا بذلك إعطاء نفسه شرعية دينية لحمل هذا اللقب.

2- ولاية العهد:

لقد أبدت الدولة السعودية إهتماما كبيرا بنظام ولاية العهد، وذلك منذ العهد الأول لظهور تلك الأسرة⁽⁶⁾، بحيث نجد أن القائم بأمر الله مؤسس الأسرة قد أخذ البيعة لإبنه أحمد الأعرج ليكون

(1) - فهد بن محمد السويكت، المرجع السابق، ص 198.

(2) - إبراهيم حركات، الأجهزة السياسية...، المرجع السابق، ص 08.

(3) - فهد بن محمد السويكت، المرجع السابق، ص 200.

(4) - أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور...، المصدر السابق، ج 1، ص 237.

(5) - فهد بن محمد السويكت، المرجع السابق، ص 201-202.

(6) - إيناس كاظم حسين الموسوي، المرجع السابق، ص 44.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

وليا للعهد من بعده⁽¹⁾، وقد حرص الحكام السعديون كل الحرص على إستمرارية ذلك النظام حتى لا يحدث خلاف بين أفراد البيت السعدي بعد وفاة الخليفة.

ولقد خضع ذلك النظام لمجموعة من الشروط، بحيث يكون ولي العهد من أبناء الخليفة، وليس شرطاً أن يكون أكبرهم سناً، و يكون إختياره لمجموعة من الصفات لا تتوفر في غيره من أبناء الخليفة⁽²⁾. وقد أدخل المنصور بعض التعديلات على طريقة البيعة لولي العهد؛ وهي أن يؤدي المبايعون يمين البيعة أمام كتاب الله⁽³⁾، وصحيفي البخاري ومسلم⁽⁴⁾.

وعندما يقع إختيار ولي العهد كان يعهد له بحكم مدينة بفس، والتي هي المدينة الثانية بعد مراكش، حتى يتدرب على تقاليد الحكم وإدارة البلاد⁽⁵⁾. فقد إعتاد الملوك السعديون منذ تأسيس دولتهم على إتخاذ فاس مقراً لولي العهد، لأهميتها الدينية والعلمية، وكمركز حضاري هام لا يقل أهمية عن العاصمة مراكش⁽⁶⁾.

وللإشارة فإن القائم بأمر الله والذي يعتبر المؤسس لتلك الأسرة قد أخذ ولاية العهد لإبنه الأكبر أبي العباس الأعرج فبايعه الناس. وسار السلاطين السعديون على نفس النسق الذي سار عليه المؤسس في توريث الخلافة للإبن الأكبر في السن، وبذلك أصبحت كقاعدة يعمل بها في عقد ولاية العهد⁽⁷⁾، وإن كان في بعض الأحيان لا يتم العمل بها، غير أن في فترة السلطان أحمد المنصور عمل على الحفاظ على تلك العادة التي ورثها من مؤسس الأسرة⁽⁸⁾، لذا عين المنصور إبنه الأكبر المأمون واليا على مدينة فاس، كما عين هو سابقاً في نفس المنصب في فترة حكم شقيقه عبد الملك، بهدف المحافظة على وراثة العرش⁽⁹⁾.

وحسب ما ذهب إليه المؤرخ إبراهيم حركات، فإنه على إثر مرض عضال كاد أن يذهب بحياة أحمد المنصور، رشح محمد المأمون ولده لولاية العهد بإشارة جامعة من الوزراء والأعيان، وتم عقد البيعة في أواخر شعبان (987هـ/1579م) بحضور عدد من العلماء والوجهاء، ورؤساء

(1) - Harakat Brahim , " Les Makhzen sa'adien ", Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, Aix-en-Provence, N°15-16, 1973, p48.

(2) - عبد الفتاح مقال الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص ص 264-265.

(3) - أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص224.

(4) - إبراهيم حركات، أحمد المنصور الذهبي...، المرجع السابق، ص 62.

(5) - عبد الفتاح مقال الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص ص 264-265.

(6) - أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص224.

(7) - الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص13.

(8) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص245.

(9) - Mercedes garcia -Arenal , op.cit, p44.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

القبائل الذين توافدوا من فاس ومراكش وغيرها⁽¹⁾. وهذا مما يؤكد حرصه على استمرار العرش السعدي وسلامة الدولة، وحتى لا تختلف الكلمة وتتفرق الجهود بعد وفاته ويحصل ما لم يكن في الحسبان. ثم لما كبر أبناء المنصور جدد البيعة لإبنه محمد المأمون، وأخذ من بقية أبنائه عهداً بذلك فسمعوا وأطاعوا ووقعوا على الرسم علامتهم للبيعة، والرضى والقبول⁽²⁾.

3- الوزراء:

تجدر الإشارة أن الدولة السعدية لم تعرف هذا المنصب في بدايتها، وذلك بسبب إنشغالهم في تأسيس معالم دولتهم، لكن المتتبع للسيرورة التاريخية للدولة السعدية يلاحظ أن هذا المنصب كان موجوداً، ولكن ليس بصفة رسمية، فقد اتخذ الملوك السعديون الوزراء من أقرب أقربائهم، فقد كان أبو العباس أحمد الأعرج بمثابة وزير لوالده القائم بأمر الله قبل أن يتولى هو بنفسه الملك⁽³⁾. غير أننا سوف نلاحظ أن هذا المنصب سوف يظهر بشكل واضح في عهد السلطان أحمد الأعرج، وإن لم يكن بصفة رسمية أيضاً، غير أنه يمكن القول بأن السلطان أحمد الأعرج كان ينظر لأخيه محمد الشيخ كوزير له يستند عليه، ويرجع إليه في كل كبيرة وصغيرة وذلك بحكم أنه لا يستطيع إدارة شؤون المغرب الجنوبي بمفرده⁽⁴⁾.

سعى كل السلاطين السعديين على إتخاذ وزراء يساعدهم في تسيير شؤون دولتهم، ففي عهد السلطان أحمد المنصور والذي بلغت دولته أوج قوتها، ونظراً لإتساع سلطان دولته، فقد كان في حاجة ماسة إلى وزراء ذوي درجة عالية من العلم والكفاءة والقدرة على التسيير، وبالفعل فحسب ما توفرت لنا من مادة علمية فقد كان إختيار المنصور لوزراء دولته على مقدرة وثقافة عالية، ومن أهم وأبرز وزراءه عبد العزيز الفشتالي⁽⁵⁾ (ت1032هـ). وحسب ما ترجم له العديد من المؤلفين حول سيرته في طلب العلم، فقد نبغ في العديد من العلوم، ومن أبرزها الأدب وبراعته في الكتابة والشعر، ونظراً لكل تلك القدرات والمؤهلات التي كان يتمتع بها الرجل جعلته يتبوأ في سن

(1) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص263.

(2) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص245.

(3) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص337.

(4) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص128.

(5) - هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي، أبو فارس وزير المنصور، ولد سنة (956هـ/1549م). نسبته إلى قشتالة قبيلة بالشمال الغربي بفاس، من صنهاجة، قرأ بفاس ومراكش، من أهم مؤلفاته: " مناهل الصفاء في أخبار الشرفاء ". توفي سنة (1031هـ/1621م). للمزيد ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج.4، ط.15، (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م)، ص26.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

مبكرة جدا مقعد وزارة القلم في بلاط المنصور، وتتخطى إليه رقاب الكتاب والمنشئين من أشياخه وأهل السابقة في خدمة البلاط السعدي⁽¹⁾.

ونظرا للحظوة الكبيرة التي نالها من أحمد المنصور بتعيينه في أعلى منصب في الوزارة فقد كلفه بتدوين أخبار الدولة السعدية، فكان مؤرخا رسميا للدولة، وقد أشاد به الكثير من المؤرخين؛ من أبرزهم المقري الذي عاصره في نفس الحقبة⁽²⁾.

وكذلك ممن تولى الوزارة في عهد أحمد المنصور أبو عبد الله محمد بن عيسى الصنهاجي، والذي كان يعتبر كاتب سر أحمد المنصور، وأحد أعيان وأدباء دولته، له تطلع بعلوم العربية ومعرفة كبيرة بالتواريخ وأيام الناس والملوك، وقلمه في الكتابة بارع، من أشهر مؤلفاته كتاب الممدود والمقصود من سنا أبي العباس أحمد المنصور، والذي قال عنه المقري هذه التسمية وحدها مطربة، وكذلك أبو عبد الله محمد بن علي إبراهيم الفشتالي، والذي يعد أحد وزراء المنصور ومن صدور الأدباء في عصره، كان كاتباً مجوداً، ماهراً في الصناعة شاعراً بارعاً متقناً في ضروب النظم⁽³⁾.

ب- الجانب الإداري:

لقد اجتهد أحمد المنصور في جعل دولته في زمن حكمه قوية ومحكمة التنظيم، والإرتقاء بها في مصاف الدول المتقدمة، بحيث إستفاد كثيرا أثناء مكوثه في الدولة العثمانية، فعمل على إحداث إصلاح في دولته مستفيدا من التجربة العثمانية، فحرص على تطوير الجانب الإداري والتنظيمي، دون أن ينسلخ من نظامه السابق، بل عمل على المزج ما بين ما هو عربي وما هو أعجمي⁽⁴⁾. ومما إستحدثه المنصور ما يلي:

(1) - عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، تق: محمد بن عزوز، ج.1، ط.1، (الدار البيضاء: دار ابن حزم، 1430هـ/2010م)، ص ص 1224-1228.

(2) - أيمن عبد الرحمن العثمان، " القشتاليين في المغرب الأقصى ودورهم في الحياة العامة "، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العراق، مج. 7، ع.13، س. 1434هـ/2013م، ص11.

(3) - عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج.1، ط.2، (طنجة: دن)، 1380هـ/1960م، ص264.

(4) - عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 125.

إن أهم تجديد سياسي أدخله السلطان أحمد المنصور هو إحداث مجلس إستشاري، له تنظيمات معينة وإختصاصات محددة، سماها الديوان إقتباسا من مجلس الديوان العثماني، إذ كانت المهمة الأساسية للديوان العثماني تتمثل في مراقبة نشاط الباشا وتزويد الباب العالي بكل المعلومات الضرورية عن سير الأمور في الإيالات، وتجدر الإشارة إلى أن إختصاصات الديوان السعودي لم تكن تختلف بشكل كبير عن المهمة الأساسية للديوان العثماني⁽²⁾.

على العموم فإن من أولى مظاهر تنظيمات الديوان أن أحمد المنصور قد حدد أيام إنعقاده؛ وهي التي يجلس فيها للجمهور، والوفود، وأحكام الجند، ومناولة أمور المملكة بالنقض والإبرام، وخص بذلك يوم السبت، ويوم الإثنين، ويوم الأربعاء⁽³⁾. وللاشارة فإن وزير المنصور الفشتالي قد نقل لنا جوانب مما كان يحدث عند إنعقاد أيام الديوان فقال: " ...جلس أهل الديوان وأرباب المناصب وأكابر الدولة يرقبون خروج السلطان، فإذا جاء وقت... فيحضر خواص ... وكاتب سره ويناوله ما ورد ... من الكتب من سائر الأقطار لكتب ما يخصه منها ... وتعرض عليها القضايا ومهمات الملك، ثم يؤذن لسائر الأكابر والكتاب وأولى المناصب في الدخول فيأخذ عند ذلك في العلامة إن كان اليوم يومها فتارة ... إن كانت الكتب أجوبة أو ظهائر، وتارة بالطابع أو كانت مظالم أو براوات الأشغال والعطاء أن يأخذ في إملء الأجوبة على الكتبة أو في سماع ما يرفعه أهل الديوان من المسائل مناوبة، يستمر ذلك حتى يصلى الظهرين وغالبا يؤم الناس فيدخل إلى قصره ويتفرق الديوان... " ⁽⁴⁾.

وبذلك وإنطلاقا مما وصفه لنا الفشتالي فإن المجلس الإستشاري أو ما عرف "بالديوان" أو " مجلس الملاء " له إختصاصات سياسية وقضائية وعسكرية، وهو أعلى مرجع قانوني للبلاد، ويتقبل أحكام قضاة، ولو كانت بحق بعض رجال المجلس، أو ضد المجلس كله، وعندما يقتضي الأمر

(1) - أطلقت على المقر الإداري للدولة الذي يحفظ فيه السجلات. ينظر: حسان حلاق، عباس صباح، المعجم في المصطلحات: الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية المصطلحات الإدارية والعسكرية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية والعائلية، ط.1، (بيروت: دار العلم للملايين، 1999م)، ص 97. ينظر أيضا: نينل الكسندروفنا دولينا، إمبراطورية العثمانية وعلاقتها في ثلاثينات وأربعينات القرن التاسع عشر، تر: أنور محمد إبراهيم، [د.ط.]، (د.م)، المجلس الأعلى للثقافة، 1999م، ص 175.

(2) - نور الدين أغوثان، " التأثيرات الحضرية العثمانية على المغرب خلال القرن 16م "، مجلة ليكسوس مجلة إلكترونية، المغرب، ع. 7، س. 2016م، ص 81.

(3) - عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 205.

(4) - المصدر نفسه، ص 206.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

إلى إستشارات شعبية واسعة، يضاف إلى " الديوان " عناصر تمثيلية من مختلف المدن والمراكز القروية الكبرى⁽¹⁾.

2- القضاء:

شكل القضاء عنصرا مهما في الدولة السعدية، وذلك بالنظر لمدى أهميته في تحقيق العدل بين الرعية، ولذا سعى السلاطين السعديون إلى الإهتمام به، خاصة وكونهم من سلالة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد ظهر القضاء في عصرهم كسلطة مستقلة عن جهاز الحكم، تمارس سلطاتها التي ليس عليها سلطان إلا حكم الشرع والدين⁽²⁾. وتعد أروع فترة شهد فيها القضاء تحسنا ملحوظا هي فترة السلطان أحمد المنصور؛ حيث فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية تماما، ولم يسمح للسلطة التنفيذية أن تتدخل بالسلطة القضائية مطلقا، وهو ما اعتبره أحد الباحثين الفرنسيين عند مقارنته بالقضاء الأوربي خلال القرنين (11-12هـ / 16 - 17م) طفرة نوعية، حيث قال: " في الوقت الذي كانت أوروبا في العصر السعدي يحتفظ الملوك فيها وحدهم بحق الحكم في عدد من القضايا، فإن الملوك السعديين لا ينظرون إلا في القضايا المرفوعة ضد رجال السلطة، وهذا ما كان يدعى بقضاء المظالم"⁽³⁾.

والجدير بالذكر أنه كان يتم تعيين قاضي الجماعة من قبل الخليفة، وهو الذي يعين القضاة في المدن الكبرى، كفاس وسلا وأغادير، وسجلماسة والرباط والعرائش، وغيرها من المدن الكبرى، وكان يتم تعيين قاضي في كل مدينة أو قرية كبرى، وذلك بهدف تحقيق العدل بين أفراد المجتمع السعدي⁽⁴⁾.

وللإشارة فإن أهم تجديد أدخله السعديون في مجال القضاء هو إستحداث منصب خاص بصاحب المظالم، يباشر إختصاصاته بصفة دائمة، وإليه ترد أحكام القضاة والولاية على إختلافهم، فقد كان ملوك المغرب الأقصى فيما سبق يتولون النظر في المظالم بأنفسهم، ولا ينيبون عنهم أحد، غير أن السعديين قد إستحدثوا ذلك المنصب لتقبل الشكايات وإستئناف الأحكام⁽⁵⁾. ونظرا لأهمية المنصب في القضاء فقد كان يتم إختيار القاضي لسعة علمه ونزاهته في الحق، وعدله بين الناس، وعدم خضوعه لأدنى سلطة من سلطات الحكم، أو رغبات في الحكم أو ولاية الأقاليم، ولم يكونوا يخضعون لأهواء شخصية، أو نزوات فردية أو مطامع مصلحة، بل إن الإدارة السعدية

(1) - شوقي أبو خليل، وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة - القصر الكبير، ط.1، (دمشق: دار الفكر، 1409هـ/1988م)، صص 42-43.

(2) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص266.

(3) - شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص41.

(4) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص266.

(5) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص345.

الفصل الأول:: الدولة السعودية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

التي عينت القاضي كانت ترى فيه إلتزاما بتنفيذ الشرع، وتقيدا بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية ومذهب الإمام مالك، ثم بعد ذلك يطرح موضوع النزاع إذا لم يجد له حلا على مجلس المظالم الذي يرأسه الخليفة بنفسه.

تجدر الإشارة أن القضاء خلال فترة السعديين كان يتكون من كتاب مساعدين لصاحب المظالم، غير أنه في فترة تولية أحمد المنصور عمل على استحداث بعض الأمور في القضاء؛ فكان مجلس المظالم الذي يتأهه السلطان، وهو يشكل أعلى سلطة قضائية حيث يشترك فيه عدد من الفقهاء والقضاة والمفتين، كما كان تعيين المفتين من إختصاصات الملك، بالإضافة إلى العدول⁽¹⁾.

كان أحمد المنصور يرأس مجلس المظالم في مقصورة جامع القصبه بمراكش، بجوار قصره، وقد شكل لجنة للمراقبة، تتولى النظر بصفة دورية في مجرى القضاء بالأقاليم، وأوضاع الفئات الشعبية بوجه عام، وكان أحمد المنصور يدرس تقاريرهم بعناية، كي يتتبع سير الأحكام والإدارة بالمملكة.

وأوجد أحمد المنصور لأول مرة في العهد السعدي منصب قاضي القضاة⁽²⁾، خصه للسودان، نظرا لبعده المسافة بينهما وبين العاصمة مراكش، ويستقر هذا القاضي الرفيع المستوى بمدينة تومبوكتو⁽³⁾. وأول من عين في هذا المنصب أبو جعفر العاقل الصنهاجي⁽⁴⁾، الذي هو مواطن سوداني، وكان تحت نظره سائر قضاة السودان⁽⁵⁾.

(1) - إبراهيم حركات، **المغرب عبر...**، ج.2، المرجع السابق، ص346.

(2) - هو منصب ديني إسلامي، أول من ابتكره هو الخليفة هارون الرشيد خلال الفترة العباسية، بسبب تعقد القضاء والحياة الإجتماعية في الدولة العربية الإسلامية، خاصة في بغداد التي عرفت أساليب جديدة في الحياة الإجتماعية والثقافية والفكرية والإقتصادية، وقد قلده هذا المنصب لأبي يوسف يعقوب بن حبيب الأنصاري الذي استقل في أمور القضاء، وكانت له الرئاسة على جميع القضاة. وفي عهد الخلافة الفاطمية في مصر أوجد المعز لدين الله الفاطمي قاضي قضاة آخر في القاهرة. وفي الأندلس كان قاضي القضاة يعرف بقاضي الجماعة، وذلك في عصر الإمارة الأموية؛ وقد ظل هذا المنصب أرفع مناصب القضاء حتى عصر بني الأحمر، كما عرف بالمغرب أيضا منصب قاضي القضاة بقاضي الجماعة. للمزيد ينظر: عصام محمد شبارو، **قاضي القضاة في الإسلام**، ط.2، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1992م)، ص 10 - 11.

(3) - مدينة بوسط مالي، بالقرب من نهر النيجر، وهي مركز للقوافل على الطريق الصحراوي من الجزائر والمغرب. تأسست 1087م، وكانت عاصمة إمبراطورية مالي القديمة، كما شكلت تمبكتو مركزا للثقافة الإسلامية، وقد غزاها أحمد المنصور سلطان المغرب سنة 1591م، ودام حكم السعديين لمدة قرنين. ينظر: حسين محمد نصار وآخرون، المرجع السابق، ص 1031 - 1032.

(4) - لم نجد الشيء الكثير حول تلك شخصية حسب بحثنا، سوى أنه مواطن من بلاد السودان المنحدرين من صنهاجة. ينظر: إبراهيم حركات، **السياسية والمجتمع...**، المرجع السابق، ص 194.

(5) - شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 41-42.

3- ختم الرسائل السلطانية (الطغراء):⁽¹⁾.

إن أهم إستحداث أدخله المنصور في الجهاز الإداري هو نظام الطغراء، إذ إقتبسه سلاطين الدولة السعودية عن الدولة العثمانية في إطار علاقة السلطان بأفراد مجتمعه، أو مع الدول الأجنبية. نجد أنه عندما يريد أن يرسل أية رسالة تختم الوثيقة بوضع توقيع وعلامة مميزة، وهي عبارة عن خطوط معقدة ذات شكل مزخرف تسمى الطغراء، مقتبسة عن السلاطين العثمانيين، وذلك من أجل منع أي تزوير يمكن أن يقع، وكذا من أجل إضفاء الشرعية على الوثائق الرسمية⁽²⁾.

ولقد كان إستعمال الأختام الطغرائية خلال العصر السعودي شائعاً بشكل كبير في الدواوين السلطانية، حيث إرتبطت بأوامر السلطان ورسائله ومكاتباته الرسمية، الموجهة للممالك المسيحية وغيرها من القوى السياسية آنذاك، وقد كانت تلك الأختام تتضمن في محتواها إسم السلطان، والدعاء له بالنصر والتمكين. وللإشارة فإن الطغراء كانت تأخذ أشكالاً مختلفة خاصة بكل سلطان، على عكس الطغراء العثمانية التي كان شكلها ثابتاً لم يتغير لأنه كان توقيعاً وراثياً يعبر عن سيادة دولتهم⁽³⁾.

وللإشارة فقد خصص الفشتالي وزير المنصور وكتابه في مصنفه الموسوم بـ: "مناهل الصفا" فصلاً خاصاً بتوقيعات ذلك السلطان تحت عنوان "توقيعاته أيده الله" حيث قدم لنا وصفاً عن طغراء أحمد المنصور بأنها توقيعات سلطانية بديعة حيث قال: "... كانت تصدر عن مولانا [...] توقيعات نبيلة تتيه بها الرقاع وتتهادها الأقطار والبقاع، يرمي بها إلى الأغراض، فيصيب فيها الكلا والمفاصل بأوجز لفظ وأرشق عبارة..."⁽⁴⁾.

4- تشفير الرسائل:⁽⁵⁾

كانت من أهم الأعمال التي إستحدثها أحمد المنصور العمل بنظام التشفير أثناء التعامل مع المراسلات⁽⁶⁾، فقد كان شديد الحرص في مسألة التكتّم على أسرار الدولة⁽⁷⁾. من أجل ذلك عمل على إيجاد حروف لرموز خاصة (شيفرة) لكتابة المراسلات السرية، حتى لا يعرف فحواها

(1)- ينظر: ملحق رقم 06، ص 270.

(2)- نور الدين اغوثان، المرجع السابق، ص 81.

(3)- محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، "العلامة الطغرائية بين المغرب السعودي وتركيا العثمانية دراسة تاريخية -فنية"، مجلة كلية الآداب والعلوم

الإنسانية، الرباط، ع. 35، س. 2015م، ص 185.

(4)- أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 299.

(5)- ينظر: ملحق رقم 07، ص 270.

(6)- شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 40.

(7)- إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص 118.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

إذا وقعت في يد عدو، وكان إذا غادر أحد أبنائه أو مساعديه خارج العاصمة، سلم إليه نسخة منها، يمكنه أن يفك بها رمز الخطابات الملكية عند ورودها إليه⁽¹⁾.

ج- الجانب العسكري:

ظهر الجيش السعودي في بداية نشأة الدولة السعدية بشكل ضعيف، أمام القوى الأجنبية؛ كإسبانيا والبرتغال والدولة العثمانية، ولكنه كان لا يزال يأخذ شكل الجيش المنظم، ثم سرعان ما بدأ يظهر بشكل قوي بصفة تدريجية، إلى أن صار عظيمًا أيام السلطانين عبد المالك وأخيه أحمد المنصور الذهبي، وذلك بسبب إعتمادهما على التجديد، مستندين في ذلك على الإقتباس من الأعاجم والعثمانيين. ندرك من ذلك التجديد أنه وفي العصور السالفة كانت التنظيمات العسكرية قديمة، أما في عصر عبد الملك وأحمد المنصور فقد أخذت تعرف تغييراً جذرياً، وذلك بسبب التطورات والتغيرات الجديدة التي شهدتها العالم، كإكتشاف العالم الجديد، وكذا ظهور النهضة العلمية في العالم الأوروبي. كلها عوامل مجتمعة عجلت بتغيير النظام القديم؛ وموطن الشاهد في ذلك أن السلطان عبد الملك أخذ أصول الجندية الجديدة من حيث رتب جيشه بترتيب الدول الأوروبية، وتخلص نهائياً من النظام القديم. ولما جاء أحمد المنصور الذهبي أعاد التنظيم من جديد⁽²⁾.

إذ أولى السلطان أحمد المنصور عناية خاصة بالجهاز العسكري لدولته، من ناحية تنظيمه، وجعل نفسه قائداً أعلى له، إذ برزت أهمية القوات المسلحة، نظراً للظروف التي أحاطت بدولته، فقد تولى حكم المغرب الأقصى، في أعقاب معركة وادي المخازن 1578م، كما ظهرت في عهده العديد من الفتن والثورات الداخلية الخطيرة، هذا بالإضافة إلى التهديد الخارجي، وفوق ذلك رغبته في إحكام قبضته على البلاد، من أجل تحقيق الأمن والإستقرار النسبيين، اللازمين لتعزيز النشاط الإقتصادي، وغيره من النشاطات، لتصبح لدى الدولة الإمكانيات التي تأهلها للقيام بالواجبات المنوطة بها، وعلى رأسها وحدة وإستقرار البلاد⁽³⁾.

1- الجيش:

قام أحمد المنصور بتقوية الجيش وتطويره، بإعتباره الأداة الفعالة في ضبط الأمن والدفاع عن البلاد، ولأجل ذلك عمل على إنشاء جيش قوي مكون من جيش نظامي وآخر من المتطوعين.

(1) - شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 40.

(2) - أحمد أحمد البسيري، " التاريخ الحربي للمغرب "، مجلة دعوة الحق، الرباط - المغرب، ع. 8، س. 1379 / 1960م، ص 30.

(3) - إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص ص 123-124.

الفصل الأول:: الدولة السعودية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

أ- **الجيش النظامي**: يتكون من العثمانيين والأندلسيين⁽¹⁾، وقد انضم إليهم من أهل سوس ومراكش، وتم تقسيمه إلى فرق، جعل لكل منها لباسا خاصا، وعين على رأسها قائدا وضباطا مرتبين ترتيبا عسكريا مستمدا من العثمانيين، وكان يخضع بانتظام لتدريبات خاصة، كما تم تجهيزه بالأسلحة النارية، مثل المدافع والبنادق، إلى جانب الأسلحة التقليدية.

ب- **جيش المتطوعين**: عُرف بجيش عرب الدولة، وهو مكون من القبائل الموالية للدولة، وكانت تمد المنصور بقوات من الفرسان والمشاة مقابل تمتعها ببعض الإمتيازات، مثل إعفائهم من الضرائب، وإقطاعهم بعض الأراضي الزراعية.

ج- **جيش العبيد**: إن أهم ما ميز سياسية أحمد المنصور العسكرية هو تكوينه كذلك لنواة عسكرية من العبيد، فعلى إثر حملته على بلاد السودان سنة 1591م، تم إسترقاق عدد من السود، قدر حسب بعض المصادر بعشرة آلاف من بلاد برنو وجاغو وكنور... الخ. ونظم مولاي أحمد المنصور الذكور القادرين منهم على حمل السلاح في ديوان عسكري خاص بهم.

ولم يشهد دور العبيد السود تطورا جديرا بالذكر إلى بعد موت مؤسسه، إذ سرعان ما دخلت الدولة السعودية في فترة الفوضى إنتهت بسقوطها وتلاشى جيش العبيد، الذي تحول في معظمه إلى ملكية الخواص، فهجر الخدمة العسكرية، ولم يعرف إنطلاقة جديدة إلا مع الدولة العلوية، مع مولاي إسماعيل⁽²⁾ بالذات⁽³⁾.

وقد كان لذلك التنظيم الإداري والعسكري دور مهم في إحكام السيطرة على الدولة، وإقرار الأمن داخليا، وهذا ما ساعد أحمد المنصور على التفرغ من أجل تعزيز مكانة المغرب الأقصى على الصعيد الخارجي⁽⁴⁾، وقد إستفاد أحمد المنصور من التجربة العثمانية، وأدخل العديد من التحديثات على الجيش السعودي تشبه الجيش العثماني، ويظهر هذا التأثير الواضح من خلال

(1) - لقد احتوى الجيش السعودي على عناصر غير محلية ذات أصول مختلفة؛ منها الأندلسية والأوروبية والعثمانية، وقد لعبت تلك الوحدات العسكرية دورا أساسيا في تثبيت الدولة السعودية، وتحقيق الإنتصارات لها. أما جيش الأندلسيين فقد توافدوا على المغرب الأقصى بعد سقوط غرناطة بأعداد كبيرة، إستغل جانب منها في قطاع الجهاد البحري، وجانب آخر في الجيش. بالإضافة إلى العنصر العثماني والذي تكونت منه فرقة عسكرية، وكان أول من نظمها هو مولاي محمد الشيخ، ولكنها لم تعرف استقرار في علاقتها مع السعوديين. بالإضافة إلى العنصر الأوروبي الذي كان هو الآخر له نصيب في الجيش السعودي. ينظر: دلندة الأرقش، عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، [د.ط.]، (ميدياكوم: مركز النشر الجامعي، 2003م)، ص ص 160-161.

(2) - يعد من أعظم ملوك الدولة العلوية ببيع بعد وفاة أخيه مولاي الرشيد، سنة (1084هـ/1672م). إتخذ من مدينة مكناس عاصمة له، شهد عصره العديد من الفتن، استطاع في عهده استرجاع المناطق المحتلة من يد العدو، كما شهد عصره تشييد العديد من المنشآت العمرانية. توفي سنة (1139هـ/1727م). ينظر: محمد الأخضر، **الحياة الأدبية في المغرب على الدولة العلوية (1075-1311هـ/1664-1894م)**، ط.1، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1977م)، ص ص 72-74.

(3) - دلندة الأرقش، عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر، المرجع السابق، ص 163.

(4) - سلمى عمر السيد عمر، " دور السعوديين في تاريخ المغرب (1554-1659م) "، **مجلة جامعة سنار**، السودان، مج.1، ع.2، 2011م، ص 132.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

التسميات والمصطلحات العسكرية للفرق والرتب، ومن خلال الأزياء والأسلحة النارية بالإضافة إلى آلات النفخ التي كانت تستعملها الفرق المستحدثة⁽¹⁾. فقد كانت لجيش المنصور فرقة موسيقية تحمل الطبول والمزامير والطرنطبات (انفار)، تتبعث منها تلاحين من أجل قرع طبول الحرب⁽²⁾.

كما إقتبس أحمد المنصور التنظيمات العسكرية من الدولة العثمانية من خلال تكوينه لعدد من الفرق من العجم والموالي، فضلا عن العبيد السود، وتنظيمهم على نفس النهج العثماني. ومن أهم الفرق التي كانت ملازمة له:

-البياك: وأصلهم من العجم، وقد كان لهم زي خاص مذهب، ومهمتهم حراسة قبة جلوس السلطان.

-السلاق: ولهم نفس المهام المرتبطة بحراسة السلطان.

-البلبردوش: ويقفون وراء السلاق ويتميزون عنهم بسلاحهم.

-الشنشيرية: وإختصوا بالسهر على مؤونة السلطان وحاشيته.

-الشواش: وهم ضبط الجيش في زمن السلم والحرب وإبلاغ أوامر السلطان إلى الجهات⁽³⁾.

2- الأسطول:

للمغرب الأقصى تقاليد بحرية ضاربة في جذور التاريخ، ذلك لأن وضعه الجغرافي الممتاز باعتباره مطلا على واجهتين بحريتين؛ المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، جعله ينعم بذلك المركز المرموق، يضاف إلى هذا أهمية مضيق جبل طارق الذي يربط بين القارتين الإفريقية والأوروبية، والذي يهيمن على الممر الذي يصل المحيط الأطلسي بالبحر المتوسط⁽⁴⁾.

لقد سعت الدول الإسلامية التي تعاقبت على حكم المغرب الأقصى إلى إمتلاك أسطول بحري قوي، حيث وضع الأدارسة⁽⁵⁾ نواة لبنائه، وهو ما مكنهم من الإتصال بالأندلس. وفي عهد المرابطين وعلى الرغم من إخضاعهم لمناطق معروفة بنشاطها البحري، وسيطرتهم على مجالات تتوفر فيها الأخشاب لبناء السفن، إلا أنهم عجزوا عن تكوين أسطول بحري قوي، قادر على مراقبة البحر الأبيض المتوسط. وعلى عكس المرابطين، تمكن الموحدون من بناء أسطول بحري في

(1) - دلندة الأرقش، عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر، المرجع السابق، ص 162.

(2) - عبد الحق المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1997م)، ص 60.

(3) - دلندة الأرقش، عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر، المرجع السابق، ص 162.

(4) - عبد الهادي التازي، "الأسطول المغربي عبر التاريخ"، مجلة البحث العلمي، المغرب، مج. 18، ع. 33، س. 1982م، ص 15.

(5) - دولة تأسست في بلاد المغرب في عهد الإمام المولى إدريس الأول سنة (172هـ/788م)، تعد أول دولة عربية إسلامية مستقلة بالمغرب الأقصى. سقطت سنة (375هـ/985م). للمزيد ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص ص 16-17.

الفصل الأول:: الدولة السعودية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

العالم الإسلامي، وقد تمكنوا بواسطته أن سيطروا على الشطر الغربي من البحر الأبيض المتوسط.

أما في العهد المريني فقد حظي الأسطول البحري بعناية فائقة، فقد أولى الحكام المرينيون عناية خاصة به، وعملوا على الإكثار من القطع البحرية، حتى بلغ الأسطول المريني أعلى درجات القوة والإزدهار⁽¹⁾. ثم سرعان ما عرف تراجع سياستهم البحرية، ودخل المغرب الأقصى في مرحلة إنكماش بسبب ضعف الدولة⁽²⁾. أما خلال فترة الحكم الوطاسي فلم تكن للمغرب الأقصى إمكانات تؤهله لإقامة أسطول بحري قوي، قادر على تلبية حاجياته، إذ كان يمتلك مراكب ذات حجم صغير⁽³⁾.

وفي العهد السعودي فقد كانت أول تجربة لتكوين نواة أسطول بحري في عهد محمد الشيخ السعودي، حيث سعى إلى تكوينه، بالإضافة إلى وحدات كانت في ملك رؤساء تطوان، وبادس، وقد أنشأ ورشاً بحرية بالريف، قرب غابات البلوط والأرز والصنوبر، وآخر بسلا، وقد بنيت 4 مراكب ببادس، وأخرى في سلا. أما في عهد عبد الله الغالب فقد طور من الأسطول البحري بحيث أصبح يتكون من نحو 70 مركباً⁽⁴⁾.

لكن ذلك المشروع توقف بسبب الحواجز التي حالت دون تحقيقه؛ من مضايقة إيبيرية، وقلة الموانئ الملائمة، وكذا إنعدام الغابات التي توفر الأخشاب الخاصة بصناعة السفن، هذا بالإضافة إلى إضطرار الأشراف إلى مهادنة الإسبان أثناء مجابتهم للعثمانيين، وهو ما كان يعني الابتعاد عن تجسيد مشروع إمتلاك أسطول حربي⁽⁵⁾.

تجدر الإشارة إلى أنه بالرغم من كل الجهود التي قام بها السلطان محمد الشيخ، لم يتمكن السعوديون من بناء أسطول بحري قوي قادر على مجابهة أساطيل القوى الكبرى آنذاك⁽⁶⁾. وفي عهد عبد الله الغالب كانت هناك محاولة أخرى، ولكنها كانت محتشمة، والدليل في ذلك أن الأسطول الحربي كان يتوفر على نحو ثلاثين مركباً⁽⁷⁾.

(1) - كمال النفاع، محاولات التحديث والإصلاح في العصر السعودي عبد الملك المعتمد وأحمد المنصور نموذجاً، ط.1، (المغرب: نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 2017م)، ص ص 185-186.

(2) - عبد المجيد القنوري، "البحر في المتخيل المغربي"، مجلة الملتقى الأبحاث والدراسات، المغرب، ع.4، س.1999م، ص.19.

(3) - كمال النفاع، المرجع السابق، ص 186.

(4) - عبد الحق المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ، ط.5، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1997م)، ص.63.

(5) - محمد المهناوي، "المغاربة والبحر خلال القرن السادس عشر"، أعمال ندوة البحر في تاريخ المغرب، أيام 24 و25 و26 أكتوبر 1996م، (المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية والجمعية المغربية للبحث التاريخي، 1996م)، ص 21.

(6) - كمال النفاع، المرجع السابق، ص 189.

(7) - عبد العزيز ابن عبد الله، "دور الملاحة المغربية في البحار طوال ألف عام"، مجلة المناهل، الرباط-المغرب، ع.32، س.1985م، ص.94.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

سار عبد الملك على خطى أسلافه، فعمل على تقوية بلاده وحماية سواحلها، وذلك بتوفيره أسطولاً بحرياً قوياً، يستطيع مجابهة أساطيل العالم المتوسطي، والتي يعرف عنها مشاركتها في بعض المعارك البحرية التي عرفها الحوض المتوسطي؛ مثل معركة ليبانتو⁽¹⁾، وحلق الوادي⁽²⁾. لذلك كان أول عمل قام به عبد الملك بعد حكمه المغرب الأقصى أمره بإنشاء السفن في العرائش، وسلا⁽³⁾. بفضل ذلك الأسطول الذي بناه عبد الملك استطاع إجلاء البرتغاليين عام (957هـ/1550م) عن مراكز قوية في سواحل المغرب الأقصى. ما يمكن قوله أن عدد قطع الأسطول السعدي كان يوازي عدد قطع الأسطول الجزائري آنذاك، لكن السفن الجزائرية كانت أكثر جودة من نظيرتها السعدية، نظراً لنقص التقاليد البحرية السعدية⁽⁴⁾، وكذا بسبب قصر مدة حكم عبد الملك السعدي، التي تميزت بتكالب القوى الأجنبية على المغرب، وكثرة المواجهات المسلحة التي جمعت بينه وبين محمد المتوكل. كلها عوامل حالت دون إقامة الأسطول الذي كان يطمح إليه⁽⁵⁾.

أما في عهد السلطان أحمد المنصور فقد إزدادت أهمية الجهاد البحري، وأبان عن رغبته في إمتلاك أسطول بحري قوي. فقد كان يدرك مدى أهمية الملاحة البحرية، حيث إستفاد من تنقلاته مع أخيه، كما شاهدنا سابقاً ما بين البحر الأبيض المتوسط، وكذلك في الدولة العثمانية، التي كانت أهم قوة بحرية آنذاك. وقد كانت للمنصور طموحات كبيرة في تطوير الأسطول البحري، وجعل المغرب الأقصى قوة تتنافس والقوى الإقليمية آنذاك. لذلك فإن المنصور لم يكتف بما تركه أسلافه له من أسطول بحري بل على العكس، فإن سياسته كانت مختلفة عنهم، إذ لم يكتف بما هو محلي فقط⁽⁶⁾، فقد إهتم المنصور بشراء الخشب من إنجلترا⁽⁷⁾، ومقايستها بملح البارود الذي كانت تجارته محرمة على الدول المسيحية، ورغم ذلك عمد المنصور لتصديره من أجل إمتلاك

(1) - هي معركة بحرية وقعت في 07 أكتوبر 1571م، بين العثمانيين والتحالف الأوروبي، وقد انتهت بهزيمة العثمانيين. ينظر: نجاه سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية: معارك، غزوات، حروب، ثورات، وقعت، أيام، فتوحات، مذابح عبر العصور التاريخية منذ فجر التاريخ وحتى عام 2005م،

ط.1، (عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2011م)، ص455.

(2) - كمال النفاع، المرجع السابق، ص 189.

(3) - مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكميلية، تر: عبد الرحيم بنحادة، ط.1، (مراكش: دار تينمل للطباعة والنشر، 1994م)، ص53.

(4) - عبد العزيز ابن عبد الله، المرجع السابق، ص 94.

(5) - كمال النفاع، المرجع السابق، ص190.

(6) - المرجع نفسه، ص 191.

(7) - J.A.O.C BROWN : " 'Orientalism', 'Occidentalism' and Anglo-Moroccan relations in the 16th and 17th : a case study in historicizing concepts of discourse ", SOAS Journal Of Graduate Research University of London, vol.1, 2005,p 10.

أسطول بحري قوي فرض على إنجلترا أن تقبل بتزويده بمادة الخشب، وبالمختصين في إنشاء الأساطيل⁽¹⁾.

فمنذ تولى أحمد المنصور السلطة أظهر جديته بالإعتناء بالجهاد، حيث كان يرى أن دولته لا تستغني عن أسطول بحري يحميها، ويعمل على نقل جيوشه ومعداته الحربية إلى المراكز والثغور، وكذا نقل البضائع التجارية، لأجل ذلك إقتضى الأمر منه أن يحذو حذو الدولة العثمانية، ويسلك سبيلها، بإنشاء أسطول يرهب به عدوه، ويقوم بحركة الجهاد، والمبادلات التجارية ما بين البحر الأبيض المتوسط، وسواحل المحيط الأطلسي وجزره⁽²⁾.

ولإنجاح فكرة ذلك المشروع فقد حاول أحمد المنصور كلما أتاحت له الفرصة أن يستغل علاقاته الخارجية، من أجل تقوية أسطول بلاده لتيسير مأمورية التجار الإنجليز العاملين في المغرب الأقصى، بهدف الحصول على الخشب من الإنجليز المستعمل في صناعة السفن، وقد تمكن سنة 1581م من الحصول على حوالي 600 طن من الأخشاب الصالحة لبناء المراكب⁽³⁾.

قام بدعم مشروع بناء أسطول قوي من خلال بناء دور لصناعة السفن، بهدف الجهاد بكل من الرباط وسلا⁽⁴⁾. هذا بالإضافة إلى قيامه بتحصين بعض الموانئ السعدية الصالحة لرسو الأسطول. وقد برزت فعالية ذلك الأسطول بصفة خاصة عند غزوه للسودان الغربي، وذلك لصعوبة التنقل وحمل آلات الحرب والقتال في البر، فاستغلت القوات السعدية نهر النيجر لنقل القوات والعتاد للتوغل بعيدا في أقصى مناطق السودان الغربي⁽⁵⁾.

تجدر الإشارة أنه بالرغم من كل المجهودات التي قام بها المنصور في سبيل إمتلاكه أسطول بحري قوي، إلا أنه لم يتمكن من بناء سوى أسطول صغير⁽⁶⁾، ويمكن أن نرجع سبب عدم تنفيذ ذلك المشروع إلى عدة إعتبارات؛ والتي يمكن أن نستنتجها إنطلاقا مما أوردناه في ثنايا هذا الفصل، وتأتي في مقدمة تلك الأسباب الثورات، والتمردات الداخلية المتعلقة بأزمة العرش السعدي -كما شهدنا آنفا-، يضاف إلى ذلك تدخل القوى الأجنبية في تركية تلك الثورات، والتي كانت تتخوف من نمو قوى جديدة في المنطقة، خاصة بعد معركة وادي المخازن، وما حققت من سمعة

(1) - حليلة بنكري، " البحر المحيط المغربي في الفترة ما بين 1459-1631م"، مجلة أمل، المغرب، مج.7، ع.21، س.2000م، ص207.

(2) - جعفر بن أحمد الناصري، سلا ورياط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، تح: أحمد بن جعفر الناصري، ج.4، [د.ط.]، (الرباط: مطبعة المعارف

الجديدة، 1427هـ/2006م)، ص ص 259-260.

(3) - كمال النفاع، المرجع السابق، ص ص 191-192.

(4) - جعفر بن أحمد الناصري، المرجع السابق، ج.4، ص 260.

(5) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 244.

(6) - عبد العزيز ابن عبد الله، المرجع السابق، ص 95.

طيبة للدولة السعدية، علاوة على هذا موقف الدول الأوروبية التي سعت إلى عدم حصول المغرب الأقصى على أسطول بحري قوي يستطيع أن ينافسها في المجال البحري، حيث عملت إسبانيا على مضايقة السعديين في العديد من موانئ المغرب الأقصى، حتى لا يستفيد من مادة الخشب لصناعة السفن و من الخبرة الأوروبية. لذلك شاهدنا تغيير المنصور لوجهته نحو إنجلترا من أجل نقل التجربة الإنجليزية إلى المغرب الأقصى، والتخلص من مضايقة الإسبان له. ويضاف إلى كل ذلك العامل الطبيعي المتمثل في الكوارث الطبيعية التي عصفت بالدولة السعدية، خاصة أثر إنتشار وباء الطاعون سنة 1599م، والذي ساهم في موت العديد من ساكنة الموانئ والبحار، مما أدى إلى تراجع صناعة السفن، وبالتالي عدم تحقيق الإستمرارية في بناء الأسطول الذي كان يحلم به أحمد المنصور الذهبي، وحتى أن المنصور مات متأثراً بذلك الوباء. وفي ختام تلك الأسباب نضيف أيضاً قصر مدة حكم المنصور التي كانت حوالي ستة وعشرين عاماً، كانت مشحونة بالصراعات الداخلية، والأطماع الخارجية، والتي أعاقته عن تحقيق أهدافه.

3- الشرطة:

إهتم السعديون بتوفير الأمن الداخلي من خلال تحقيق الإستقرار ونشر الأمن، ومن أجل ذلك كان لابد من تخصيص الرجال لتلك المهمة، والإستعانة بهم في إقرار الأمن في المدن الكبرى، وهو ما إصطلح عليه بجهاز الشرطة⁽¹⁾، إذ كان يتأسر جماعة من الجند وتوكل لهم مسؤولية المحافظة على الأمن، والسهر على السلامة العامة، ثم القبض على الجناة والمجرمين وتنفيذ العقوبات الصادرة بحقهم⁽²⁾. لذلك كان منصب رئيس الشرطة من المناصب الحساسة في الدولة، ونظراً لمدى أهمية ذلك المنصب فقد كان يتم إختيار الرجال المقربين لدى السلطان، لدرجة أنه كان يؤخذ برأيه في كثير من المسائل التي تهم مصالح البلاد، بل إن وظيفته لا تقل أهمية عن وظيفة قائد الجيش⁽³⁾. وقد كان ديوان الشرطة مرتباً ومنظماً وفقاً للنمط السائد آنذاك، إذ بفضل النظام المحكم لذلك الجهاز عرف نوعاً من الإستقرار وإستتباب الأمن، ودفع البلاد نحو التقدم زراعياً وصناعياً وتجارياً⁽⁴⁾.

وقد أوكلت لجهاز الشرطة العديد من المهام، يمكن أن نقسمها إلى مستويين؛ داخلي وخارجي. فعلى المستوى الداخلي: حماية القلاع والحصون والمدن الكبرى، السهر على تطبيق

(1) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص641.

(2) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص236.

(3) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص279.

(4) - المرجع نفسه، ص280.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

الأحكام الإدارية والقضائية، والقيام بما تتطلبه وظائفهم في القبض على اللصوص والمجرمين، وتقديمهم للمحاكمة، وحماية السجون والسهر على تنفيذ الأوامر، بالإضافة إلى حماية مصادر الثروة، ومراكز إقامة الأجانب في الفنادق والوكالات التجارية، وكذلك الجمركية والتأكد من سلامة أبواب مدينة العاصمة، وبوابات⁽¹⁾ المدن الكبرى، والقضاء على الخوف من سطو اللصوص أو الأعراب.

هذا ولم تقتصر المهام المنوطة بالشرطة فقط على المستوى الداخلي فحسب، بل حتى على المستوى الخارجي، فقد عهد أحمد المنصور السعدي إلى رئيس الشرطة في فاس بأن يقوم بقيادة أول حملة عسكرية إلى بلاد السودان الغربي، من أجل تهيئة الحملة العسكرية على بلاد السودان الغربي من خلال معرفة مصادر المياه في الطرق، وأماكن إقامة قوات الحراسة قبل خروج حملة جودار باشا، كما ساعد جهاز الشرطة على حركة التنقل والانتقال، وإنشغال الناس بالتجارة وحماية القوافل الكبيرة الذاهبة إلى بلاد السودان، بعد أن تم تأمين الطرق الصحراوية، ووضع نقط حراسة على مسافات معينة⁽²⁾.

وبذلك كانت تلك الإجراءات الأمنية سببا في ازدهار التجارة الداخلية، والخارجية، وانتعاش حركة الأسواق، من خلال تدخل جهاز الشرطة في محاربة قطاع الطرق والسهر على حراستها، وبذلك ومن خلال ذلك النظام المحكم قصد العديد من التجار المغرب الأقصى، ولاسيما الدول الأوروبية، وبرزت العديد من المدن الجنوبية الواقعة على أطراف الصحراء بعد التوسع على حساب السودان، كمدن تجارية هامة، كمدينة تارودنت، وسجلماسة، وأضحت البلاد سوقا تجارية عظيمة تمد المغرب الأقصى بالعديد من السلع الهامة⁽³⁾. لقد ساهمت الشرطة خلال فترة أحمد المنصور في القيام بالأعمال المنوطة في إحلال الأمن والأمان، وبالتالي إنعكس ذلك بالإيجاب على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وأصبحت فترة أحمد المنصور تمثل أحسن عهود السلاطين السعديين من خلال الإصلاحات والتحديثات التي أدخلها على الدولة السعدية.

في نهاية هذا الفصل يمكن القول أن أحمد المنصور يعد من بين الشخصيات المهمة في تاريخ المغرب الأقصى الحديث، وقد ساهمت عدة عوامل في بناء شخصيته، منها تكوينه الديني والثقافي والسياسي، كما إستفاد أحمد المنصور أثناء سفره إلى الجزائر، بالإضافة إلى الدولة العثمانية كلاجئ سياسي في تحديث المغرب الأقصى والنهوض به، حيث برز أحمد المنصور

(1) - عيد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص 279.

(2) - المرجع نفسه، ص 280.

(3) - نفسه، ص ص 280-281.

الفصل الأول:: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور (محاولة الإصلاح والتحديث)

كأحد أهم السلاطين، الذين عملوا على محاولات إصلاح البلاد وتحديثها. وقد شاهدنا ذلك في العديد من الجوانب السياسية والإدارية والعسكرية، حيث ساهمت تلك الإصلاحات في تحديث المغرب الأقصى، والنهوض به لدرجة أن الكثير من الباحثين يربطون بداية التاريخ الحديث بالمغرب الأقصى بفترة حكمه، على أساس التغيرات والتحولات العميقة التي شهدتها دولته. وبعد تلك الإصلاحات الداخلية التي شهدتها دولته، حرص المنصور على الإهتمام بالعلاقات الخارجية لدولته، حتى يضمن توفير علاقة جيدة مع العالم المتوسطي، وكذا القوى الإسلامية آنذاك. وحتى يبقى الدولة السعدية في مأمن من أي إنزلاق خطير قد يؤدي به إلى الدخول في حرب هو في غنى عنها. وهذا ما سوف نتطرق إليه في الفصل القادم.

الفصل الثاني:

العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد

المنصور.

أولاً: علاقات الدولة السعودية مع القوى الأوروبية.

أ- إسبانيا.

ب- البرتغال.

ج- فرنسا.

هـ- هولندا.

د- إنجلترا.

ثانياً: الدولة السعودية وعلاقتها مع الدول الإسلامية.

أ- الدولة العثمانية .

ب -السودان الغربي.

أ -غزو بلاد السودان في عهد أحمد المنصور الذهبي.

1 - :دوافع غزو بلاد السودان الغربي.

1-1:الدوافع الدينية والسياسية.

1-2:الدوافع الاقتصادية.

1-3:الدوافع العسكرية.

1-4:الدافع المباشر.

ب-غزو بلاد السودان في عهد أحمد المنصور الذهبي.

1-1: مسألة غزو السودان وموقف المجلس الاستشاري منها.

1-2: مراحل الحملة العسكرية (999هـ/1591م).

أ-الحملة العسكرية الأولى.

ب-الحملة العسكرية الثانية.

ج-: نتائج الحملة على السودان الغربي:

1-سلبات الحملة العسكرية.

2-إيجابيات الحملة العسكرية.

يرصد هذا الفصل العلاقات الخارجية للدولة السعودية زمن السلطان أحمد المنصور، حيث حاولنا من خلاله إعطاء صورة حول طبيعة العلاقة التي ربطت ما بين الدولة السعودية، والقوى الأوروبية آنذاك، وفي مقدمتهم الإسبان والبرتغال، وفرنسا وهولندا وإنجلترا. كما حاولنا من خلال هذا الفصل الوقوف على العلاقة التي ربطت ما بين الدولة السعودية والعالم الإسلامي، وفي مقدمتهم الدولة العثمانية، كما عالجنا من خلال هذا الفصل علاقات الدولة السعودية مع السودان الغربي، والتي عرفت توسعا على حسابه.

أولاً: علاقات الدولة السعودية مع القوى الأوروبية:

أ- إسبانيا:

لا شك أن العلاقات المغربية الإسبانية قد تميزت بخصوصية عن الكثير من العلاقات التي تربط أي بلدين جارين في العالم، فالمعروف أن أي بلدين جارين يقعان في منطقة معينة من العالم مهما كانت أهميتها تكون السمة الغالبة على طبيعة العلاقات التي تربطهما هي؛ إما الصداقة أو الصراع، وذلك قد يكون لوجود بعض الأطماع أو الخلافات الحدودية، أو ما هو متعلق بحقوق الإستغلال للثروات وتقسيمها أو ما يتعلق باختلاف أنظمة الحكم في أحد البلدين عن الآخر مما يسبب الخلافات.

والعلاقات بين المغرب الأقصى وإسبانيا اللذين لا يفصلهما إلا مضيق جبل طارق⁽¹⁾ قد شهدت على مر التاريخ حالة من المد والجزر في العلاقات بينهما، فمنذ دخول المسلمين إلى الأندلس وما تلا ذلك من محاولات الإسبان طردهم منها⁽²⁾، تحت ما عرف بحروب الإسترداد والتي تزعمتها الكنيسة الكاثوليكية، وما نتج عنها من مآسي للأندلسيين، الذين هاجروا من بلدانهم إلى شمال إفريقيا ومنها إلى المغرب الأقصى. وفي خضم ذلك الصراع المسيحي على بلاد الإسلام تمت ملاحقة الفارين من الأندلس محاولين القضاء عليهم، حيث أوصت الملكة "إيزابيلا" بضرورة إحتلال شواطئ إفريقيا، ونشر المسيحية هناك⁽³⁾، وبذلك فقد تم إحتلال سواحل إفريقيا بطريقة ممنهجة، عن طريق تقسيم مناطق النفوذ ما بين الدولتين إسبانيا والبرتغال، والذي قابله ضعف وعجز الحكم الوطاسي أمام الهجمات الإستعمارية البرتغالية والإسبانية على سواحل

(1) - هو عبارة عن جسم ضيق من المياه يربط بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي. يبلغ طول المضيق حوالي 51 كم، ويتراوح عرضه بين 13 و37 كم، ويفصل بين أقصى جنوب إسبانيا والشاطئ الشمالي لإفريقيا. ينظر: أحمد مهدي شويخات وآخرون، الموسوعة العربية العالمية، ج. 8، ط. 2، (المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م)، ص 215.

(2) - مجيد كامل حمزة، "العامل الإسرائيلي في العلاقات المغربية الإسبانية"، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العراق، ع. 12، س. 2010م، ص 53.

(3) - جلول بن قومار، معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا البرتغال-إسبانيا-فرنسا (986هـ-1578م/1012هـ-1603م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة غرداية، 1431-1432هـ/2010-2011م، ص 42.

المغرب. فلم يستطع الوطاسيون رد ذلك الخطر الأجنبي عن بلادهم، كما لم تكن لهم القدرة على إدارة شؤونها الداخلية، ولا على القضاء على الفتن الداخلية. وعليه فإننا نميز طبيعة العلاقة بين البلدين على النحو التالي:

في البداية تجدر الإشارة أنه أمام ذلك الوضع المزري الذي أشرنا إليه، قد تميزت العلاقات بين الدولتين بالمهادنة في كثير من الأحيان، فرضتها ظروف إشغال الوطاسيين في شمال المغرب الأقصى بمحاربة الخارجين عليهم، والمناوئين لهم، ومن أبرزهم السعديين⁽¹⁾. فقد حاول الوطاسيون الحصول على دعم الإسبان ضد خصومهم السعديين ولكن بدون جدوى، لأن الحكمة في نظرهم كانت تقتضي ترك المسلمين يقتتلون فيما بينهم، وهناك تفسير آخر لعدم تدخلهم في الصراع، وهو أن الإسبان كانوا فيما يبدو يخططون للتحالف مع السعديين ضد خصومهم العثمانيين، وهكذا ذهبت جهود آخر حكام الوطاسيين أبي حسون في الحصول على دعم الإسبان، بعد أن لجأ إليهم في أعقاب ذهاب ملك الوطاسيين أدرج الرياح⁽²⁾.

أما العلاقات مع الإسبان في أوائل حكم السعديين، فقد تميزت بطابع السلم والحدز، ولم ترق إلى التحالف والتعاون إلا عندما شعر السعديون بالتهديد العثماني، وخاصة في عهد محمد الشيخ السعدي الذي كان يكن للعثمانيين العدا، واتضح ذلك التقارب جليا بعد حملة إيالة الجزائر على حكام المغرب الأقصى سنتي (960-961هـ/1553-1554م)، والتي أشعرتها بضرورة التنسيق والتعاون ضد عدوهما المشترك (العثمانيين)⁽³⁾، فبمجرد وصول محمد الشيخ السعدي إلى فاس بدأت تلوح في الأفق ملامح السياسة الإسبانية إتجاه السعديين، فقد كان الإسبان يتربصون بالتعاون التام بين محمد الشيخ السعدي والعثماني، ويهيئون أنفسهم لهذا الظرف الجديد، خاصة أنهم يعلمون أن هذا التقارب سيكون له تأثير كبير على القضيتين الأساسيتين هما: الثغور المغربية المحتلة، والقضية الموريسكية⁽⁴⁾.

ففيما يتعلق بالثغور المحتلة فإن السلطان السعدي سعى إلى بناء أسطول بحري، لتحرير جميع السواحل السعودية، خاصة أنه يملك موانئ مهمة على المحيط؛ مثل العرائش، والمعمورة⁽⁵⁾ وسلا وأسفى، وبإمكانه بناء السفن في مدينة فاس، وحملها إلى المعمورة عن طريق وادي سبو،

(1) - جلول بن قومار، المرجع السابق، ص43.

(2) - علي كامل حمزة السرحان، المرجع السابق، ص 102.

(3) - جلول بن قومار، المرجع السابق، ص 45.

(4) - محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، ط.1، (الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 1991م)، ص89.

(5) - هي مدينة صغيرة أسسها أحد ملوك الموحدين على مصب نهر سبو، على بعد ميل ونصف من المكان الذي يصب فيه النهر في البحر، وعلى بعد إثني عشر ميلا من سلا. ينظر: حسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص210.

ولن يجد صعوبة في ذلك، لأن التجار الأجانب والفرنسيين خاصة يمكنهم أن يزودوه بمختلف المواد اللازمة لذلك⁽¹⁾.

أما القضية الموريسكية فقد كانوا يلتجئون بإستمرار إلى فاس للإنضمام للسلطان محمد الشيخ، وكانوا يحثونه على توجيه ضربة للإسبان، وذلك بالهجوم عليهم في معاقلم الرئيسية بالمغرب الأقصى، خاصة أن صدى إنتصارات محمد الشيخ قد تعدى الحدود ليصل إلى موريسكي إسبانيا نفسها، إذ كان لهم أمل قوي في أن محمد السعودي سوف ينفذهم منهم، على أساس أن يقوموا بثورة في الداخل متى شعروا بإقترابه من إسبانيا⁽²⁾.

يمكن القول أنه بمجرد إستعادة محمد الشيخ فاس إلى حكم السعديين 1554م، عمل على مهادنة الإسبان⁽³⁾، بحيث عقد محمد الشيخ إتفاقية هدنة من خلال حاكم وهران⁽⁴⁾ التابع للإسبان لمدة عشرة سنوات أو أقل إذا رغب السلطان في ذلك. وتجدر الإشارة أن ذلك المشروع كان من شأنه أن يقوي العلاقة ما بين الجانبين، علاوة على أنه سوف يعرقل أهداف العثمانيين في المغرب الأقصى، وهذا ما جعل السلطان سليمان القانوني يفكر في القضاء على محمد الشيخ وإغتياله⁽⁵⁾.

على العموم فإنه بعد إغتيال محمد الشيخ من طرف العثمانيين أصبح عبد الله الغالب بالله حاكما على البلاد، فسار على نهج والده في التقرب من الإسبان من خلال مهادنتهم، حيث تم عقد إتفاقية ما بين الطرفين سنة (964هـ/1557م). وبينما كانت المفاوضات جارية ما بين البلدين أعلن الباب العالي حربه على الدولة السعودية، ولكن عبد الله الغالب إستطاع رد الخطر العثماني⁽⁶⁾. إلا أنه وبسبب مخاوف السلطان عبد الله الغالب من عودة الخطر العثماني قام بالتنازل عن حجر بادس للإسبان مقابل ضمان مساندتهم له ضد التهديد العثماني، وهو ما أدى إلى إضعاف الأسطول السعودي على حساب القوى الإسبانية⁽⁷⁾.

تجدر الإشارة إلى أن العلاقات الإسبانية مع عبد الله الغالب سارت على نفس النسق طوال فترة حكمه. بعد وفاة عبد الله الغالب تولى ابنه المتوكل (المسلوخ) حكم البلاد، فاتبع نفس سياسة

(1) - محمد رزوق، " العلاقات المغربية الإسبانية خلال القرن السادس عشر العهد السعودي الأول نموذجا "، مجلة المناهل، الرباط، ع.38، س. 1989م، ص185.

(2) - محمد رزوق، دراسات في ...، المرجع السابق، ص ص 89-90.

(3) - عبد الكريم الكريم، المرجع السابق، ص83.

(4) - مدينة كبيرة بناها الأفارقة على شاطئ البحر المتوسط، تبعد عن تلمسان حوالي 140 ميلا، وبها بنايات كبيرة، ومساجد وهي محاطة بأسوار عالية. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص 30.

(5) - عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي...، ج.8، المرجع السابق، ص 133.

(6) - عبد الهادي التازي، الوسيط في التاريخ الدولي...، ج.3، المرجع السابق، ص ص 50-51.

(7) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص 90-91.

أبيه عبد الله الغالب في مهادنة الإسبان⁽¹⁾ لصد الخطر العثماني، فإزدادت بذلك رغبة العثمانيين في ضم المغرب الأقصى بعد إنتصارهم على الإسبان في تونس، ودخولها ضمن الحاضنة العثمانية، ومساعدتهم لعبد الملك بالمطالبة بالعرش السعودي⁽²⁾. وفي خضم تلك المعطيات ولحسم الصراع ما بين الأخوين حول أحقيتهم بالعرش فإن الإسبان قد دعموا المتوكل على حساب عبد الملك، الذي خذله الإسبان بحكم أنهم ساندوا الحاكم الشرعي للبلاد حسب وجهة نظرهم⁽³⁾.

وبعد حسم الصراع ما بينهما وإستباب الأمر لعبد الملك كحاكم على البلاد، فإن سياسته الخارجية مع الإسبان لم تختلف كثيرا مقارنة بأسلافه، فقد إنتهج سياسة المهادنة، وحسن الجوار في تعامله مع الإسبان، إذ أرسل عبد الملك للحاكم الإسباني فليب الثاني بشأن مساندته في طرد البرتغاليين من باقي الموانئ التي لازالوا يحتلونها، لكن ملك الإسبان وضع الثغور السعودية المحتلة تحت سيادته إثر إنهزام البرتغال في معركة وادي المخازن 1578م⁽⁴⁾.

بعد الإنتصار الذي حققه السعوديون على البرتغال في موقعة وادي المخازن 1578م، وبتولى أحمد المنصور، عمل في سياسته الخارجية مع الإسبان على إتباع الطرفين سياسة بلديهما التقليدية في الإبقاء على الحلف الإسباني السعودي، ساعد ذلك في بداية حكم المنصور نوايا العثمانيين بمهاجمة المغرب الأقصى، إلا أن الفتور بدأ يسود العلاقات السعودية الإسبانية بعد أن تصالح المنصور مع العثمانيين، وبدأ يسعى لتقوية صلاته بهم، كان ذلك خاصة بعد أن ضمت إسبانيا البرتغال سنة 1580م، وورثت بذلك ممتلكاتها في المغرب الأقصى، وأظهرت رغبتها في الحصول على ميناء العرائش، والذي كان من القضايا الشائكة آنذاك، ولم يقتصر موضوعها على إسبانيا والدولة السعودية بل حتى إنجلترا⁽⁵⁾.

والسبب في ذلك أنه كان يمثل مرسى جيدا وموقعا مهما، فهي أولا تشرف على السهل، وثانيا تسند على نهر اللكوس، وثالثا تفتح على البحر، وهذا ما يمكن من التحصن فيها بسهولة، ولن يكون ذلك بغرض دفاعي فقط بل بداية لعمليات أكثر إتساعا، فالعرائش تقدم ملجأ جيدا من

(1) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص330.

(2) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص97.

(3) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص330.

(4) - المرجع نفسه، ج.6، ص330.

(5) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص62.

عواصف المحيط الأطلسي إذ قام العثمانيون بالسيطرة عليها فإن الملاحنة ستصبح مستحيلة في نواحيها ويصعب إخراج العثمانيين منها⁽¹⁾.

ومن أجل ذلك عمل الإسبان على تجديد المعاهدة السعودية الإسبانية التي سبق وأن وقع عليها عبد الملك سنة 1577م، وبدوره إنتهز المنصور الفرصة لتجديد المعاهدة حتى يرد التهديد العثماني هذا من جهة، ومن جهة أخرى حتى لا يفتح العديد من جبهات الصراع. فقد كان يدرك أيضا الخطر الإسباني، ومن ثم عمل على إحياء تلك المعاهدة التي تنص على حسن الجوار لمدة عشرين عاما، مقابل أن يتخلى المنصور على أهم ثغر، وهو العرائش ويضمن مساعدة الإسبان له، وبذلك إضطر السلطان العثماني لسحب حملته على المغرب الأقصى⁽²⁾.

ساهم التهديد العثماني في إحداه التقارب ما بين الطرفين السعودي والإسباني، وتم عقد إتفاق، وإلتزم الطرفان بأن يساعدا بعضهما البعض. ولإشارة فإن الإتفاق الذي حدث ما بين الطرفين كان لكل واحد أهدافه الخاصة، فأحمد المنصور كان يواجه تهديدا حقيقيا لملكه من طرف العثمانيين، في حين أن فليب الثاني كان يفضل جوار السعوديين، على جوار العثمانيين بحيث تشكل قوتهم تهديدا صريحا لمملكته إذ تم لهم الإستيلاء على المغرب الأقصى، بالإضافة إلى الإنشغال بتمهيد الساحة لإطلاق يدهم في مملكة البرتغال⁽³⁾.

ويفضل ذلك الإتفاق المبرم ما بين الطرفين بدأ العثمانيون يتراجعون عن تهديدهم للدولة السعودية، وإن كان ذلك نسبيا ويدخلون في نوع من المسالمة وتبادل الود مع أحمد المنصور، وهو بالتالي ما يضمن نوعا من الإستقرار النسبي للسعوديين إتجاه العثمانيين، وتلك المعطيات الجديدة جعلت إنجلترا تنتهز الفرصة للظهور على مسرح الأحداث، بحيث عملت على تسليح الجيش السعودي، وإمداد المنصور بكل حاجياته العسكرية، وذلك للحيلولة دون التقارب الإسباني السعودي وتنازل السعوديين للإنجليز عن العرائش، وتمكينهم من إحتكار التجارة السعودية⁽⁴⁾.

وفي سنة 1581م، وأمام تلك المتغيرات عمل فليب على تحريك مسألة العرائش، فقد وضع المفاوضات السعوديون والإسبان مشروع إتفاق يقتضي بتسليم العرائش للإسبان، ولكن لم يصادق المنصور على المعاهدة ولجأ إلى سياسة التماطل أمام دعم المساعي العثمانية والإنجليزية التي شجعت المنصور على ذلك. وفي سنة 1589م إقتنع ملك إسبانيا بعدم جدية المنصور بتسليمه

(1) - محسن بووشن، " التنافس الإسباني - الإنجليزي حول الثغور المغربية خلال عهد أحمد المنصور السعودي (986هـ/1578م/1012هـ/1603م) "،

مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، مج.05، ع.02، س.2020م، ص 95.

(2) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص ص 330-331.

(3) - محسن بووشن، المرجع السابق، ص 95.

(4) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص 116-117.

الفصل الثاني:العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور

العرائش بعدما رآه يقوم بتحسينه⁽¹⁾، فقد دفعت تلك الأطماع المتزايدة للسيطرة على ميناء العرائش بالسلطان أحمد المنصور إلى القيام بتحسين المدينة بشكل جيد، فقام ببناء حصن منيع سمي بحصن الفتح لحمايتها من أي هجوم محتمل⁽²⁾.

وفي سنة 1595م بعدما أظهر المنصور إصراره على الإحتفاظ بميناء العرائش عمل ملك الإسبان على دعم ثورة الناصر الذي إنشق عن عمه، وعمل على تقديم المساعدات إليه من أجل تهديد المنصور. بذل المنصور جهدا في القضاء على ثورة الناصر، فإستطاع الإنتصار عليه، وعد المنصور ذلك الإنتصار؛ إنتصارا على الإسبان، وأمر بإلقاء القبض على السفير الإسباني، ومتابعة الإسبان الموجودين في المغرب الأقصى⁽³⁾.

لم يكتف فليب الثاني بمساعدة ثورة الناصر، بل عمل على التخطيط لإحتلال جزيرة أرجوين⁽⁴⁾، والشاطئ الصحراوي المواجه لها، لتحويل ذهب السودان إليها⁽⁵⁾. ونتيجة لذلك قام ملك إسبانيا بدعمه للأمير الناصر، في مقابل ذلك أبدى المنصور رغبته في إستعداده لمساعد الأمير البرتغالي "دون كريستوف" على إسترجاع العرش، وإمداده بالقوات المسلحة، وكل ما يطلبه منه، هذا ناهيك عن دعم إنجلترا وهولندا في الهجوم الإسباني على قانس⁽⁶⁾، سنة 1596م، ليؤكد المنصور دعمه المطلق للمعسكر البروتستانتى، ومحاربه للإسبان⁽⁷⁾.

وفي نفس سياق دعم أحمد المنصور للإنجليز، وهولندا قام بإرسال سفارة بقيادة عبد الواحد عنون⁽⁸⁾ في 15 جوان 1600م⁽⁹⁾ بهدف إعلان رغبته في عقد تحالف عسكري سعودي - إنجليزي ضد إسبانيا، بهدف إخراجها من هولندا ومن ثم مهاجمتها في عقر دارها⁽¹⁾.

(1) - محمد علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص ص 63-64.

(2) - محسن بووشن، المرجع السابق، ص 96.

(3) - محمد علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 64.

(4) - هي جزيرة صغيرة تعتبر أهم المراكز بشاطئ موريتانيا لتبادل السلع. ينظر: سونيا إي. هاو، في طلب التوابل، تر: محمد عزيز رفعت، مر: محمود النحاس، [د.ط.]، (مصر: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بالفجالة، 1957م)، ص 112.

(5) - محمد علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 65.

(6) - ميناء إسباني شهير، يقع على المحيط الأطلسي على بعد 97 كم إلى الشمال الغربي من جبل طارق. تعتبر قانس محطة بحرية رئيسية في إسبانيا، وترسو في مينائها سفن من دول كثيرة، أسس الفينيقيون قانس عام 1130 ق.م، ثم دخلت تحت حاضنة الإسلام. وفي عام (661هـ/1262م) تمكن ألفونسو العاشر ملك قشتالة من إخراج المسلمين من قانس، واتخذها قاعدة لإطلاق الكشوفات الجغرافية. للمزيد ينظر: أحمد مهدي محمد الشويحات، الموسوعة العربية العالمية، ج. 18، ط. 2، (المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م)، ص 11.

(7) - عبد كريم كريم، المرجع السابق، ص ص 206-207.

(8) - يعد من بين الشخصيات الفذة في حاشية المنصور حذقا ونفاذ ذهن وإخلاصا للدولة، جمع بين أدب الكتابة وبراعة الخط، وكذلك كان ملما بالرياضيات والفلك، ائتمنه المنصور على أسراره، وعلى بيت المال وبعث به على رأس وفد مهم لدى الملكة إليزابيث. (ت بعد 1009هـ/1601م). ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية...، المرجع السابق، ج. 2، ص 388.

(9) - Mouhcine Bouachan: " Le Maroc et l' Angleterre à l'époque saadienne: L' ambassade de Abdel Wahed Ibn Massaoud Anoun " , Revue "enlightenment" pour la Recherche humanitaire et Sociale. Délivré par l'Institut des Sciences Humaines et Sociales, Centre Universitaire aflu, Alger , vol.15, 2020, p444.

وكرد على المقترح الذي طلبه المنصور بشأن التحالف ضد إسبانيا، فقد جاءت عكس ما كان يرغب بها أحمد المنصور، حيث لم تبد ملكة إنجلترا رغبتها في مهاجمة الإسبان، بل طلبت من المنصور أن يقرضها مائة ألف جنيه، من أجل تهيئة الحملة العسكرية ضد الهند، والتي تعتبر إحدى المستعمرات الإسبانية، لأهميتها الاقتصادية، ولأن إنجلترا كانت تسعى إلى تركيز نفوذها في الشرق الإسلامي⁽²⁾.

إلا أن المنصور كتب رسالة للملكة الإنجليزية بتاريخ (1009هـ/1601م) تظاهر بقبول طلب الملكة والنزول عند رغبتها، شريطة مشاركة القوات السعودية في غزو الهند، واقتسام الأراضي التي سيتم السيطرة عليها بينهما⁽³⁾.

ومما يظهر عدم تحمس المنصور لطلب الملكة الإنجليزية، أنه عندما طلبت منه أن يسمح لها بنقل أندلسي بلاده إلى إنجلترا بهدف إستخدامهم في المواجهة المسلحة التي ستخوضها الملكة ضد الإسبان، أعرض المنصور عن هذا الطلب، ولم يبد أي موافقة، وتحجج بقوله أن عددهم قليل ولن يفوا بالغرض المطلوب، وأن نقلهم محفوف بالخطر، ونحن لا نريد إرتكاب الأخطار والتغريب بهم⁽⁴⁾.

أمام تلك التطورات الجديدة التي ظهرت أمام المنصور أقدم على تغيير سياسته الخارجية، حيث عمل على التفاهم مع الملك الإسباني⁽⁵⁾. ومما يدل على ذلك التقارب الأحداث التي عرفها المغرب الأقصى بظهور ثورة إبنه الشيخ المأمون، بالإضافة إلى إنتشار الوباء، كما عرفتها زيادة الخطر العثماني والإنجليزي، وأمام تلك التحديات الجديدة قام المنصور بعقد التحالف العسكري سنة 1602م، للتفرغ لإخماد ثورة إبنه، وكذلك لمواجهة الأخطار الخارجية.

وبالفعل فحسب ما ورد في وثيقتين مؤرختين ب 16 أوت 1602م، تحركت قطع من الأسطول الحربي الإسباني، الموجودة في الموانئ الإيطالية، نحو السواحل السعودية لمساعدة المنصور، على إخماد ثورة الشيخ المأمون، لكن خلال تلك الفترة العصيبة التي كانت تمر بها الدولة السعودية إشتد على المنصور المرض، والذي لم يدم طويلا حتى وافته المنية يوم (الاثنين 16 ربيع الأول عام 1012هـ/24 أوت 1603م)⁽⁶⁾.

(1) - محمد حجي، *الحركة الفكرية...*، المرجع السابق، ج.2، ص 388.

(2) - عبد كريم كريم، المرجع السابق، ص 216.

(3) - المرجع نفسه، ص ص216-217.

(4) - نفسه، ص 217.

(5) - نفسه، ص 219.

(6) - نفسه، ص ص 225-226.

ب-البرتغال:

شهدت العلاقات البرتغالية السعدية خلال القرن (15و16م) فترة عراك وصدام، كما عرفت حقبة خضوع وإستسلام⁽¹⁾، فقد ظهر الخطر البرتغالي على المغرب الأقصى منذ بداية القرن الخامس عشر، وإشتدت وطأته في أواخر القرن الخامس عشر، وفي بداية القرن السادس عشر، بحيث إستطاع البرتغاليون أن يسيطروا على معظم سواحل المغرب الأقصى الأطلسية⁽²⁾، إذا إحتل البرتغاليون عشرة من الثغور المغربية ما بين (1415و1515م) مستغلين في ذلك الضعف الذي كان يعصف بالمغرب الأقصى في ظل الحكم الوطاسي، من تفكك وفوضى⁽³⁾، وأزمة سياسية، وإقتصادية وإجتماعية حادة⁽⁴⁾، يضاف إلى ذلك التفوق العسكري البرتغالي على المغرب الأقصى في ميدان السلاح والتقنيات الحربية⁽⁵⁾. في خضم تلك الأحداث المزرية التي كان يمر بها المغرب الأقصى - والتي سبق وأن أشرنا إليها- أدت إلى حدوث عدم التوازن ما بين القوتين، وهذا ما أدى بالوطاسيين إلى طلب المهادنة مع القوى البرتغالية.

ففي البدايات الأولى لحكم الوطاسيين، الذين ورثوا حكم المغرب الضعيف، الذي تترىص به القوة الإيبيرية، سعوا إلى مهادنة البرتغاليين والإسبان على حد سواء، أملين أن ينقذوا ما تبقى من مدن المغرب الأقصى، أو على الأقل التخفيف من الخسائر، التي منيوا بها من جراء ذلك الغزو، والمحافظة على سلطانهم في فاس⁽⁶⁾.

تجدر الإشارة إلى أن الوطاسيين قد عقدوا سلسلة من المهادنة مع البرتغال في العديد من المرات. ففي سنة (876هـ/1471م) بعث محمد الشيخ الوطاسي⁽⁷⁾ أخاه محمد الملقب (بالحلو) سفيرا عنه للبرتغاليين، حيث تم إبرام هدنة طويلة المدى بين محمد الشيخ الوطاسي وألفونسو

(1) - جلول بن قومار، المرجع السابق، ص46.

(2) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص12.

(3) - أحمد بوشرب، مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر دراسة في الثقافة والذهنيات بالمغرب من خلال محاضر محاكم التفتيش الدينية

البرتغالية، ط.1، (المحمدية: مطبعة فضالة، 1996م)، ص11.

(4) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص12.

(5) - أحمد بوشرب، مغاربة في البرتغال...، المرجع السابق، ص11.

(6) - جلول بن قومار، المرجع السابق، ص48.

(7) - هو محمد بن محمد الشيخ الوطاسي أبو عبد الله، سلطان المغرب الأقصى، بويغ لأخيه علي المدعو بأبي حسون بولاية العهد من أخيه، وبقي على سلطنته إلى أن خلع وبويغ ابن أخيه أبو العباس، توفي سنة 931هـ. ينظر: ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، مج.2، ط.1، (القاهرة: مكتبة دار التراث، 1391هـ/1971م)، ص152.

الخامس⁽¹⁾ ملك البرتغال، وقد أفادت تلك الهدنة كلا الطرفين، وأعطت لكل منهما فرصة لتحقيق أغراضه⁽²⁾.

وفي سنة (932هـ/1526م) نلاحظ أن أبا العباس الوطاسي⁽³⁾ يعقد هدنة مجددا مع ملك البرتغال عندما أحسوا بظهور خطر السعديين بجنوب المغرب الأقصى، بحيث رأى الوطاسيون أنه من الضروري عقد هدنة مع البرتغال من أجل التفرغ لخصومهم الجدد، وحتى يحافظوا على ملكهم في فاس من الخطر البرتغالي⁽⁴⁾.

لم تتوقف سلسلة الإتفاقيات ومعاهدات الهدنة ما بين الطرفين عند ذلك الحد، بل عمل الوطاسيون على عقد معاهدات أخرى. ففي سنة (945هـ/1538م) عقدت هدنة ما بين الطرفين لفترة إحدى عشر سنة برا وبحرا بالشروط ما بين الطرفين⁽⁵⁾. بذلك يتضح لنا جليا من خلال سلسلة من المعاهدات التي عقدها الوطاسيون مع البرتغال على أن الوطاسيين منذ بداية حكمهم عملوا على مهادنة البرتغاليين، من أجل ضمان مصالحهم في المغرب الأقصى، والحفاظ على ملكهم هذا من جهة، ومن جهة ثانية من أجل التفرغ للقضاء على العدو الجديد لهم.

ففي ظل تلك الظروف السياسية المزرية التي عاشها المغرب الأقصى من مهادنة العدو الأجنبي وعدم القدرة على الدفاع عن البلاد بدأ المغرب الأقصى يتطلع إلى قوة تعمل لإنقاذه، أو مساعدته على رد الخطر البرتغالي وتحرير الثغور، وبالفعل فقد ظهرت حركة دينية في جنوب المغرب الأقصى، والتي تمثلت في الأسرة السعدية، حيث عملت تلك الأسرة على رد الخطر البرتغالي، ومحاولة إسترجاع الأراضي المحتلة من العدو⁽⁶⁾.

بدأت العلاقات البرتغالية السعودية عدائية، فبمجرد أن إستولى السعديون على مقاليد الأمور في جنوب المغرب الأقصى، وضعوا نصب أعينهم ضرورة القضاء على الإستعمار البرتغالي، وضرورة طردهم من الأراضي السعودية، وقد نجح القائم بأمر الله مع أولاده من تحرير الأغلبية

(1) - ملك برتغالي لقب (الإفريقي)، حكم من (1438-1481م)، استولى على طنجة 1471م، أدى زواجه من " جوانا لابلترانيجا " إلى حرب فشل فيها مع فرديناند وايزابلا. ينظر: حسين محمد نصار وآخرون، المرجع السابق، ص 388.

(2) - عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم عهد بني مرين والوطاسيين، مج.7، [د.ط.]، (المحمدية: بطابع المحمدية، 1986م)، ص 245.

(3) - هو أحمد بن محمد بن محمد الوطاسي، أبو العباس من ملوك بني وطاس، ثار على عمه علي بن محمد فخلعه في آخر سنة 932هـ، تولى عرش فاس، عقد صلح مع البرتغال في مدينة أسفي ليتفرغ لقتال السعديين، فدخل معهم في صراع مرير أدى به إلى وقوعه أسير في يد السعديين فحمل إلى مراكش وظل معتقلا فيها إلى أن مات. للمزيد ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج.1، ط.15، (بيروت: دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 2002م)، ص 233.

(4) - عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي...، مج.7، المرجع السابق، ص 250.

(5) - المرجع نفسه، ص 255.

(6) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 12.

الفصل الثاني:.....العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور

العظمى من الموائى التي إحتلها البرتغال، مما إضطر ملك البرتغال إلى طلب المساعدة من ملك إسبان ضد هجوم السعديين، والذي لم يبد أي إهتمام، نظرا لإنشغاله بحركة الكشوفات الجغرافية⁽¹⁾ وصراعه مع هولندا والإنجليز⁽²⁾.

أما في عهد محمد الشيخ فقد تميزت العلاقة مع البرتغاليين بطابع عنيف في بداية حكمه، وسلمي في نهاية عهده⁽³⁾، إذ بعد سيطرة محمد الشيخ على مقاليد الحكم، تابع سياسة والده فأعلن جهاده ضد الإحتلال البرتغالي للسواحل السعودية، حيث إستطاع ما بين (947-948هـ/1540-1541م) طرد الإحتلال البرتغالي من العديد من الموائى والمدن الساحلية السعودية، مثل فونتي⁽⁴⁾ وآسفى وأزمور⁽⁵⁾. وقد ساعدته في ذلك تأييد الطريقة الجزولية له⁽⁶⁾.

تجدر الإشارة أنه نتيجة للضغط العثماني المتزايد على السعديين كمحاولة لضم المغرب الأقصى ضمن الأراضي العثمانية، بالإضافة إلى التنافس حول مسألة الخلافة الإسلامية، جعلت محمد الشيخ يسارع إلى التقارب مع البرتغال، بحيث أنه في سنة 1555م قام محمد الشيخ بعقد هدنة مع البرتغاليين، بواسطة حاكم مازكان لمدة ستة أشهر، وقد ظل في الواقع مفعول تلك الهدنة زمنا طويلا⁽⁷⁾.

بوفاة محمد الشيخ تولى العرش السعدي أبو محمد عبد الله الغالب (964-982هـ/1557-1574م)، وقد تميزت العلاقات السياسية ما بين البلدين بالسلم في أغلب الفترات، إذا استثنينا منها حملته على مازكان وحصاره لها بواسطة إبنه محمد المتوكل، في ربيع(969هـ/1562م)⁽⁸⁾.

(1) - هي تلك الرحلات التي انتشرت بشكل واسع خلال القرن 15م، على يد رحالة أوروبيين لإكتشاف مناطق جديدة من العالم، وقد كان لتلك الرحلات نتائج عديدة على أوروبا، والعالم خلال العصر الحديث. ولإشارة فإن أول دولة اهتمت بالكشوف، وبحركة البعث الكشفية الجغرافية، هي البرتغال ثم إسبانيا. وكان أهداف الكشوف البرتغالية تحويل المسلمين في غرب إفريقيا وغيرها من مناطق إلى المسيحية. للمزيد ينظر: أشرف صالح محمد سيد، أصول التاريخ الأوربي الحديث، ط.1، (قطر: دار واتا للنشر الرقمي، 2009م)، ص ص 64-95.

(2) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص322.

(3) - جلول بن قومار، المرجع السابق، ص49.

(4) - هو عبارة عن حي يعد من أقدم أحياء مدينة أكادير على بعد كليومتر من المدينة في مواجهة الميناء. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 214.

(5) - محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط.2، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982م)، ص265. ينظر أيضا: حسين مؤنس، عالم الإسلام، (القاهرة: مطابع الزهراء للإعلام العربي، 1973م)، ص384-385.

(6) -تتسب تلك الطريقة إلى أبو عبد الله محمد بن سليمان أبي بكر الجزولي السملالي، نسبة إلى جزولة، أو الغزولي، والكزولي نسبة إلى غزولة أو كزولة، إحدى بطون البربر من سوس المراكشية، ويرتفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. للمزيد ينظر: عبد القادر مداح، التواصل الصوفي بين الطرق الصوفية في المغرب الأقصى وغرب الجزائر 1518-1830م الطريقة الهيرية نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجبالي ليايس سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2017م، ص187.

(7) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص83.

(8) - جلول بن قومار، المرجع السابق، ص50.

وفي سنة (981هـ/1574م) مات الغالب وخلفه ابنه محمد المتوكل (981-983هـ/1574-1575م)، وبتوليئه الحكم السعودي، ظهر منافسان له؛ هما عمّاه، عبد الملك وأحمد المنصور، وقد عاشا في ظل الحكم العثماني، وعملا على مناهضة ابن أخيها محمد المتوكل ومنافسته في الحكم، ونجح عبد الملك بن المهدي في إبعاد السلطان محمد المتوكل عن الحكم بمساعدة العثمانيين⁽¹⁾.

وكان ذلك سنة (984هـ/1576م)⁽²⁾ مما دفع بالمتوكل إلى الإنسحاب من المغرب الأقصى وإتجه نحو البرتغال⁽³⁾. حيث إتفق المتوكل مع الملك "دون سبستيان" أن يكون حليفه من أجل إسترجاع ملكه، فقبل الملك البرتغالي مساعدته بشرط أن يتنازل له المتوكل عن جميع شواطئ المغرب الأقصى⁽⁴⁾. وبذلك فقد وجد "دون سبستيان" في طلب المساعدة الذي تقدم به المتوكل ضد عمه عبد الملك، سببا كافيا ليعلن حربه ضد عبد الملك⁽⁵⁾، بحيث سير "دون سبستيان" جيشا عظيما مكونا من البرتغاليين، بالإضافة إلى متطوعين من مختلف دول أوروبا، يضاف إلى ذلك جيش يتألف من ثلاثة مائة من المغاربة المسلمين بقيادة المتوكل، وانتقل الجميع إلى المغرب الأقصى عن طريق بعض الثغور، كالعرائش، والقصر الكبير⁽⁶⁾. إنقضى الجيش البرتغالي مع الجيش السعودي بموقعه وادي المخازن في عام (986هـ/1578م)⁽⁷⁾.

إنتهت المعركة بهزيمة البرتغاليين وانتصار السعوديين، حيث توفي على إثر تلك المعركة ثلاثة ملوك؛ وهم: عبد الملك السعودي، محمد المتوكل السعودي وملك البرتغال "دون سبستيان"، وبإنتهاء معركة وادي المخازن تحطمت آمال البرتغال في السيطرة على المغرب الأقصى⁽⁸⁾. وكان لنتيجة تلك المعركة التي إعتبرت نقطة تحول كبرى في تاريخ المغرب الأقصى وإفريقيا، فقد أفل نجم الإمبراطورية البرتغالية على الفور، وأصبحت محمية إسبانية لمدة ستين سنة، وأصبح للمغرب الأقصى مركز دولي جديد⁽⁹⁾. فبعد إنتصار السعوديين على البرتغال في موقعة وادي المخازن

(1) - محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي لليبيا-تونس-الجزائر - موريتانيا، [د.ط.]، (إسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2000م)، ص 240.

(2) - محمد الفاسي، "إحتلال البرتغاليين للثغور المغربية الذي أدى إلى موقعة وادي المخازن"، مجلة دعوة الحق، الرباط، ع. 8، ص. 1398هـ/1978م، ص 25.

(3) - محمود السيد، المرجع السابق، ص 240.

(4) - عبد الهادي التازي، " وقعة وادي المخازن بدون رقابة"، مجلة دعوة الحق، الرباط، ع. 8، ص. 1398هـ/1978م، ص 27.

(5) - عسر عسران أحمد طه، " من إنتصارات الإسلام: معركة وادي المخازن"، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، مج. 19، ع. 224، ص. 1983م، ص 50.

(6) - علي الصقلي، عبد الهادي التازي، " المعركة الكبرى"، مجلة البحث العلمي، الرباط، مج. 18، ع. 33، ص. 1982م، ص 277.

(7) - محمود السيد، المرجع السابق، ص 240.

(8) - علي الصقلي، عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص ص 277-278.

(9) - محمد الغري، المرجع السابق، ص 98.

وضم البرتغال إلى ممتلكات الإسبان سارع وفد البرتغال يهنيء المنصور بالإنصار، وتقديم الهدايا العظيمة للمنصور سنة 1579م⁽¹⁾.

ما يمكن أن نستنتجه من خلال تتبعنا لمسار العلاقات ما بين الدولتين الأيبيريتين مع السعوديين أن العلاقة ما بين الطرفين كانت تحكمها مصالح مشتركة، حيث لاحظنا من خلال سردنا للعلاقات ما بين الدولتين أنه عندما يكون هناك خطر عثماني أو نية مبيتة في التوسع على حساب المغرب الأقصى يتحالف السعوديون مع قوى (الإسبان والبرتغال) على حساب العثمانيين، بحكم أنه عدو مشترك لكلا الطرفين، وحتى يرد التهديد العثماني هذا من جهة. ومن جهة أخرى يفترقان عندما لا يكون هناك مصلحة تقتضي التحالف، ورغم ذلك كله فإن العلاقات ما بين الطرفين كانت تحكمها عدم الثقة والحذر الشديد في العديد من المواقف.

ج-فرنسا:

تعود العلاقات بين المغرب الأقصى وفرنسا إلى أبعد من القرن السادس عشر⁽²⁾، بحيث دخلت فرنسا مجال العلاقات الدولية مع المغرب الأقصى منذ حكم الأسرة الوطاسية، وكانت بداية العلاقة مصالح تجارية⁽³⁾، كالحصول على بعض الإمتيازات التجارية، كحق جلب الدواب من المغرب الأقصى، والسماح للبواخر الفرنسية بالرسو في شواطئ المغرب الأقصى، والمرور في أمان بمياهها، وحمايتها إذا إقتضى الأمر ذلك. وتجدر الإشارة إلى أن العلاقة الفرنسية الوطاسية لم تكتسب صفة دبلوماسية على الدوام، ولم تخرج عن إطار تبادل الأسرى أو التجارة⁽⁴⁾.

يعود السبب في ذلك عدم وجود مصالح عسكرية لفرنسا في ذلك الوقت، إلا أنها كانت تريد أن يكون لها دور في نسيج العلاقات الدولية الكبرى بالمغرب الأقصى، وأن تستبدل أحد الأقطاب الأيبيرية، ويكون لها دور مشترك من منطلق المصالح الإقتصادية والتبادل التجاري، ودخول ميدان إمداد المغرب الأقصى بالأسلحة، وتوثيق علاقتها بالدولة العثمانية، لكي تكون منفذا لها في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) من واقع السيطرة العثمانية على تلك الأقطار، والضرورة أن يكون لها دور تلعبه في بلاد الشمال الإفريقي، حيث أن ذلك التواجد الفرنسي في نهاية القرن السادس عشر سوف يكون مقدمة للنشاط الفرنسي فيما بعد، لاسيما وأن فرنسا كانت تخطط إلى إيجاد دور لها

(1) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص304.

(2) - علي كامل حمزة السرحان، " العلاقات الخارجية للدولة السعودية خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي (1549-1603م) دراسة

تاريخية"، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، العراق، مج.20، ع.4، س.2017م، ص105.

(3) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص339.

(4) - علي كامل حمزة السرحان، المرجع السابق، ص 105.

الفصل الثاني:العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور

في الإستعمار والإستيلاء على إحدى القواعد على ساحل المغرب الأقصى، سواء على البحر المتوسط أو المحيط الأطلسي إمتدادا لها إلى بلاد السودان الغربي، وممارسة دورها كدولة قوية صاعدة، لاسيما وأنها كان لها دور في حركة الحروب الصليبية - حملة لويس التاسع⁽¹⁾ على تونس في العهد الحفصي -، فضلا عن ضرورة التواجد السلمي والإستمرار في ذلك التواجد، على حساب القوى التي بدأت تصعد مثل: البرتغال وإسبانيا، ولحقت بالحركة الإستعمارية الأوروبية⁽²⁾.

أما في العهد السعودي فإن العلاقة أيضا أخذت طابعا إقتصاديا، حيث أنه بعد أن سيطر السعديون على فاس (24 شوال 961هـ/21 سبتمبر 1554م)، قامت فرنسا بإستئناف صلاتها مع السعديين، وكانت طبيعة تلك العلاقة تجارية، حيث أرسل ملك فرنسا فرانسوا الأول⁽³⁾ مبعوثا إلى محمد الشيخ المهدي من أجل التفاوض معه حول تزويد فرنسا بالمعدن الأبيض (القصدير)، في مقابل منحهم المعدن الصالح لصنع المدافع⁽⁴⁾.

وفي (966هـ/1559م) بدأت المفاوضات بين عبد الله الغالب، وملك نافار حول حلف عسكري بين الطرفين، على إثرها طلب الغالب من أنطوان دو بوربون بأن يجعل تحت تصرفه خمسمائة جندي مسلح، وحرس يتألف من ثلاثين من الرماة الذين يسيرون أمام ركب السلطان عبد الله الغالب، في مقابل أن يسلم عبد الله الغالب لأمير نافار مرسى القصر الصغير⁽⁵⁾، بحيث يمكن لهذا الأخير أن يشيد هناك حصنا لمناوشة عدوته قشتالة. هذا بالإضافة إلى أن بنود المعاهدة بين الطرفين، تضمنت إلتزام الطرفين بتقديم المساعدة بالسماح للبواخر الفرنسية بالرسو في الموانئ المغربية، مقابل المعاملة بالمثل، من أجل تسهيل مهمة تبادل الطرفين⁽⁶⁾.

وبما أن الإتفاقية المبرمة تنص على تسليم ميناء القصر الصغير للفرنسيين، إلا أن ذلك لم يحصل في الواقع، على الرغم من أن الأمير الفرنسي أنطوان دو بوربون زوّد السلطان السعودي

(1)- ملك فرنسا من (1226-1270م) ابن لويس الثامن وخليفته، ولد سنة 1214 كانت أمه بلانش القشتالية وصية عليه وهو قاصر، حدث في أعوام حكمه الأولى ثورات الأمراء الإقطاعيين. للمزيد ينظر: حسين محمد نصار وآخرون، المرجع السابق، ص 2910.

(2) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص339.

(3) - ملك فرنسا من (1515-1547م)، ولد سنة 1494م. دخل في صراع مرير مع شارل الخامس ملك إسبانيا، وقد نجم عن ذلك الصراع هزيمة فرانسوا الأول في معركة بافيا عام 1525م، وباعت حملته بفشل، مما أدى به إلى وقوعه في الأسر، كما شهدت فترة حكمه توقيع معاهدة مع السلطان سليمان القانوني، والتي عرفت بالإمتيازات الأجنبية. للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي، **موسوعة السياسة**، ج.4، [د.ط.]، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، [د.س.]، ص ص 485-486.

(4) - عبد الهادي التازي، **الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب**، ج.3، ط.1، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1422هـ/2001م)، ص63.

(5) - هو عبارة عن مرسى صغير يبعد عن طنجة بحوالي 24 كم. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 221.

(6) - عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم عهد السعديين**، مج.8، [د.ط.]، (المحمدية، مطابع فضالة، 1986م)، ص ص 164-169. للإطلاع أكثر حول بنود المعاهدة التي جرت بين الطرفين بنصها العربي. ينظر أيضا:

Henry de Castries, **Les Sources Inédites L'Histoire du Maroc de 1530 à 1845, premiere série -Dynastie saadienne 1530-1660, Archives et Bibliothèques de France**, T.1, (Paris : Ernst Leroux Editeur, 1905), Pp178-181.

ببعض الفنيين والخبراء، يعود سبب ذلك إلى تخوف السلطان عبد الله الغالب من ردة فعل الجانب الإسباني، وهو الحريص على عدم توتر العلاقات بينهما لأولوية الخطر العثماني⁽¹⁾.

وفي سنة (968هـ/1561م) بعث الملك شارل التاسع⁽²⁾ مبعوثا يدعى روبرت بوردو (Robert Brodet) الذي كان تاجرا من أجل الإتفاق والتفاهم مع السلطان عبد الله الغالب في شأن إحتكار فرنسا لتصدير النحاس والسكر السعودي، إلا أن الحروب الدينية التي إندلعت في أوروبا، والصدام والتنازع على وراثة العرش في الممالك الأوروبية، وظهور المذهب البروتستانتي المعارض للكنيسة الكاثوليكية بزعامة مارتن لوثر⁽³⁾، كان له بالغ الأثر على علاقات أوروبا فيما بينهما، وفي الوقت ذاته أبدت الكثير من الممالك الأوروبية رغبتها في نسج علاقات سياسية وإقتصادية مع المغرب الأقصى⁽⁴⁾.

غير أنه في فترة حكم عبد الملك لم تكن هناك طريقة تباشر فرنسا صلاتها مع السعوديين بسبب ما كانت تعاني منه آنذاك من حروب دينية، ومن تدخل الإسبان في شؤونها، ولكن فرنسا كانت على إطلاع مستمر بما يحدث في المغرب وعلاقاته الخارجية، وكان أول قنصلها في المغرب الأقصى الطبيب " غليوم بيارر " مقربا من عبد الملك وأخيه المنصور، والذي تعرف عليه عبد الملك في إستنبول وتوثقت صلته به إثر سهره على علاج عبد الملك أثناء مرضه في إستنبول. وحين تولى عبد الملك الحكم إنتقل معه إلى المغرب الأقصى، وبعد وفاة عبد الملك سعت فرنسا لإستمرار العلاقات الطيبة التي كانت قائمة أيام عبد الملك. وكذلك سعت من أجل الحصول على تسهيلات رسو السفن في الموانئ السعودية وتحرير الأسرى، بالإضافة إلى سعي فرنسا من أجل الحصول على كميات من البضائع السعودية، كالنحاس والبارود وقروض مالية⁽⁵⁾.

أما في فترة أحمد المنصور الذهبي (986-1012هـ/1578-1603م)، فقد إشتدت وطأة الحروب الدينية بأوروبا الغربية بين المعسكرين الكاثوليكي والبروتستانتي، وإزدادت حدة الصراع في

(1) - علي كامل حمزة السرحان، المرجع السابق، ص105.

(2) - ملك فرنسا، وقعت في عهده مذبحه "بارثيلمو" ضد البرتستاننت عام 1572م. ينظر: أحمد صالح عبوش، الملكة اليزابيث (1558-1603م)، ط.1، (القاهرة: المكتب العربي للمعارف، 2015م)، ص52.

(3) - هو زعيم حركة الإصلاح الديني الكنسي التي أدت إلى ميلاد البروتستانتية، إلتحق بجامعة إيفرورت عام 1510م، وقرر أن يصبح محاميا، لكنه دخل ديرا عام 1505م بعد وقت قصير عين قسا عام 1507م. وفي عام 1512م، حصل على درجة دكتوراه في اللاهوت، وعين أستاذ للاهوت، وأعلن مبادئه التي تهاجم ما يسمى صكوك الغفران. ونتيجة لذلك أعلن البابا ليو العاشر طرد لوثر واعتباره مارقا، وخارج عن القانون. من آثاره قام بترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية، توفي سنة 1546م. للمزيد ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، المرجع السابق، ج.21، ص 178.

(4) - علي كامل حمزة السرحان، المرجع السابق، ص 105-106.

(5) - محمد خير فارس، محمود علي عامر، المرجع السابق، ص70.

الفصل الثاني: العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور

فرنسا والأراضي المنخفضة⁽¹⁾، كما أمعنت بريطانيا في مضايقة المستعمرات الإسبانية في الهند وأمريكا والشرق الأقصى، وأمام التهديدات الإسبانية لفرنسا بعد ما إعتقت هذه الأخيرة المذهب البروتستانتي، رأت من مصلحتها الإستراتيجية أن تتقرب من رجل المغرب القوي، وهو السلطان أحمد المنصور، وتعمل معه من أجل إنشاء تعاون عسكري، تقف فيه القوتان جنباً إلى جنب أمام التهديد الإسباني، العدو المشترك للدولتين، فالتعاون بين الفرنسيين والإنجليز وأحمد المنصور في المجال العسكري والإقتصادي بات في نظر الفرنسيين أكثر من الضرورة⁽²⁾.

إذ عقب إنتصار المغاربة في معركة وادي المخازن 1578م على البرتغال، وتولى المنصور حكم المغرب بعث الملك الفرنسي هنري الثالث⁽³⁾ بتاريخ 16 جويلية 1579م، فنصله بالمغرب الأقصى "غيوم بيرار" (Guillaume Bérard) وكلفه بتقديم تهاني للمولى أحمد المنصور، مذكراً إياه بالعلاقات الطيبة التي كانت في عهد أخيه عبد الملك، وطلب من المنصور السماح للمراكب الفرنسية بالدخول للموانئ السعودية، بالإضافة إلى تحرير ما يوجد عنده من أسرى فرنسيين متواجدين بالمغرب الأقصى، كما طلب منه بأن يقوم بتصدير له أربعين ألف قنطار من الرزينة (Rosette)، وذلك من أجل إستعمالها في الأصباغ، هذا بالإضافة إلى تصديره 25 ألف قنطار من ملح البارود، كما كلف ممثله بفرنسا بأن يسعى لدى السلطان المنصور بأن يمنحه قرضاً قيمته 150 ألف دينار، يسلفها الملك السعودي إلى ملك فرنسا⁽⁴⁾.

وقد أشار الفشتالي في مصنفه عن تلك السفارة التي أرسلها هنري الثالث إلى المنصور فقال: " ... وكان ممن وصل أيضا على تفتنة ذلك عامئذ إرسال طاغية الافرنج، ويقال فرنسا، وبه يعرفون اليوم، فقضوا فرض التهنة، واقتفوا سنن غيرهم من إرسال ملوك الأرض..."⁽⁵⁾.

(1) - هي ما تسمى الآن هولندا وبلجيكا، ظهرت كدولة في النصف الأول من القرن الخامس عشر. لعب أمراء برغندي دوراً هاماً في توحيد إقليم فلاندرز وبرابانت (بلجيكا) حيث إستغل هؤلاء ظروف فرنسا في حرب المائة عام فإستأثروا بحكم تلك الأجزاء، وقد تم توحيد القطرين السابقين سنة 1420م، في عهد فيليب الصالح البرغندي (1419-1467م)، وقد آلت الأراضي المنخفضة إلى أسرة هيسبورك نتيجة لزواج ماكسمليان الأول سنة 1477م، من أميرة برغندي الوارثة لتلك الأنحاء. ينظر: محمد حمزة حسين، لبنى رياض عبد المجيد، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط.1، (الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، 1432هـ/2015م)، ص 317.

(2) - جلول بن قومار، معركة وادي المخازن...، المرجع السابق، ص 135.

(3) - ولد سنة 1551م انتخب ملكاً على بولندا سنة 1573م، ولكنه عاد يحكم فرنسا سنة 1574م، ليخلف أخاه شارل التاسع، تميز حكمه بالحروب الدينية، دخل في صراع مع هنري الرابع وهنري دي جويز رئيس العصبة الكاثوليكية، نجم عن ذلك حرب الهنريين الثلاثة، وقد نجم عن ذلك الصراع أن تم إغتياله في حصار جاك كلمنت الراهب المتعصب. توفي سنة 1589م. للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي، وآخرون، موسوعة السياسية، ج.7، [د.ط.]، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994م)، ص 134-135.

(4) - Henry de castries, Op.cit , France, T.2 , p 22.

(5) - عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 51.

الفصل الثاني:العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور

أما في عهد الملك الفرنسي هنري الرابع⁽¹⁾ (1589-1610م)، فقد بعث بسفارة إلى المغرب الأقصى يوم 13 ديسمبر 1596م، بقصد تهدئة الأجواء السياسية، لبناء مشروع تحالف عسكري ضد إسبانيا وتوحيد القوى المسيحية⁽²⁾.

ولما جلس هنري الرابع على العرش الفرنسي بعث سنة (1009هـ/1600م) بمبعوث وهو "جيربير دولابالم" (Girbert de la palme) ليطلب من السلطان أحمد المنصور الإفراج عن القبطان "جيل جيرار" (Gilles Gerard) مع ملاحيه، وقد كانوا وقعوا في أسر البحرية السعودية التي تراقب التحركات المشبوهة حول مياهها⁽³⁾.

على العموم فإنه ما يمكن القول أن المتتبع لتطور العلاقات الفرنسية-السعودية يلاحظ أن العلاقة ما بين البلدين لم تخرج عن الإطار الإقتصادي أو التحالف مع المغرب في إطار كسب حليف لهم خارج أوروبا من جهة. ومن جهة أخرى سجلنا أن العلاقة ما بين البلدين لم تكن لها صفة دبلوماسية على الدوام، وإنما كانت تربطها المصالح المشتركة بين البلدين، كالتعامل في إطار تبادل الأسرى، والعمل على تحريرهم أو السماح لرسو السفن الفرنسية في الموانئ السعودية، أو التحالف ضد القوى المعادية مثل الإسبان.

هـ - هولندا:

بدأت العلاقات ما بين البلدين بعد أخذ هولندا إستقلالها من الإسبان⁽⁴⁾، فقد لقي الهولنديون عناء كبيرا من الإستعمار الإسباني، فما أن تم تحريرهم منه، حتى كان المغرب الأقصى أحد البلدان الأولى التي إرتبطت معها بعلاقات تجارية، ثم ما لبثت أن تطورت العلاقة إلى الجانب السياسي⁽⁵⁾. من خلال عقد معاهدات ما بين البلدين⁽⁶⁾.

(1) - هو هنري نافار أول ملك بوربوني على فرنسا، ابو أنطوان دي بوربون، ولد سنة 1553م، تولى الزعامة 1569م، تزوج هنري الرابع من ماري دي ميديشي، اشتهر بشجاعته وسرعة بديهته، واهتم بعامة الشعب، تم اغتياله في عام 1610م. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، وآخرون، المرجع السابق، ص155.

(2) - جلول بن قومار، معركة وادي المخازن...، المرجع السابق، ص135.

(3) - عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي...، المرجع السابق، ص175.

(4) - كانت مملكة هولندا تتألف من سبع مقاطعات في شمال أوروبا، وقد احتلت من طرف الإسبان، غير أنها خلال القرن السابع عشر عرفت أوج قوتها، وقد تمكنت من أخذ إستقلالها من الإمبراطورية الإسبانية في الفترة ما بين (1568-1609م)، وقد اعترفت إسبانيا بإستقلالها النهائي سنة 1648م. للمزيد ينظر: محمود قاسم، موسوعة الحضارات المختصرة، ط.1، (مصر: المكتبة الأكاديمية، 1433هـ/2012م)، ص101. ينظر أيضا: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، الموسوعة العربية العالمية، ج.26، ط.2، (المملكة العربية السعودية: المؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م)، ص274.

(5) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص313.

(6) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص341.

تجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك عوامل متعددة ساعدت على ذلك التقارب، منها العدو المشترك المتمثل في إسبانيا، وإقامة جالية يهودية من المطرودين من الأندلس في البلاد المنخفضة، فكون أفراد تلك الجالية اليهودية الثرية علاقات تجارية مع إخوانهم المقيمين في بلاد المغرب الأقصى، وربطوا معهم صلات متينة، فكانت السفن الهولندية تتردد بدون إنقطاع على الموانئ السعدية⁽¹⁾. وقد إزداد هذا التقارب بين الدولتين خاصة بعد معركة وادي المخازن (986هـ/1578م)، والتي إنتصر فيها السعديون على ملك البرتغال " دون سياستيان "⁽²⁾.

بعد ذلك الإنتصار العظيم الذي حققه السعديون، بالإضافة إلى العوامل التي ساهمت في إحداث التقارب ما بين البلدين، والتي سبق وأن أشرنا إليها، فقد أرسلت هولندا إلى السعديين عام 1596م وفدا هولنديا، إلى أحمد المنصور لعقد معاهدة تجارية إقتصادية يفتح بموجبها السعديون موانئهم أمام التجارة الهولندية، وقد لاقى الوفد الهولندي قبولا من السلطان أحمد المنصور، لاسيما أن الهولنديين كانوا أعداء إسبانيا، كما أن الهولنديين أبدوا إستعدادهم القوي في إمداد المنصور بكل ما يحتاج إليه من أسلحة وذخائر، وسفن حربية. وكانت هولندا تهدف في المقام الأول إلى تعميق العلاقات السعدية الهولندية، على أن يجعل السعديون جميع موانئهم مفتوحة أمام السفن الهولندية، بإعتبار أنها ستكون نقط إرتكاز تتمركز بها السفن الهولندية، لمهاجمة السفن الإسبانية العائدة من الشرق الأقصى إلى إسبانيا، لاسيما الموانئ السعدية الجنوبية⁽³⁾.

ومن أجل ذلك سعت هولندا لتعزيز أواصر العلاقة ما بين البلدين، ويظهر ذلك جليا عندما غزا الهولنديون بالإشتراك مع الأسطول البريطاني مدينة قادس وفتحوها وقد وجدوا بها مغاربة من أعيان فاس تحت قبضة الإسبان، فبعثوا بهم إلى السلطان أحمد المنصور سنة 1596م، وبدوره فإن أحمد المنصور كان يتابع إنتصارات الهولنديين على العدو الإسباني - العدو المشترك - بإعجاب. وقد إستمرت تلك العلاقات حتى بعد وفاة المنصور، حيث بعثت هولندا إلى ابن المنصور أبي فارس سنة (1013هـ/1604م) العديد من الأسرى المغاربة الذين وجدوهم في قبضة الغزاة الإسبان⁽⁴⁾.

(1) - عبد الهادي التازي، الوسيط في التاريخ...، ج.3، المرجع السابق، ص111.

(2) - المرجع نفسه، ص111.

(3) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص ص 341-342.

(4) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص313.

د- إنجلترا:

يعود تاريخ أول اتصال بين الطرفين إلى العقد الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، حين بادر العاهل البريطاني جون (john)⁽¹⁾ (1167-1216) إلى توجيه بعثة سرية إلى المغرب الأقصى أيام السلطان الموحي محمد الناصر⁽²⁾ (1199-1213م)، كلفها بمهمة الحصول على مساعدة من المغرب الأقصى، لمواجهة التهديدات الفرنسية التي كانت تستهدف بريطانيا، غير أن تلك البعثة فشلت في تحقيق أهدافها⁽³⁾.

أما في العهد السعودي فترجع علاقات إنجلترا بالسعوديين إلى بداية ظهور الأسرة في الجنوب، فقد أخذ التجار الإنجليز يترددون على موانئ مراكش يشترون منتجات السودان وملح البارود، وأهم من ذلك كله السكر الذي كان يصنع بكثرة في السوس، حيث توصل السعوديون إلى أفضل الطرق المعروفة في ذلك العصر لصناعة السكر، ولما كانت حاجة إنجلترا إلى سكر مراكش شديدة، فقد تغاضى التجار عن أوامر البابا التي كانت تحظر بيع الأسلحة للمسلمين، فكانوا يتبادلون السكر بالأسلحة التي كان يلح المراكشيون في طلبها⁽⁴⁾.

ولما إستقر الحكم للسعوديين بدأت العلاقات الإنكليزية في عهد عبد الله الغالب (1557-1574م) تأخذ طابعا إقتصاديا، عندما وفد عليه في سنة (966هـ/1558م) بعثة برئاسة "طوماس ويندهام" (thomas windham) مبعوث الملكة إليزابيث الأولى⁽⁵⁾ (1558-1603م) وعدد من التجار الإنكليز، فقد حظي المغرب الأقصى بإهتمام لما يتمتع به من مواد أولية مهمة متمثلة بملح البارود(نترات البوتاسيوم)، الذي كان يوجد بكثرة وب نوعية جيدة في المغرب الأقصى، والسكر الذي تزايد عليه الطلب في أوروبا خلال القرن (10هـ/16م)، وهذا ما جعله محط إهتمام التجار

(1) - هو الإبن الأصغر للملك هنري الثاني، خلف أخاه ريتشارد قلب الأسد ملكا لإنجلترا. توفي سنة 1216م. ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، الموسوعة العربية العالمية، ج.8، ط.2، (المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م)، ص617.

(2) - تولى خلافة الدولة الموحدية بعد وفاة والده وتلقب بالناصر، عرف باستبداده في حكم البلاد دون العمل بمشورة رجاله، قام ببعض الأعمال من بينها القضاء على ثورة بني غانية في إفريقية، كما أراد الناصر أن يقوم بغزوة تضاهي أبيه المنصور، فقرر العبور إلى الأندلس ودخل في معركة عرفت بالعقاب، والتي انتهت بهزيمة المسلمين. توفي الناصر (610هـ/1213م). ينظر: حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، [د.ط.]، (القاهرة: دار الرشاد، 1992م)، صص 229-233.

(3) - خالد الصغير، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر (1856-1886م)، ط.2، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1997م)، صص 37.

(4) - صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر - تونس - المغرب الأقصى، ط.6، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1993م)، صص 57.

(5) - ملكة إنجلترا ولدت سنة 1533هـ، تولت العرش 1558م، دخلت في صراع مع فيليب الثاني، قامت بإضعاف مركز فرنسا الدولي، وألحقت هزيمة بإسبانيا وذلك بإغراقها الأسطول الإسباني، وفي عهدها أصبحت إنجلترا من أقوى الدول الأوروبية. توفيت سنة 1603م. ينظر: محمد حسين نصار، المرجع السابق، ص ص 406-407. ينظر أيضا: زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ج.1، [د.ط.]، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1986م)، ص ص 133-140.

الفصل الثاني:العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور

الإنجليز⁽¹⁾. ولذلك فقد عمل عبد الله الغالب على تطوير علاقته مع إنجلترا بحيث أننا نجده يقوم في سنة (977هـ/1569م)، بإرسال رسالة إلى إليزابيث ملكة إنجلترا، حيث طلب فيها دوام العلاقات التجارية، وإستعداد السعوديين لفتح ثغورهم أمام السفن الإنجليزية، وإمداد إنجلترا بالسلع السعودية التي تحتاج إليها السوق والمصانع الإنجليزية، في مقابل إمداد المغاربة بالأسلحة والذخيرة والمدافع⁽²⁾.

على العموم فقد إستمرت العلاقة التجارية ما بين الطرفين بعد وفاة عبد الله الغالب، إذ بالرغم من قصر مدة حكم محمد المتوكل السعودي، فإن تلك الفترة شهدت نشاطا ملحوظا للتبادل التجاري ما بين إنجلترا والسعوديين، على الرغم من العديد من المحاولات البرتغالية والإسبانية المتكررة في سبيل عرقلة هذا التبادل التجاري ما بين الطرفين، فإن النشاط التجاري ما بينها لم يتأثر مطلقا⁽³⁾.

تجدر الإشارة أنه مع تولي عبد الملك (1576-1578م) الحكم أخذت العلاقات بعدا سياسيا، حيث عمل عبد الملك على كسب ود ملكة إنجلترا إليزابيث الأولى كحليف لدولته لمواجهة التوسع المحتمل من طرف الإسبانيين والعثمانيين معا، إذ أوضح لمبعوث الملكة "إدموند هوكان" (E.Hogan) رغبته في إقامة علاقات جيدة مع إنجلترا والإبتعاد عن الإسبان، لأنه يراهم واقعين تحت تأثير البابا، ومحاكم التفتيش الإسبانية⁽⁴⁾، ووعده بأن يرسل مبعوثا إلى إنجلترا ليعقد معاهدة تحالف بينه وبين الملكة إليزابيث⁽⁵⁾.

سعى عبد الملك من خلال ذلك التقارب التجاري إلى الحصول على الأسلحة، والتي كان في أمس الحاجة إليها بسبب دخوله في صراع مع ابن أخيه المتوكل المسلوخ، هذا بالإضافة إلى سعيه من أجل تدعيم حكمه على البلاد آنذاك⁽⁶⁾. علاوة على إستعادة بعض المناطق من المستعمرات البرتغالية؛ كأغادير وغيرها من المستعمرات، وهذا ما أثار إستياء البرتغاليين من هذه العلاقة، والذي أسموه بتطفل الإنجليز على التجارة السعودية، ومن الضروري الإشارة إلى أن

(1) - علي كامل حمزه السرحان، المرجع السابق، ص 98-99.

(2) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.5، ص313.

(3) - نواف فلاح الحميدي، " العلاقات المغربية الإنجليزية من (986-1065هـ/1578-1654م) "، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، مج.32، ع.128، س.2014م، ص14.

(4) - تأسست على يد فرديناند وإيزابيلا (1480-1481م)، مهمتها الأولى مطاردة المسلمين واليهود، وقد استمرت إلى سنة 1610م، ساهمت في تحويل المساجد إلى كنائس، وأحرقت العديد من المكتبات الإسلامية باسم النهضة الأوروبية ومدنيتهما. ينظر: نجيب دكاني، الإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001-2002م، ص16.

(5) - علي كامل حمزه السرحان، المرجع السابق، ص99.

(6) - ب.ج.روجرز، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900م، تر: يونان لبيب رزق، ط.1، (الدار البيضاء: دار الثقافة الشركة الجديدة، 1401هـ/1981م)، ص42.

الفصل الثاني:العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور

العلاقات الإنجليزية لم يظهر فيها أطماع إستعمارية على الأراضي السعودية وموانئهم، وإنما كانت أهدافهم آنذاك هو السيطرة على التجارة، وإقامة تحالف متين مع السعوديين، على عكس القوى الأخرى التي كانت تسعى إلى ضم المغرب الأقصى إلى أراضيها، الأمر الذي رجح الكفة إلى الإنجليز على منافسيهم الآخرين⁽¹⁾.

يضاف إلى ذلك أن القضية الأندلسية لم تكن غائبة عن ذهنية السلطان السعودي، بل كانت من الأسباب التي أدت إلى نقل العلاقات مع الإنكليز من إطارها الإقتصادي إلى السياسي، خاصة وأن الأندلسيين كانوا يعيشون ظروفًا قاسية تحت وطأة محاكم التفتيش الإسبانية، لكن موت عبد الملك المعتصم في معركة وادي المخازن أدى إلى تأخر مشروع التحالف ما بين الدولتين⁽²⁾.

بعد وفاة عبد الملك وتولى أحمد المنصور إزداد إهتمام إليزابيث بربط علاقة متينة مع السعوديين⁽³⁾، وذلك بسبب المصالح التجارية والسياسية في آن واحد. فمنذ أن تسلم المنصور السلطة تبادل الطرفان العديد من الرسائل الدبلوماسية⁽⁴⁾، فقد كتبت إليه إليزابيث تسألته الإستمرار في معاملة التجار الإنجليز معاملة حسنة. وقد تجاوب أحمد المنصور مع طلبها، فأكد لها أن تجارها سوف يلقون الإستقبال الودي نفسه الذي كانوا يلقونه من قبل، وبدوره سعى أحمد المنصور إلى الإستفادة من علاقته مع الإنجليز فطلب منها الحصول على الأخشاب المتوفرة في إنجلترا من أجل تطوير أسطوله. على الرغم من أن إليزابيث كانت حريصة على الإحتفاظ بهذه الأصناف من الأخشاب لبناء أسطولها لكنها وافقت على تصدير كمية كبيرة من هذه الأخشاب مقابل نترات البوتاسيوم⁽⁵⁾.

(1) - دايد ترکان إبراهيم، " إنجلترا والدولة السعودية في المغرب الأقصى جوانب من تاريخ العلاقات بين الطرفين (1554-1659م) "، المجلة الدولية للبحوث التطبيقية، الهند، مج.5، س. 27، 28 أكتوبر 2019، ص.06.

(2) - محمود عاشور عبيد الحسيناوي، المرجع السابق، ص.96.

(3) - تجدر الإشارة إلى أنه في ظل القوى العظمى التي كانت تشهدها منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط آنذاك، والمتمثلة في الدولة العثمانية والإسبانية، فهم أحمد المنصور أنه حتى يتجنب إدخال المغرب الأقصى في أي صراع وحتى لا يفتح جبهات قتال عديدة رأى أنه من الضروري كسب حليف من أوروبا، ومتمثل في الإنجليز خاصة وأنها لم تكن لها نية مبيتة آنذاك في التوسع بالمنطقة. وفي ظل الوضع السياسي لأوروبا والإنقسام الديني، وحتى يضمن استمرار التواصل بإنظام مع إليزابيث الأولى، وكذلك ليضمن تسهيل التعاون الدبلوماسي، وتنمية التجارة ورغبته الخاصة في تقوية أسطوله البحري عن طريق حصوله المستمر على مادة الخشب. ينظر:

-J.A.O.C BROWN , op .cit, p10.

(4) - في شأن الوقوف على الرسائل التي تبادلها الطرفان؛ أحمد المنصور والملكة الإنجليزية إليزابيث. ينظر:

Henry De Castries , Les Sources Inédites de Maroc , 2ère série-Dynastie saadienne, archives et bibliothèques d'angleterre, T.2, (paris : Ernest Leroux éditeur, 1918), pp 1-18-34-40-68-99-132-137-155-159.

(5) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 66.

الفصل الثاني:العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور

ومن أجل تعزيز العلاقة التجارية والسياسية ما بين البلدين عملت إليزابيث وأحمد المنصور على تأسيس (شركة سعودية- إنجليزية) في لندن للتبادل التجاري، والتي عرفت⁽¹⁾ بإسم الشركة البربرية التجارية (993هـ/1585م)⁽²⁾. وللإشارة فإنه قبل تأسيس الشركة البربرية، سبق بعض المحاولات من طرف كبار التجار الإنجليز؛ إذ تقدموا بطلب تأسيس هذه الشركة مرتين، ما بين سنتين (1567 و1574م) ولكن إليزابيث لم توافق على طلبهم. وعلى العموم فقد كانت أول قرارات تلك الشركة هو إرسال وكيل لها إلى المغرب الأقصى " هنري روبرنس " وقد رحب أحمد المنصور، بهذا الوكيل، والذي كان يقوم بالإضافة إلى عمله كممثل لهذه الشركة، بدور الوسيط بين العاهلين الإنجليزي والسعودي⁽³⁾.

على العموم إستمرت الشركة البربرية - الإنجليزية في إحتكار التجارة مع السعوديين لمدة اثنتي عشرة سنة⁽⁴⁾. لكن سرعان ما تدهور موقف الشركة فيما بعد للعديد من الإعتبارات، كان في مقدمتها منافسة التجار الأحرار الذين كانوا يهربون البضائع ويبيعونها بأسعار رخيصة، وذلك لأن هؤلاء التجار تمتعوا برعاية أحمد المنصور، الذين لا طالما كانوا يمدونه بإحتياجاته من السلاح والذخيرة، وفضلا عن مسببات الضعف الأنف الذكر واجهت الشركة منافسة حادة من الأقمشة الفرنسية في السوق السعودية، ومع قرب أواخر عهد إليزابيث، وبالتحديد سنة 1597م أصبح مستقبل الشركة لا يبشر بخير، إذا لم يجدد عقد الإمتياز مرة أخرى، وفتح باب التجارة مع السعوديين لكل التجار الإنجليز⁽⁵⁾.

تجدر الإشارة أن العلاقات الإنجليزية سوف تعرف تغيراً جديداً خلال سنة (997-1000هـ/1588-1595م)، وذلك بسبب قضية المطالب بعشر البرتغال الذي عد بمثابة طور جديد في العلاقات ما بين البلدين، وقد رغب المنصور في إستغلال الصراع الدولي لصالحه والذي كان يعد سمة تلك الحقبة⁽⁶⁾.

ففي سنة (997هـ/1588م)، قام الملك الإسباني فيليب الثاني بقيادة أسطوله الكبير المعروف " بالأرمادا " بإتجاه الإنكليز، إلا أن حملته فشلت بسبب تحطم الأسطول إثر العاصفة

(1)- محمود السيد، المرجع السابق، ص242.

(2)- J.A.O.C BROWN, op. cit, p4.

(3)- محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص66.

(4)- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج.8، ص193.

(5)- ب.ج. روجرز، المصدر السابق، ص ص 47-48.

(6)- نواف فلاح الحميدي، المرجع السابق، ص24.

البحرية⁽¹⁾، وبذلك فشلت الحملة الإسبانية على الإنجليز، وهذا ما شجع أحمد المنصور على إرسال مبعوث " مرزوق ريس " إلى إنجلترا، حاملاً مقترحات سرية لعقد تحالف إنجليزي سعدي ضد إسبانيا بهدف إعادة دون أنطونيو إلى عرش البرتغال⁽²⁾. وقد أوضح المنصور من خلال مبعوثه إلى إنجلترا أنه على الإستعداد لتقديم الدعم المالي لإعداد الحملة الإنجليزية، ولإستعادة البرتغال من التاج الإسباني، كما حدد المبلغ الذي سوف يساهم به، ولكنه حدد شرطاً واحداً وهو أن يقوم بدفع المبلغ مقابل الإحتفاظ بإبن دون أنطونيو كرهينة عنده⁽³⁾.

وما يمكن قوله أن بريطانيا لجأت إلى أسلوب المراوغة مع أحمد المنصور، أي أنها إكتفت فقط بالوعد من أجل إغراء أحمد المنصور، وأنها سوف تبذل كل جهودها من أجل تلبية طلب المنصور⁽⁴⁾، ومن جهته كان السلطان أحمد المنصور حذراً ومتخوفاً من الإسبان في تحالفه مع الإنجليز، فقد كان الملك الإسباني فيليب الثاني يضغط على المنصور بالمعارضين له من أسرته الذين كانوا لاجئين عنده، وهما الناصر وأخوه المنصور، ومحمد الشيخ بن محمد المتوكل، لهذا كانت المراسلات بين المنصور والملكة إليزابيث قائمة على الوعود بمساعدة دون أنطونيو المطالب بالعرش البرتغالي⁽⁵⁾.

وفي سنة 1589م وضعت خطة يقوم بمقتضاها أسطول إنجليزي بمعاونة السلطان لغزو البرتغال وتنصيب أنطونيو على العرش، وبالفعل هاجم الأسطول الإنجليزي سنة 1589م، ولكن فشلت القوات في إحتلال لشبونة، وتعرضت لهزيمة قاسية، وقد إتهمت إليزابيث المنصور أنه لم يَف بوعده، وقد إكتفى بتهديد سبته فقط، ولم يقدم المال المطلوب للدون أنطونيو، وهذا ما دفع بإليزابيث لمعاودة إرسال مبعوث لها إلى المغرب الأقصى من أجل التفاوض على شروط التحالف ضد إسبانيا، ولكن المنصور كما سبق وأن وأشرنا كان متخوفاً من إسبانيا مما جعله يتماطل في الرد على الإنجليز، ويعلل سبب ذلك التماطل أنه يستعد لغزو السودان الغربي. وبقي المنصور على هذا النحو من التماطل إلى أن إنتهت المشكلة بموت الدون أنطونيو سنة 1595م⁽⁶⁾.

يتضح مما سبق أن العلاقات الإنجليزية السعودية أخذت أشكالاً وأطواراً متعددة، وكان التطور حسب ما تقتضيه الظروف والمصالح المشتركة، إذ أنها كانت في بداياتها إقتصادية محضة، وذلك

(1) - وليم لانجر، موسوعة تاريخ العالم، تر: محمد مصطفى زيدة، ج.4، [د.ط]، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963م)، ص1007.

(2) - ب.ج. روجرز، المصدر السابق، ص 50.

(3) - نواف فلاح الحميدي، المرجع السابق، ص24.

(4) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، المراجع السابق، ص68.

(5) - علي كامل حمزه السرحان، المرجع السابق، ص100.

(6) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، المراجع السابق، ص68.

بسبب أن بريطانيا لم تكن لها مطامع في إحتلال المغرب الأقصى، عكس الدول الأوروبية آنذاك، ولكن نلاحظ أنه مع قدوم عبد الملك، ومن بعده أحمد المنصور أخذت تعرف العلاقات ما بين البلدين طابعا سياسيا، إلى جانب الطابع الإقتصادي بسبب تداخل المصالح المشتركة المتمثلة في العدو المشترك هو إسبانيا، فضلا عن قضية العرش البرتغالي التي أخذت حيزا كبيرا من العلاقات ما بين البلدين، يضاف إلى ذلك إهتمام الإنجليز بقضية ميناء العرائش الذي كان يعتبر من بين القضايا الشائكة آنذاك لتدخل كل الدول الأوروبية، وكذا الدولة العثمانية من أجل الظفر بهذا الميناء المهم بالنسبة لكل القوى آنذاك.

ثانيا - : علاقات الدولة السعودية مع الدول الإسلامية.

أ- الدولة العثمانية:

كان للعلاقات السعودية العثمانية بعد دخول العثمانيين الشمال الإفريقي دور هام في مطلع التاريخ الحديث⁽¹⁾. إذ مع بداية القرن السادس عشر الميلادي تأسست العلاقات بين الدولة العثمانية والسعديين تزامنا مع بدء حركة المقاومة ضد الإسبان والبرتغاليين في الشمال الإفريقي، وذلك من خلال المساعدات التي قدمها العثمانيون لسكان المنطقة لتخليصهم من الإحتلال الصليبي واعتدائهما هذا من جهة⁽²⁾.

ومن جهة أخرى فإن العلاقات السعودية مع الدولة العثمانية تكتسي أهمية خاصة، باعتبار أن المغرب الأقصى ظل البلد الوحيد من بلدان العالم العربي الذي أفلت من الخضوع للإمبراطورية العثمانية، كما أن المغرب الأقصى كان يمثل مسرحا للصراع بين المسيحية؛ ممثلة في الدول الأوروبية، والإسلام ممثلا في الخلافة العثمانية⁽³⁾.

تجدر الإشارة أن العلاقات العثمانية السعودية قد تميزت ما بين التعاون تارة والصراع تارة أخرى، وكان يتحكم في ذلك المصالح المشتركة ما بين الطرفين. ففي بداية العهد الوطاسي إتخذت العلاقة بين الطرفين طابع التبعية الرمزية للخلافة العثمانية، إذا أن الوطاسيين إستولوا على فاس العاصمة سنة (876هـ/1471م)، وإعترفوا بسلطة الخليفة العثماني منذ بداية دولتهم، ونقشوا إسمه على العملة، ودعوا له في خطبة الجمعة⁽⁴⁾، هذا بالإضافة إلى إرسال الهدايا إلى إسطنبول كما جرت عادة باقي الولايات العثمانية التابعة لها، وإذا كانت العلاقات العثمانية على عهد الوطاسيين قد عرفت بعض المشاكل مثل إحتضان الوطاسيين لأمير تلمسان أبي حمو الزياني⁽⁵⁾ عام 1517م، الذي هرب من السلطة العثمانية وطلب المساعدة لإستعادة حكمه، فبالرغم من كل

(1) - أحمد سالم علي، " العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن السادس عشر " ، مجلة كان التاريخية دورية، الكويت، ع.13، س. 2011م، ص49.

(2) - الشيخ عدة، " العلاقات بين الدولة العثمانية ودول المغرب الأقصى ودور الجزائر في أحداث الصراع بينهما "، مجلة العبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، تيارت- الجزائر، مج. 1، ع.2، س.2018م، ص243.

(3) - خالد فؤاد طحطح، " العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث (القرن السادس عشر- أواخر القرن الثامن عشر) "، مجلة كان التاريخية دورية، الكويت، ع. 14، س. 2011م، ص 106.

(4) - إبراهيم حركات، " مظاهر التعاون بين المغرب و الدولة العثمانية "، مجلة دار النبابة، المغرب، ع.6، س. 1985م، ص21.

(5) - ملك زياني تولى حكم تلمسان بعد وفاة محمد الخامس سنة (922هـ/1517م)، سار على نهج أخيه والتزام بتطبيق المعاهدة المبرمة معهم، إستجد بالإسبان لإعادته على عرش ملكه، توفي سنة (934هـ/1528م). للمزيد ينظر: عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، إجتماعية،ثقافية)، ج.1، [د.ط.]، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2002م)، ص ص 76-77.

المشاكل ظلت محدودة التأثير، مرتبطة في أغلب الظن بالتوازنات التي شهدتها العلاقات السياسية في تلك الفترة ما بين الوطاسيين والعثمانيين من جهة، والوطاسيين والإسبان من جهة ثانية⁽¹⁾. أما في العهد السعدي فقد تغيرت العلاقات السعدية العثمانية وأخذت بعدا آخر مغايراً لما كانت عليه على العهد الوطاسي، فلا يمكن أن نفهم طبيعة العلاقات السعدية - العثمانية إلا في ظل نوعية العلاقات التي ربطت (دار الإسلام/مع دار الإسلام)، الدولة السعدية والدولة العثمانية ينتميان إلى نفس المنظومة الدينية (دين الإسلام)، وهو الأمر الذي يعطي لموضوع العلاقات السعدية - العثمانية تميزاً عن نوعية العلاقات التي جمعتها مع الدول الأوربية⁽²⁾. فمنذ أن تولى الأشراف السعديون الحكم في المغرب الأقصى إستقر نهج العثمانيين بتبني الأسلوب المعمول به مع شرفاء مكة في إطار نوع من الحكم الذاتي، فيه سيكتفون بالحصول على ولاء السعديين وإعترافهم لهم بحكمهم للمغرب الأقصى، تركوا لهم تسيير أمورهم الداخلية؛ لذلك نجد أن السلاطين العثمانيين تجنبوا مخاطبة السلاطين السعديين باسم " ملك " أو " سلطان "، فخاطبهم في مراسلاتهم باسم " حاكم فاس " بعبارة أخرى فإن الملوك السعديين لم يكونوا بالنسبة لإسطنبول إلا حكاماً تحت السيادة العثمانية، يستحقون الإحترام والتقدير كونهم من أبناء الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يتدخلون في أمورهم الداخلية، ويكتفون منهم بأداء الطاعة، والتعبير عن ذلك بإرسال هدايا سنوية تكون رمزا لذلك الإعتراف⁽³⁾.

ولكن نظراً لتطور القوة العسكرية السعدية فإن خلافاً قد حدث بين حكام المغرب الأقصى من السعديين، وبين آل عثمان، ذلك أن السعديين الذين كانوا يعتزون بنسبهم القرشي الشريف كانوا يرفضون الإعتراف بالخلافة العثمانية باعتبار أن العثمانيين أعاجم، وسعوا إلى ترويج فكرة الخلافة السعدية في البلاد الإسلامية، ورفضوا فكرة الوصاية الخارجية، حتى ولو كانت من دولة إسلامية كبرى كالإمبراطورية العثمانية⁽⁴⁾.

لقد دشنت العلاقات السعدية العثمانية في عهد محمد الشيخ السعدي منذ أن إلتجأ أبو حسون الوطاسي إلى الجزائر، فعهد محمد الشيخ إلى غزو تلمسان سنة (957هـ/1551م)، وكان رد

(1) - مصطفى العاشي، " المغرب السعدي والعثمانيون من صراع محمد الشيخ إلى تعاون عبد الملك "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ع.12، س.2006م، ص ص 119-120.

(2) - خالد فؤاد طحطح، المرجع السابق، ص106.

(3) - سعيدة محمد ابن العربي العثماني، ياسر وجيه صلاح، " العلاقات العثمانية المغربية تلاقح ثقافي تحالف وصراع "، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والإجتماع، الإمارات العربية المتحدة، ع.69، س.2021م، ص23.

(4) - قدوري عبد الرحمن، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 9 و10هـ/15 و16م دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان الجزائر، 2010-2011م، ص46.

العثمانيين أن إحتلوا فاس سنة (961هـ/1553م)، ونصبوا أبا حسون، ولكن لم يلبثوا أن انسحبوا بعد الحصول على تعويضات هامة من جهة أخرى، مما فسح المجال للسعديين للسيطرة عليها مجدداً⁽¹⁾.

وفي 1553م أرسل السلطان العثماني سليمان القانوني سفارة إلى السلطان محمد الشيخ كمحاولة لتهدئة الأوضاع وتحديد مجالات النفوذ بين الجانبين، ولكن الطرفين وصلا إلى طريق مسدود بسبب إعتبار السلطان العثماني السلطان السعدي مجرد " حاكم فاس "، بينما نظر السعديون على أنهم أحق بالخلافة لنسبهم الشريف، ومع إستمرار المفاوضات السعدية - الإسبانية البرتغالية ما بين الفترة (1555-1557م) والتي هدأت الأحوال بين الطرفين - مؤقتا - بعث السلطان سليمان القانوني إلى السلطان السعدي محمد الشيخ رسالة في 10 مارس 1557م يعده بمساعدته لمحاربة الإسبان والبرتغاليين بشرط أن يعترفوا بالسيادة العثمانية⁽²⁾.

وقد نقل لنا مصدر مجهول لتاريخ الدولة السعدية تفاصيل ما وقع للمبعوث العثماني مع السلطان السعدي حيث قال: " ... ولما تفرد سلطان المغرب بملكه و استقر بفاس وكان يضبط أحواله وفد عليه السلطان العثماني وهو يسعده في ملكه ويعلمه بما كان عليه بنو مرين - يقصد حجابهم الوطاسيون - معه من الهدايا والوداد والخدمة إليه، وأنه في نصرتهم، فسكت ولم يجبه بشيء، وبقي عنده إلى أن طال جلوس الرسول فطلب منه أن يسرحه، فقال له محمد الشيخ: سلم على أمير القوارب سلطانك وقل له أن سلطان المغرب لا بد أن ينازلك على محمل⁽³⁾ مصر ويكون قتاله معك عليه إن شاء الله وبأتيك إلى مصر والسلام..."⁽⁴⁾.

من خلال الحوار الذي دار بين السلطان محمد الشيخ ومبعوث السلطان العثماني سليمان القانوني نستنتج أن السلطان العثماني كان ينظر إلى السعديين على أنهم مجرد حكام على منطقة، وأنه يجب عليهم أن يتعاملوا مع الدولة العثمانية كما تعامل أسلافهم من بني وطاس من تقديم

(1) - قدوري عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 46.

(2) - محمد علي داهش، الدولة العثمانية و المغرب...، المرجع السابق، ص 34-38.

(3) - هو عبارة عن أعواد من خشب على شكل الهودج شكله مربع مسقف، يأخذ في الإتقار من الجوانب إلى الوسط الذي فيه قائم، ينتهي بهلال وفي العادة يسدل على ذلك الهيكل الخشي كسوة، قد تكون من الحرير، أو من غيره ويوضع أثناء السفر على ظهر الجمل. ويرجع تاريخ المحمل إلى سنة (645هـ/1274م)، حينما سافرت شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى مكة المكرمة، لأداء شعائر الحج، حيث خشي عليها من أخطار الطريق واللصوص من العربان، فأعدت لها قافلة كبيرة تليق بمكانتها، كما أعد لها هودجا خاصا بها وأقيم لها إحتفالا كبيرا ينقدما هودجا آخر حاملا الهدايا والأموال، التي أخذتها معها لتوزيعها في مكة والمدينة. ينظر: إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، ج.2، ط.1، (مصر: مطبعة دار الكتب المصرية، 1925م)، ص 304. ينظر أيضا: عبد العزيز عبد الرحمن مؤذن، كسوة الكعبة: وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى - مكة المكرمة - 1981-1982م، ص 206.

(4) - مجهول، المصدر السابق، ص 30-31.

الفصل الثاني:العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور

فروض الطاعة كالدعاء في المنابر، وسك العملة بإسمهم، وإرسال الهدايا، في مقابل تقديم المساعدة والنصرة لهم في حالة أي إعتداء طراً على المغرب الأقصى (التحرشات الأجنبية)، عند الحاجة. غير أننا نلاحظ إستياء السلطان السعودي من تصرف السلطان العثماني ومن سيطرة الدولة العثمانية على العالم الإسلامي، كما نستشف من حديث السلطان السعودي نبرة التحدي والتعالي من خلال قوله " قل لسلطانك " أي أنه لا يعترف بالدولة العثمانية على أنها تمثل مركز الخلافة الإسلامية، بحكم أنهم ليسوا قرشيين في الأصل بل أعاجم، وأنه أحق منهم بالخلافة وموطن الشاهد في ذلك عندما قال له " لا بد أن ينزلك على الحمل "، فقد جرت العادة أن مصر هي التي تسيّر محمل الحج من كل سنة، فقد كان الحج مقدساً بالنسبة للخلافة العثمانية، إذ من خلاله كان يتحكم في العالم الإسلامي. كما يعطي هيبة للدولة العثمانية على أنها مركز الخلافة وحامية حمى الإسلام، وقد جرت العادة أنه من يسيطر على مصر، يتبع له الحجاز، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية من يسيطر على محمل الحج فقط يسيطر على القوافل الأربع للحج؛ (الشامي، المصري، العراقي، اليمني)، على أن المحمل يتم تسييره وإجراء طقوسه من مصر، بعبارة أخرى أنه إذا إنتصر على السلطان العثماني ودانت له مصر فإنه سوف يسيطر على العالم الإسلامي، وبالتالي تصبح الخلافة الإسلامية من حقه. ومن خلال ذلك التصرف الذي قام به السلطان السعودي أصبح يشكل تهديداً صريحاً للخلافة العثمانية، وبات على السلطان العثماني العمل على التخلص منه.

وبالفعل ففي سنة (964هـ/1557م)، قرر السلطان سليمان القانوني إغتيال محمد الشيخ، فإنطلقت عصابة من الضباط الإنكشارية وتقدموا إلى السلطان السعودي في صورة لاجئين، فألحقهم ببلاطه إلى أن دبروا حادثة إغتياله سنة (964هـ/1557م) وهو متوجه إلى مدينة تارودنت من إقليم سوس، ثم إحتزوا رأسه وحملوه إلى القسطنطينية، فعلق بأحد أبوابها⁽¹⁾.

وعلى إثر إغتيال محمد الشيخ على يد العثمانيين نجم توتر في العلاقات السعودية العثمانية فترة من الزمن. هاجم العثمانيون الدولة السعودية بجيش قاده حسن بن خير الدين باشا⁽²⁾، لكن عبد

(1) - إبراهيم حركات، مظاهر التعاون ...، المرجع السابق، ص22.

(2) - تولى الحكم سنة (952هـ/1545م)، وفتح تلمسان من نفس السنة، ثم ترك الإمارة سنة (958هـ/1551م)، ثم تولى للمرة الثانية سنة (964هـ/1556م)، ثم ولي للمرة الثالثة سنة (969هـ/1561م). للمزيد ينظر: ابن المقفي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المقفي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تج: فارس كعوان، ط.1، (الجزائر: بيت الحكمة، 2009م)، ص ص 39-41.

الله الغالب تمكن من صدها، وانهزمت الحملة العسكرية⁽¹⁾ التي قادها حسن بن خير الدين باشا على مقربة من وادي اللبن⁽²⁾ (965هـ/1558م)⁽³⁾. وفي هذا يذكر الأفراني: "...وفي جمادى الأولى من سنة خمس وستين وتسعمائة، حرك له الباشا حسن بن خير الدين التركي في جيش حفيلى من التراك. فخرج مولاي عبد الله لملاقاته، فألتقيا بمقربة من وادي اللبن، من عمالة فاس فكانت الدائرة على حسن فرجع منهزما..."⁽⁴⁾ ولإشارة فإن عبد الله الغالب لم يقبل بدوره الإعتراف بالخلافة العثمانية⁽⁵⁾.

بعد وفاة عبد الله الغالب بدأت العلاقات العثمانية السعدية تعرف تحولا على يد الأميرين السعديين عبد الملك وأحمد المنصور الملتجئين إلى الجزائر - إلى البلاط العثماني - على إثر وفاة والدهما لإسترجاع العرش السعدي حسب أسبقيتهما في الملك - كما ذكرنا سابقا عند حديثنا على نشأة المنصور -، فأمدتهم العثمانيون بجيش قوامه خمسة آلاف مقاتل من الإنكشارية، وبفضل ذلك الجيش إستطاع عبد الملك أن ينتصر على المتوكل ويتولى الحكم السعدي، فقد سيطر على مدينة فاس وبايعه الناس، وهكذا فتحت صفحة جديدة من العلاقات الودية بين العثمانيين والسعديين. غير أن عهد عبد الملك المعتمصم لم يطل أكثر من أربع سنوات حتى جاءه محمد المتوكل المخلوع بجيش البرتغال وملكه سبستيان، فكانت معركة الملوك الثلاث العظمى، بوادي المخازن (986هـ/1578م)، وقتل خلال تلك المعركة الملوك الثلاث؛ وهم المتوكل و "دون سبستيان" وعبد الملك، وبويع خلفا له أحمد المنصور الذهبي⁽⁶⁾.

بعد معركة وادي المخازن وإنتصار السعديين على البرتغال دخلت العلاقات السعدية العثمانية مرحلة جديدة من العلاقات الدولية ما بين البلدين، فقد أعطى الإنتصار السعدي في معركة وادي المخازن هيبية وسمعة دولية إستند عليها المنصور في سياسته الخارجية مع الدول.

(1) - للإشارة ينظر الرسالة التي بعثها عبد الله الغالب إلى حاكم أزموور عبد الله بن أحمد بتاريخ (965هـ/1558م)، والتي يبشره فيها بنصره على العثمانيين في موقعة وادي اللبن للمزيد ينظر:

Robert Ricard, chantal de la véronne, **Les Sources Inédites de L'Histoire du Maroc, Archives et Bibliothéques D'Espagne**, T. II, (paris : Paul Geuthner, 1956), p445.

(2) - وقعت تلك المعركة في سنة 1558/04/02م، على مقربة من واد اللبن بأحواز فاس، قتل فيها خلق كثير من الطرفين، وقد رجحت الكفة للسعديين على الرغم من إظهار القوات العثمانية الإستبسال، واضطر حسن بن خير الدين إلى التراجع نحو بادس، وبذلك أنهيت آمال العثمانيين بضم المغرب الأقصى للحكم العثماني. للمزيد حول تفاصيل المعركة. ينظر: عمار بن خروف، **العلاقات السياسية...**، المرجع السابق، ص177. ينظر أيضا: سمير عبد الرسول العبيدي، " واقعة وادي المخازن 1578م "، **مجلة العميد**، العراق، مج.10، ع.37، ص.2021م، ص285.

(3) - الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص39.

(4) - محمد الصغير الأفراني، المصدر السابق، ص 106.

(5) - قدوري عبد الرحمن، المرجع السابق، ص47.

(6) - محمد حجي، " العلاقات المغربية التركية في القرن السادس عشر "، **مجلة المناهل**، الرباط- المغرب، ع.25، ص. 1403هـ/1982م، ص ص 14-

الفصل الثاني:العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور

فبعدما تمت له البيعة، وأخذ زمام الحكم أرسل المنصور رسولا إلى السلطان العثماني برئاسة أحمد بن يحيى الهوزالي⁽¹⁾، ولسائر ممالك الإسلام المجاورين للمغرب الأقصى، ومنهم الجزائر بنصر السعديين في معركة وادي المخازن 1578م⁽²⁾.

فانهالت على أحمد المنصور في فاس وفود المهنيين من الجزائر والبرتغال، وإسبانيا والقسطنطينية وفرنسا، يحمل سفراؤها الهدايا وكتب التهنئة، وكانت هدية السلطان مراد الثالث العثماني أقل الهدايا؛ عبارة عن سيف محلى لم ير مثله مضاء وصفاء متن، تقالها أحمد المنصور إلى جانب الهدايا العظيمة الواردة عليه من أوروبا في صناديق مليئة بعملة الفضة والدر الفاخر، ودخلت إلى فاس محمولة على كراريس وعجلات في يوم مشهود⁽³⁾. ويمكن القول أن هدية السلطان العثماني كانت أقل الهدايا شأنًا، على عكس الهدايا التي تقدم بها ملوك أوروبا، وهذا ما سوف يعكس صفة العلاقة ما بين البلدين.

بحيث لم يلبث أن توترت العلاقات ما بين الدولتين، ويرجع سبب التوتر والنفور⁽⁴⁾ في ذلك حسب الناصري بسبب تشاغل المنصور عن الوفد الذي بعثه السلطان، وتركهم مهملين بحضرته وتأخر عن جواب السلطان مراد الثالث، فكان ذلك سببا للنفور بين الطرفين⁽⁵⁾.

ونتيجة لذلك التصرف الذي قام به المنصور مع مبعوث السلطان العثماني دخلت العلاقات ما بين البلدين مرحلة التوتر والصراع، إذ أمر السلطان العثماني بتجهيز حملة بحرية كبرى أسند قيادتها إلى علج علي⁽⁶⁾، وأمره بغزو المغرب الأقصى، وكادت العلاقات السعودية - العثمانية أن تدخل في حالة حرب، لولا أن تدارك الأمير أحمد المنصور الأمر، بحيث أنه بمجرد أن علم بخبر الحملة حتى سارع بإرسال سفيره إلى إستانبول محملا بهدايا ثمينة، وذلك بغرض شكر السلطان

(1) - هو أديب وناظم للنثر وقائد عسكري لولي العهد المولى محمد المأمون ابن المنصور، له قصائد في مدح المنصور الذهبي، توفي بمرض الحصا سنة (994هـ/1585م). ينظر: أحمد ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، [د.ط.]، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973م، ص 159.

(2) - محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 60.

(3) - محمد حجي، العلاقات المغربية...، المرجع السابق، ص 16.

(4) - شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص 184.

(5) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج 5، ص 95.

(6) - تُعد تلك الشخصية من بين أسرى النصارى (كلابر) بصقلية، تربى في أحضان رياس البحر ووصل أعلى مراكز البحرية عند العثمانيين، وولاه السلطان بايلارباي على إيالة الجزائر يوم 3 أوت 1568م. وقد عرف ببطولته وشدة حروبه في البر والبحر، كما شارك في معركة (لببانتو) الشهيرة سنة 1571م، وفي فتح تونس سنة 1574م، عين كقائدا عاما للأسطول. ينظر: أحمد بن القاضي، المصدر السابق، ص 195. ينظر أيضا: ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر السابق، ص 43.

مراد الثالث على تهنئته وهديته والإعتذار عن التأخير في جوابه، وعما يكون قد حصل من تقصير من جانب السفير العثماني⁽¹⁾.

تجدر الإشارة أن بعد تلك الحادثة التي تعتبر آخر محنة تعرضت لها العلاقات العثمانية - السعودية خلال فترة أحمد المنصور حيث تلاها مودة وصفاء في العلاقات ما بين البلدين طيلة النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، إذ لم تنقطع خلالها السفارات ما بين القسطنطينية والجزائر ومراكش. وأعظم تلك السفارات أو أبقاها أثرا على الأصح سفارة علي بن محمد التمكروتي⁽²⁾، الذي أرسله أحمد المنصور لدى مراد الثالث عام (998هـ/1590م)، فسجل أحداث تلك السفارة في كتابه " **النفخة المسكية في السفارة التركية** "⁽³⁾. بحيث إستغل فرصة بقاءه في القسطنطينية ونقل العديد من معالم الدولة والمجتمع، ووصف البلاط العثماني، ووزراءه وطقوسهم في الإستقبالات وغيرها⁽⁴⁾.

وعلى العموم، فقد ظلت العلاقات السعودية العثمانية إلى غاية وفاة السلطان أحمد المنصور (1012هـ/1603م) قائمة على شروط المسالمة والمهادنة، على أسس التعاون والإنسجام بين الجانبين، لكن تلك العلاقات سوف تتأثر كثيرا بفعل الحروب الأهلية التي إندلعت بالمغرب الأقصى مباشرة عقب دفن السلطان أحمد المنصور⁽⁵⁾.

ب-السودان الغربي:

إن العلاقات التي ربطت بلاد السودان الغربي بالشمال الإفريقي قديمة قدم تاريخ شمال إفريقيا، حيث كانت هناك تسربات لمؤثرات بشرية من الشمال إلى الجنوب رغم وجود حاجز طبيعي متمثل في الصحراء الكبرى، وعرف سكان المنطقتين كيف يجعلوا هذا الحاجز مجالا للتواصل المتواتر بينهما، كما إستطاع الإسلام أن يثبت أنه حضارة راقية، ساهمت بشكل كبير في ازدهار الحياة الإقتصادية والثقافية في إفريقيا ما وراء الصحراء⁽⁶⁾.

(1) - محمد العمراني، " العلاقات السعودية العثمانية من خلال كتاب: تأسيس دول الأشراف بالمغرب وصراعها مع أترك إيالة الجزائر 1509-1830م للمؤلف أوغست كور"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس**، بفاس- المغرب، ع.1، س.2015م، ص35.

(2) - ولد سنة (941هـ/1534م) في بيت علم وصلاح، عاش في كنف والده وتعلم في زاويته هو وأخوه محمد، وأخذ عن مشايخ درعة ثم درس في الزاوية، توفي عام (1003هـ/1594م). للمزيد ينظر: علي بن محمد التمكروتي، **النفخة المسكية في السفارة التركية**، تق، تح: عبد اللطيف الشادلي، [د.ط.]، (الرباط: المطبعة الملكية، 2002م)، ص ص 5-6.

(3) - لأخذ فكرة حول مضمون الرحلة وأهم ما جاء فيها ومسارها. ينظر: عبد القادر زمامة، " مع أبي الحسن التمكروتي رحلته إلى القسطنطينية"، **مجلة المناهل**، الرباط- المغرب، ع.25، س. 1403هـ/1982م، ص ص 221-236.

(4) - محمد حجي، **العلاقات المغربية...**، المرجع السابق، ص ص 17-18.

(5) - محمد العمراني، المرجع السابق، ص39.

(6) - عميمور أيمن، " حملة أحمد المنصور على السودان الغربي وموقف السودانيين منها في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م"، **مجلة الدراسات الإفريقية**، الجزائر، مج.2، ع.4، س.2016م، ص132. ينظر أيضا: =

تميزت العلاقات المرينية وممالك إفريقيا بالود في عمومها، فقد تمسك ملوك بني مرين فيما يتعلق بالممالك الإفريقية جنوب الصحراء بعلاقات حسن الجوار، والود والإخاء التي ربطتهم كمسلمين بتلك الممالك، خاصة في ظل وجود مملكة مالي، والتي قد بلغت أوج عظمتها في عهد المنسى موسى⁽¹⁾، ثم المنسى سليمان⁽²⁾. وقد حرص المنسى موسى على ربط علاقات الود مع كافة الدول المشهورة آنذاك، وهذا ما جعل مملكته يقصدها القاصي والداني نظرا للنشاط التجاري الذي إشتهرت به، يضاف إلى تلك الشهرة التي نالها المنسى موسى إثر زيارته لأداء مناسك الحج، وما نتج عن تلك الرحلة من آثار طيبة، فقد حمل معه أكياسا من الهدايا، والتحف الذهبية. وأثناء عودته صحب معه رجال الفكر، وهذا ما أكسب السودان الغربي سمعة طيبة. كما إن إسم جاره السلطان أبي الحسن المريني⁽³⁾، قد دوى عبر أطراف إفريقيا والأندلس، ولهذا فقد كان من الطبيعي أن تنشأ بين المملكتين علاقات قائمة على أساس الإحترام المتبادل، والمصالح المشتركة⁽⁴⁾.

أما في العهد الوطاسي فبالرغم من قصر فترة حكم بني وطاس والتي تميزت بالضعف وعجز السلطة الحاكمة عن رد الخطر البرتغالي، - كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك -، إلا أن الوطاسيين ظلت تربطهم بممالك السودان الغربي صلات وطيدة. فقد أرسل محمد البرتغالي⁽⁵⁾ سفارة إلى محمد أسكيا (1493-1528م)⁽⁶⁾، وقد ترأس تلك السفارة عم ليون الإفريقي، والذي صحبه معه

=Maurice Delafosse, " Les Relations Du Maroc Avec Les Soudan A Travers Les Ages", **Hespéris Tamuda**, T.IV, 2 Trimestre, paris, 1924, p 153-154.

(1)- يُعد من أعظم ملوك مالي، عرف بالكرم والصلاح والورع والتسامح. تولى الحكم سنة 1312م، كما يعد عصره من أقوى العهود، حيث أصبحت إمبراطورية مالي قوية واسعة ومتزامية الأطراف، ساهم موسى في إدخال الإسلام إلى البلاط الملكي، وأصبح الإسلام الدين الرسمي للدولة. توفي سنة 1337م. للمزيد ينظر: محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية، **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، ط.1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1971م)، ص ص 81-83.

(2)- هو أخ منسى موسى وعم " مغان الأول "، تولى الحكم سنة 1342م، تميز سليمان بالتقوى والصلاح، استطاع أن يعيد معظم البقاع التي خرجت عن طاعة المملكة، ومع ذلك فشل في إستعادة مدينة " غاو ". أما على الصعيد الخارجي فقد أقام علاقات ودية مع سلاطين المغرب الأقصى. توفي سنة 1360م. ينظر: محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية، المرجع السابق، ص 85.

(3)- يُعد من أعظم ملوك بني مرين وأضخمهم ملكا، ومن أكثرهم أثارا بالمغرب الأقصى، ويعرف عند العامة بالسلطان الأكل، لأن أمه كانت حبشية، فكان أسمر اللون والعامة تسميه الأسمر، تولى الحكم بعد وفاة أبيه. ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية**، ج.3، تج: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، [د.ط.]، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1418هـ/1997م)، ص 118.

(4)- عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مج.7، [د.ط.]، (المحمدية: مطابع فضالة، 1408هـ-1988م)، ص ص 39-40.

(5)- هو أحد ملوك مدينة فاس، المعروف بالبرتغالي بن محمد الشيخ الوطاسي، وهو الذي خلعه عن ملكه أبو عبد الله المهدي، وحمله أسيرا لمراكش بعد أن أخرجته من الملك في سنة 956هـ، توفي بمراكش. ينظر: أحمد ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ص114.

(6)- ينسب إلى أصول قبيلة كانت تعيش في أقصى الغرب الإفريقي في نواحي موريتانيا والسينغال، تولى العرش بعد أن أطاح بآبى سني علي وخليفته المدعو أبو بكر داعو، وذلك حوالي عام (899هـ/1493م)، واستمر في الحكم حتى عام (934هـ/1528م)، ويعد الأسكيا محمد الكبير مؤسس لحقبة جديدة في تاريخ مملكة صنغي. للمزيد ينظر: مطير سعد غيث، " الأسكيا محمد الكبير: رحلته المشرقية ودوره الثقافي والجهادي "، **مجلة الشهيد**، ليبيا، مج.33، س.2012م، ص ص 69-73.

الفصل الثاني:العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور

في تلك البعثة، وقد مرت البعثة على طريق درعة حوالي سنة 1509م، حيث ظلت سجلماسة حتى ذلك الوقت مركزا تجاريا عظيما يتبادل تجارها البضائع مع مصر والسودان⁽¹⁾.

أما في العهد السعودي فقد تغيرت العلاقات ما بين المنطقتين بسبب تغير المعطيات ما بين الضفتين، فمنذ ظهور السعوديين وقيام دولتهم بالمغرب الأقصى، سعوا إلى البحث عن موارد ثابتة تمكنهم من توطيد أقدامهم، وتساعدتهم على تطوير الإقتصاد السعودي لما فيها من رفاهية للبلاد وإزدهارها، حيث سعوا إلى إستغلال ثروات جنوب الصحراء، كمعادن الملح الموجودة بإقليم تغاز⁽²⁾ الذي تمتاز به عن سائر بلاد السودان⁽³⁾.

وبالفعل فقد أرسل السلطان محمد الأعرج ثاني السلاطين السعوديين إلى الأسكيا إسحاق الأول⁽⁴⁾ في عام (933هـ/1526م)، يطلب منه تسليم معدن تغازا، وكرر هذا الطلب السلطان محمد الشيخ خليفة الأعرج في (951هـ/1544م) بشأن التنازل عن نفس المعدن، غير أن العلاقات السعودية مع مملكة صنغاي سوف تعرف تأزما كبيرا في عهد أحمد المنصور بسبب الرغبة في السيطرة على ثروات السودان الغربي⁽⁵⁾، والذي إنتهى الأمر بغزو المنصور الذهبي للسودان الغربي والقضاء على دولة صنغاي. وهنا نطرح السؤال فيما تكمن الأسباب والدوافع التي ساهمت في غزو المنصور للسودان الغربي؟.

أ- غزو بلاد السودان في عهد أحمد المنصور الذهبي:

1-1: دوافع غزو بلاد السودان الغربي:

1-2: الدوافع الدينية والسياسية:

إستعمل أحمد المنصور السعودي مسألة الخلافة على المسلمين كحجة أساسية⁽⁶⁾، معتبرا نفسه أنه الأحق بخلافة المسلمين، مستمدا شرعيته من نسبه⁽⁷⁾ الشريف⁽¹⁾، الذي يفتقر إليه ملك

(1) - إبراهيم حركات، **المغرب عبر...**، ج.2، المرجع السابق، ص181.

(2) - يقع إلى الشمال من مدينة تنبكت، وهو مصدر ملح السودان الغربي، عملت كل الممالك التي قامت بالسودان الغربي على السيطرة عليه، وكانت آخرها مملكة صنغاي، وذلك لقيمته الإقتصادية، وكان آخر من إستغل بها المغاربة في أواخر دولة صنغاي. ينظر: الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، ط.1، (القاهرة: الدار المصرية، 1999م)، ص 122.

(3) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص147.

(4) - يعتبر من أهم الملوك الذين حكموا بلاد صنغاي على أيام الأسيقيين، استمر حكمه خلال الفترة (1539-1549). للمزيد ينظر: عبد القادر زيادية، **مملكة صنغاي في عهد الأسيقيين (1493-1591م)**، [د.ط.]، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.س.)، ص ص 43-44.

(5) - قدوري عبد الرحمن، المرجع السابق، ص38.

(6) - محمد الغربي، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، [د.ط.]، (الكويت: مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، 1982م)، ص106.

(7) - Stephen cory: " The Man Who Would Be Caliph: A Sixteenth-Century Sultan's Bid " **The International Journal of African Historical studies**, Boston , Vol.42, No.2, 2009, p179.

السودان، إذ بفعل عدم توافره على الشرط فإن أحمد المنصور أقر ذلك في الرسالة التي رفعها إلى مستشاريه بخصوص أمر حملته على السودان الغربي، بأن سلطان تلك البلاد⁽²⁾ "....معزول عن الإمارة شرعا، إذا ليس بقرشي ولا اجتمعت فيه شرائط السلطنة العظمى..."⁽³⁾.

لاسيما وأن إفريقيا جنوب الصحراء لم تكن تابعة لسلطة إسلامية معينة، رغم ما أشيع من أخبار تفيد بأن ملك صنغاي محمد أسكيا الذي حج إلى بيت الله الحرام قد إتصل بالخليفة العباسي وطلب منه الإذن بحكم السودان الغربي بإسمه، ثم عاد إلى مملكته التي كانت تجاور نهر النيجر، فاستمرت العلاقة بين المشرق وبلاد السودان على هذا النحو⁽⁴⁾، طوال تلك الفترة. غير أنه مع قدوم السعديين سوف تتغير نظرتهم لفهم خلافة العالم الإسلامي - وخاصة في منطقة السودان الغربي -.

وللإشارة فقد إتخذ الأسكيا الحاج لقب أمير المؤمنين بالسودان كلقب فخري⁽⁵⁾، وهو ما أثار حفيظة السعديين، كون أن لقب أمير المؤمنين هو اللقب الذي كان ينعت به الأشراف السعديين، وبالتالي أصبح مصدر قلق للسعديين، حيث رأوا أن هذا اللقب من حقهم وحدهم في المنطقة، لأنهم من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس في إفريقيا والمغرب الأقصى وبلاد السودان، ولكن في كل العالم الإسلامي. وإعتبروا إتخاذ الأسكيا هذا اللقب بمثابة منافسة لهم في الزعامة الروحية بإفريقيا، وأنه بذلك تعدى مركزهم الروحي والسياسي، بل أنهم كانوا يرفضون الدعاء للسلطان العثماني بالخلافة، ومن ثمة إعتبروا حاكم صنغاي معزولا شرعا، ما لم يوافق الدخول في طاعتهم، والإعتراف بخلافتهم⁽⁶⁾.

(1) - تجدر الإشارة إلى أن مسألة الخلافة التي سبق وأن أشرنا إليها في الفصل الأول عن حديثنا عن الإصلاحات التي طالت الدولة السعدية بقدوم أحمد المنصور أنها أخذت حيزا كبيرا في نظام الحكم السعدي، الذي عمل جاهدا من أجل إثباته على أرض الواقع. إذ بعد زوال دولة بني وطاس أصبح السعديون يرون أنفسهم أنهم الأحق بخلافة المسلمين، بحكم أنهم من الأشراف، وأن الخلافة لا بد أن تكون فيهم؛ أي أن يكون الخليفة قرشي. وأن العثمانيين أعاجم، وبالتالي لا تصلح فيهم خلافة أمر المسلمين. وقد استمر هذا الطرح إلى غاية الفترة العلوية. فقد ذكر أبو القاسم الزباني، وإن كان متأخرا عن الدولة السعدية، مسألة الخلافة حيث قال: " ... ومن الفرض في علم النسب أن يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز ولا تصح إلا في ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ولو وسع جهل هذا لأمكن إدعاء الخلافة لمن لا تحل له، وهذا لا يصح أصلا ". للمزيد ينظر: أبو القاسم الزباني، جمهرة التيجان وفهرسة الباقوت و اللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشباخ السلطان المولى سليمان، تق: تح: عبد المجيد خيالي، ط.1، (بيروت: منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة دار الكتب العلمية، 1424هـ/2002م)، ص45.

(2) - عبد الله استيتو، الدولة السعدية جوانب من تاريخ المغرب الحديث، ط.1، (أكادير: الطباعة PRINT Bz، 2017م)، ص ص 211-212.

(3) - محمد الصغير الأفرائي، المصدر السابق، ص163.

(4) - عبد الله استيتو، الدولة السعدية...، المرجع السابق، ص212.

(5) - Ernest Mercier, op.cit, p161.

(6) - الحواس غربي، السيادة السعدية بالبلاد السودانية (1519-1660م) دراسة سياسية وعسكرية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 1429-1430هـ/2008-2009م، ص34.

الفصل الثاني:العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور

وهكذا فإن أحمد المنصور إعتبر قضية الخلافة غطاء مناسباً لتحركه السوداني، ونبه الأسكيا، ونبه كل المتصلين به، والمتنفذين في البلاد، أن الله وحده الذي يفرض على الأسكيا أن يبدي السمع والطاعة وينخرط بواسطة البيعة في سلك الجماعة⁽¹⁾.

يضاف إلى ذلك عامل الجهاد والتوسع كعامل أساسي، إذ أن الدولة السعودية منذ قيامها قامت على أساس الجهاد ضد الإحتلال البرتغالي، فلا غرابة من ظهور عامل الجهاد وتوسع أملاك السعديين، ومن هذا المنطلق كانت عملية ضم السودان من ضمن المهام المنوطة بها، حسب إعتقادهم-، يضاف إلى ذلك الوجود الأجنبي بالسواحل السعودية، علاوة على تواجد المستعمرات البرتغالية إتحاه ساحل السينغال، والتمركز الإسباني في جزر الكناري⁽²⁾، يحملان أخطار الإحتواء الأوروبي لأراضي واقعة في بلاد الإسلام، وتستوجب حمايتها والجهاد من أجلها⁽³⁾.

يضاف إلى ذلك إنتهاج المنصور سياسة تهدف إلى خلق التوازن بين القوى المتواجدة في حوض البحر الأبيض المتوسط؛ إسلامية كانت أو مسيحية، والتي حدّت من طموحاته التوسعية في الواجهتين الشرقية حيث يتواجد العثمانيون، والشمالية التي كانت ترابط بها القوة المسيحية جعلته يولي اهتمامه نحو المناطق الجنوبية خاصة بلاد السودان⁽⁴⁾.

كما تجدر الإشارة إلى أن أحمد المنصور قد استغل الظرفية الزمنية الملائمة من أجل تنفيذ حملته على السودان الغربي، إذ أن الوضع الدولي كان جداً مناسباً آنذاك، نتيجة لإنشغال القوى المنافسة له، فالعثمانيون كانوا منشغلين بفتوحاتهم في أوروبا الشرقية، مستغلين تصدع الجبهة المسيحية بأوروبا الشرقية والحروب القائمة بينهم، في حين أن إسبانيا كانت هي الأخرى منشغلة في الرد على الهجومات الإنجليزية ضدها وضد البرتغال، الأمر الذي لم يسمح لأي من خصومهم بالتحرك ضدهم⁽⁵⁾.

(1)- محمد الغربي، المرجع السابق، ص116.

(2)- هي عبارة عن مجموعة جزر تشكل إقليمين في إسبانيا، وتتكون هذه المجموعة من 13 جزيرة واقعة في المحيط الأطلسي، تقع على بعد 95 كم من ساحل شمال غربي إفريقيا، وتبلغ مساحة الجزر 7.242 كم²، ويبلغ طول سواحلها 1.007، ويقطن الناس في سبع منها. للمزيد ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، الموسوعة العربية العالمية، ج.8، ط.2، (المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م)، ص 339-340.

(3)- محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، ط.1، (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 1991م)، ص106.

(4)- محمد أمراني علوي، المرجع السابق، ص55.

(5)- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 134-135.

1-3: الدوافع الاقتصادية:

كانت موارد السعديين أضعف من أن تتسع لسد حاجيات الدولة من نفقات عسكرية ومنشآت عمرانية وإجتماعية، وكان معروفاً عن السودان أنه يتوفر على معادن الذهب⁽¹⁾، والملح بالإضافة إلى العبيد والعاج والنحاس، وغيرها من خيرات السودان الغربي، الأمر الذي إلتفت إليه السلاطين السعديون، وطمعوا في إستغلاله، وخاصة وأن المنصور قد إستعاد وحدة وقوة مملكته، فأصبح يفكر في كل خيرات السودان، وليس فقط موضوع الملح⁽²⁾.

فمنذ أن تولى المنصور الحكم بعد معركة وادي المخازن بسنة واحدة واجهته مشاكل إقتصادية كبيرة، وأصبحت تهدد أمن البلاد. فقد واجه المغرب الأقصى أوبئة في حدود سنة 1580م، ثم عاد الوباء بين سنتي (1582-1583م)، ولا شك أن ذلك أثر على مداخل الدولة، وزاد من حاجتها إلى الأموال، يضاف إلى ذلك أن أحمد المنصور حين وصل إلى الحكم وجد خزينة الدولة شبه فارغة، بسبب ما خلفته معركة وادي المخازن 1578م، من إحراق لبعض محاصيل السكر، والتي كانت تمثل إحدى مصادر دخل خزينة الدولة، فكان لا بد له من أن يعوض ذلك النقص، علاوة على الثورات، والفوضى التي ألفتها القبائل، وبالتالي عدم دفع الضرائب.

وفي هذا الإطار يدخل إعطاء العامل الإقتصادي أهمية في عملية غزو السودان، خاصة وأن السعديين كانوا مؤهلين أكثر لمعرفة الأهمية الإقتصادية للتجارة السعدية مع السودان، فقد كانت تارودانت وتازروالت وماسة مهدهم الأول، أسواقاً هامة يتم فيها تبادل المنتجات السعدية بأخرى قادمة من السودان، خاصة الذهب والعبيد. فكان حلم أحمد المنصور الدائم وضع يده على مصادر تلك التجارة نفسها⁽³⁾. وذلك بسبب أهمية صادرات السودان الغربي، والتي كان السعديون يحاولون أن يسيطروا عليها بدلاً من تركها تقع في يد الأوربيين، الذين كانوا قد بدعوا في ذلك الوقت في إحتلال بعض النقاط الساحلية في غرب إفريقيا. وكانت تلك الفترة فترة البحث عن معدن الذهب⁽⁴⁾.

(1) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص264.

(2) - محمد الغربي، المرجع السابق، ص ص 117-120.

(3) - محمد رزوق، " ملاحظات حول الوجود المغربي بالسودان الغربي خلال فترة أحمد المنصور الذهبي (1578-1603م) "، أعمال ندوة التجارة في علاقاتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج.2، (الدار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بعين الشق، جامعة الحسن الثاني، 1409هـ-1989م)، ص288.

(4) - محمد أمrani علوي، المرجع السابق، ص55.

1-4: الدوافع العسكرية:

لم تكن بلاد السودان الغربي تتوفر على قوة عسكرية حديثة التنظيم والتسليح، فكان جيشها لا يملك مدافع، حتى ولا بنادق، وعلى العكس من ذلك، فإن الجيش السعودي الذي كان بالرغم من قلة أفراده مجهزا بأحدث طراز من العتاد الحربي بالنسبة لذلك العصر⁽¹⁾. هذا بالإضافة إلى الإعتماد على أساليب التدريب الحديثة، وأسلحة نارية فتاكة، خلافا على ما كان عليه الحال بالنسبة للدول التي قامت بالمغرب الأقصى سابقا⁽²⁾، التي وصفها الفشتالي أنها لم تخرج عن: "عساكر الخيل والفرسان الرامحة وعصائب الرمات الناشبة..."⁽³⁾. حيث أنه من خلال ذلك التفوق العسكري فإنه بإمكان مجموعة من الجيش السعودي أن تحقق الكثير من التوسعات والإنتصارات في بلاد السودان الغربي، نظرا للفرق العظيم بين قوى المتحاربين⁽⁴⁾.

1-5: الدافع المباشر:

إستجد أخ الأسكيا إسحاق الثاني⁽⁵⁾، بأحمد المنصور للرجوع إلى العرش، وقد ساعدت الظروف السلطان أحمد المنصور بوصول أحد أفراد الأسرة الحاكمة في صنغاي، إلى مراكش يطلب منه مساعدة عسكرية للوصول إلى الحكم⁽⁶⁾. أشار عبد الرحمان السعودي إلى ذلك فقط: "...ولد كرنفل وهو رجل من خدام أمراء سنغي غضب عليه الأمير اسكيا إسحاق بن داود⁽⁷⁾... فبعثه إلى رسم السجن بتغاز... فهرب إلى مدينة مراكش عند احمد الذهبي... وحضه على اخذ الأرض من أيديهم..."⁽⁸⁾، وقد طلب من المنصور إمداده بالعساكر، وكان ذلك سبباً مباشراً لتدخل أحمد المنصور لضم السودان الغربي إلى أملاكه.

(1) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص264.

(2) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص156.

(3) - عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص127.

(4) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص156.

(5) - تولى حكم مملكة صنغاي من (1588-1591م) وهي في أضعف حالتها، بسبب الحروب والثورات التي كان الأساقي لا يفتأون يشنونها باستمرار، سواء داخل البلاد أو من البلدان المجاورة، وقد استغرق مدة عام حتى قضى على الثائرين، وما أن استتب له الأمر حتى دخل في حرب مع المولى أحمد المنصور الذهبي، الذي استغل ضعف مملكة صنغاي، وانقسام الأساقي على أنفسهم، وقام بإرسال حملة بقيادة جودار باشا، والذي قضى على إمبراطورية الأساقي في صنغاي. للمزيد ينظر: عبد القادر زيادية، المرجع السابق، ص ص51-53.

(6) - الحواس غربي، المرجع السابق، ص36.

(7) - حكم داود عرش صنغاي ثلاثة وثلاثين عاما، من (1549-1582م)، وكان في نفس الوقت من أبرز السلاطين من آل أسقيا، كان متأثرا بشخصية إسماعيل، وقد اشتهر بحكته السياسية. للمزيد ينظر: عبد القادر زيادية، المرجع السابق، ص ص45-49.

(8) - عبد الرحمان السعودي، تاريخ السودان، تح: هوداس، (باريس: دن)، (1981م)، ص137.

ب-: غزو السودان الغربي:

1-1: مسألة غزو السودان وموقف المجلس الإستشاري منها:

إستغرقت إستعدادات المنصور لحملته على السودان الغربي مدة طويلة للشروع في الغزو، وحتى يعطي المنصور لنفسه شرعية التوسع على حساب السودان إجتمع مع المجلس الإستشاري من أهل العقد والحل، وأولي البصيرة والحكمة، من أجل مباحثتهم في مسألة غزو السودان الغربي. وفيما يلي نص حوار المناقشة الذي دار مابين السلطان وحاشيته، كما نقله لنا الأفراني: "...إني عزمت على منازلة أمير كاغو وصاحب السودان، ويعث الجيوش إليهم، لتجتمع كلمة الإسلام وتتفق، لأن بلاد السودان وافرة الخراج، كثيرة المال، يتقوى بها جيش المسلمين، ويشتد بها ساعد كتيبة المؤمنين، مع أن صاحب أمرهم والمتولي لسלטنتهم اليوم معزول عن الإمارة شرعا..."⁽¹⁾.

ولما إنتهى المنصور من كلامه وأبدى عما كان يدور في ذهنه، سكت الحاضرون ولم يراجعوه بشيء⁽²⁾ فقال لهم: "... سكتم استصوابا لرأيي أو ظهر خلاف ما ظهر لي"، فأجابهم كلهم بلسان واحد ورأي متفق " إن ذلك رأي عن الصواب منحرف وإنه بمهامه عن الآراء السديدة ولا يحظر ببال السوقة فكيف بالملوك، وذلك لأن بيننا وبين السودان مهامه فيحاصر فيها الخطأ وتحار فيها القضا وليس فيها ماء ولا كالأ فلا يتأتى السفر فيها ولا اعتساف شيء من طريقها مع كونها مخوفة مملوءة الجوانب ذعرا وأيضا فإن دولة المرابطين على ضخامتها ودولة الموحيدين على عظمها ودولة المرينيين على قوتها لم تطمح همة واحد منهم لشيء من ذلك ولا

(1) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص163. ينظر أيضا: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 112-113.

(2) - يفسر سبب سكوت الحاضرين من أهل الحل والعقد بسبب تخوف واضح من دوافع تلك الحملة والنتائج المتوقعة منها لاعتبار أن مبررات الغزو لم تكن واضحة بالنسبة إلى عدد من مستشاري المنصور بفعل جملة من العوامل منها:

- أن السودان بلاد مسلمة لا تستوجب الغزو، بل هذا الأخير يكون لبلاد النصارى أو بلاد الكفر.
- كذلك أن السودان بلاد آمنة لا فتنة فيها ولا فوضى، ولا سيما في عهد ملكها إسحاق أسكيا الثاني، كذلك لم يسبق للدولة المغربية أن نظمت حملات عسكرية ضد السودان باستثناء ما قام به أبو بكر بن عمر اللمتوني المرابطي، الذي كان ينتمي إلى تلك البقاع، وبالتالي كان يهدف إلى نشر الإسلام بالسودان الغربي، فكان الفضل للمرابطين في إيصال الإسلام إلى تلك الأصقاع.
- نتائج الحملة غير مضمونة بسبب المسافات البعيدة التي كانت تفصل ما بين مراکش وكاغو، وما تطلبت من إعدادات بشرية ومعدات عسكرية ولوجستيكية هائلة، وهو ما يعني الزج بالمسلمين في حرب مجهولة العواقب، قد تتعكس سلبا على وضع السعديين في شمال إفريقيا عامة. ينظر: عبد الله استيتو، الدولة السعدية...، المرجع السابق، ص ص 220-221.

تعرضوا لما هنالك ما ذاك إلا لما رأوا من صعوبة مسالكها وتعذر مداركها وحسبنا أن نقتفي أثر تلك الدول فإن المتأخر لا يكون أعقل من الأول⁽¹⁾.

فلما قضاوا كلامهم وأبدوا له رأيهم قال لهم المنصور " إن كان هذا غاية ما استضعفتهم به أمري وفيلتهم به رأيي فليس فيه جمة ولا ما يخدش فيما عندي، وأما قولكم بيننا وبينهم صحار مخوفة ومفاوز مهلكة لججوبيتها وعطشها فنحن نرى التجار على ضعفهم وقلة استعداداتهم يشقون تلك الطرق في كل وقت ويخوضون في أحشائها مشاة وركبانا وجماعة ووجدانا ولم نتقطع قط ركاب التجار عنها وإنما أقوى أهبة منهم وللجيش همة ليست للقوافل، وأما قولكم إن من كان قبلنا من الدول الطنانة لم تطمح أبصارهم لذلك، فأعلموا إن المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الأندلس ومقاتلة الإفرنج ومن بذلك الساحل من الأروام والموحدين اقتفوا سبيلهم في ذلك وزاحوا بحرب ابن غانية و المرينيون كانت غالب وقائهم مع بني عبد الواد بتلمسان ونحن اليوم انسد عنا باب الأندلس باستيلاء العدو الكافر عليها جملة وانقطعت حروب تلمسان باستيلاء العثمانيين عليها ثم إن أهل تلك الدول لو أرادوا ما أردنا لصعب عليهم لأن جيوشهم كانت فرسانا رامحة ورماة ناشبة ولم يكن عندهم هذا البارود وعساكر النار المرهبة الصواعق والسودان ليس عندهم الآن إلا الرماح والسيوف وهي لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة فمقاتلتهم سهلة وحربهم أيسر من كل شيء وأيضا فإن بلاد السودان أنفع من إفريقيا فالإشتغال بها أولى من منازلة العثمانيين لأنه تعب كثير في نفع قليل ذلك على استبعاد القريب واستيعاب السهل فإنه كم ترك الأول للأخر وقد يفتح المتأخر بما لم يفتح على المتقدم ". ولما فرغ المنصور من خطابه إستحسن الحاضرين رأيه وقالوا له: " ... قد طبقت المفضل و ألهمت الصواب ولن تبق لأحد ما يقول وصدق من قال عقول الملوك العقول⁽²⁾."

إن المتمعن في مجريات الحوار الإستشاري الذي دار ما بين السلطان أحمد المنصور ومستشاري ديوانه الذي كان يضم خير العلماء وأهل العقد والحل، نلاحظ جليا أن المنصور لم يعر أدنى أهمية للملاحظات التي قدمها المجلس الإستشاري حول مسألة الحملة ومن المبررات التي قدموها، وإنما عمل على دحض كل تلك المبررات بل وعلى النقيض من ذلك عمل على إقناعهم من خلال مجموعة من الأدلة والبراهين محاولا في ذلك تعزيز موقفه من مسألة الحملة،

(1) - محمد الصغير الأقراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص163. ينظر أيضا: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 113.

(2) - المصدر نفسه، ص163. ينظر أيضا: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع نفسه، ص ص 112-113.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية حتى يعطي لنفسه شرعية من أجل الشروع في حملته على السودان الغربي.

وموطن الشاهد في ذلك حين قال: " ... إنني عزمت على مواجهة أمير كاغو صاحب السودان وبعث الجيوش إليهم لتجتمع كلمة الإسلام وتتفق ولأن بلاد السودان وافرة الخراج كثيرة المال يتقوى بها جيش المسلمين ويشتد بها ساعد كتيبة المؤمنين مع أن صاحب أمرهم والمتولي لسلطنتهم اليوم معزول عن الإمارة شرعا"⁽¹⁾.

ويتضح من خلال هذا الخطاب الذي ألقاه المنصور على مجلس الديوان أنه خطاب محبوك بمهنية عالية، إنطوى منته على خلفيات شرعية، وأبعاد دينية تجيز للسلطان غزو السودان وتشرع له إرسال جيشه إلى ما وراء الصحراء مادام أمير " كاغو " مغتصبا للسلطة، بإعتبره معزولا عن الإمارة شرعا، وبصفته غير متوافر على محددات وضوابط وشروط السلطنة العظمى⁽²⁾.

ولم يكتف المنصور بتأييد المجلس الإستشاري له بل عمل على إستئجار عالمين من علماء مصر، وهما الإمام العارف بالله أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن البكري⁽³⁾، والثاني أبو عبد الله محمد بن يحيى المصري الشهير ببدر الدين القرافي⁽⁴⁾، صاحب ذيل الديباج وقد أجاز⁽⁵⁾ العالمان للمنصور بالقيام بالحملة على السودان الغربي⁽⁶⁾.

(1) - محمد الصغير الأفريقي، **نزهة الحادي...**، المصدر السابق، ص163.

(2) - عبد الله استيتو، **الدولة السعودية...**، المرجع السابق، ص223.

(3) - يعد من أبرز أقطاب الجامع الأزهر في القرن (10هـ/16م)، وهو الشيخ محمد بن الشيخ أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن. ينتهي نسبه إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهو بكري صديقي، وهو شافعي المذهب أشعري العقيدة. إحتل كرسي والده شيخ الإسلام بعد وفاته، كان معلما في الدرس والإملاء، كما كان من الشعراء والمتمكنون في علوم اللغة وقواعد الشعر. له عديد من التصانيف في الفقه والتصوف، وله ديوان شعر كبير من نظمه. توفي (993هـ/1585م). للمزيد ينظر: عبد الهادي التازي، " من الوثائق المغربية في بغداد: رسالة المنصور الذهبي لأحد أقطاب الشرق صورة عن حالة الإجتماعية والسياسية في المملكة المغربية "، **مجلة دعوة الحق**، المغرب، ع76، ص. 1967م، ص98.

(4) - هو محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس، بدر الدين القرافي ولد سنة (939هـ/1533م) فقيه مالكي، لغوي، من أهل مصر. ولي قضاء المالكية فيها له كتب، منها: " القول المأنوس بتحرير ما في القاموس " و " رسالة في بعض أحكام الوقف ومجموع رسائل في الفقه وتوشيح الديباج ". توفي سنة (1008هـ/1600م). للمزيد ينظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط.15، (بيروت: دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 2002م)، ص141.

(5) - لأخذ فكرة حول مسألة إستجازه المنصور لعلماء مصر من أجل غزو السودان وردود العلماء على مسألته. ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ص ص 115-116. ينظر أيضا: يوسف الكتاني، **مدرسة الإمام البخاري في المغرب**، ج.1، [د.ط.]، (بيروت: دار لسان العرب، [د.س.])، ص ص 370-371.

(6) - تقولا زيادة، **إفريقيات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي**، ط.1، (رياض: الزين للكتب والنشر، 1991م)، ص377. ينظر أيضا: محمد رياض، **شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية**، ط.1، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2005م)، ص482.

1-2: مراحل الحملة العسكرية (999هـ/1591م):⁽¹⁾.

أ- الحملة العسكرية الأولى:

بعد ما أعطى أحمد المنصور لنفسه الشرعية الدينية من أجل غزو السودان الغربي، أخذ في الإستعداد لإحتلال المنطقة، واهتم شخصياً بمسألة الإشراف على سير وتنظيم الحملة، من خلال تجهيز جميع الوسائل والمعدات الحربية، وما كان يحتاج إليه الجيش من آلات السفر⁽²⁾، من خيل وبغال، وإبل وبارود ومدافع ومهاريس، وبنادق وخشب للمراكب، ومقاديف وحديد، وقنابل وبراميل للماء وغيرها⁽³⁾. وقام المنصور بتعيين أفضل قادته، جودا باشا لقيادة تلك الحملة العسكرية⁽⁴⁾.

هذا وقد فرض على كل قبيلة من القبائل حصة معينة تلتزم بتقديمها من المقاتلين والإبل والخيول والبغال، ومن أجل الإعداد لتلك الحملة العظيمة استغرق ذلك ما يقارب ثلاث سنوات. وفي يوم 16 من ذي الحجة (998هـ/1590م) إستعرض المنصور ذلك الجيش العظيم في (وادي تانسيفت)⁽⁵⁾، من ناحية مراكش. وفي فاتح محرم من سنة (999هـ/1591م)، تحرك الجيش السعودي بقيادة جودار باشا، ومعه جماعة من أعيان الدولة لإخضاع بلاد السودان، وقد بلغ ذلك الجيش عشرين ألفاً، بالإضافة إلى ألفين من البحرية والطبجية⁽⁶⁾. فيكون المجموع إثنان وعشرين ألفاً⁽⁷⁾.

وكانت الإنطلاقة الحقيقية لتلك الحملة في منتصف ربيع الثاني من عام (999هـ/1591م)، فقطع الموكب العسكري جبال الأطلس، وصولاً إلى وادي درعة، ومنه إلى تندوف⁽⁸⁾، وتغازى

(1) - ينظر: ملحق رقم 08، ص 271.

(2) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 121.

(3) - عميمور أيمن، المرجع السابق، ص 145.

(4) - Nehemia Levtzion, Roland Oliver: " The Western Maghrib and Sudan ", **The Cambridge History Of Africa**, publisher Cambridge university press, v.3, 1977, p413.

(5) - يعتبر من أهم أنهار المغرب المهمة، يسقي بمياهه حوز مراكش في طريقه إلى مصبه بالاطلنطي بين أسفي والصويرة، يبلغ طوله نحو 250 كلم.

ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 106.

(6) - كلمة فارسية الأصل وتنقسم إلى قسمين "توب" وتعني المدفع، و"جي" أداة بالنسبة للغة العثمانية، أي المدفعي أو العامل في سلاح المدفعية. للمزيد

ينظر: حسان حلاق، عباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط.1،

(بيروت: دار العلم للملايين مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1999م)، ص 148.

(7) - شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)، ط.1، (القاهرة: ملتزمة الطبع والنشر مكتبة الأنجلو

المصرية، 1977م)، ص 187.

(8) - مركز على الحدود الصحراوية بالجنوب به عدة قصبات، شيدت وسط واحة كبرى لحراسة الطريق المؤدية إلى شنقيط، يقع على بعد 488كم، جنوب

أكادير وبينه وبين دكار 2700كلم في الطرق الصحراوية. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 105.

الفصل الثاني: العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور

وتارودني وكارابارا وتنبكتو، ومن هذه الأخيرة إلى عاصمة آل أسكية مدينة كاغو⁽¹⁾. وكانت المسافة التي قطعها الجيش السعودي طويلة جدا، لم يسبق للجيش السعودي قبله أن قطع مثلها، إذ بلغت في مجملها نحو 2000 كلم، ووصلت مدتها زهاء خمسة أشهر كاملة، وعبرت مجالات مختلفة وتضاريس متشعبة⁽²⁾.

على العموم فقد التقى الجيشان في يوم الثلاثاء (16 جمادى 999هـ/13 مارس 1591م) في موضع يسمى سكاني، قريبا⁽³⁾ من تندبي⁽⁴⁾. وبعد ذلك قام القائد جودار باشا الذي كان يقود الحملة العسكرية بتعبئة وتنظيم الجيش، ليستنهض الهمم. وبعد التنظيم والتعبئة وترتيب المصاف عاجل العساكر الأمامية بالقتال⁽⁵⁾.

وما إن إلتحم الجيشان حتى ظهرت قوة كلا الطرفين ومقوماتهما، فعدة السعوديين البنادق والمدافع، وعدة صنغاي السيوف والرماح. فلما بدأ السعوديون بإطلاق وقذف النار، فزعت أبقار الأسكيا من أصوات الرصاص، وأخذت في الإندفاع للخلف، وصدمت أصحابها تاركة فيهم حالة من التشنت. ولم تدم المعركة أكثر من يوم واحد، حتى إنتهت بهزيمة أهل صنغاي⁽⁶⁾، وإنتصار المغاربة بفضل الأسلحة الحديثة، وحسن التنظيم⁽⁷⁾.

وبعد ذلك إتجهت القوات السعودية صوب مدينة جاو لإحتلالها، وكان دخول جودار باشا إلى العاصمة سنة (20 رجب 999هـ/23 ماي 1591م)، حيث خرج منها معظم سكانها⁽⁸⁾. إذ حسب الرواية التي ذكرها السعودي في مصنفه أنه: "... لم يبق فيها من سكانها إلا الخطيب محمود درامي وهو شيخ كبير يومئذ والطلبة ومن لم يقدر على الخروج والهروب من التجار..."⁽⁹⁾ ولقي السعوديون ترحيبا حارا عند دخولهم " جاو " من قبل التجار الأجانب والطبقة

(1) - تسمى أيضا " غاو "، تقع على الضفة نهر النجير من جهة الشرق، وتختلف المصادر في تسميتها، فنجدها كوكو عند الإدريسي وحسن الوزان، ويذكرها المهلبى كاوكو. إحتلت المرتبة الأولى تجاريا في وسط نهر النيجر. وفي القرن 16م أصبحت عاصمة لمملكة صنغاي. ينظر: الحواس غربي، " ظروف الحملة المغربية السعودية على مملكة صنغاي 1591م "، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر، ع.6، س.2018، ص.67.

(2) - عبد الله استيتو، الدولة السعودية...، المرجع السابق، ص.227.

(3) - محمود كعت التنبكتي، المصدر السابق، ص.262.

(4) - منطقة فسيحة سهلة تقع على الضفة اليمنى لنهر النيجر، حيث يحدها من الشمال النهر، ومن الجنوب جبال ينجان، ومن الغرب توجد بعض رافد صغرى لنهر النيجر. دارت تلك المعركة في ذلك المكان المتسع الذي لا يبعد عن العاصمة " جاو " بأكثر من 35 ميلا. ينظر: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.5، ص.219.

(5) - فارس عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص.137.

(6) - نسبة إلى قبيلة صنغاي، كانت تسكن النيجر في حدود الغابات الإستوائية، ثم أخذت تنتقل إلى الشمال مع النيجر، وفي القرن 07م، امتدت مساكنها حول النيجر بحوالي 150 كلم، وبدأ شعبها ينتظم إلى غاية تأسيس إمبراطورية صنغاي القرن 16م. ينظر: عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص.25.

(7) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.5، ص.219.

(8) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص.162.

(9) - عبد الرحمان السعودي، المصدر السابق، ص.141.

المتففة، التي كان العديد منها من أهلي بلد الغزاة. ولكن ذلك الترحيب الحار بهم لم يكن سوى مؤاساة ضئيلة إزاء خيبتهم المرة حين وجدوا جاو تختلف كل الإختلاف عما كانوا يتوقعونه⁽¹⁾، وإندهشوا عندما لم يجدوا أي شيء يغزي على الإحتلال، ويعوض ما تكبدوه من الأتعاب، والمشاق والضحايا طوال ستة أشهر من السفر⁽²⁾.

وقد أصبح الأسكيا إسحاق بعدما فقد عاصمته مشتتاً تماماً، فقام بفتح باب المفاوضات مع جودار باشا، حيث عرض عليه أن يقسم يمين الولاء للشريف، وأن يتخلى السعديون عن حق إستيراد الملح والأصداف النقدية إلى السودان⁽³⁾، بالإضافة إلى دفع مبلغ مائة ألف أوقية (أو مثقال) ذهب، وألف عبد خادم، مقابل إنسحابه من قاو والبلاد، فأجابه بأنه سوف يستشير السلطان في الأمر، وفعلنا كتب إليه رسالة وبقياً معا ينتظران الجواب كل في مركزه، ومارس السعديون سلب ونهب أموال وأملاك السكان، وقتلوا الكثير منهم، ممن وجوده داخل المدينة من العجزة⁽⁴⁾.

على العموم فنتيجة للظروف المزرية التي مر بها جودار باشا والجيش السعودي، فقد أجبر على قبول الهدنة، والموافقة على الشروط التي تقدم بها إسحاق باشا، وذلك لعدة إعتبارات منها التعب الذي طال القوات السعودية بسبب طول مسافة السفر، بالإضافة إلى إنتشار الأمراض وسط صفوف جنوده، علاوة على متاعب رجاله في الصحراء، كذلك فقر البلاد التي قاموا بغزوها، والتي كبدتهم تكاليف باهضة، وكننتيجة حتمية لم تغفل أية حجة يمكن أن تحمل الشريف على قبول العروض التي قدمها إسحاق⁽⁵⁾.

ونتيجة للتصرف الذي أقدم عليه جودار باشا بإعلانه الصلح مع إسحاق باشا صعق المنصور من ذلك الصلح، وبادر إلى عزل القائد جودار باشا وعوضه بقائد آخر هو محمود باشا⁽⁶⁾، ووجه رسالة عاجلة أمر فيها بقتل القائد أحمد بن الحداد الذي كان يفاوض الأسكيا، وأعلن أنه يرفض بدون مناقشة أية مهادنة مع الملك إسحاق الثاني، فلم تكن المبررات التي قدمها

(1) - بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمه وآخرون، [د.ط.]، (بنغازي: منشورات جامعة قارونس، 1988م)، ص292.

(2) - يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، [د.ط.]، (الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م)، ص100.

(3) - بوفيل، المرجع السابق، ص 294.

(4) - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 100.

(5) - بوفيل، المرجع السابق، ص ص 294-295.

(6) - هو خصي إسباني الأصل، مثل أخيه جودار، أسر صغيراً وربى في بلاط السعديين، فالتحق بالصنغاي وتسلم القيادة من جودار في تمبكتو وحارب الأسكيا إسحاق وأنصاره وانتصر عليهم. ينظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص102.

جودار باشا والتي لاشك أن المنصور تفهمها جيدا، والتي تقنعه بتصويب ما ذهب إليه قائد جيشه، وكان أن قام بتحركه السريع من أجل حسم الوضع⁽¹⁾.

ب-:الحملة العسكرية الثانية:

أمر السلطان أحمد المنصور الذهبي خدامه بإعداد حملة عسكرية ثانية نحو السودان الغربي، بقيادة محمود باشا بن زرقون، وقد وصل الباشا محمود إلى تمبكتو يوم الجمعة (26 شوال 999هـ/17 أوت 1591م)⁽²⁾.

وكانت مهمة محمود بن زرقون الباشا عند وصوله إلى تمبكتو محددة في إستلام الجيش من سلفه جودار، ومعاودة الغزو للقضاء على الأسكيا، وإقامة الإدارة السعودية المدنية والعسكرية على أنقاض مملكته، والأخذ بمخائق الخارجين عن الطاعة من أعراب وطوارق⁽³⁾، وبسط الحماية على الإمارات والسلطنات في الهوسا⁽⁴⁾، وماسينا⁽⁵⁾، ومعالجة أمور التجارة وإستغلال المعادن⁽⁶⁾.

وقد برهن محمود باشا، على أنه قائد نشيط ذو عزيمة ماضية، فلم يكذب يتسلم زمام الأمور من جودار، حتى بدأ بتحرير الجيش من العقبة التي تقيد قيامه بحملة نهريّة بدون أية زوارق. فقطع الأشجار القليلة التي كانت في تمبكتو وضواحيها، ونشرها وحولها إلى ألواح، وأمر بإنتراع جميع الأبواب الخشبية، وتمكن بهذا من بناء زورقين أنزلا على الماء خلال بضعة أيام من وصوله، وبعد أن ترك محمود حامية صغيرة في تمبكتو شرع بالسير مع بقية جيشه في محاذاة الضفة اليسرى من نهر النيجر، وشرع في البحث عن إسحاق الثاني⁽⁷⁾. فسمع به محمود أنه كان في " برن " يومئذ فنهض للمقاتلة، وإصطدم الجيشان في منطقة تسمى " بنب " أو " بانبا "، وإقتتلوا في " نبكة زرزن " يوم الإثنين (25 ذي الحجة 999هـ/ 13 أكتوبر 1591م)⁽⁸⁾.

(1)- محمد الغربي، المرجع السابق، ص 272.

(2) - عبد الله استيتو، الدولة السعودية...، المرجع السابق، ص 242.

(3) - تعود تسميتهم إلى طارق بن زياد، أو لطرقهم الصحراء والتوغل فيها، ينتسبون إلى صنهاجة، والتي منها لمتونة ومسوفة وجدالة، يتوزعون على الصحراء ولا يستقرون وهم على دين الإسلام، ويطلق عليهم إسم الملتئمين. ينظر: المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 216.

(4) - هم أقدم سكان غرب إفريقيا، ويبلغ تعدادهم حوالي سبعة ملايين نسمة، ويشكلون تجمعا ثقافيا وسياسيا مهما في شمالي نيجيريا، وجنوبي النيجر، ومعظم سكان الهوسا يدينون بدين الإسلام. للمزيد ينظر: حسين محمد نصار وآخرون، المرجع السابق، ص 3486. ينظر أيضا: أحمد مهدي محمد شويخات، الموسوعة العربية العالمية، ج. 26، ط. 2، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م)، ص 246.

(5) - تحتل منطقة ماسينا الأراضي الخصبة الواسعة، التي ترويه مياه نهر النيجر، شمال وغرب مدينة جني، يسكنها الشعب الفولاني منذ القرن 14م، وكانوا هم زعماءهم من البامبارة وثيين، وأخذوا يدخلون الإسلام منذ القرن 19م، حتى أسسوا سنة 1810م، مملكة إسلامية حكمت بلاد ماسينا كلها. ينظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 135-136.

(6) - محمد الغربي، المرجع السابق، ص 292.

(7) - بوفيل، المرجع السابق، ص 299.

(8) - عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 146.

وإنتهت المعركة بإنهزام الأسكيا إسحاق الذي هرب كالعادة عابرا للنهر إلى جرمة، وبفضل الزوارق التي تبعت محمود باتجاه مجرى النهر، فقد استطاع أن يطاردهم ويلحق بقوات الأسكيا هزيمة نكراء ويشنت شملهم⁽¹⁾.

أما الأسكيا إسحاق فقد إلتجأ بعد ذلك إلى تنفي عند كفار كرم، ولم يتبعه من أهل صنغاي أحد ولم يطل الأمر حتى قتلوه هو وإبنه، وجميع من لحق به⁽²⁾. وأصبح ملوك صنغاي تحت إمرة السلطان السعودي⁽³⁾، وانتقلت العاصمة السنغانية من غاو إلى تمبوكتو⁽⁴⁾.

ج- نتائج الحملة على السودان الغربي:

لقد خلفت الحملة العسكرية السعودية على السودان الغربي جملة من النتائج منها ما هو سلبي ومنها ما هو إيجابي، فمن بين الأمور السلبية التي خلفتها الحملة العسكرية:

1- سلبيات الحملة العسكرية:

- سياسية العنف والبطش التي إنتهجها بعض الباشوات السعوديين في حق شعب السودان الغربي، علاوة على تدمير هائل للعمران السوداني، مثلما كان عليه الحال في تيبكتو وغاو، وجيني وغيرها من المراكز الحضارية التي إنتهى مجدها وحال فيها الخراب، نتيجة للتدمير والقتل والتهجير. فإنعكست سلبا على سكان السودان الذين عمهم الفقر والقهر وتغيرت أحوالهم إلى الأسوأ⁽⁵⁾.

- ساهمت الحملة العسكرية في تحطيم حلم السودانيين في تحديث بلادهم، وأعادتهم قرونا إلى التخلف، إذ رأى سكان السودان في العمل العسكري السعودي في حقهم عدوانا سافرا وظلما بيّنا، وكان سببا في خراب السودان، وعاملا من عوامل الإنحطاط، وعدم الإلتحاق بمصاف الدول القوية آنذاك نتيجة للدمار والتخريب والتهجير، وما نتج عنه من إنعدام للأمن وغياب الإستقرار، ساهم في ركود جميع مجالات الحياة. يضاف إلى ذلك تفشي الأوبئة والمجاعات التي زادت من تأزم الشعب السوداني، علاوة على نهب المكتبات بحيث دمرت الخزانات، وخربت بيوت الله، وأتلفت مراكز الدين والتعليم، وساد الجهل⁽⁶⁾.

- عملت الحملة العسكرية السعودية على السودان الغربي على إنهاء مجد مملكة صنغاي لفترة طويلة، وسار المنصور بعيدا في إستغلال ثروات الشعب السوداني، ونهب خيراته حيث حرص

(1)- بوفيل، المرجع السابق، ص299.

(2)- عبد الرحمان السعودي، المصدر السابق، ص 149.

(3)- ينظر: ملحق رقم 09، ص271.

(4)- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي: العهد العثماني، ج.8، ط.4، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1421هـ/2000م)، ص230.

(5)- عبد الله استيتو، الدولة السعودية...، المرجع السابق، ص255.

(6)- المرجع نفسه، ص ص255-256.

على إستغلال مناجم الذهب، و ثروات السودان الغربي، وخيراته، وحقق بذلك ما كان يصبو إليه من بحث عن موارد قارة للإقتصاد السعدي، فنشطت الحركة الإقتصادية بالمغرب الأقصى، وسك عملة ذهبية. إذ أحدث عملة ذهبية ثقيلة صارت لها قيمة دولية، حتى أصبح يعرف بالمنصور الذهبي. حتى قيل أن 1400 مطرقة كانت تقوم بضرب الدينار الذهبي في دار السكة بمراكش، إذ إزداد الطلب الشديد عليها في الأسواق آنذاك⁽¹⁾.

كما نتج عن تلك الحملة جلب العديد من العبيد السودانيين إلى المغرب الأقصى. وقد تطرقت بعض المصادر التاريخية إلى ظاهرة الإسترقاق في أهل السودان، فذمتها، وانتقدت تجارة الرق، وقد أثير حولها نقاش فقهي؛ فقد سخط الشيخ أبو العباس أحمد خالد، المشهور بالناصرى في كتابه الاستقصا عن إسترقاق أهل السودان، وأنهم من أحسن الأمم إسلاما؛ حيث قال: "... قد تبين لك بما قصصنا عليك من أخبار السودان ما كان عليه أهل تلك البلاد من الأخذ بدين الإسلام... وأنهم أحسن الأمم إسلاما وأقومهم ديناً وأكثرهم للعلم وأهل تحصيلاً ومحبة... ، وهذا يظهر شناعة ما عمت به البلوى ببلاد المغرب من إسترقاق أهل السودان"⁽²⁾. كما إستتكر الإنحرافات التي كانت تحدث عن عملية نقل الرقيق إلى المغرب الأقصى، ومدى بشاعة الموقف، مما كان يقوم بها تجار الرقيق السماسرة، حيث قال: "... وجلب القطن الكثرة منهم في كل سنة وبيعهم في أسواق المغرب حاضرة وبادية، ويسمسون بها كما تسمس الدواب بل أفحش..."⁽³⁾، بل الأدهى والأمر من ذلك هو أنه ترسخ في ذهن العامة أن العبيد هم بالضرورة أهل السودان، حيث قال: "... حتى صار كثير من العامة يفهمون أن موجب الإسترقاق شرعا هو اسوداد اللون كونه مجلوبا من تلك الناحية..."⁽⁴⁾.

ومن بين المواقف الأخرى نجد موقف أحمد بابا التنبكتي⁽⁵⁾، في كتابه " معراج الصعود " حول الإسترقاق بحيث يقول في هذا الصدد: "... وقولكم: ما تقولون في العبيد المجلوبين من البلاد التي تقرر إسلام...، هل يسوغ تملكهم أم لا؟"⁽¹⁾.

(1) - إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع...، المرجع السابق، ص 84-85.

(2) - أبو العباس أحمد خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص131.

(3) - المرجع نفسه، ج.5، ص 131.

(4) - نفسه، ص 131.

(5) - فقيه مالكي من أعلام منطقة تنبكتو، ولد سنة 1556م، في بيت علم، تلقى التنبكتي تعليمه في البيئة السودانية على يد والده. تعرض الشيخ إلى محنة إثر وفاة والده، وكذا احتلال السعديين لبلادته في عهد السلطان أحمد المنصور، حيث تم اقتياده إلى مراكش، وظل معتقلا إلى سنة 1595م. ثم أطلق سراحه فأقام بمدينتي مراكش وفاس أربعة عشر عاما، إشتغل بالتدريس والتأليف والإفتاء حتى أذن له السلطان زيدان بعد وفاة ولده بعودته إلى وطنه، توفي بتنبكت سنة 1627م. ينظر: أحمد بابا التنبكتي، نيل الانتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط.1، (ليبيا: منشورات دار الكاتب طرابلس، 2000م)، ص ص 13-17.

جوابه: فأعلم- وفقنا الله تعالى وإياكم - أن هذه البلاد كما قلتهم أهلها مسلمون، إلا عَفَنُوا، فلا أعرف أين هي، ولا سمعت بها، لكن بقرب كل منها بلاد فيها كفر، يغير أهل تلك البلاد المسلمون عليهم، وبعضهم تحت ذمتهم يؤدّون خراجاً على ما بلغنا كما هو مشهور، وربما تقاتن سلاطين هذه البلاد بعضهم على بعض، فيحرك سلطان هذه البلاد على غيره ويغير على بلاده، ويسبي ما تيسر له منهم، وهم مسلمون، ويبيع السبي وهو حر مسلم - فإن الله وإنا إليه راجعون-، وهذا مستفيض عندهم في بلادهم بغير أهل كَشِنَ على كَثُو وكذا غيرهم، وأسنتهم واحدة ولغتهم متحدة، وحالاتهم متقاربة، لا يعرف بعضهم من بعض إلا هذا مسلم أصلي وهذا كافر أصلي. ومن هذا يلتبس الحال على من جُلبوا إليهم فلا يعرفون حقيقة المجلوب⁽²⁾.

وقولكم: المعلوم شرعا أن سبب الرق إنما هو الكفر، فمن اشتري كافرا ساغ تملكه وإلا فلا، وطروء الإسلام بعد حصول الشرط المذكور غير قاذح في استمرار الملك.

جوابه: أن الأمر كذلك، ولكن مع كونه غير مُعَاهَد أو ذي ذمة ولا بد من هذا⁽³⁾.

وقولكم: فمن هذه البلاد المذكورة من مسلمي السودان حصل الإستيلاء عليهم بالرق حال الكفر وإسلامهم طارئ فلا ضير، أم لا؟.

جوابه: أنهم أسلموا بلا إستيلاء أحد عليهم كأهل كَثُو وبُرُنُوا وسُعَي ما سمعنا قط أن أحدا إستولى عليهم قبل إسلامهم، ومنهم من هم قداماء في الإسلام كأهل مالي، أسلموا في القرن الخامس أو قرنه وكأهل برنوا وسغي.

وقولكم: وكيف ذلك في أهل بُرُنُوا فإنها دار سلطنتكم والإتيان منهم إلينا كثير، فهل هم أرقاء أم لا؟.

جوابه: أنهم مسلمون أحرار، أسلموا قديما، بيد أنه يقرب أطرافهم كفار يغيرون عليهم ويكسبونهم ويبيعونهم⁽⁴⁾.

وقولكم: وكذا من لم تعرف بلاده وجهل حاله، فلم يدر هل تقدم رقه على إسلامه أم لا ؟ فهل يسوغ بيعه وإبتياعه من غير بحث أم يجب البحث أم يندب؟.

جوابه: أن تعلم أن سبب الرق الكفر وكفار السودان وغيرهم، في ذلك من سائر الكفار نصارى أو يهوداً أو فرساً أو بربراً وغيرهم ممن ثبت بقاؤه على كفره دون إسلام، فهو دليل يبين أن لا فرق

(1) - أحمد بابا التنبكي، معراج الصعود: أجوبة أحمد بابا حول الإسترقاق، تح وتر: فاطمة الحراف وجون هانويك، ط.1، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة،

2000م)، ص 52.

(2) - المصدر نفسه، ص 52-53.

(3) - نفسه، ص 53.

(4) - نفسه، ص 54.

بين جميع الكفار في ذلك، فمن سبي في حال كفره صح تملكه، كائنا من كان، دون من أسلم طوعاً، إبتداءً من جميع الأصناف، كأهل برنوا وكانوا، وصنغاي وكشن، وكُبر ومالي، وبعض زكرك، فهم مسلمون أحرار لا يجوز تملكهم بوجه.... " (1).

نستنتج من خلال تلك الفتاوي الفقهية و آراء الفقهاء من ظاهرة إسترقاق العبيد السودان خلال فترة حكم أحمد المنصور أنهم كانوا ناقمين على تلك الظاهرة التي تمثل إستبداد وإستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، كما يتضح من خلال تلك الفتاوي دور وتفاعل العلماء مع قضايا ومستجدات عصرهم.

2- إيجابيات الحملة السعودية العسكرية:

على الرغم مما ذكرناه سابقاً حول بعض ما يقال عن سلبيات الحملة العسكرية على السودان الغربي في حق الشعب السوداني، وكذا في حق البلاد، ولكن هل بالفعل كانت تلك الحملة العسكرية كلها سلبية على المجتمع السوداني؟، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ونحن ندرس حيثيات تلك الحملة وطبيعة الوجود السعودي في المنطقة تبادر إلى أذهاننا سؤال آخر، وهو ألم يكن هناك أي تأثير إيجابي للسعديين في المنطقة؟. على العموم سوف نحاول أن نجيب عن هذه التساؤلات في هذا العنصر وأن نبين مدى صدق هذا التساؤل من عدمه.

- لا بد للإشارة في بداية معالجتنا لهذا السؤال حول موقف مجتمع السودانيين من الحملة في حد ذاته، إذ حسب ما أورده الفتاش عن أحوال مملكة صنغاي، وما طالها أيام الأسكيا إسحاق الثاني من فساد أمور الحكم وإنتشار الفجور والمنكر وغيرها من الأمور التي أفستت الأحوال بمملكة صنغاي فقال: "... ولما فسد أمر صنغاي وشتت الله شملهم وحق بهم ما كانوا يستهزؤون ... وكانت بلد كاغو في أيام إسحاق في غاية الفسق وإظهار الكبائر والمنكرات وفشوا القاذورات..." (2). من خلال النص السابق يتضح وجهة النظر السودانية في ترحيبهم بالحملة من عدمها، ونلمس من عبارته " ولما فسد أمر سنغي بمعنى " أن الحملة جاءت لتصلح ما فسد من أمر صنغاي، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه ما أورده الباحث الدالي نقلاً عن محمد الأوراني صاحب مخطوط الترجمان، إذ يرى بأن الحملة هي جهاد وإعلاء لكلمة الله، وهذا يدل على رضاه التام عنها، وأنها جاءت لتصلح واقع متدني، من فساد الأحوال السياسية والإقتصادية والإجتماعية، وبالتالي حتم على السلطان التدخل لإصلاح ما فسد، ويضيف الباحث الدالي نقلاً عن صاحب

(1)- أحمد بابا التتبيكي، المصدر السابق، ص 57.

(2)- محمود كعت التتبيكي، المصدر السابق، ص 267.

مخطوط " حديقة البستان على تواريخ أهل أروان " بأن هذا الأخير إعتبر الحملة نقطة تحول كبيرة في المنطقة من سيء إلى أحسن⁽¹⁾.

- تكاد تجمع أغلب النصوص التاريخية التي كتبت حول بلاد السودان الغربي خلال القرن 16م أمثال محمود كعت، وعبد الرحمن السعدي، وأحمد بابا السوداني بأن المنطقة خلال تلك الفترة عانت كثيرا بسبب غياب الأمن والإستقرار، قبل أن يدخل فيها العنصر السعدي، وذلك بفعل الصراعات السياسية التي نشبت بين أمراء وسلاطين آل أسكية، وخاصة بعد وفاة الحاج محمد أسكية، وهذه السلوكيات شهدتها المؤلفون أنفسهم - الذين سبق ذكرهم - الذين لم يترددوا في إعتبار الهزيمة المذلة لتلك الأسرة التي إرتكبت الظلم والجور في حق رعيتهما، ففرطت في العناية بالجوانب العسكرية، وأهملت المصالح المعاشية، وتهاوت الحضارة الإسلامية⁽²⁾.

- مساهمة السعديين في ترقية الفرد السوداني وبنائه علميا وفكريا وحضاريا، بحيث أعطوا إهتماما للجانب الإسلامي والعلمي من خلال إرسال للعديد من العلماء ورجال الدين والمدرسين، وهذا ما ساهم في توالي هجرات علماء المغرب الأقصى في ظل الحكم السعدي، ونشطت الحياة الثقافية، فألفوا في الكثير من المواضيع العلمية، فأغنوا المكتبات السودانية بمؤلفاتهم، كما ساهم السعديون في نشر اللغة العربية، وساهموا في تطوير التعليم، والذي أتيح لجميع الشعب السوداني⁽³⁾.

- أما في المجال الإقتصادي فقد شهدت المنطقة تحولا مهما من خلال الإهتمام بالزراعة وإدخال عدد كبير من المزروعات التي لم تكن موجودة من قبل، بالإضافة إلى نقل خبرات السعديين في مجال تربية المواشي، وجددوا القطيع السوداني بالإكثار من تربية البقر والأغنام والماعز، بالإضافة إلى الخيل والبغال، لإستعمالها في مجال البناء، والنقل في الحرب، بالإضافة إلى الإهتمام بالجوانب الحرفية في الديار السودانية، فأحيوا أوراشها، وجددوا دورها ونظموا العاملين فيها، وأدخلوا عليها كثيرا من التجويد والتحسين؛ مثل صناعة النسيج والدباغة، وصناعة الجلد، وصناعة الخشب، ناهيك عن فنون الطبخ، وما يرتبط بها من عادات وطقوس⁽⁴⁾.

نستنتج في الأخير أنه على الرغم من الإختلاف في السلبيات والإيجابيات التي خلفتها تلك الحملة العسكرية، فقد تعايش السعديون مع السودانيين وتفاعلوا معهم، حيث شكل عبيد السودان شريحة مهمة داخل المجتمع السعدي، و لعبوا دورا بارزا وهاما، بحيث قدموا خدمات جليلة لفائدة

(1)- المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 204-205.

(2)- عبد الله استيتو، الدولة السعدية...، المرجع السابق، ص 270.

(3)- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص 233-234.

(4)- عبد الله استيتو، الدولة السعدية...، المرجع السابق، ص 271-272.

الدولة السعودية. لكن رغم كل تلك الأدوار التي اضطلعوا بها في الجانب العسكري، وانتعاش الإقتصاد، كما سنشاهد ذلك في الفصل الرابع من هذه الدراسة إلا أنها لم تشكل فئة كبيرة داخل المجتمع السعودي، كون أن الأعداد المجلوبة من السودان كانت محدودة - هذا ما أكدته أغلب المصادر-. وعلى العكس من ذلك فإن فترة حكم السلطان المولى إسماعيل، أين ستشكل قوة أدمية كبيرة في المجتمع العلوي.

من خلال معالجتنا للعلاقات الخارجية للدولة السعودية فقد رصدنا أن طبيعة العلاقة التي ربطت ما بين الدولة السعودية، والدول الأوروبية، وجدنا أن أحمد المنصور كان حذراً في التعامل مع الدول الأوروبية، بحيث كان يتجنب عدم إدخال الدولة السعودية في أي صراع مع أي قوة أوروبية حتى لا يفتح جبهات قتال متعددة، لذلك كان يلجأ إلى سياسة التسوية والحذر والتماطل، بهدف كسب الود، وريح الوقت في بعض الأحيان. وحتى يخلق نوعاً من التوازن ما بين تلك القوى. وبالفعل فقد نجحت سياسته في جعل المغرب الأقصى في مأمن من أي خطر أو صراع ما بين تلك القوى.

كما سجلنا من خلال هذا الفصل أن العلاقة التي ربطت ما بين الدولة السعودية والدولة العثمانية قد تميزت بمرحلتين: المرحلة الأولى اتسمت بالتوتر والصراع الدائم، بحكم عدم قبولهم التبعية للدولة العثمانية، والخوف من توسعهم في المغرب الأقصى، وكذلك ظهور مسألة خلافة أمر المسلمين، وهذا ما عكّر صفو العلاقة ما بين الدولتين، بحكم إدعاء السلاطين السعوديين أنهم أحق منهم بالخلافة على أساس أنهم من آل البيت، وأن الخلافة لا بد أن تكون من قریش، وهذا ما زاد من حدة الصراع بينهما.

إلا أنه بوفاء عبد الله الغالب وتولي ابنه المتوكل حكم المغرب الأقصى نسجت علاقة جديدة ما بين الدولتين، حيث عرفت نوعاً من الانفراج في العلاقة، إذ لجأ عبد الملك وأخوه المنصور إلى السلطان العثماني بهدف طلب المساعدة لإسترجاع حكمهم من ابن أخيهم، بحكم أحقيتهم بالخلافة منه، وبذلك تغيرت العلاقات الخارجية للدولة السعودية مع العثمانيين من الصراع والتوتر إلى الانفراج السلمي والتعاون. ويتولي أحمد المنصور الحكم عرفت في البداية نوعاً من التشنج في العلاقات، إلا أنه بعد ذلك دخلت العلاقة طور الهدوء النسبي، مع ما عرفته العلاقة من الحذر والحيطه في التعامل مع الدولة العثمانية.

وعلى النقيض من ذلك فقد إتسمت العلاقات السعودية مع السودان الغربي بطابع التوتر والصراع، وذلك أن المنصور كان يبحث عن موارد إقتصادية قارة وثابتة لدولته، بالإضافة إلى اليد

العاملة، وقد وجد ظالته في السودان الغربي. لذلك راح يخلق الذرائع والأسباب من أجل تحقيق غايته في التوسع على حساب السودان الغربي، وقد إستطاع إقناع حاشيته بذلك، وبالفعل فقد تهيأت له الظروف الملائمة لأجل ذلك، وقد قام بالتوسع على حساب السودان الغربي. مرت عملية التوسع بمرحلتين، إلى أن خضعت لملكه، بدخول السودان الغربي تحت حكم أحمد المنصور الذي إستفاد من إنتعاش الحياة الإقتصادية نظرا لما توفر لديه من اليد العاملة من العبيد، بالإضافة إلى حصوله على معدن الذهب، والذي أدى إلى إرتفاع قيمة عملته، وتطوير الإقتصاد السعودي. وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الموالي.

الفصل الثالث:

مظاهر الحياة الاقتصادية في المجتمع المنصور الإسلامي.

أولاً: النظام العقاري وطرق الاستغلال.

أ- جغرافية المغرب الأقصى.

1-الموقع الجغرافي.

2-التضاريس.

ب-النظام العقاري.

ج-أدوات الإنتاج وطرق الإستغلال.

1-أدوات الإنتاج.

2-طرق الإستغلال.

ثانياً: النظام المالي والسياسة الجبائية.

أ-العملة.

ب-مداخيل بيت المال.

ج-الموارد الجبائية.

د-النانبة.

هـ-الجبائية الشرعية.

ثالثاً: النشاطات الزراعية وتربية الحيوانات.

أ-النشاط الزراعي.

1-الحبوب.

2-زراعة قصب السكر.

3-إنتاج الخضر والفواكه.

-الخضر.

-الفواكه.

ب-تربية المواشي والدواجن والثروة السمكية.

1-تربية المواشي.

2-تربية الدواجن.

3-الثروة السمكية.

4-تربية النحل.

رابعاً: النشاطات الصناعية والحرفية.

أ-صناعة النسيج.

1-الحياك.

2-البرانس.

3-الزرايبي.

4-الأغطية.

5-صناعة الجلد.

ب-الصناعة المعدنية.

1-الذهب.

2-الحديد.

3-النحاس.

4-ملح البارود.

5-الملح.

6-معادن أخرى.

ج-صناعة الأسلحة.

خامساً: النشاط التجاري:

أ-التجارة الداخلية.

ب-التجارة الخارجية.

يعالج هذا الفصل الحياة الاقتصادية للدولة السعدية خلال فترة المنصور، حيث يتناول الموقع الإستراتيجي للمغرب الأقصى، وما كان يتوفر عليه من تنوع التضاريس الطبيعية، والتي ساهمت في إنعاش الإقتصاد السعدي، كما يرصد أهم الأنشطة الاقتصادية: كالنشاط الزراعي الذي كان يعتمد عليه المجتمع السعدي سواء الزراعة المعيشية، وفي مقدمتها الحبوب بمختلف أنواعها بالإضافة إلى الخضر والفواكه المحلية. أو الزراعة التسويقية كزراعة قصب السكر.

هذا بالإضافة الى النشاط الصناعي: كالصناعات اليدوية، والتي كانت تعتمد على المادة الأولية التي يتوفر عليها المغرب الأقصى، كمعادن الحديد والنحاس، بالإضافة إلى مادة الذهب التي جلبت من السودان الغربي. كما يستعرض هذا الفصل التجارة بنوعها الداخلية والخارجية. فقد ساهمت وفرة الأنشطة الاقتصادية المختلفة والمتنوعة، في تشجيع إنعاش التجارة؛ سواء داخليا أو خارجيا، حيث كانت تتم عملية التبادل التجاري، إما عن طريق القوافل التجارية المتقلة من وإلى المناطق الأخرى، أو عن طريق الموانئ التجارية التي تم إسترجاعها من العدو الأيبيري.

أولاً: النظام العقاري وطرق الإستغلال.

تجدر الإشارة أنه قبل حديثنا عن النظام الإقتصادي في العهد السعدي إرتأيت أن أتطرق لجغرافية المغرب الأقصى، وذلك لما لها من أهمية في إنعاش الحياة الاقتصادية، نظرا لما كان يتمتع به المغرب الأقصى من موقع إستراتيجي، وكذا إطلاله على البحر الأبيض المتوسط والأطلسي، هذا بالإضافة الى تنوع التضاريس بين مختلف الأقاليم، وجهات المغرب الأقصى. وهذا ما سوف يساعد المنصور في تنويع مصادر دخل بيت المال، نظرا لهذا التنوع الجغرافي.

أ- : جغرافية المغرب الأقصى:

1- : الموقع الجغرافي:

حظي المغرب الأقصى بتنوع مميز سواء على المستوى الطبيعي، أو البيئي أو البشري، فهو يتسم بالتفرد الجغرافي، حيث يُعد نتاجا لإلتقاء مؤثرات شتى - تراكمت عبر العصور -، ولتداخل عدة أبعاد قارية وبحرية⁽¹⁾، وعليه يقع المغرب الأقصى في شمال غربي القارة الإفريقية. يتميز بموقع إستراتيجي هام، إذ أنه يطل غربا على المحيط الأطلسي، حيث تمتد شواطئه مسافة لا تقل عن ألف كيلومتر، أما شمالا فيطل على البحر الأبيض المتوسط بساحل يبلغ طوله 450

(1) - محمد القبلي وآخرون، تاريخ المغرب تحيين وترتيب، ط.1، (الرباط: مطبعة عكاظ الجديدة، 2011م)، ص05.

كيلومترا، ولا يفصله عن جنوب غرب أوروبا سوى شريط مائي لا يزيد عرضه عن أحد عشر ميلا هو مضيق جبل طارق⁽¹⁾.

بينما يحده شرقا (المغرب الأوسط) - إيالة الجزائر العثمانية -، ويحده من الجنوب الصحراء⁽²⁾. ونظر لهذا الموقع الإستراتيجي الممتاز الذي جعل منه حلقة وصل ما بين القارتين الأوروبية والإفريقية، كما أن الإتساع الكبير للمغرب الأقصى من الشمال إلى الجنوب، وإمتداد واجهتين بحريتين (البحر الأبيض المتوسط، والمحيط الإطلنتي) علاوة على إرتفاع التضاريس الجبلية. كل هذا ساهم في تنوع التضاريس الجغرافية⁽³⁾.

2. التضاريس⁽⁴⁾:

أ- الجبال:

تتألف بلاد المغرب الأقصى من وحدة جغرافية ذات طابع خاص، وهذه الخصوصية أوجدها إمتداد جبال الأطلس في قلب البلاد، من غربها إلى شرقها في سلسلتين: شمالية وجنوبية، والسلسلة الأولى هي جبال الأطلس الشمالية، وتنقسم إلى مجموعتين: جبال الريف⁽⁵⁾، أو جبال الأطلس الشمالية الغربية التي تتخذ شكل قوس يحتضن الساحل الشمالي من سبتة إلى مليلة، وجبال الأطلس التلي⁽⁶⁾، الممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. وهي سلسلة تمتاز بارتفاعها وانحدارها الشديد نحو السواحل الشمالية.

أما السلسلة الثانية: فهي جبال الأطلس الجنوبية⁽⁷⁾، أو الأطلس الصحراوي، وهذه السلسلة التي تمتد من الغرب إلى الشرق أيضا تبلغ في المغرب الأقصى أعلى إرتفاع لها، وتسمى جبال

(1) جوزف صقر، قصة وتاريخ الحضارات العربية: السودان، ليبيا، المغرب، ج19-20، [د.ط.]، (د.م.):EDITO CREPS INT، 1442 هـ / 1999م)، ص119.

(2) - محمود السيد، المرجع السابق، ص199.

(3) - رشيد ركالة، محمد الرفاص، وآخرون، **أطلس المغرب**، [د.ط.]، (باريس: Editions tous droits réservés les éditions j.a aux éditions du jaguar، 2003م)، ص06.

(4) - ينظر: ملحق رقم 10، ص272.

(5) - هي سلسلة تضاريسية فتية تنتصب بين البحر الأبيض المتوسط شمالا والهضبة الوسطى والمجال الأطلسي جنوبا، والمحيط الأطلسي غربا. ينظر: محمد القبلي وآخرون، المرجع السابق، ص09.

(6) - هي سلسلة جبلية تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي إستمرارا لجبال الريف الساحلية، وتتميز هذه السلسلة بارتفاعها وانحدارها الشديد نحو السواحل الشمالية، ونحو الأحواض الجنوبية المنعزلة بين الأطلس التلي والأطلس المتوسط، وعلى الأخص في القسم الغربي من المغرب الأوسط، أما الجزء الشرقي فأقل إرتفاعا، وأكثر تقطعا وتسنم جبال الأطلس التلي في الإمتداد شرقا، حتى تنتهي بجبال خمير في المغرب الأدنى تونس. ينظر: البهجي إيناس حسني، **تاريخ دولة الأندلس**، [ط.1]، (عمان: مركز الكتاب الأكاديمية، 2016م)، ص19.

(7) - تبتدئ هذه السلسلة من المغرب الأقصى، حيث تحمل إسم جبال الأطلس الكبرى، وهي أكثر جبال الأطلس إرتفاعا، ولا توجد بها ممرات يسهل المرور منها، ولذلك كان لهذه الجبال أثر كبير في عزلة المغرب الأقصى، عن سائر بلاد المغرب. ينظر: المرجع نفسه، ص19.

الأطلس الكبرى، ويصعب المرور في تلك الجبال، مما جعلها ذات أثر كبير في عزلة المغرب الأقصى عن باقي بلاد المغرب⁽¹⁾.

ب-الهضاب:

تحيط بسلسلة جبال الأطلس تضاريس أخرى متنوعة، أهمها الهضاب، وهي على النحو الآتي:
-هضاب الشرقي: أهمها الهضاب العليا التي تتكون من صخور قاعدية قديمة تغطيها إرسابات والتي تشكلت نتيجة لعدة مراحل من الزمن الجيولوجي إلى أن أخذت شكلها النهائي في عهد البليوسين⁽²⁾.

-هضاب داخلية: تتميز ببنية قديمة سطحها عوامل التعرية، كالهضبة الوسطى الرحامنة، وهضبة الفوسفاط⁽³⁾.

ج-السهول:

أما سهول المغرب الأقصى فنقع معظمها على ساحل المحيط الأطلسي في الغرب والسواحل الشمالية على المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وهذه السهول تضيق كلما إتجهنا من الغرب إلى الشرق، حيث يزداد إقتراب السلاسل الجبلية من الساحل. كما أنه هناك مجموعتين من السهول الداخلية: الأولى تمتد من مصب نهر تنسيفت⁽⁴⁾، إلى وادي ملوية، ويشتمل على السهل المطل على المحيط، وسهول سبو، وممر تازة وسهول ملوية، والأخرى تشمل سهل الحوز، الذي يخترقه نهر تنسيفت ثم منخفض تادلا، وتشتهر هذه السهول بخصوبتها مثل: سهلي فاس ومكناس الغنيين⁽⁵⁾.

د-الأنهار:

كما تشتمل بلاد المغرب الأقصى على جملة من الأنهار، والتي ساهمت في التشجيع على الإنتاج الزراعي، ويمكن تقسيمها على النحو التالي:
- أنهار تصب في البحر الأبيض المتوسط؛ ومنها نهر الملوية، وينبع عند إلتقاء الأطلس الكبير والأطلس المتوسط، وتغزر مياهه في الربيع، ويستخدم النهر للملاحة قرب المصب.

(1)- محمد عبده حتامله، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، [د.ط.]، (عمان: طباعة مطابع الدستور التجارية، 2000م)، ص26.

(2) - رشيد ركالة، محمد الرفاص، وآخرون، المرجع السابق، ص14.

(3) - المرجع نفسه، ص7.

(4) - هو نهر عظيم من أنهار المغرب الأقصى المهمة، يسقي بمياهه حوز مراكش في طريقه إلى مصبه بالأطلنطي بين آسفي والصويرة. يبلغ طوله نحو

250 كم. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 106.

(5) - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، ط.1، (لبنان: دار المعارف، 1961م)،

ص16.

- وأنهار تصب في المحيط الأطلسي مثل نهر سبو⁽¹⁾، الذي ينبع من فاس، ويصب في المحيط الأطلسي، شمال مدينة سلا، ونهر أم الربيع⁽²⁾، وينبع من جنوب " سبو " .
- كما توجد هناك أنهار ثانوية تصب في المحيط، وهي من الشمال إلى الجنوب؛ نهر اللوكوس⁽³⁾ سوس، نهر أبو رقرق⁽⁴⁾ تانسيفت، سوس⁽⁵⁾ .
- وهناك أنهار تتحدر جنوبا وتصب في جوف الصحراء، وهي تتبع من سلسلة جبال الأطلسي كذلك⁽⁶⁾ . كأودية زيز، وغريس وغير، و الدورة وزوزفانة، ودرعة، وواد نول بالصحراء⁽⁷⁾ .

هـ. المناخ:

أما مناخ المغرب الأقصى فهو مناخ البحر الأبيض المتوسط، إلا أنه يختلف من مكان لآخر، وذلك بسبب السلاسل الجبلية والسواحل الشمالية والغربية، وكذلك الصحراء التي في جنوب البلاد، فهو عند شاطئ المحيط معتدل صيفا، بارد شتاء شديد الرطوبة، والفرق عال في درجة الحرارة بين الليل والنهار. كما تكثر الزوابع في الصيف ويشد البرد في الشتاء، وعلى الرغم من كثرة الأمطار إلا أنها غير منتظمة، وتكثر الأمطار في الغرب، ونقل في إتجاه الداخل نحو الشرق، ويضعف كذلك تأثير المحيط الأطلسي على المناخ في الداخل. بينما تتحكم غابات السنديان والأرز المنتشر في تلك المناطق، وتأتي الرياح من الشمال والغرب محملة بالأمطار، بينما تأتي من الجنوب والشرق الرياح الحارة. والجو عموما حار صيفا بارد شتاء⁽⁸⁾ .

وليس هذا فحسب بل إن غزارة الأمطار الساقطة على قمم جبال المغرب الأقصى، وتراكم الثلوج عليها ولاسيما الأطلس المتوسط، جعل منه خزانا عظيما للمياه التي تغذي أشهر أنهار المنطقة التي تصب في المحيط الأطلسي⁽⁹⁾ .

(1) - هو نهر ينبع في جبل يسمى سليلكو في الحوز بإقليم مملكة فاس وأصله عين كبيرة في غابة مخيفة، ثم ينحدر من هناك في شعب بين جبال وتلال، ويجري في سهل مارا على بعد ستة أميال من فاس. ينظر: حسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص248.

(2) - نهر من أهم أنهار المغرب الأقصى، ينحدر من الأطلس المتوسط ويسقي سهول تادالا والشاوية ودكالة، ويصب في المحيط قرب مدينة أزموور. يبلغ طوله نحو 600 كلم. وأهم روافده وادي العبيد، الذي يستمد مياهه من الأطلس الكبير. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 56.

(3) - نهر ينحدر من سفوح جبال غمارة، ويصب في المحيط قرب العرائش، وتحف به من الجانبين أراض فلاحية شاسعة، وعلى ضفته اليمنى تقع مدينة رومانية اندثرت، ولم يبق لها وجود، ويُعد هذا النهر أقل أهمية، ويبلغ طوله نحو 100كلم. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع نفسه، ص174.

(4) - ينبع هذا النهر من أحد الجبال المتفرعة عن الأطلس، ويمر عبر شعاب وغابات كثيرة، ثم يخرج بين تلال في سهل ليذهب إلى المحيط. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص247.

(5) - الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 09.

(6) - محمود السيد، المرجع السابق، ص200.

(7) - الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص09.

(8) - محمود السيد، المرجع السابق، ص ص200-201.

(9) - علي صدام نصر الله، " الخصوصية الجغرافية لمنطقة المغرب الأقصى وآثارها التاريخية "، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العراق، مج.36، ع.3، س.2011م، ص113.

ويمكن تقسيم المغرب الأقصى مناخيا إلى أربعة مناطق وهي:

-**المناطق المرتفعة:** وهي مناطق الأطلسين، الكبير والصغير وجبال الريف.

-**المناطق الساحلية:** خصوصا الساحل الغربي المطل على المحيط الأطلسي، حيث تكثر الأمطار شتاء، وتتلف الحرارة صيفا.

-**المناطق المنخفضة:** في الداخل والواقعة في ظل المطر.

-**المناطق الصحراوية:** الممتدة من امغالا بالجنوب على الحدود الموريتانية بشنقيط، إلى عين صالح في الجنوب شرقا⁽¹⁾.

ولهذا يوجد أربعة أقاليم مناخية بالمغرب الأقصى، متوسطي في الشمال، أطلسي في الغرب، صحراوي في الجنوب، قاري في داخل البلاد، وتتأثر الجهات القريبة من مضيق جبل طارق بالتيارات البحرية الباردة نسبيا المسماة بتيارات كناريا، كما تتأثر الجهات الغربية بالمحيط الأطلسي الذي يلطف من حرارة الصيف، ويخفف من حدة برد الشتاء، أما الجهات الجنوبية فتسودها التأثيرات الصحراوية. وتبعاً لذلك يختل نظام المطر، فيقل كلما إمتدت الأرض من البحر الأبيض المتوسط إلى الجنوب، ومن المحيط الأطلسي إلى الشرق⁽²⁾.

و-**السواحل:**

كما يمتلك المغرب الأقصى واجهتين بحريتين، إحداهما شمالية على البحر المتوسط في مقابلة السواحل الإسبانية، والذي يبلغ طوله حوالي 468 كلم، أما الواجهة الثانية غربية وهي المحيط الأطلسي، والذي يبلغ طوله حوالي مسافة 835 كلم⁽³⁾.

ز-**التربة:**

للمغرب الأقصى أراض خصبة وصالحة للزراعة، حيث يمتلك المغرب الأقصى أنواعا من التربة يدعى كل منها باسم عربي أو محلي حسب نوعه ولونه، إذ نجد التربة السوداء، والتي تعتبر من أخصب التربة التي يمتلكها المغرب الأقصى بالمقارنة مع باقي أنواع التربة، كما يمتلك المغرب الأقصى التربة الحمراء. يتميز هذا النوع من التربة بأنها تجف بسرعة، كما يمتلك التربة الرملية، وكذلك التربة الرسوبية، وهي أقل جودة من باقي أنواع التربة التي أشرنا إليها سابقا. إلا

(1) - عبد الكريم الفيلاي، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج.1، ط.1، (الفاخرة: شركة ناس للطباعة، 2006م)، ص126.

(2) - عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج.1، ص ص 66-67.

(3) - المرجع نفسه، ص ص 70-71.

أنه للإشارة فإن كل هذه الأنواع من التربة التي أشرنا إليها قابلة للزراعة بشكل عادي، إلا أنها تتفاوت من تربة إلى أخرى من حيث الجودة والخصوبة⁽¹⁾.

من خلال ما سلف ذكره حول الخصائص الطبيعية التي يمتلكها المغرب الأقصى، فقد سمح الموقع الإستراتيجي المتميز الذي يتربع عليه، وذلك بما يتوفر عليه من تنوع في التضاريس الجغرافية، من هضاب وسهول وجبال، بالإضافة إلى وفرة التربة والسواحل، وتنوع الموارد والثروة المائية والأنهار، وكذلك المناخ المتنوع وغيرها، من العوامل الطبيعية. فقد سمح كل ذلك بالنهوض بالحياة الإقتصادية، وقيام نشاط إقتصادي زراعي كبير، في ظل هذه الإمكانيات، حيث شهدت معظم المدن المغربية النهوض بقطاع الزراعة، وكذلك التنوع في المحاصيل الزراعية؛ كالقمح وقصب السكر، وغيرها من المحاصيل، التي سوف نتطرق إليها في هذا الفصل. وبذلك فالمغرب الأقصى بلد زراعي بإمتياز.

ب-: النظام العقاري:

1-أراضي الملكية الفردية:

إن الملكية الفردية هو حق أعطاه الله تعالى وحده لعباده⁽²⁾، وينحصر فيها الحق تصرفا وإنقاعا بفرد معين، والملكية الفردية في الإسلام هي بما فيها من تخصيص ليست مطلقة، بل مقيدة، ومن أهم تلك القيود؛ القيود الدينية⁽³⁾. فمن القيود والضوابط التي ضبط الشرع الإسلامي للملكية الخاصة ما يلي:

- منع الإضرار بالآخرين لأنه يحرم شرعا التعدي على ملكيات الأفراد المشروعة، لأن قيود الملكية سواء أكانت رقبة ملكية تامة، أم كانت ملكية إنتفاع، ولا تكون إلا ناقصة مقيدة بأن لا تضر بالغير⁽⁴⁾.

- مراعاة ما تقتضيه المصلحة العامة، على أن تكون هذه المصلحة محققة، لا مجرد ذريعة للتسلط على ملكية الأفراد.

- أن يحسن المالك بأمرها.

تجدر الإشارة إلى أن الملكية الخاصة خلال العهد السعودي كانت منتشرة في كل مكان من المرتفعات، كما نجدها في المناطق المنبسطة، بالإضافة على أنها أخذت أشكالا مختلفة، فمنها

(1)- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج.1، ص 71-72.

(2)- محمد أبو زهرة، التكافل الإجتماعي في الإسلام، ط.1، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1991م)، ص 23.

(3)- محمد مزين، فاس وبابيتها: مساهمة في تاريخ المغرب السعودي (1549-1637م)، ج.2، ط.1، (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1986م)، ص 422.

(4)- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 19.

الواسعة (الملكية الكبيرة)، ومنها الأراضي المتوسطة (الملكية المتوسطة)، ومنها الأراضي الصغيرة الحجم (الملكية الصغيرة)⁽¹⁾.

ويندرج تحت النظام العقاري الخاص ما يلي:

أ- **أراضي الجيش**: فبالنسبة لقطاع الجيش فيذكر التاريخ أن السلطان الغالب بأمر الله السعدي جاء بقبائل شراقة⁽²⁾ وأنزلهم بناحية فاس، وأقطعهم أراضي بالناحية الشمالية للمدينة وراء جبل زلاغ⁽³⁾، وجاء بطرف آخر من هذه القبائل المنصور السعدي⁽⁴⁾.

ب- **الأراضي السلطانية**: كانت هذه الأراضي في ملك السلطان والأسرة الحاكمة، أي أخوته وإخوانه، وكانوا يعطونها للمزارعين يحرثونها مقابل أرباح معينة⁽⁵⁾، وقد أشار الفشتالي في مصنفه إلى أن أحمد المنصور قد أقطع تلك الأراضي إلى الأندلسيين الذين نزوحوا إلى المغرب حيث قال: "... وأقطعتم الدولة أراضي فسيحة بالجانب الغربي من فحصها الإفح فإغترسوا بها جنات معروشات وغير معروشات، وحصلوا من إستغلال ذلك إلى اليوم على ما أنساهم ذكر وطنهم واعتاضهم مما فاتهم به..."⁽⁶⁾.

ج- **الأراضي الجماعية**:

يرى علماء الإجتماع والقانون أن الملكية نشأت في الأصل جماعية، فالمجتمعات البدائية لا تعرف الملكية الفردية إلا في القليل من الأشياء، بل أن الملكية القبلية للأرض التي لا تزال موجودة إلى الآن في بعض البلاد، ما هي إلا صورة من صور الملكية الجماعية المشتركة⁽⁷⁾، فالملكية الجماعية سواء أكانت الملكية خاصة بفئة أو جماعية من الناس يستغلونها كإشتراك أهل قرية في أراض جماعية مشاعة بينهم أو مراعى لمواشيهم، فهي بالنسبة لأفرادهم عامة غير خاصة وليس لبقية الجماعات والأفراد من غيرهم أن ينازعوهم فيها⁽⁸⁾.

(1) - محمد مزين، المرجع السابق، ص 422.

(2) - شراقة أو شراكة تطلق على القادمين من الناحية الشرقية على عرب بادية تلمسان الذين هاجروا إلى المغرب، واستخدمهم السعديون في جيشهم. ينظر: الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 239.

(3) - يبتدئ من سبو شرقا. وينتهي غربا على بعد نحو أربعة عشر ميلا منه. وتقع قمته، في أعلى نقطة فيه، في جهة الشمال على مسافة أميال من فاس. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 293.

(4) - عبد السلام الغرميني، " الإقطاع والوضع القانوني للأراضي على عهد السعديين "، مجلة دار الحديث الحسنية، المغرب، ع.7، س.1989م، ص 81.

(5) - محمد مزين، المرجع السابق، ص 423.

(6) - عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 42.

(7) - بلشير عمر، جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6 إلى 9 هـ / 12-15م من خلال كتاب

(المعيار) للونشيري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران - الجزائر، 2009 - 2010م، ص 163.

(8) - محمد مزين، المرجع السابق، ص 445.

وقد عرفت الأراضي الجماعية خلال العهد السعودي عدة أنواع من الملكية الجماعية؛ وأهمها أراضي الإقطاع، وأراضي الجيش (أو الكيش) التي يمكن إعتبارها كذلك نوعاً من أراضي الإقطاع. ويمكن أن تعرف أراضي الإقطاع: أن يقطع السلطان رجلاً أو قبيلة أرضاً فتصير له رقبتها أي الأرض تصبح ملكاً لصاحب الإقطاع، ولكن حق الملكية لم يراع دائماً. ولا يحق للسلطان منح الإقطاعات إلا من أراضيه الخاصة، ولكن هذه القاعدة أهملت في العهد السعودي، حيث كان المنصور يعطي أراضي الدولة للقبائل التي يريد أن يراها مستقرة بها⁽¹⁾. مثلما فعل أحمد المنصور مع الأندلسيين حينما أقطعهم أراضٍ فسيحة بالجانب الغربي⁽²⁾.

د-أراضي الأحباس⁽³⁾:

وهي الملكية العقارية التي تمنح على سبيل الصدقة، وخاصة على المؤسسات الدينية⁽⁴⁾، كالمساجد والجوامع والزوايا، وكذلك توزع على الشرفاء والأولياء⁽⁵⁾. وقد تميز هذا النوع من الأراضي دون غيره بكونه ينمو أكثر من غيره بما يضاف إليه كل عام من هدايا وتبرعات المحسنين⁽⁶⁾. ويمكن أن يصنف إلى الأوقاف الخاصة، والأوقاف الرسمية.

أ-الأوقاف الخاصة: وتشمل الأراضي التي قام بتحبيسها أشخاص معينون على أبنائهم وحفدهم من الذكور ما تناسلوا، ويتم هذا التحبيس عادة بمقتضى رسم عقاري يحدد الأرض المحبسة والمحبس عليهم. وإذا كان من حق المحبس عليهم أن يتصرفوا في هذه الأملاك تصرفاً مطلقاً بالإستغلال والكرء والرهن، إلا البيع فإنه لا يحق لهم ذلك، لأن لفظ المحبس يقتضي إنتقال هذه الأحباس من جيل إلى جيل⁽⁷⁾.

ب-الوقف الرسمي: فهو هبة السلطان للزوايا أو المساجد أملاكاً من أراضي الدولة⁽⁸⁾، وعلى سبيل المثال ما ذكره ابن القاضي في هبة وهبتها والدة المنصور عودة الوزكيتية من عقارات بالغة

(1)- محمد مزين، المرجع السابق، ص ص 445-446.

(2)- عبد العزيز الفتشالي، المصدر السابق، ص 42.

(3)- تشكل أحد أشكال التنازل عن الأرض لمؤسسة دينية كالجوامع... ينظر: مختار بونقاب، *الحياة الثقافية في بابك الغرب خلال القرنين 18م و19م*، رسالة مرشحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2016/2015، ص 34.

(4)- رشيد الحسين، *العلاقات الاجتماعية في المجال الأمازيغي بين العرف والقانون*، ط. 1، (إدم): مطابع امبريال، 2004م، ص 27.

(5)- محمد مزين، المرجع السابق، ص 434.

(6)- زكي علي المجاطي، " تطورات البنية الاقتصادية لتارودانت عبر التاريخ "، *تارودانت حاضرة سويس*، أعمال الأيام الدراسية 7-8-9 أبريل 1988م، ط. 2، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1997م)، ص 63.

(7)- أحمد البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن (17 مطلع القرن 20) دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية*، [د.ط.]، (الدار البيضاء: أفاق متوسطية، 1994م)، ص 281.

(8)- محمد مزين، المرجع السابق، ص ص 434-435.

الأهمية على المسجد الذي شيده بباب دكالة، ومن بينها نصف القيساورية بوسط مراكش، والعين الكبرى بالمخالص خارج باب تاغزوت مع جميع أرضها وجنانها ومائها⁽¹⁾.

ج- أدوات الإنتاج وطرق الاستغلال.

1- أدوات الإنتاج:

إن الأدوات الفلاحية المستعملة في المغرب الأقصى على العموم خلال العهد السعودي لا تختلف تماما عن الدول التي سبقت الفترة السعودية: فالمحراث الخشبي⁽²⁾، كان ولا يزال هو السائد في كثير من مناطق المغرب⁽³⁾، حيث أنه كان يساعد الفلاحين في شق الأرض⁽⁴⁾، أما في بعض المناطق الأخرى فيكتفي الفلاح⁽⁵⁾ بالفأس⁽⁶⁾، والتي كان يعتمد عليها العاملون في البناء، وحفر الآبار والقبور وغيرها⁽⁷⁾. وقد تظهر قيمة المحراث في نسبة الإنتاج التي تمنح لصاحبه في شركة فلاحية، فقد حددت الشركة بالنصف بين شريكين متساويين في الأرض والبقر، وآلة الحرث والبذور. وإذا دخل شريك بالبقر والزريعة (البذور) فعلى شريكه أن يدخل بالعمل وهذا ما يعطي أهمية للبقر أو الدواب التي تجر المحراث.

وزيادة على أن البقر يستغل في إنتاجه المباشر فقد عم إستعماله كذلك للحرث ولحمل الأثقال، ولو أن حمل الأثقال كانت خاصة بالدواب عموما، إلا أنها قد تشترك الدواب مع البقر في الأعمال الفلاحية المختلفة وخاصة منها البغال، وقد كانت أثمانها تختلف حسب عمرها وصحتها وبالتالي حسب إمكانيتها الإنتاجية⁽⁸⁾.

(1) - أحمد ابن القاضي، المنتقى المفصّل...، ج.1، المصدر السابق، ص258.

(2) - هو عبارة عن أداة بدائية مكونة من معول خشبي صلب يثبت في التربة، يجر المحراث في الغالب باستخدام دابتين إثنين تسمى بالزوج، وقد يستخدم أربعة دواب في محراث واحد إذا كانت الأرض صلبة، ويسمى جمع الدابتين في حبل المحراث بالقرن. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 244، 345. ينظر أيضا: موسى هوارى، تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (من القرن 1-7هـ/7-13م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2015-2016م، ص75-77.

(3) - محمد مزين، المرجع السابق، ص 387.

(4) - عبد اللطيف الخلافي، الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي (669-920هـ/1270-1550م)، [د.ط.]، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2011م)، ص185.

(5) - محمد مزين، المرجع السابق، ص 387.

(6) - إستعمل الفلاح الفأس في بلاد المغرب، وذلك من أجل قلب الأراضى الزراعية، وكان أهل مدينة أودغشت يزرعون القمح بالحفر بالفؤوس، وقد انتشرت ببلاد المغرب صناعة الفؤوس والمعاول والمجارف من الحديد. ينظر: مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب، تح: سعد زغلول عبد الحميد، [د.ط.]، (العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، 1968م)، ص215. ينظر أيضا: موسى هوارى، المرجع السابق، ص84. ينظر أيضا: حسن الوزان، ج.1، ص 345.

(7) - عبد اللطيف الخلافي، المرجع السابق، ص185.

(8) - محمد مزين، المرجع السابق، ص 387.

بالإضافة إلى وسائل فلاحية أخرى، كالمجارف والمناجل⁽¹⁾، التي تفيد في حصاد الزرع⁽²⁾، والأدوات الزراعية بمواصفاتها السابقة، وكذلك أساليب الزراعة، ووسائل الري⁽³⁾، يضاف إلى ذلك أدوات التخزين و إنتاج الحبوب، والتي كانت تختلف باختلاف الأماكن. ويمكن حصرها في ثلاثة أنواع؛ التخزين في حفر بباطن الأرض، والتي تسمى المطامير⁽⁴⁾، والثاني التخزين عن طريق البيوت، التي تبنى خصيصا لهذا الغرض وتسمى بيوت الأهرام، والنوع الثالث هو التخزين في بعض الأواني، بحيث يسهل نقلها ويسمح بتغيير مكانها باستمرار⁽⁵⁾.

2- طرق الإستغلال:

أ- في القطاع الخاص: في هذا القطاع يتم إستغلال الأرض مباشرة حيث كان كل فلاح يعمل في أرضه بمساعدة أفراد أسرته، وخاصة أصحاب الملكيات الصغيرة، وقد يفتقر المالك الصغير إلى وسائل العمل كالبدور أو حيوان جر المحراث، فيستعين بغيره في إطار شركة⁽⁶⁾، يساهم فيها ذلك الغير بما ينقصه.

أما أصحاب الملكيات الكبيرة والمتوسطة فإنهم يعتمدون أيضا على الإستغلال المباشر، مستخدمين العبيد والخدم والأجراء، وقد يقطعون العمل في أراضيهم لصغار الفلاحين مقابل حصة من الإنتاج، وهي في الغالب الربع⁽⁷⁾ في البور، والخمس⁽⁸⁾ في الأراضي المسقية⁽⁹⁾.

ب- في الأراضي الجماعية: يتم إستغلال الأراضي الجماعية من طرف أفراد القبيلة كل لحسابه الخاص، ويقوم البعض بإحياء أرض موات⁽¹⁰⁾ فتكون له، وذلك بإستصلاحها، وتمهيدها وإجراء المياه فيها، وإذا تكرر إستغلال فرد لبقعة معينة سنوات متوالية صارت في عداد ملكه الخاص،

(1)- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 345.

(2)- عبد اللطيف الخلافي، المرجع السابق، ص185.

(3)- عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص12.

(4)- مفرد وجمعها مطامير، وهي حفرة تحفر تحت الأرض قد هيئت خفية، يطمر فيها الطعام والمال أي يخبأ. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج.4، ص 502.

(5)- موسى هواري، المرجع السابق، ص 216.

(6)- وهي أن يدفع رجل لآخر أرضا يزرعها على جزء معين مشاع فيها يتم تحديده مسبقا، كالنصف أو الثلث أو الربع لمدة معينة. ينظر: محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9/12-15م)، [د.ط.]، (الدار البيضاء: مطبعة المعارف الجديدة، 1999م)، ص374.

(7)- وهذا النوع من الشركة ناتج عن افتقار صاحب الأرض إلى الزريعة، وتسلب بعض المضاربين على الملاكين الصغار الذين لا يملكون الزرع اللازم لأراضيهم، فيعطون بذلك حقهم في الأرض مقابل أخذهم في آخر المطاف نصيبا قليلا من إنتاج أرضهم. ينظر: محمد مزين، المرجع السابق، ص389.

(8)- هو عقد مبرم بين شخصين كانت تحددها قوانين وشروط مضبوطة، فهو يعمل مقابل جزء معلوم، لذلك فإن عمله يكون بقدر قيمة تلك الحصة التي يعمل من أجلها، ويكون له من الحقوق والمنافع في الشركة، أي في مختلف المحاصيل. ينظر: محمد مزين، المرجع نفسه، ص389.

(9)- زكي علي المجاطي، المرجع السابق، ص63.

(10)- هي الأراضي البور التي لم يتعلق به حق أحد من الناس بملك أو منفعة، ولا ينتفع بها إما لصحراويتها، أو بعدها عن الحياة أو العمران، أو عدم وصول الماء إليها، فيقطعها السلطان أو ولي الأمر لمن يحييها ويزرعها. ينظر: بلبشير عمر، المرجع السابق، ص 177.

فإنحصرت بذلك أراضي الجماعات في الغابات والمراعي التي ينتفع منها الجميع على قدم المساواة.

ج- في أملاك الدولة والأحباس: يتم إستغلال أراضي الدولة مباشرة عن طريق السخرة المنتظمة بواسطة العبيد، وعن طريق السخرة الإجبارية مناوبة بين السكان، كما يتم كراؤها وإقطاعها مقابل نصيب معين، كالخمس مثلاً⁽¹⁾.

(1)- زكي علي المجاطي، المرجع السابق، ص 64.

ثانيا: النظام المالي والسياسة الجبائية:

أ-: العملة:

تعتبر العملة إحدى شارات الملك التي يحرص السلطان على إعطائها أهمية بالغة بمجرد توليه الحكم، فالعملة تعتبر مرآة صادقة وليس من السهل الطعن فيها، كما أنها تعكس بصدق واقع الدولة التي ضربت فيها العملة من جميع نواحي الحياة؛ السياسية، والمذهبية، والإجتماعية، وخاصة الإقتصادية. فارتفاع وزنها ونقاء عيارها يشكل دليلا على الإزدهار الإقتصادي لتلك الدولة، بحيث يمكن من خلالها أن نحكم على مدى التطور أو مدى التراجع الذي وصلت إليه الدولة.

لذلك فقد حرص السلاطين السعديون منذ توليهم الحكم على الإهتمام بالنظام النقدي، ومحاولة تطويره، وفي حقيقة الأمر فقد عرف المغرب الأقصى تنوعا في المعاملات النقدية خلال العصر السعدي، حيث تواجدت خلال تلك الفترة عدة عملات؛ مابين المحلي، والأجنبي، منها ما هو ذهبي وكذا فضي ونحاسي وحديدي.

تجدر الإشارة إلى أن العملة كانت تطراً عليها تغيرات من حيث الشكل والقيمة بسبب التغيرات السياسية التي كانت تشهدها الأسرة السعدية. ومن خلال هذا العنصر سوف نحاول التعريف بهذه المعاملات النقدية.

أنواع المعاملات النقدية:

أ-النقود الذهبية:

1-المحلية:

شكلت النقود في المغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر قياسا لمعدل أسعار السلع والخدمات، ويعبر عن قيمة السلعة بالوحدة النقدية، والعملة الرئيسية التي عرفها المغرب الأقصى خلال العهد السعدي هي عملة ذات تسمية عربية وإسلامية؛ هي ما كان يسمى بالدينار⁽¹⁾. للإشارة فإن الدينار كانت له تسميات أخرى أجنبية مثل Dobra و Doublon، والأوقية الذهبية، حيث تنقسم إلى وحدات صغيرة؛ هي نصف الدينار، والربع والثلث⁽²⁾.

والجدير بالذكر أن التعامل بالعملات الذهبية لم يقتصر على الدينار فحسب، بل وجد نوع آخر من التعامل، والذي يسمى بالريال الذهبي، حيث كانت القطعة تساوي ما يلي:

(1) - محمد مزين، المرجع السابق، ص455،458.

(2) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 101.

- المنقال $\xleftarrow{\text{يساوي}}$ عشرة ريالات.
- نصف منقال $\xleftarrow{\text{يساوي}}$ خمسة ريالات.
- ربع منقال $\xleftarrow{\text{يساوي}}$ ريالان ونصف.
- ثمن منقال $\xleftarrow{\text{يساوي}}$ ريال وربع⁽¹⁾.

وللإشارة فإنه لا بد من التفريق وعدم الخلط بين الدينار الشرعي، ودينار المعاملات، من حيث الوزن والقيمة⁽²⁾، فالدينار الشرعي كان يزن 4.25 غ، اعتماداً على وزن القيراط الشرعي وهو 0.2125 غ⁽³⁾، في حين أن دينار المعاملات كان يتأثر بفعل أحوال البلاد من الناحية السياسية، وكذا الاقتصادية⁽⁴⁾. حيث تراوح الدينار في عهد محمد الشيخ السعودي ما بين 2.5 إلى 2.90 جراماً⁽⁵⁾، أما في عهد عبد الله الغالب فتراوح وزنه ما بين 3.60 إلى 3.90 جراماً⁽⁶⁾، في حين أنه في عهد المتوكل تراوح وزنه ما بين 3.85 إلى 3.95 جراماً، بينما في عهد عبد الملك المعتصم فقد تراوح وزنه إلى 3.90 جراماً⁽⁷⁾. أما في عهد أحمد المنصور⁽⁸⁾ فقد تراوح وزنه ما بين 4.40 إلى 4.55 غ، وبعد غزو السودان وصل إلى 4.68 غ. وقد ارتفع وزن الدينار المركب 10 غ⁽⁹⁾. من خلال عرضنا لأوزان العملة الذهبية؛ الدينار منذ عهد محمد الشيخ إلى عهد أحمد المنصور نلاحظ تطوراً كبيراً شهدته العملة الذهبية، كما نسجل أنه هناك اختلاف وفرق كبير في الوزن الشرعي للدينار، كما نلاحظ عدم استقرار قيمة الدينار خلال الفترة السعودية بعملة موحدة وثابتة، بسبب التغيرات الاقتصادية والسياسية، ففي عهد محمد الشيخ على سبيل المثال، والتي تعتبر فترة حكمه مرحلة تأسيس الدولة، وإعادة ترتيب البيت من جديد، وما صاحب هذا التأسيس من الأزمات السياسية، كدخول السعوديين في الصراع مع العثمانيين، وكذلك محاولة القضاء على الحكم الوطاسي، علاوة على صراعه مع البرتغاليين، كلها عوامل مجتمعة ساهمت في تراجع قيمة العملة.

(1) - إبراهيم حركات، " تطور الأوضاع الاقتصادية على عهد السعوديين "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ع.12، س.1986م، ص 20.

(2) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 101.

(3) - على جمعة محمد، المكاييل والموازين الشرعية، ط.2، (القاهرة: القدس للإعلان والنشر والتسويق، 1421هـ/2001م)، ص 19، ص 23.

(4) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 101.

(5) - حليلة بن كرعى، مداخل بيت المال...، المرجع السابق، ص 188.

(6) - المرجع نفسه، ص 189.

(7) - نفسه، ص 190.

(8) - ينظر: ملحق رقم 11، ص 273.

(9) - حليلة بن كرعى، مداخل بيت المال...، المرجع السابق، ص 102.

ولإشارة فقد راج خلال العصر السعودي عملة الدينار بتسميات عديدة وهي: الدينار العشري⁽¹⁾ والسباعي⁽²⁾ الدينار المهدي⁽³⁾، الدينار التبر⁽⁴⁾. وهذا الأخير أي- الدينار التبر- ضرب عملة في عهد أحمد المنصور سنة 1587م، وقد وقع اختلاف بين نوعين من الدنانير؛ هما الدينار البالي والدينار الجديد، حيث أن الدينار البالي، أي القديم كان يطلق على الدينار المضروب قبل عام 1587م، وكان وزنه 20 قيراطا أي 3.88 جراما، وقد كان يعادل 5 أواق إلى 4، أما في سنة 1588م، فكان يعادل 5 أواق كاملة.

أما الدينار الجديد فهو الذي ضربه أحمد المنصور ابتداء من عام 1587م، وكان وزنه حوالي 24 قيراطا أي 4.66 غ، وكان يعادل 5 أواق، وفي سنة 1588م، أصبح يعادل 6 أواق، غير أنه منذ عام 1589م، راج نفس الدينارين، ولكن بمسميات أخرى؛ فأطلق على الدينار البالي إسم الدينار الخماسي، وكان يعادل 5 أواق، أما الدينار الجديد فأصبح يسمى بالدينار السداسي فكان 6 أواق، أي أنه كان يزن 24 قيرطا⁽⁵⁾.

والجدير بالذكر بأن العملة الذهبية عرفت طوال العهد السعودي تطوراً، وخاصة خلال فترة أحمد المنصور، وذلك بعد غزوه للسودان الغربي، وإستقراره بتبكتو سنة 1591م⁽⁶⁾، وتزويد المغرب الأقصى بأحمال الذهب في قوافل منتظمة، وسيستمر دخول الذهب السوداني إلى المغرب الأقصى طوال الفترة السعودية، وإن كانت بكمية قليلة خاصة بعد وفاة المنصور⁽⁷⁾.

2- الأجنبية:

لقد إشتهر المغرب الأقصى خلال الفترة السعودية بعدد محدود من النقود الذهبية لعدة دول أوروبية مثل: الكروزادو البرتغالي، والدوقا الإسبانية، والدوقا الإيطالية، والايكو الفرنسي، والجنيه

(1)- وهو من الدنانير السعودية. كان أول دخوله البلاد السوسية عام (940هـ/1534م)، وسمي عُشرًا باعتبار عياره المعنني حيث يتركب من تسعة أعشار الذهب وعشر النقرة (الفضة)، أي أن عياره يساوي 900 في الألف، وكان وزنه 22 قيراطا تساوي 4.27 غ، ويعادل وزنه تقريبا الدينار الشرعي وهو 4.1594 غ. ينظر: عمر أفا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس، ط.1، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1414هـ/1993م)، ص45.

(2)- ظهر سنة 1550م، كان يطلق على الدينار العشري نفسه إسم الدينار السباعي حينما إنخفض عياره، فلم يعد تركيبه المعنني يحتوي إلا على ستة أسباع الذهب وسبع الفضة، وقد جمع الدينار في هذه الفترة بين تدني الوزن إلى 3.9 غ وتدني العيار من 900 في الألف إلى 857 في الألف بحيث قل وزنه وقل صفاؤه. ينظر: عمر أفا، المرجع نفسه، ص 45.

(3)- نسبة إلى محمد الشيخ السعودي الملقب بالمهدي، كان وزنه مشابها لوزن الدينار السباعي وهو 3.9 غ. عمر أفا، المرجع نفسه، ص 46.

(4)- كان يستخدم في المناطق الجنوبية للمغرب الأقصى في العصر السعودي، واستمر استخدامه حتى أواخر القرن التاسع عشر، وكان يزيد أربعة وعشرين قيراطا أي يفوق وزن الدينار الشرعي. ينظر: عمر أفا، المرجع نفسه، ص 47.

(5)- عمر أفا، المرجع نفسه، ص 47-48. ينظر: محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ج.1، ص 367.

(6)- عمر أفا، المرجع السابق، ص 49.

(7)- محمد حجي، الحركة الفكرية... المرجع السابق، ج.1، ص 50.

الإنجليزي، وذلك بسبب القيود المفروضة من قبل هذه الدول على خروج الذهب وتصديهم لظاهرة تهريب العملات الذهبية إلى الغرب.

وفيما يلي جدول يوضح العملة الأجنبية ووزنها وما يعادلها⁽¹⁾.

| اسم العملة | الدولة | وزنها | ما يعادلها |
|------------|-----------------|-----------|---------------------------------|
| الكروزادو | البرتغال | 3.58 غ | أوقية ونصف 390 إلى 2700 ريال |
| الدويرا | | 4.72 غ | 1 كروزادو 1 دينار |
| الدوكا | اسبانيا-إيطاليا | 3.5-3.4 غ | 350 مرابطي 1 دينار |
| سكودو | اسبانيا-إيطاليا | 3.3-3.4 غ | 18 قيراط |
| الايكو | فرنسا | ----- | 1 دوكا-3 أوقيات |
| الجنيه | إنجلترا | 7.98 غ | 10 أوقيات 20 شلن |

ب- النقود الفضية:

1- المحلية:

شكل الدرهم الوحدة الأساسية للنقود الفضية في المغرب الأقصى خلال العصر السعدي، وقد كان الدرهم الفضي يتكون من الدرهم الكبير والدرهم الصغير، ومجزؤاته نصف الدرهم وربع الدرهم، وللإشارة فإنه قد وجد إختلاف بين الدرهم الشرعي ودرهم المعاملات، حيث أن الدرهم الشرعي كان يزن 50.4 حبة شعير، أي 2.97 غ، وهو ما يعادل 14 قيراطا، وكل قيراط وزنه 0.2125 غ، وعلى النقيض من ذلك فقد كان درهم المعاملات يتأثر من حيث قيمته ووزنه بعوامل منها: وجود أو قلة معدن الفضة في حد ذاته، فقد كانت هناك ندرة في معدن الفضة بالمغرب، لذلك كان يلجأ المغاربة إلى إستيراده من إسبانيا، وكذلك كان يتأثر بقوة وضعف الدولة⁽²⁾.

أما فيما يتعلق بقيمة عملة الفضة خلال العهد السعدي، فقد تباينت من سلطان إلى آخر حيث نجد أنه في عهد محمد الشيخ تراوح وزنها ما بين 0.85 إلى 1.1 غ⁽³⁾، بينما في عهد عبد الله الغالب تراوح وزنها ما بين 0.5 إلى 1.45 غ⁽⁴⁾، أما في عهد عبد الملك تراوح وزنها من 1.45 غ إلى 6 غ⁽⁵⁾ بينما في عهد أحمد المنصور، فقد تراوح وزنها ما بين 2.53 غ إلى 6.3 غ⁽⁶⁾.

(1) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 103.

(2) - المرجع نفسه، ص ص 43-44، 104.

(3) - حليلة بنكري، مداخل بيت المال...، المرجع السابق، ص 188.

(4) - المرجع نفسه، ص 190.

(5) - نفسه، ص 191.

(6) - نفسه، ص 103.

كما راج في العهد السعودي ضرب بعض الدراهم، مثل الدرهم الشريف: وهو الدرهم السعودي عموماً، ويزن 0.14 غ، بالإضافة إلى الدرهم الأحمدي الصغير والدرهم الأحمدي الكبير، وهما نسبة إلى أحمد المنصور؛ يزن الأول (0.22غ) ويسميه الفقهاء درهم الصنجة، أو سكة الصنجة أو سكة الميزان، وسموه بهذه الأسماء لأنهم بعد ذلك ركبوا أوقية تسمى "أوقية الصنجة" لضبط الأوزان. أما الثاني فقد كان يزن 25 حبة، أي ما يعادل (1.10غ) ويسمى "سكة خمسة دراهم" لكون حبويه تبلغ خمسة دراهم أحمدية صغيرة، ومنه ركبت الأوقية التي هي سدس المثقال⁽¹⁾.

ومن بين أنواع الدراهم الفضية التي سكها أحمد المنصور الدرهم المزدوج، وكان يزن 4.28جم. وكذلك الدرهم الفضي الذي سك في عهد المنصور بمراكش وكتب عليه: (لا إله الله محمد رسول الله، أبو العباس أحمد المنصور بالله أمير المؤمنين)⁽²⁾.

2-الأجنبية:

عرف المغرب الأقصى خلال الفترة السعدية توافد عدد كبير من التجار من مختلف الجنسيات، الذين لقوا من التجار المغاربة إقبالا على بضائعهم، وعلى نقودهم الفضية التي كانت تلبي حاجياتهم في التعاملات الداخلية، وبذلك فقد تواجد بالمغرب الأقصى الريال البرتغالي، والإسباني، والشلن الإنجليزي، وغيرهما من العملات الأوروبية، والتي كانت تختلف في قيمتها ووزنها. فعلى سبيل المثال كان الكروزادو البرتغالي يعادل 400 ريال برتغالي، 32 مرابطي، والدينار المغربي يعادل 32 ريالاً إسبانياً، وهذا الأخير يعادل 26 ريالاً برتغالياً، والغيليو الإيطالي كان يعادل أوقية مغربية، والبايكو الإيطالي يعادل درهماً مغربياً كبيراً⁽³⁾.

ج-النقود النحاسية:

كانت النقود النحاسية قليلة الرواج في العهد السعودي كونه معدن غير نفيس، لذلك كان إستخدامها محدوداً جداً لمحدودية قيمتها⁽⁴⁾ بالنسبة للنقدين السابقين، وكان إستعماله يقتصر في التعاملات التجارية البسيطة. وعلى هذا يمكن تقسيم النقود النحاسية إلى أربعة أنواع وهي:

1- الفلوس الكبيرة: يصل وزنها إلى 17.5غرام.

2- الفلوس المتوسطة: يتراوح وزنها بين 4.70-5.30غ.

3- الفلوس الصغيرة: يتراوح وزنها بين 2.50-3.55غ.

(1)-عمر أفا، المرجع السابق، ص 55.

(2)- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 268.

(3)- عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 104-105.

(4)- عمر أفا، المرجع السابق، ص 64.

4- الفلوس الدقيقة: غير محدودة الوزن⁽¹⁾.

د- النقود الحديدية:

لم يقتصر حجم التعامل النقدي على النقود الذهبية والفضية والنحاسية، بل أنه حسب ما ذكرته الكتب الإخبارية بأن النقود التي كانت خلال الفترة السعدية، قد شهدت أيضا النقود الحديدية، والتي كانت منشرة في بعض مناطق المغرب الأقصى، وذلك لإستخدامها في المبادلات اليومية. وعلى سبيل المثال لا الحصر نقود مدينة تيبوت⁽²⁾، التي كانت تزن 3.48 غرام⁽³⁾، وكذلك مدينة بنويستين⁽⁴⁾، كانوا يصنعون النقود من الحديد حيث يستخدمونها في معاملاتهم اليومية، وذلك بسبب عدم وجود العملات المعدنية من الذهب، والفضة والنحاس بمنطقتهم⁽⁵⁾. وفي هذا الصدد يقول مرمول كرخال: "...توجد في المنحدر معادن حديد يستثمرونها، لذلك فإن جلمهم حدادون، غير أنهم فقراء لدرجة أنهم لا يروجون إلا عملة حديدية..."⁽⁶⁾.

والجدير بالذكر أنه وجدت بعض العملات النقدية المزورة في العهد السعدي، حيث إرتفعت قيمة العملة الذهبية السعدية، حتى كان بعض التجار الأوروبيين يعملون على تهريبها للخارج. ومن أجل الحد من ظاهرة تزوير العملة وضعت الدولة إجراءات صارمة، حيث كانت تصل العقوبة إلى السجن مدى الحياة أو قطع إحدى اليدين⁽⁷⁾.

أما فيما يتعلق بدور ضرب العملة فقد تعددت أماكنها، حيث كانت أول مدينة شرع السعديون بضرب عملتهم بها هي سلجماسة، وتارودانت (المحمدية)⁽⁸⁾، كما كانت لهم دور بـ: "فاس، ومراكش وكتاوة، وناحية درعة، وسجلماسة وسوس"⁽⁹⁾.

من خلال تتبعنا لمسار العملة النقدية في العهد السعدي، لاحظنا أن العملة بجميع أنواعها قد شهدت إستمرارية في سكها، كما سجلنا أن هناك تطورا في قيمتها، ووزنها من سلطان إلى آخر، وخاصة خلال فترة أحمد المنصور، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على وفرة المصادر

(1) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 105.

(2) - هي مدينة قديمة بالمغرب الأقصى ذات أسوار، وقد شيّدت في سهل تكثفه جبال، سكانها أغنياء ولهم أراض كثيرة يزرعونها شعيرا وبريون فيها المشية. استولى البرتغاليون على هذه المدينة سنة 1514م. ينظر: مرمول كرخال، المصدر السابق، ج. 2، ص 17-18.

(3) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 105.

(4) - يخضع هذا الجبل لحكم أمير دبدو، وتسكنه قبيلة من الرعاع، ويسكنون أكوخا من قصب، طعامهم من الدخن الذي يصنعون منه الخبز، تنتج عندهم كثيرا من العنب والتمر والخوخ في سفح الجبل. للمزيد ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ص 359-360.

(5) - محمد مزين، فاس...، ج. 2، المرجع السابق، ص 504.

(6) - مرمول كرخال، المصدر السابق، ج. 2، ص 283.

(7) - إبراهيم حركات، تطور الأوضاع الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 21-24.

(8) - حليلة بن كرعى، مداخل بيت المال...، المرجع السابق، ص 66.

(9) - إبراهيم حركات، تطور الأوضاع الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 21.

المعدنية التي كانت تضرب منها النقود، وخاصة مادة الذهب، وبالأحرى خلال فترة المنصور. كما يعكس لنا بصدق قوة الإقتصاد خلال المرحلة الأولى من الدولة السعدية، إلى غاية فترة المنصور، كما بيّن لنا مدى قوة بيت المال التي وصل إليها المغرب، خلال العهد السعدي، بتنوع مصادر دخله، وكذلك في تحكمه في العملة.

ب- مداخل بيت المال:

تجدر الإشارة إلى أن السعديين لم يكن لهم في بداية عهدهم بيت مال، فمؤسس دولتهم ليس سوى فقيه كان يعلم الصبيان في كُتاب بقريته، وقد استقر أولاً بتدسي، أحد القصور القريبة من تاكمدارت، بمنطقة " فزواطة " بوادي درعة القاحل. وكان وأول عمل قام به السعديون بعد أن بايعهم أهل سوس سنة 1510م الجهاد ضد الإحتلال البرتغالي. وقد إستمرت وضعيتهم على تلك الحالة إلى دخولهم مدينة فاس سنة 1584م⁽¹⁾.

1- الموارد الجبائية:

أ- النائبة:

تعتبر ضريبة النائبة⁽²⁾ أول ضريبة إرتبطت بالدولة السعدية⁽³⁾، إذ بتولي أبو عبد الله القائم، عمد إلى إحصاء جديد لسكان المناطق التي إعترفت بإمارته، فدعا كل رب عائلة منهم إلى إحضار بيضة، ثم أمر كل واحد منهم أحضر بيضة بتقديم درهم بجانبها، ومزية هذه الحيلة أن أرباب الأسر إستصغروا تقديم بيضة، حتى إذا سجلت أسماؤهم طلب منهم تقديم درهم، وذلك يهيئ لمزيد من الضرائب في المستقبل بعد أن تم ضبط عدد الأسر وأسماء أربابها⁽⁴⁾. وهذا ما أشار إليه الناصري في كتاب الاستقصا حيث قال: "... فأول ما أداه له السوسيون بعد مبايعتهم له هو بيضة دجاجة لكل كانون⁽⁵⁾، ثم أصبح بديل البيضة درهم وبذلك ظهرت أول نائبة في دولة السعديين " ⁽⁶⁾.

(1) - حليلة بنكرعي، مداخل بيت مال المغرب في عهد السعديين 1548-1661م، ط.1، (الرباط: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1427هـ/2006م)، ص23.

(2) - هو الإسم الذي أطلقه السعديون على الضريبة التي ضربوها على جميع السكان الخاضعين لهم. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 121.

(3) - حليلة بنكرعي، المرجع السابق، ص35.

(4) - إبراهيم حركات، تطور الأوضاع الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 16.

(5) - يعني مصطلح الكانون الأسرة، سواء كانت تلك الأسرة تعيش في البادية أو في المدينة. يرمز الكانون إلى مكان إيقاد النار؛ أي المطبخ، كأن خلق أسرة مرتبط بمطبخ جديد، ومن ثم فالكانون في القرن السادس عشر يعني، بالدرجة الأولى، أسرة مستقلة بذاتها في مجال التغذية، مما يعني أن المطبخ هو الأسرة، لا العكس وتتكون الأسرة عند بلوغ الرجل ست عشرة سنة. للمزيد ينظر: حليلة بنكرعي، " الكانون في القرن السادس عشر الميلادي "، مجلة كنانيش الديمغرافيا التاريخية، وجدة، المغرب، ع.2، ص.2000م، ص109.

(6) - أبو العباس أحمد خالد الناصري، المصدر السابق، ج.5، ص 08.

ولئن كانت هذه الضريبة في البداية مقصورة على المناطق الجنوبية، ومرتبطة بظروف خاصة هي ظرفية الجهاد ضد المسيحيين، فإنها بعد تفرد السعديين بالحكم في عهد محمد الشيخ عُممت على المغرب الأقصى كله، وكانت تدفع على الكوانين، وتوظف حسب عدد السكان، وتدفع عينا⁽¹⁾.

وأصبحت تؤدي من طرف كل فئات المجتمع؛ بما في ذلك الفقهاء والصلحاء والشرفاء، وكل من لهم ظواهر الإحترام والتقدير⁽²⁾. وحتى أرباب الزوايا والمنتسبين، حيث ذكر الأفراني أنها فرضت حتى على أولاد سيدي خالد، مع مالهم من الشهرة والوصيت⁽³⁾.

وفي سياق الإصلاحات التي عرفتها الدولة على عهد محمد الشيخ، وبهدف تطوير وتعزيز البنيات الإدارية والعسكرية للدولة، صارت النائبة تدفع على نحو عيني، وذلك في محاولة منه لإقرار نوع من العدل الجبائي بعد أن ارتفعت الأسعار إرتفاعا مضاعفا عما كانت عليه في الفترة السابقة⁽⁴⁾، وهذا ما أشار إليه الأفراني حيث قال: "...وجد بين السعر الذي بنى عليه في قيمة الزرع والسمن والكبش الذي تعطى فيه الرعية من زمن الفرض وبين سعر الوقت إضعافا فحينئذ تحرى رحمه الله العدل فخير الرعية بين دفع كل شيء بوجهه أو دفع ما يساوي سعر الوقت فاختروا السعر مخافة أن يطلع إلى ما هو أكثر فأسعفهم إليه رضي الله عنه وعرف الناس الحق فلم ينكره أحد من أهل الدين ولا من أهل السياسة..."⁽⁵⁾.

وقد استمر إستخلاص ضريبة النائبة على ذلك الحال⁽⁶⁾ إلى أن جاء أحمد المنصور فأحتفظ بالضرائب العينية، وأضاف إليها ضرائب أخرى عينية أيضا، ثم حول الجميع إلى ضرائب نقدية⁽⁷⁾. ويرجع السبب في ذلك أن المنصور إعتبر ذلك نوعا من أنواع الربى من خلال المقادير العشوائية، التي فرضت على الملزمين بأدائها، والتي لا تتلائم مع الشرع⁽⁸⁾.

ولم يكتف المنصور بذلك بل عمل على رفع قيمة ضريبة النائبة، التي سنها الحكام السعديون الأوائل، وهو ما ساهم في توفير أموال طائلة لبيت المال، حيث يشير الناصري إلى ذلك

(1) - عثمان المنصوري، " تأثير الضرائب على النشاط التجاري بمغرب القرن السادس عشر الميلادي "، مجلة أهل، المغرب، مج.2، ع.6، س.1995م، ص39.

(2) - حليلة بنكرعي، مداخل بيت...، المرجع السابق، ص35.

(3) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص86.

(4) - الفقيه الإدريسي، " التنظيم الجبائي في العهد السعدي: ضريبة النائبة نموذجا "، مجلة كلية الآداب، بني ملال-المغرب، ع.4، س.2001م، ص104.

(5) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص ص 87-88.

(6) - الفقيه الإدريسي، المرجع السابق، ص 104.

(7) - إبراهيم حركات، تطور الأوضاع الاقتصادية...، المرجع السابق، ص16.

(8) - حليلة بنكرعي، مداخل بيت...، المرجع السابق، ص36.

فقال: "...وكان المنصور على ما هو عليه من ضخامة الملك وسعة الخراج يوظف على الرعية أموالاً طائلة، يلزمهم بأدائها، و زاد الأمر على ما كان عليه الحال في عهد أبيه..."⁽¹⁾.
ب - الجباية الشرعية:

ويقصد بها الضرائب التي تستقي منها الدولة مواردها، وتشتمل: على الخراج⁽²⁾ والجزية⁽³⁾ والضرائب المفروضة على تجار أهل الذمة⁽⁴⁾، وعلى التجار المشتركين القادمين من خارج دار الإسلام⁽⁵⁾، والزكاة، والأعشار⁽⁶⁾. وتهدف إلى تمويل من إختاره المسلمون لجمع كلمتهم، وتؤدي عن الأموال والحرق والماشية، وكذا الذهب والفضة⁽⁷⁾ والزرع والثمار، وعلى بضاعة التجار المسلمين⁽⁸⁾.

وقد كانت أول الأعشار التي دفعت للشرفاء السعديين⁽⁹⁾، حين تنازل عنها السلطان الوطاسي محمد البرتغالي للأميرين السعديين محمد الشيخ وأحمد الأعرج، بعد أن أهداهما العلم والطبل، وأمرهما بالجهاد بمنطقة دكالة⁽¹⁰⁾، وكذا تلك التي أداها لهم أهل سوس، بعد أن بايعوا محمد القائم أميراً للجهاد⁽¹¹⁾.

تأسيساً على ما سبق، يمكن القول أن سبب تأدية هذه الأعشار من طرف القبائل هو حسب ما ذكره مارمول في مصنفه، وهو ما شاع بين الناس أن الشريفين قد إنتدبهما سلطان فاس من أجل الجهاد، وما داما لا يتوفران على دخل فلقد طالبا بالزكاة وبالأعشار التي كانت تنفق من أجل

(1) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 189.

(2) - هو ما يخرج من غلة الأرض، ثم سمي ما يأخذه السلطان خراجاً، فيقال أدى فلان خراج أرضه، وأدى أهل الذمة رؤوسهم يعني الجزية. ينظر: أبي

الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، **الأحكام السلطانية**، تح: أحمد جاد، [د.ط.]، (القاهرة: دار الحديث، 1427هـ/2006م)، ص227.

(3) - لأخذ فكرة والاستزادة حول موضوع الجزية وأحكامها في الإسلام. ينظر: ابن قيم الجزية، **أحكام أهل الذمة**، تح: أبي براء يوسف بن أحمد البكري، أبي

أحمد شاکر بن توفيق العاروري، ج.1، ط.1، (المملكة العربية السعودية: رمادي للنشر، 1418هـ/1997م)، ص 79. ينظر أيضاً: علاء الدين الكاساني،

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ج.9، ط.2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ/2003م)، ص

433.

(4) - جرى في العرف الإسلامي على تسمية المواطنين من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي باسم " أهل الذمة " أو " الذميين " و " الذمة " كلمة تعني

العهد والضمان والأمان، فهم في أمان المسلمين وضمانهم، بناء على " عقد الذمة " بينهم وبين أهل الإسلام، فهذه الذمة تعطى أهلها " من غير المسلمين ما

يشبه في عصرنا " الجنسية " السياسية التي تعطيها الدولة لرعاياها، فيكتسبون بذلك حقوق المواطنين ويلتزمون بواجباتهم. ينظر: يوسف القرضاوي، **غير**

المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط.4، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1425هـ/2005م)، ص07.

(5) - تسير محمد محمد شادي، **الفساد في العالم الإسلامي دراسة سياسية حضارية (358-567هـ/969-1171م)**، [د.ط.]، (الإسكندرية: دار التعليم

الجامعي، [د.س.]، ص23.

(6) - ينظر: ملحق رقم 12، ص277.

(7) - حليلة بنكرعي، **مداخل بيت مال...**، المرجع السابق، ص24.

(8) - تسير محمد محمد شادي، المرجع السابق، ص263.

(9) - حليلة بنكرعي، **مداخل بيت مال...**، المرجع السابق، ص25.

(10) - مارمول كرخال، المصدر السابق، ج.1، ص451، 452. كان ذلك سنة 1510م.

(11) - حليلة بنكرعي، **مداخل بيت مال...**، المرجع السابق، ص25.

الجهاد. وتجدر الإشارة إلى أن أهل درعة كانوا أول من بادر بتأديتها⁽¹⁾. غير أن تارودانت كانت خالية من السكان، بسبب أعمال النهب التي كانت تمارسها الأعراب عليها، وبسبب غياب سلطة نظامية فيها، لذلك قرر أهل تدسي ونواحيها تقديم محمد الشيخ⁽²⁾ أميراً عليهم، فأدوا له الزكاة والأعشار، وهذا ما جعل الشريف يتمكن من تموين 500 فارس، ومن القيام بالجهاد⁽³⁾.

وأما عن قيمة تلك الأعشار كدخل فردي، فحسب إجتهد الباحثة حليلة، فهي ترى أنه إنطلاقاً من الإحصاء الذي قدمه مارمول الذي يقدر بحوالي 500 فارس؛ الشيء الذي يعطى إنطلاقاً من ذلك دخلاً يومياً تقريباً هو على النحو التالي:

- 15 كبشا، بتحديد وزن الكبش 10 كيلو غراماً، وإعتبار إستهلاك الفارس الواحد 300 غراماً من اللحم.
- 25 كيلو غراماً سمناً، أي بتحديد 50 غراماً سمناً للفرد الواحد.
- 7 أمداد من القمح. أي بإفتراض الإستهلاك للفرد الواحد 300 غراماً دقيقاً، على أساس أن المد يساوي 22 كيلو غراماً⁽⁴⁾.

وإذا إفترضنا أن القبائل دفعت ما يكفي لسنة فسنحصل على دخل سنوي تقريبي:

- 5.310 كبشا.
- 8.8 كيلو غراماً من السمن.
- 2.478 مداً من القمح أو 42 صفحة⁽⁵⁾.

تجدر الإشارة أن هذا الوضع استمر على ما هو عليه، إلا أنه سوف يضاف إليه دخل زكاة وأعشار كل من قبائل حاحا، والشياظمة، بعد أن إنتقل إليهما محمد القائم السعدي للجهاد، وإبنيه أبو أحمد الأعرج، ومحمد الشيخ، والذين أعلنوا لهم الولاء والطاعة، ولم يمانعوا من تسليم الزكاة والأعشار لهم⁽⁶⁾.

(1) - مارمول كرخال، المصدر السابق، ج.1، ص 452.

(2) - تجدر الإشارة أن بعدما سوف تستنتب الأمور لمحمد الشيخ في دولته، سوف يفرض ضرائب أخرى على رعيته، وتتجسد هذه الضرائب في الزكوات، والأعشار والنائية، والمكوس والرسوم الجمركية، وضرائب صيد السمك، والضرائب المفروضة على الطواحين، ضرائب على الأرض، والمغارم واستغراف الذمة. ينظر: حليلة بنكرعي، **مداخل بيت** ...، المرجع السابق، ص 34-42.

(3) - مارمول كرخال، المصدر السابق، ج.1، ص 453.

(4) - حليلة بنكرعي، **مداخل بيت** ...، المرجع السابق، ص 25.

(5) - سعة الصفحة تعادل ستين مداً عادياً، وهي تقابل مكبالاً فرنسياً يسع عشر لترات تقريباً، أي سبع كلغرامات ونصف. ينظر: عثمان المنصوري، **التجارة بالمغرب** ...، المرجع السابق، ص 74.

(6) - مارمول كرخال، المصدر السابق، ج.1، ص 454.

د- الضرائب التجارية:

1- **المكوس**⁽¹⁾: وتشمل الأعشار المفروضة على البضائع التجارية المروجة في الأسواق الداخلية، إذ تقدر مداخيل المكوس بـ 11.680 مقال⁽²⁾. ويتولي المنصور الحكم قام بإلغائها⁽³⁾، كونها شكلت عبء ثقيلًا على الرعية، خاصة مع عدم وجود قواعد وقوانين مضبوطة تحدد ما ينبغي جبايته منها، وهو ما يترك المجال لبعض المكاسين لإبتزاز الرعايا، وسلب أموالهم⁽⁴⁾.

2- **الجزية**: يؤديها اليهود في المغرب الأقصى⁽⁵⁾، وكذا من قبل القبائل الوثنية، منطقة هنبوري الموجودة جنوب بلاد السودان⁽⁶⁾.

3- **الركاز أو خمس المعادن**: نظرا للأهمية الإستراتيجية التي أصبحت تكتسبها بعض المعادن؛ كملح البارود والذهب، والنحاس والفضة وغيرها في حوض البحر الأبيض المتوسط، وضع المنصور القطاع المعدني في صلب سياسته الجبائية، حيث كان يفرض الخمس على الموارد المعدنية للبلاد، دليل ذلك ممالح تغازي التي فرض فيها على كل حمل جمل من الملح مثقالا من الذهب⁽⁷⁾.

4- **المؤونة أو المونة**: المونة ضربية مؤقتة، كانت القبائل ملزمة بتوفيرها للأعوان المخزنيين مهما طالت مدة المهمة التي أرسلوا من أجلها إليها، أو إلى أفراد الجيش أثناء مرورهم أو إقامتهم بالمناطق التابعة لها⁽⁸⁾.

5- **الذعائر الزجرية**: تؤدي نقدا، وتفرض إما على قوم سخط عليهم السلطان: " رسالة إلى قوم سخط عليهم تعطون كذا وكذا مثقالا زجرا أو ذعيرة لأفعالكم ". أو على شخصيات عزلها السلطان، أو ارتكبت جريمة، أو لكسر شوكة بعض القبائل⁽⁹⁾. مثل إرسال المنصور القائد محمد بن مومن السوسي إلى بلاد حاحة مع بعض الجيش لإستخلاص خراجها: " فاكتسحوا السرح، وانتسفوا الزرع، وخرّبوا العمران، ودمروا أرض المارقين تدميرا حتى أدعن لهم جل قبائل السوس

(1) - هي الضريبة التي يأخذها الجابي ممن يدخل البلد من التجار، وتطلق في المغرب على الموارد المحددة في الشرع، كما تطلق على الضرائب التي قد تفرضها الدولة على الرعايا عند الضرورة. ينظر: أبو القاسم الزياني، **البيستان الظريف...**، المصدر السابق، ص 266.

(2) - حلّمة بنكرعي، **مداخيل بيت ...**، المرجع السابق، ص ص 88-89.

(3) - ابن القاضي، **المنتقى المقصور...**، المصدر السابق، ج.1، ص 357.

(4) - كمال النفاع، المرجع السابق، ص 220.

(5) - حلّمة بنكرعي، **مداخيل بيت ...**، المرجع السابق، ص 40.

(6) - محمد الغربي، المرجع السابق، ص 389.

(7) - الفقيه الإدريسي، **الجباية في عهد الدولة السعدية: مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب**، ج.2، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ،

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله- فاس، 1994-1995م، ص 274.

(8) - كمال النفاع، المرجع السابق، ص 221.

(9) - حلّمة بنكرعي، **مداخيل بيت ...**، المرجع السابق، ص 84.

ومدوا يد الانقياد للطاعة..."(1). بعد ثورة داوود بن عبد المؤمن، أرسل المنصور قائدين إلى سوس من أجل إستخلاص خراجها(2): " فسال عليهما من ذلك بحر لا ساحل له... فوصلوا متفاوتين، واستاق كلاهما بين يديه عيرا من الذهب والفضة وأحمالا من المال تعدت التقدير، لم يتأت جلبها من هذا القطر فيما علمنا لدولة من دول الإسلام"(3). أرسل القواد إلى بلاد الريف والهبط، وجبال غمارة، من أجل إستخلاص خراجها وتجديد العهد، كما بعث الجيوش إلى توات، وتيكورارين وإستخلص منها خراجها(4).

6-الغنائم: تميزت هذه الضرائب على أنها كانت تأخذ صفة مؤقتة، وهي التي تأتي نتيجة لنشاط الجهاد البحري، والمعارك الجهادية والحملات التوسعية(5). فبعد إنتصار المنصور في معركة وادي المخازن دخل بيت المال السعدي من جراء ذلك اليوم أزيد من 40.000.000 مثقال ذهبي، ناهيك عن العتاد والبضائع المتنوعة، وهدايا نفيسة(6)، جعلت من المنصور أعظم أمير في العالم بما يملكه من أموال. وتبين ذلك مما أدخله من أموال عن طريق إفتداء الأسرى والغنائم والهدايا(7). فالمؤلف المجهول صاحب كتاب تاريخ الدولة السعدية التاكمدارتيية يقول بهذا الشأن: " إلى أن تمكن في سلطانه وقوى أمره، فأرسل إليه سلطان النصارى وطلب منه أن يفدي له أكابر النصارى الأسارى فأجابه إلى ذلك ففداهم النصراني بأعلى ثمن وقبض فيهم مولاي أحمد مالا عريضا من الفضة والسلع"(8). كما يؤكد الأفراني في مصنفه على ذلك حيث قال: " ولما بلغت الهزيمة إلى الطاغية الأعظم، بعث إلى المنصور... يلتمس منه الفداء لمن بقي بيده من الأسارى. ففداهم وجمع في ذلك أموالا سنية"(9).

وبذلك حصل المسلمون على غنيمة لم يتم تحصيلها من قبل بالمغرب الأقصى، وتكمن قيمة تلك الغنيمة على الخصوص في كثير من الأموال، التي جناها أحمد المنصور من إفتداء

(1)-عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص52.

(2)- ينظر: ملحق رقم 13، ص274.

(3)- عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص ص 58-59.

(4)-المصدر نفسه، ص65.

(5)- كمال النفاع، المرجع السابق، ص223.

(6)- حليلة بنكرعي، معركة وادي المخازن...، المرجع السابق، ص92.

(7)- المرجع نفسه، ص120.

(8)- مجهول، تاريخ الدولة السعدية...، المصدر السابق، ص ص 64-65.

(9)- محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص143.

أكابر النصارى، وهي الأموال التي مكنته خلال سنوات حكمه الأولى من تجاوز الصعوبات المالية، التي عانت منها الدولة السعدية على عهد المتوكل والمعتصم⁽¹⁾.

7-مداخيل السودان: أشار الأفراني إلى ذلك فقال: "... ولما فتح الله عليه ممالك البلاد السودانية حمل له من التبر ما يغير الحاسدين ويحير الناظرين، حتى كان المنصور لا يعطي في الرواتب إلا النصار الصافي والدينار الوافي. وكانت ببابه كل يوم أربعة عشر مائة مطرقة لضرب الدينار، دون ما هو معد لغير ذلك من صوغ الأقرط والحلي وشبه ذلك. ولأجل ذلك لقب بالذهبي، لفيضان الذهب في أيامه..."⁽²⁾. وقد تضمنت هدية غزو السودان عشرة آلاف متقال، ومائتين من الرقيق⁽³⁾، يضاف إلى ذلك الهدايا التي أرسلها القائد محمود من السودان الغربي، والتي تمثلت في " إثني عشر مائة مملوك بين الجواري والغلمان، وأربعين حملا من التبر وأربعة سروج من الذهب وأحمال كثيرة من البانبور وكور غالية وقطوط الغالية وذخائر السودان ذات الأثمان العالية والنفسية"⁽⁴⁾. هذا علاوة على إحتكاره تجارة الملح السوداني⁽⁵⁾.

وبذلك فإنه يمكن القول أن المنصور كان أكثر نشاطا في جني الجباية، وأنه تفنن في تحصيلها مقارنة بأسلافه من الملوك السعديين، لدرجة أن الفشتالي وزيره وصف المشهد الذي وصلت إليه الدولة السعدية زمن المنصور نتيجة لكثرة الضرائب، وتعدد موارد بيت المال بقوله: " طاب الجني، ودرت أخلاف الجباية، وامتلت بيوت المال، وغصت بالحبوب مخازن الأقفوت"⁽⁶⁾. وبهذا فقد أصبح المنصور أغنى رجل في العالم آنذاك، فقد أشار " لورانس مادوك " السفير الإنجليزي الذي أرسل تقريرا إلى حكومته في سبتمبر (1003هـ/1594م) صرح به "... أن السلطان [أي المنصور] أصبح أغنى حاكم في العالم..."⁽⁷⁾.

هذا بالإضافة إلى ما سبق، فقد تفنن المنصور في فرض ضرائب أخرى، والتي أرهقت كاهل الرعية⁽⁸⁾. الضرائب المفروضة⁽⁹⁾ على الأفراد، والكوائن والأرحيات، ضرائب يؤديها التجار المسيحيون الذين يتاجرون داخل البلاد، ضرائب على صيد السمك، ضرائب على الأرض،

(1) - كمال النفاع، المرجع السابق، ص224.

(2) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص ص 168-169.

(3) -المصدر نفسه، ص167.

(4) -نفسه، ص171.

(5) -Mercedes Garcia- Arenal, op.cit, p106.

(6) - عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص40.

(7) -Henry De Castries, Op.cit, d'angleterre, T.2, p86.

(8) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، المرجع السابق، ج.2، ص 298.

(9) - ينظر: ملحق رقم 14، ص 275.

والضرائب المفروضة على الممتلكات، من حوانيت وأفران ودور ومعاصر للزيت، وجنان وعيون وسواقي⁽¹⁾.

تجدر الإشارة إلى أن المنصور قد تشدد في إتخاذ إجراءات صارمة في سياسته الجبائية على الرغم من الإنتعاش الملحوظ الذي عرفته الموارد المالية لدولته التي إتسمت بنوعا من التحسن بحيث إرتفاع حجم العائدات التجارية⁽²⁾. إذ يرصد لنا الأفراني هذا الواقع بقوله: "...وكان المنصور، على ما هو عليه من ضخامة الملك وسعة الخراج، يوظف على الرعية أموالا طائلة يلزمهم بأدائها. وزاد الأمر على ما كان عليه الحال في عهد أبيه " ⁽³⁾. تحصيلا لما سلف نلاحظ أن المنصور لم يراع أثناء فرضه للضرائب وتحصيلها، تفاوت القدرات الإنتاجية لرعيته، وقد نجم عن ذلك تصاعد موجات العصيان، والغضب الإجتماعي⁽⁴⁾، وتزايد عدد القبائل المناهضة للسلطان أحمد المنصور، وقد تجسدت تلك المناهضة في المساندة القبلية الواسعة، التي حظيت بها ثورة ابن قرقوش، والتي جاءت كاستجابة لرغبة ساكنة الهبط، وجبال غمار في التخلص من التعسف الضريبي الذي مورس عليهم من المنصور، بعد أن أصبحوا لايطيقون صبرا بسبب إجحاف الضرائب المتعددة التي نالتهم بدون هوادة⁽⁵⁾.

(1) - حليلة بنكري، معركة وادي المخازن...، المرجع السابق، ص ص 87-88.

(2) - الفقيه الإدريسي، " السياسة الجائية في العهد السعدي: رصيد لحصيلة أثارها العامة "، مجلة كلية الآداب، بني ملال-المغرب، ع.6، س.2003م، ص173.

(3) - محمد الصغير الأفراني، المصدر السابق، ص242.

(4) - الفقيه الإدريسي، " الجباية والمشروعية السياسية للدولة التجربة السعدية نموذجا "، مجلة أمل، المغرب، مج.8، ع.24، س.2000م، ص ص 196-197.

(5) - الفقيه الإدريسي، الجباية والمشروعية...، المرجع السابق، ص199.

ثالثاً- النشاطات الزراعية وتربية الحيوانات(1).

أ-النشاط الزراعي:

1-الحبوب:

حرص السعديون على الإهتمام بالزراعة والري، إذ أدركوا أهمية الزراعة في الإقتصاد السعدي، وذلك بسبب وجود الأراضي الخصبة الواسعة، المنتشرة في مختلف المناطق السعدية، يضاف إلى ذلك وجود عدد هائل من السكان في البوادي، والذين يعتمدون(2) على الزراعة كمصدر أساسي لقوتهم اليومي- قطاع معاشي -.

شهدت الفترة السعدية إنتاجاً زراعياً يفوق في الغالب حاجيات البلاد، وكان القمح والشعير في مقدمة المنتجات الزراعية(3)، إذ أنهما يدخلان في تغذية الإنسان والحيوان على حد سواء(4) وقد كان القمح الصلب والشعير والذرة والدخن أكثر أنواع الحبوب إنتشاراً في المزارع السعدية، حيث كانت تشغل خاصة السهول الواسعة، الخصبة الممتدة بين أصيلا شمالاً، والقصر الكبير جنوباً(5). ثم يأتي بعدهما القمح اللين، والعدس والبقول، والحمص...الخ(6)، أما عن زراعة الأرز فقد كانت بدرجة أقل، حيث كان يزرع لاسيما حول ضفاف الأودية؛ كوادي سوس، ووادي أبي رقرق، غير أن السعديين لم يكونوا يستسيغونه، وهو ما ساهم في تراجع زراعته(7)، ثم تأتي زراعة السمسم، الذي كان يزرع هو الآخر بدرجة أقل(8).

2-زراعة قصب السكر:

إن زراعة قصب السكر بالمغرب الأقصى ليست وليدة الفترة السعدية، أو الوطاسية، وإنما هي أقدم من ذلك بكثير، فقد ظهر هذا النبات لأول مرة في شمال شرق الهند الصينية بطريقة عفوية، وذلك بسبب طبيعة المناخ المناسب له، إذ يحتاج إلى درجة معينة من الحرارة، وأمطار غزيرة، فتكون بذلك المناطق الإستوائية هي المكان الأنسب لنموه، ثم شاع إستعماله كدواء للإستشفاء من الأمراض بفارس، في حدود سنة (500 ق.م)، ومن هناك نقله العرب الفاتحون إلى

(1)- ينظر: ملحق رقم 15، ص 276.

(2)- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 253.

(3)- إبراهيم حركات، تطور الأوضاع الإقتصادية...، المرجع السابق، ص 24.

(4)- عبد الله الحاجي، الدولة السعدية آليات التطور ومظاهر التدهور سوس بين (916-1015هـ/1510-1609م)، ط.1، (المغرب: إفريقيا الشرق، 2013م)، ص 174.

(5)- محمد استيتو، " أقوات وتغذية في تاريخ المغرب الحديث ق.15-ق18م "، مجلة أمل، المغرب، مج.6، ع.17، س.1999م، ص 24.

(6)- إبراهيم حركات، تطور الأوضاع الإقتصادية...، المرجع السابق، ص 24.

(7)- محمد استيتو، أقوات وتغذية...، المرجع السابق، ص 25.

(8)- إبراهيم حركات، تطور الأوضاع الإقتصادية...، المرجع السابق، ص 24.

منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، حيث تأقلم مع مناخ المنطقة، وبذلك عرفت زراعة قصب السكر طريقها إلى المغرب الأقصى مع البدايات الأولى للفتح الإسلامي، حيث ازدهرت زراعته خلال العصر الوسيط، وعمت كل ربوع الغرب وخصوصا بمنطقة سوس لأسباب مناخية⁽¹⁾.

على العموم فإن السعديين هم أول من إهتم بقطاع زراعة السكر إهتماما كبيرا على إعتباره قطاعا تسويقيا، فقد توسع فيه السعديون كثيرا، وخصصوا الحقول المخزنية الشاسعة في سوس لزراعة قصب السكر، وبالأخص في ضواحي عاصمتيهم القديمتين؛ تيدسى والمحمدية (ترودانت)، وأنشؤوا في نفس المنطقة معامل ضخمة لتصفية السكر، جلبوا إليها مياه أسوار عالية، ومن مسافات طويلة تبلغ نحو ثمانين كيلو مترا، ثم تنقل المياه في المعامل إلى مرتفعات بطرق هندسية تتساقط على العجلات المولدة للقوة المحركة. وفي كل معمل عدد كثير من الدنان النحاسية الضخمة، لجمع عصير قصب السكر، تحتها أفران من الطين ما تزال المكتشفة مليئة بالرماد، وبعد أن تتم عملية تصفية السكر يجعل في أوعية لينتبلور ويأخذ شكل (القالب) الهرمي المخروط المعروف في المغرب الأقصى حتى اليوم⁽²⁾.

تجدر الإشارة أن تطور زراعة قصب السكر قد رافق تطور المشروع السياسي للدولة السعدية منذ بدايتها⁽³⁾. بحيث تعود جذور إهتمام السعديين بمادة السكر إلى عهد أحمد الأعرج (1517-1544م) الذي باشر سياسة التعامل مع الأجانب منذ الأيام الأولى لتوليته، إذ أبرم مع جماعة من التجار القشتاليين إتفاقا يقضي باحتكار سكر سوس مقابل مبلغ هام من المال يقدر بستمائة ألف كروزادوس⁽⁴⁾. ولما تولى محمد الشيخ زمام الحكم عمل على زيادة مزارع شاسعة لمحاصيل قصب السكر⁽⁵⁾ حول مدينة تارودانت، منذ إستقراره بها سنة 1516م⁽⁶⁾.

ونتيجة لتطور وإزدهار صناعة السكر في تلك الفترة فإنها ساهمت في ظهور قرى ومدن إرتبطت بهذا النشاط الإقتصادي، إذ تعد مدينة كأرض التي أسسها عبد الله الغالب (1557-

(1) - توفيق محمد لقبايبي، " جوانب من تاريخ إقتصاد المغرب في العهد السعدي قطاع السكر أنموذجا "، مجلة ضفاف، المغرب، ع.1، س.2013م، ص81.

(2) - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب...، المرجع السابق، ج.1، ص50.

(3) - محمد استيتو، " صناعة السكر خلال العصر السعدي: محطة ضائعة في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي المغربي "، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ع.8، س.2008م، ص61.

(4) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص45.

(5) -Mercedes Garcia- Arenal , op.cit , p73.

(6) -حليمة بنكرعي، مداخل بيت ...، المرجع السابق، ص45.

1574م) مثالا على ذلك، وكان الغرض منها هو توفير الحماية لمصانع استخراج السكر، وأسكن العاملين بها⁽¹⁾.

أما في عهد أحمد المنصور، فقد أصبح السكر تجارة تسويقية موجهة للخارج بالأساس، ويعود الفضل في ذلك للمنصور⁽²⁾، الذي تميّزت فترة حكمه بنوع من الإستقرار النسبي، حيث يصف " دي صالدانيا " تلك الفترة بقوله: " بلغت بلاد البربر درجة من العظمة لم يسبقها نظير ذلك بما عم بلاد البربر من سلم وسكينة "⁽³⁾، حيث قام المنصور بالقضاء على الثورات الداخلية، كما سبق وأشرنا، يضاف إلى ذلك تقوية علاقاته مع دول الجوار. ونتيجة لذلك قام المنصور بتوسيع مساحات زراعة قصب السكر⁽⁴⁾، وتزايد عدد مصانعه، خاصة بناحية شيشاوة بين مراكش والصويرة، حيث أنشئت بجوارها مدن عامرة بالعمال والفنيين⁽⁵⁾. إذ يصف لنا " دي صالدانيا " ذلك: " وشرع الشريف [أي المنصور] يقيم في مملكة سوس كلها العديد من معاصر السكر، لأن كثرة الماء في الجبل تجعل القصب ينبت في حجم وجودة لا مثيل لهما في أي بقعة أخرى من الدنيا وكان له [أي المنصور] عند وفاته ثمانى عشرة معصرة من ذلك يشتغل في كل واحدة منها ما لا يقل على ألفي عامل "⁽⁶⁾، وقد إعتنى بها أكثر من سابقه، لأنه دخل بها إلى السوق العالمية، واتخذها أداة للحفاظ على سياسته الخارجية⁽⁷⁾. وقد إستفاد من الظرفية الدولية المساعدة التي كانت في صالحه، إذ أن إنتاج السكر وزراعته بحوض البحر الأبيض المتوسط عرف إنحطاطا في كل من (مصر-قبرص- جزيرة كريت- صقلية- الأندلس)⁽⁸⁾.

علاوة على أن المنتجين الجدد لهذه المادة كجزر المادير، والاسور و ساوتومي، وبرانسيبي وجزر الكناري، قد تراجع إنتاجهم إنطلاقا من منتصف القرن 16م⁽⁹⁾. ويرجع السبب في ذلك إلى الإنتشار الواسع لجراثومة قضت على معظم المحاصيل، وتراجع منتج الأراضي بفعل الإستغلال

(1) - للاصفية معروف، عائشة كنتوري، " زراعة وصناعة السكر بالمغرب من خلال نصوص تاريخية ق10- 16م "، مجلة أمل، المغرب، مج.22، ع 43، س.2014م، ص74.

(2) - عبد المجيد القنوري، المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)، ط.2، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012م)، ص 205.

(3) - أنطونيو دي صالدانيا، المصدر السابق، ص102.

(4) - عبد المجيد القنوري، المرجع السابق، ص 206.

(5) - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب...، المرجع السابق، ج.1، ص50.

(6) - دي صالدانيا، المصدر السابق، ص ص 76-77.

(7) - عبد المجيد القنوري، المرجع السابق، ص 206.

(8) - حليلة بنكري، مداخيل بيت...، المرجع السابق، ص46.

(9) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر مساهمة في تاريخ المغرب الاقتصادي، ط.1، (دار البيضاء: منشورات كلية بالرباط، 1422هـ/2001م)، ص 21.

المفرط، بالإضافة إلى الثورات المتكررة للعبيد بتلك المنطقة، وكذلك إلى إحراق القراصنة الهولنديين للمحاصيل الزراعية سنة 1600⁽¹⁾.

هذا بالإضافة إلى السياسة الإحتكارية التي إنتهجها الإسبان، والبرتغال لأسواقهما بأمريكا والمحيط الأطلنطي، والتي كان لها دور بارز في إزدهار صناعة السكر خلال القرن 16م، حيث دفع ذلك الإحتكار عددا من التجار غير الإيبيريين إلى المتاجرة مع السعديين، كالفلامنديين والفرنسيين، وخاصة الإنجليز الذين أصبحوا يتوافدون على سوسة بكثرة⁽²⁾. ويمكن تفسير ذلك الإقبال على السكر السعدي لعدة إعتبارات منها: جودة السكر السعدي، وإنخفاض ثمنه مقارنة مع السكر الإيبيري، ناهيك عن قرب المغرب الأقصى من القارة الأوروبية، وتوفره على بضائع أخرى إلى جانب السكر، وحاجة السعديين للمواد مرتفعة الثمن، كالرخام والأسلحة النارية، مما يعطي لهؤلاء التجار إمكانية الربح ذهابا وإيابا⁽³⁾.

وبذلك ونتيجة مما ذكر سابقا حول تراجع الإنتاج في العالم لمادة السكر أصبح المغرب الأقصى هو المزود الرئيس لهذه المادة إبتداء من عام 1570م⁽⁴⁾. ويمكن القول أن مادة السكر خلال القرن السادس عشر، قد شكلت ثروة إقتصادية⁽⁵⁾. فقد إعتبرت مشروعا إستثماريا ناجحا للدولة السعدية، وذلك بفضل ما كان يدره من مداخيل هامة إستفاد منها الأمراء والسلطين في تمويل مشاريعهم السياسية، وضمان سبل نجاحها، من خلال تمويل الصفقات للحصول على الأسلحة اللازمة لمقاومة الاجتياح الإيبيري للسواحل السعدية، والقضاء على منافسيهم. فلا غرابة إذا وجدنا السعديين أمام ازدياد الطلب الخارجي على هذه المادة، وإعتبارا لأهمية الأرباح التي كانوا يجنونها من تجارتها، قاموا بتوسيع نطاق زراعة قصب السكر خارج مجاله التقليدي بسوس، وأكثروا من معامل تصنيعه، حتى أصبح آنذاك أول دولة في العالم في تصدير هذه المادة، بل إن السلطين السعديين سيسعون جاهدين لتأميم هذا القطاع الإستراتيجي وإحتكاره⁽⁶⁾.

(1) - حليلة بنكري، مداخيل بيت ...، المرجع السابق، ص 46.

(2) - عز الدين شعوب، " صناعة السكر في العهد السعدي "، مجلة ليكسوس الإلكترونية، المغرب، ع. 21، س. 2018م، ص 57.

(3) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 20.

(4) - عبد المجيد القنوري، المرجع السابق، ص 206.

(5) - Berthier Paul : " La Canne à sucre richesse de l'ancien Maroc", Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles -Lettres, paris, N.2, 1964, p386.

(6) - توفيق محمد لقباببي، المرجع السابق، ص ص 80-81.

3- إنتاج الخضر والفاكهة:

- الخضر:

لم تكن الخضر كثيرة التنوع خلال الفترة السعدية، ولم تكن زراعتها واسعة الانتشار في البادية، إلا أنها كانت تزرع حول بعض المجاري المائية، خاصة القريبة من الحواضر، كما كانت تزرع أحيانا في مناطق لم يكن أهلها شديدي العناية بالزراعة عموما، كسكان بادية آسفي في القرن 16م، وكذلك فقد كان لسكان آيت عياض⁽¹⁾ الجبلية بتادلا بساتين عديدة للخضر وغيرها، على ضفتي جدول يخترق مدينتهم، مثلما كان لأهل مدينة " تيوت " كمية عظيمة من الخضر على وادي سوس، وكانت مدينة انفا⁽²⁾ تصدر فواكهها وخضرها، خاصة الخيار، إلى فاس لأن نضجه فيها يكون متأخرا.

كانت مدينة فاس تتزود بحاجيتها من الخضر، خاصة من السهول الفسيحة الواقعة في السفح الشمالي لجبل زلاغ، وتسقي بالنواعير، ومن زواغة (غربي المدينة) حيث قدر ما كانت تنتج من خيار ولفت وجزر وكرمب وخس، وغيرها، من الخضر بخمسة عشر ألف حمل⁽³⁾ في الصيف، ومثلها في الشتاء، وكان يدخل من اللفت والجزر يوميا إلى فاس خمسمائة حمل، لكثرة الإقبال عليهما، ومع ذلك كان ثمنها بخسا⁽⁴⁾.

- الفواكه:

عرفت الفواكه بكثرة تنوعها وباحتلالها مساحات أهم من مساحات الخضر في المزارع والبساتين التي كانت تنتشر عادة حول نقاط الماء، لاسيما القريبة منها من التجمعات السكانية، بإستثناء بعض الأصناف المحدودة النطاق، كالتمور في المناطق شبه الجافة، وراء سلسلة الأطلس، والموز في المناطق الساحلية الرطبة مثل: سلا، وكذا سبتة، ومنتوج اللوز، وما شابهه في المناطق المرتفعة الباردة نسبيا، كجبال بني بوشبيت⁽⁵⁾ بالريف، كما أن معظم الأصناف الأخرى قابلة للتكيف مع النطاقات المحلية.

(1)- هو حصن واقع على ربوة صغيرة من الربي المنحدرة من الأطلس الكبير، أسسه رجال قبيلة مصمودة كسائر مدن هذه المناطق، يضم نحو ثلاثمائة نسمة، وتحيط به أسوار عالية من جهة الجبل، وليس له بها حاجة من جهة أخرى، لأنه تكتنفه صخور وعرة وجرف. للمزيد ينظر: مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص 120.

(2)- هي مدينة تقع ما بين الرباط وأزمور على شاطئ المحيط، بعيدة عن الأطلس الكبير بإثنين وعشرين فرسخا، وعن أزمور بعشرين، وعن الرباط بثلاثة عشر فرسخا. ينظر: المصدر نفسه، ج.2، ص 127.

(3) - محمد استيتو، " أقوات وتغذية في تاريخ المغرب الحديث ق.15-ق18م "، مجلة أمل، المغرب، مج.6، ع.17، س.1999م، ص 26.

(4) - المرجع نفسه، ص 27.

(5)- جبال في غاية البرودة والوعورة، لا تنبت فيها حبوب، ولا يمكن إقتناء الماشية فيها بسبب البرد والجفاف. ينظر: حسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص333.

وعلى العموم يمكن تقسيم هاته الفواكه حسب الفصول إلى ما يلي:

-فواكه صيفية: المشمش و عيون البقر (البرقوق) المجفف، والإجاص، والتوت والتين والكرز..الخ.

-فواكه خريفية: العنب، التين، الرمان، التفاح، الجوز، السفرجل، اللوز، الزيتون، العناب، الخروب، الخوخ، والتمر...الخ.

-فواكه شتوية: الليمون، الترنج، النارج، الزنبوع، الموز وقصب السكر، وهو أكثر ما اشتهر به الجنوب.. (1).

-فواكه الربيع: البرتقال، المشمش، الفرولة والكرز.

ب-تربية المواشي والدواجن والثروة السمكية:

1-تربية المواشي:

ساهمت طبيعة المغرب الأقصى وما تتوفر عليه من غطاء نباتي كثيف ومتنوع، بحسب توزيع معدل الأمطار الجغرافية المختلفة، في خلق عدة مجالات نباتية مهمة، وقد وفر تنوع الغطاء النباتي العديد من المراعي لقطعان الماشية في المناطق السهلية، وكذا في السفوح الجبلية وحول الأودية وفي السهول (2).

على العموم، فقد كانت قطعان الماعز تشكل المورد الأساس لكثير من سكان القمم الجبلية الفقيرة، والمرتفعات الغابية الوعرة، حتى أنها كانت تمكث فيها باستمرار، كما (3) في جبل بني جنفن بالريف التي بها قطعانا كبيرة من الماعز (4)، منطقة حاحا التي بها عدد ضخم من المعز (5)، كما كانت الماعز تربي أيضا إلى جانب قطعان الغنم في ما دون ذلك من المناطق الفقيرة (6)، حيث يستقر مربوها بأكواخهم البسيطة، حيثما وجدوا العشب. كجبال مغران بتادلا (7)، وجبل سليلكو (8)، وسهل ازغار ايكمارن (9).

(1)- محمد استيتو، أقوات وتغذية ...، المرجع السابق، ص 27.

(2)- محمد استيتو، الكوارث الطبيعية في تاريخ مغرب القرن 16م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا شعبة التاريخ الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، 1987-1988م، ص48.

(3)- محمد استيتو، أقوات وتغذية ...، المرجع السابق، ص28.

(4)- مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص 256.

(5)- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص96. إضافة إلى العديد من المناطق. ينظر: إلى الصفحات التالية: ص 103، 109، 163، 175، 186، 338.

(6)- محمد استيتو، أقوات وتغذية ...، المرجع السابق، ص28.

(7)- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص187.

(8)- مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص283. ينظر أيضا: حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص360.

(9)- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص365.

وفي المنحدرات الجبلية والمنسببات المتصلة بها، القابلة للإستغلال الزراعي، وفي السهول حيث يتم عادة المزوجة بين الزراعة وتربية المواشي. تضاف الأبقار إلى قطعان الماعز والأغنام، للحاجة إليها، خاصة لجر المحارث، وتكثر أيضا قريبا من الحواضر في " الزراريب " أو " النوايل" لتزويد سكانها بحاجتهم من الألبان ومشتقاتها⁽¹⁾، مثل منطقة "هسكورة"، التي تكثر فيها الأغنام بشكل كبير⁽²⁾، وكان مربو الماشية يملكون عادة ما يتراوح بين بضعة رؤوس وعشرات آلاف منها، لاسيما من الماشية الصغيرة⁽³⁾. مثل مدينة تكوداست بالأطلس مثلا، كان بها مائة ألف رأس من الغنم والماعز⁽⁴⁾.

ويبدو أن سيادة ظاهرة الترحال جعلت قطعان الإبل منظرا مألوفا، ليس فقط في مواطنها بالمناطق الجنوبية، بل في المناطق والسهول الشمالية كذلك؛ ففي الشرق، سهول كرط والتي تملك عددا ضخما من الخيول والغنم والإبل⁽⁵⁾، وكذا الماشية الصغيرة والبغال. وغربا، سهول " وازغار"⁽⁶⁾، حيث المواشي من كل نوع. ولم تكن الإبل تزود فقط مربوها بحاجاتهم من الألبان واللحوم والجلود والشعر، بل كانت تعزز وبشكل خاص حركة النقل والمبادلات على نطاق أوسع، إلى جانب الحمير والبغال⁽⁷⁾.

وعلى ذكر الحمير والبغال وكذلك الخيول، فهذه الأنعام لا تربي من أجل الإستهلاك عادة، بل كان يتم الإعتناء بها نظرا لأدوارها الإجتماعية والإقتصادية والعسكرية. لقد كانت هذه الحيوانات كثيرة جدا في مختلف جهات المغرب الأقصى⁽⁸⁾، مثل إقليم حاحا الواقع غرب مراكش الذي كان تتواجد به أعداد كبيرة منها⁽⁹⁾، وكذلك بجبال عُجْدَامَة التي يمتلك أهلها كثيرا من البغال لخدمة السكان⁽¹⁰⁾، أيضا جبل سكيم⁽¹¹⁾، جبل بني مراسن، جبل مسطا⁽¹²⁾.

(1) - محمد استيتو، أقوات وتغذية ...، المرجع السابق، ص 28.

(2) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 163.

(3) - محمد استيتو، أقوات وتغذية ...، المرجع السابق، ص 28.

(4) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 168.

(5) - المصدر نفسه، ج.1، ص 347.

(6) - مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص 281.

(7) - محمد استيتو، أقوات وتغذية ...، المرجع السابق، ص 28.

(8) - المرجع نفسه، ص 29.

(9) - مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص 05.

(10) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 175.

(11) - المصدر نفسه، ج.1، ص 186.

(12) - نفسه، ج.1، ص 368.

2- تربية الدواجن:

تعتبر ظاهرة تربية الدواجن من أقدم ما عرفه المغاربة، وهي منتشرة على أوسع نطاق، إلا أننا لم نجد لها إشارة في المصادر. ويمكن إرجاع السبب في ذلك أنها كانت من مشاهد الحياة اليومية العادية في المساكن والبيوت، التي لا تحتاج إلى إشارة أو تنبيه، لذلك لا نعرف عنها إلا معلومات قليلة، جاء ذكر غالبها ضمن ما يؤكل.

يعتبر الدجاج والحمام من أهم تلك الدواجن ذكرا، لكثرة إستهلاكها، و ولوع الناس بتربيتها، ليس في البوادي وحدها، حيث كانت مما يهدى أحيانا للزوار بسخاء، بل وفي المدن والحواضر كذلك⁽¹⁾، كمدينة فاس التي كان يجلب إليها من هذه الطيور والعصافير، إذ تباع في أسواق خاصة يطلق عليها (سوق الطيريين)⁽²⁾، وكان عددا كبيرا منها يقتني هذه الدواجن ويسمنه في أقفاص كبيرة من القصب، ولا يترك هذا الدجاج طليقا في البيت، بل يسجن في الأقفاص الكبيرة⁽³⁾، وكانت توضع عادة فوق سطوح المنازل، أو في أي مجال ممكن، حتى ولو كان ذلك خزانة كتب في الأصل. وبطبيعة الحال، لم تكن الغاية من تربية الطيور، لاسيما الدجاج، فقط للحومها، وإنما أيضا بيضها، لما له من قيمة غذائية، ولكثرة إنتاجه.⁽⁴⁾ ويكفي أن نذكر هنا أن البيض كانت أول ضريبة فرضتها الدولة السعدية على الرعية، والتي عرفت (نايبة)⁽⁵⁾.

3-الثروة السمكية:

شكلت الأسماك موردا آخر لدعم المخزون الغذائي خلال الفترة السعدية، لا سيما وأن المغرب يطل على واجهتين بحريتين تمتدان على مسافات طويلة، إذ كان السمك موردا لرزق العديد من الصيادين⁽⁶⁾. فقد كان السمك يستهلك بكثرة حيث، كان يصاد من الشواطئ، والأنهار⁽⁷⁾، فعلى سبيل المثال نهر سبو، الذي كان يزخر بأنواع السمك، أهمها الشابل المتميز بكبر حجمه ولذة طعمه، بالإضافة إلى أنواع أخرى، كالبورى، اللبيس، السيناج والبوقة...الخ⁽⁸⁾، ولم يكن يصاد السمك من الشواطئ والأنهار فقط، بل حتى من البحيرات الجبلية، كبحيرة الجبل

(1) - محمد استيتو، أقوات وتغذية ...، المرجع السابق، ص 29.

(2) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 243..

(3) - المصدر نفسه، ج. 1، ص 187.

(4) - محمد استيتو، أقوات وتغذية ...، المرجع السابق، ص 29.

(5) - أبو العباس أحمد خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 08.

(6) - محمد استيتو، أقوات وتغذية ...، المرجع السابق، ص 29.

(7) - إبراهيم حركات، أحمد المنصور ...، المرجع السابق، ص 72.

(8) - محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 606. ينظر أيضا: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 35.

الأخضر بإقالم دكالة، والتي كانت تعج بكميات عظيمة من الأسماك⁽¹⁾. وقد تميزت منطقة الشمال على الخصوص، بعملية تجفيف السمك، والإحتفاظ به لمدة طويلة⁽²⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن أوقات صيد السمك كانت في شهري أكتوبر وأبريل، وتفسير ذلك هو سقوط الأمطار، وما يصاحبه من إرتفاع لمنسوب المياه، وخروجها عن مجاريها، مما كان يساعد الصادين على جمع السمك وإصطياده، إضافة إلى بساطة تقنيات الصيد، وإقبال السكان على تناول السمك في الشهور الباردة من السنة، وماله من دور في تنشيط عمليات الصيد⁽³⁾.

وقد كان الصيادون يعرضون كميات السمك في أسواق المدينة، والبعض الآخر يبيعه خارج أسوار المدينة. كان السمك يدخل في الوجبات الغذائية للسكان، كما كان يطبخ في الدكاكين⁽⁴⁾. وللاشارة فإن إستهلاك السمك لم يكن عائليا فقط، وإنما كان يوجه أيضا للبيع في العديد من مناطق المغرب الأقصى، بالإضافة إلى تصديره إلى الخارج، كشبه الجزيرة الأيبيرية⁽⁵⁾.

4-تربية النحل:

يعتبر النحل من أكثر الحشرات قيمة من الناحية الإقتصادية، لإنتاجه للعسل وشمع العسل. ومن أكبر فوائده أيضا قيامه بتلقيح المحاصيل الزراعية؛ بما في ذلك الفواكه والخضروات، والكثير من النباتات التي تثبت تلقائيا وتمنع تآكل التربة. ونتيجة لأهميته الإقتصادية فقد إهتم المزارعون السعديون بتربية النحل، وأولوه عناية خاصة من أجل العسل لما عرفوه من فوائد طبية هامة⁽⁶⁾.

إحتل العسل والشمع مكانة هامة، في التجارة السعدية الداخلية، وكذا ضمن المبادلات الخارجية، وذلك راجع إلى قيمته كمادة غذائية تكميلية هذا من جهة، ومن جهة أخرى إلى إستعمال الشمع في مجال الإنارة⁽⁷⁾. وتجدر الإشارة إلى أن حسن الوزن قد حدد مراكز إنتاج الشمع في المغرب الأقصى؛ وهي جبل رهونة، وجبل بني فنزكار الذي كان يقصده التجار الجنوبيون، ويحملون منه الشمع إلى جنوة والبرتغال⁽⁸⁾، وتاكوليت حيث يباع الكثير من الشمع للتجار

(1) - محمد استيتو، أقوات وتغذية...، المرجع السابق، ص 30.

(2) - إبراهيم حركات، أحمد المنصور...، المرجع السابق، ص 72.

(3) - عبد اللطيف الخلابي، المرجع السابق، ص 201-202.

(4) - المرجع نفسه، ص 202.

(5) - محمد استيتو، أقوات وتغذية...، المرجع السابق، ص 30.

(6) - محمد رضائي، " مادة النحل "، معلمة المغرب، ج.22، [د.ط.]، (سلا: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1410هـ/1989م)، ص 7420.

(7) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 26.

(8) - حسن الوزن، المصدر السابق، ج.1، ص 320.

البرتغاليين⁽¹⁾. فقد كان الشمع من أهم الصادرات خلال العهد السعودي، حيث كان يجد إقبالا كبيرا من الدول الأوروبية؛ خاصة فرنسا وإسبانيا والبرتغال، أما عن أهم مراكز وموانئ تصديره فهي العرائش، وتارودانت، وآسفي وأزمور⁽²⁾.

كما أشار حسن الوزان أيضا إلى المناطق التي كان يكثر فيها إنتاج العسل، كجبال ايغليينغيل، جبال هنكيسة، جبال اداو إزكوغن، التي ينتج فيها كميات كثيرة من العسل الذي يدخرونه كطعام، أو يبيعون منه لجيرانهم⁽³⁾. وكذلك جبل الحديد الذي تكثر فيه مادة العسل، بسبب كثرة الغابات، وعيون الماء⁽⁴⁾ فيه؛ وهو ما ساهم في تربية النحل، وكثرة إنتاج العسل، بسبب ذلك الوسط البيئي.

رابعا- النشاطات الصناعية والحرفية.

أ- صناعة النسيج:

إشتهر المغرب الأقصى بصناعة جميع أنواع المنسوجات، سواء أكانت من الصوف أو الكتان، والتي عُدت من أجود المنسوجات خلال العهد السعودي، وقد كانت تستهلك محليا، مع وجود إقبال من طرف التجار الأوروبيين عليها. كما كانت تحتل مكانة هامة ضمن الصادرات السعودية إلى أقاليم إفريقيا أيضا، وحتى الأوروبية بواسطة التجار الذين كانوا يأتون إلى المغرب الأقصى من كل جهة⁽⁵⁾.

1- الحياك:

إعتبرت الصناعة الرئيسية في نسيج الأثواب، حيث كان محترفوها يدعون بالحاكة أو النساجين، وينعتهم العوام بالدراسة نسبة إلى الأطرزة التي إشتغلوا داخلها⁽⁶⁾. وقد كان الحاكة يصنعون ألبسة من الصوف، يلف بها المغاربة أجسامهم. حيث كان الإقبال عليها بأسفي كبيرا. تولى الإشراف على صنعها وجمعها من أجل التصدير، اليهوديان "مايير ليقى" و "يهودا بن زامبيرو" اللذان عرضا للبيع بأسفي 2000 حايك سنة 1514م. لقد كانت الحياكة من أهم

(1) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 100.

(2) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 26-27.

(3) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 102، 108، 120-121.

(4) - المصدر نفسه، ج.1، ص 112.

(5) - مارمول كريكخال، المصدر السابق، ج.2، ص 217.

(6) - عبد اللطيف الخلافي، المرجع السابق، ص 209.

البضائع المصدرة إلى أرغين والسودان⁽¹⁾، كما إشتهرت دكالة بمصنوعاتها الصوفية الجيدة، من ملبوسات، كالجلابيب والحياك، والمفروشات⁽²⁾.

2- البرانس⁽³⁾:

لباس من الصوف، عبارة عن مطعف أسود ينتج قطعة واحدة بغطاء للرأس⁽⁴⁾، ولا يلبسه إلا الشيوخ والفقهاء، وقد كان بالمغرب الأقصى عدد من الصناع المهرة الذين يُجيدون صناعة البرانس، حيث نجد حاكم أزموور يهدي إلى ملك البرتغال برنسا رفيعا لم ير في حياته أرق منه⁽⁵⁾، وكانت نساء " افزا " ماهرات جدا في خدمة الصوف، إذ يصنعن منه البرانس والأكسية الفاخرة، فيكسبن من المال أكثر مما يكسبه الرجال⁽⁶⁾. وقد كانت مدينة تفزا يقصدها عدد وافر من التجار الغرباء ليشتروا منها بعض البرانس. كما كان عدد منها؛ أي البرانس المغربية يصل إلى إسبانيا وإيطاليا، والبرتغال⁽⁷⁾.

3- الزرابي:

كانت هي الأخرى من البضائع الرائجة في آسفي⁽⁸⁾، ومدينة تفيلايت التي كانت تعرف هي الأخرى بالزرابي الرفيعة الجودة⁽⁹⁾، وهي أيضا وظفها البرتغاليون في مبادلاتهم التجارية مع السواحل الإفريقية، وكانت ضمن الصادرات السعدية إلى إنجلترا⁽¹⁰⁾.

4- الأغطية:

أما فيما يتعلق بالأغطية فيذكر حسن الوزان أن المغاربة كانوا ينامون على أغطية من الصوف الطويل، يتراوح طولها ما بين 10 و 20 ذراعا، ويستعملون طرفا منها كفراش، وطرفا آخر كإزار وغطاء من فوقهم⁽¹¹⁾، كما أشار حسن الوزان في ذات السياق عند زيارته لمنطقة جبل بني

(1) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص34.

(2) - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب...، المرجع السابق، ج.1، ص49.

(3) - نجدها بأشكال وأسماء مختلفة مثلا: أخنيف، الكسا، ملوطة، الغنازة. ينظر: عثمان المنصوري، "المنتجات الفلاحية كمادة للتبادل التجاري في مغرب القرن 16م"، مجلة أمل، المغرب، مج.3، ع.9، س.1997 م، ص20.

(4) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص176.

(5) - عثمان المنصوري، المنتجات الفلاحية...، المرجع السابق، ص20.

(6) - حميد آيت حبوش، الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الجزائر والمغرب الأقصى من خلال رحلتي الوزان والتمقروتي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس - الجزائر، 1434-1435هـ/2013-2014م، ص255.

(7) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص ص176-177.

(8) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص35.

(9) - مارمول كرخال، المصدر السابق، ج.3، ص 156.

(10) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص35.

(11) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 97.

يازرغة، أن نساوهم يصنعن من صوف أغنامهن أقمشة ناعمة، كأنها من حرير يتخذن منها لباسا لهن وأغطية للأسرة، ويباع الواحد من تلك الأغطية في فاس بثلاثة مثاقيل أو أربعة⁽¹⁾. كما عرفت مدينة تفيلاط بالأغطية الرفيعة ذات الجودة العالية⁽²⁾.

5- صناعة الجلد:

إحتلت الجلود مكانة هامة في الصادرات السعدية على إمتداد القرن السادس عشر، وخاصة جلود الماعز، وكثيرا ما نجد الجلود مقرونة مع الشمع والعسل في صادرات المغرب إلى إنجلترا، أو كبديل للسكر، أو مكمل له، و من أهم الدول المستوردة للجلود السعدية: إنجلترا، فرنسا، إسبانيا والبرتغال، بالإضافة إلى تجارة الإيطاليين، البنادقة والجنوبيين⁽³⁾.

ب-الصناعة المعدنية:

1-الذهب:

حظي معدن الذهب بإهتمام كبير من طرف السعديين، ففي عهد محمد الشيخ كان يتم الحصول عليه من " تيغازه "، بشمال بلاد السودان، ثم يصهر ويوزن، ويعلم في بلدة تاراغال، بدرعة بجنوب المغرب الأقصى، قبل حمله إلى مراكش. وفي عهد أحمد المنصور وبعد غزوه للسودان الغربي، أصبح معدن الذهب يتدفق على الخزائن السعدية، لدرجة أن المنصور لكثرة ما يملكه من ذهب لقب بالذهبي⁽⁴⁾. كما أصبح متحكما في مناجم الذهب⁽⁵⁾. ونتيجة لتلك الثروة الطائلة التي جناها من السودان الغربي قام بسك العملة من معدن الذهب، حيث يشير الأفراني إلى ذلك فقال: "... ولما فتح الله عليه ممالك البلاد السودانية حمل له من التبر ما يغير الحاسدين ويحير الناظرين، حتى كان المنصور لا يعطي في الرواتب إلا النضار الصافي والدينار الوافي. وكانت ببابه كل يوم أربعة عشر مائة مطرقة لضرب الدينار ، دون ما هو معد لغير ذلك من صوغ الأقراط والحلي وشبه ذلك. ولأجل ذلك لقب بالذهبي، لفيضان الذهب في أيامه..."⁽⁶⁾. حيث كان عماله في تمبكتو يزودون مراكش بأحمال الذهب في قوافل منتظمة⁽⁷⁾. وبذلك إنتشر الذهب في ربوع المغرب الأقصى، وخاصة مراكش التي عرفت رواجاً لهذا المعدن في الأسواق. وإرتفع

(1)-حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص361.

(2)- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.3، ص 156.

(3)- عثمان المنصوري، المنتجات الفلاحية...، المرجع السابق، ص ص 17-18.

(4)- عمار بن خروف، ملاح من الحياة الإقتصادية...، المرجع السابق، ص76.

(5)- محمد القبلي وآخرون، المرجع السابق، ص 390.

(6)- محمد الصغير الأفراني، المصدر السابق، ص ص 168-169.

(7)- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب...، ج.1، المرجع السابق، ص50.

سعره من 4 مثقال من الفضة لوحد من الذهب، إلى 8 مثقال من الفضة⁽¹⁾، وللإشارة فقد إستمر دخول الذهب السوداني طوال الفترة السعدية، رغم أن الكمية نقصت بعد موت المنصور⁽²⁾. وكانوا في معاملاتهم اليومية، يستعملون العملة النقدية من الذهب، فكانوا يدفعون الذهب مقابل الريالات البرتغالية، مما كان يعطي أرباحا كبيرة للتجار والموظفين البرتغاليين، كما كانوا يدفعون الحبوب للحصول عليها⁽³⁾.

2-الفضة:

لم يكن المغرب الأقصى خلال الفترة السعدية يحظى بنصيب كبير من مادة الفضة، حيث وجدت كميات محدودة. و كان من أهم مناجم الفضة؛ مناجم جبل ايلان⁽⁴⁾، وقرب منابع واد زيز⁽⁵⁾، غير أنها لم تكن تف بالغرض، لذلك اضطر السعديون إلى إستيراده من إسبانيا. حيث وجد إقبالا كبيرا على معدن الفضة، لحاجة السكان إليه في حليهم. إذ يذكر حسن الوزان على سبيل المثال: أن نساء هسكورة كن يتحلين بحلي جميلة من الفضة⁽⁶⁾.

3-الحديد:

إعتبر الحديد مادة حيوية وضرورية في الصناعات المعدنية السعدية، وخاصة بالنسبة لصناعة الأسلحة، وعلى رأسها المدفعية. وقد وُجد الحديد بوفرة في مناطق مختلفة بالمغرب الأقصى: كجبال دمسيرة، وناحية جزولة، ومليلية، واكجاو ومعدن عوام، وبني يستيتين⁽⁷⁾. إذ أشار حسن الوزان أن سكان جبل بني سعيد كانوا يصفون الحديد في شكل سبائك ويرسلونها إلى فاس، لعدم معرفتهم بطريقة تحويلها إلى قضبان. ويذكر أيضا أن هذا الحديد غير صالح لإستخراج الفولاذ منه⁽⁸⁾، ولعل ذلك هو السبب الذي يفسر إستيراد السعديين للكرات والأسلحة الحديدية، مثل زجاج الرماح وشفرات السيوف، وحتى الحديد على شكل قضبان طويلة أو قصيرة، بينما يقومون بتصدير الحديد الخام⁽⁹⁾.

(1) - محمد مزين، "مراكش وذهب السودان"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ع.8، ص.1992م، ص92.

(2) - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب...، ج.1، المرجع السابق، ص50.

(3) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص43-44.

(4) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص121.

(5) - مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص278.

(6) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص167.

(7) - المرجع نفسه، ص31.

(8) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص344-345.

(9) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص31.

4- النحاس:

إن تواجد السعديين بمنطقة الأطلس الصغير أعاد الروح للعديد من مناجم النحاس، بحيث ازداد إهتمام السعديين بمناجم النحاس، خاصة مع دخول هذه المادة إلى الأسواق الأوربية في القرن السادس عشر الميلادي، ما جعله يكسب قيمة متزايدة، خصوصا وأن الطلب عليه كان قويا من الدول الأوروبية⁽¹⁾. وقد كان تواجهه بمنطقة تادلة، بالقرب من أغادير⁽²⁾. وللاشارة فإن مادة النحاس كانت تذاب في سوس، والأطلس الصغير، لتصدر في شكل قضبان إلى أوروبا، وإفريقيا السوداء، كما تصنع منه أواني براقعة يقبل عليها السكان⁽³⁾.

5- ملح البارود:

نظرا لإستعماله في إنتاج البارود فقد حظي ملح البارود بإقبال شديد من طرف التجار الأجانب، حيث كان يستخرج من مناطق عديدة في المغرب الأقصى. وكان يصنع الكثير منه محليا، وتصدر كمية منه إلى الدول الأوروبية الصديقة للسعديين، كإنجلترا وفرنسا، وأحيانا إلى الجزائر والدولة العثمانية أيضا⁽⁴⁾.

6- الملح:

أما عن مادة الملح فقد كان يتم إستخراجه، ومعالجته في عديد المناطق من المغرب الأقصى، لحاجة السكان الماسة إليه. فقد إستخرج من ملاحات ضواحي بحيرات فاس⁽⁵⁾، وكذا من ملاحات إقليم دكالة⁽⁶⁾، ومن ملاحات مليلية في الشمال⁽⁷⁾. وفي عهد أحمد المنصور الذهبي إستفاد من هذه المادة إستفادة كبيرة، خاصة عندما وضع يده على ملح تغازي، بحيث أنه إستفاد مرتين:

- الأولى: عندما فرض على تجارة الملح مئقالا من الذهب على كل حمل.

(1)- الموساوي العجلوي، " دار السكة بمراكش في العهد السعدي التمويل المعدني وتقنيات الصناعة النقدية"، أشغال الملتقى الثاني 1990م بعنوان "مراكش خلال العصرين المريني والسعدي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ع.8، س.1992م، ص113.

(2)- إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع...، المرجع السابق، ص286.

(3)- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب...، ج.1، المرجع السابق، ص49.

(4)- عمارة بن خروف، العلاقات الإقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، ج.2، [د.ط.]، (المغرب: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م)، ص41.

(5)- دواد داوادي، العلاقات التجارية بين المغرب ودول غرب أوروبا المتوسطة خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تخصص: التاريخ الحديث، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة غرداية- الجزائر، 1433-1434هـ/2012-2013م، ص36.

(6)- ديبكتودي طوريس، المصدر السابق، ص27.

(7)- مارمول كبرخال، المصدر السابق، ج.2، ص260.

- والثانية: لأنه سيطر على أداة تبادل هامة وضرورية للتجارة مع السودان، حيث كان الملح يباع مقابل الذهب وزنا بوزن، وكان يحقق أرباحا تصل إلى 200% و 400%. وكان منجم تغازي يعتبر آنذاك من أكبر مناجم الملح في الصحراء⁽¹⁾.

7- معادن أخرى:

هي أقل أهمية من المعادن الأخرى التي سبق وأن أشرنا إليها ومنها ما يلي:

- **حجر الشب:** كان موجوداً بكثرة في المغرب، كان ضمن صادراته إلى إنجلترا.

- **الازور:** نجده ضمن صادرات المغرب إلى هولندا.

- **الكبريت:** كان متوفراً بالمغرب، ولكن لم يكن كافياً لتلبية الحاجيات المحلية.

- **الكحل:** وهو أيضاً من المنتجات التي لا يعطي فائداً كافياً للتصدير⁽²⁾.

- **المرمر:** يستخرج من جبل هنتاتة، على بعد 150 ميلاً من مراكش، وهو شديد البياض والصفاء، ولكن أهل البلد لا يقدرونه، ولا يعرفون طريقة إستخراجه، ولا صقله، وبالتالي فإنه لا يدخل ضمن صادرات البلاد⁽³⁾.

ج. صناعة الأسلحة:

أدرك السعديون من خلال معاركهم التي خاضوها ضد الإحتلال الأيبيري ضرورة إمتلاكهم أسلحة قوية، تكون قادرة على تحقيق التفوق العسكري على القوى الإيبيرية، وطردها من الثغور السعدية⁽⁴⁾. إذ يعتبر الباحث محمد المهناوي أن السلاح الناري كان أساسياً في قيام الدولة السعدية، حيث قال: " إذا كانت الدولة بالمغرب الوسيط لا تقوم إلا بالعصية والمال فإن قيام الدولة بالمغرب خلال القرن 16 لم يكن ممكناً إلا بتوفيرها على المال والسلاح الناري"⁽⁵⁾.

لذلك إهتم السعديون الأوائل منذ بداية حكمهم بإقتناء الأسلحة والذخيرة والسفن، والمواد الأولية المساعدة على صنعها بالمغرب الأقصى. وسعوا إلى جلب اليد العاملة، وتنشيط التجارة مع مختلف الجنسيات، بواسطة المغريات والإمتيازات، وخاصة التجارة مع إسبانيا والبرتغال الذين لعبوا دوراً أساسياً في صناعة الأسلحة، وتجهيز السفن⁽⁶⁾.

(1) - عثمان المنصوري، **التجارة بالمغرب...**، المرجع السابق، ص31.

(2) - المرجع السابق، ص32.

(3) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 142.

(4) - حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص258.

(5) - محمد المهناوي، " دور التجارة الأوروبية في تعزيز الهياكل السياسية بمغرب القرن السادس عشر من خلال نموذج السلاح الناري "، **ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ المغرب**، ج.2، (الدار البيضاء: كلية الآداب و العلوم الإنسانية -عين الشق، 1989م)، ص 177.

(6) - عثمان المنصوري، **التجارة بالمغرب...**، المرجع السابق، ص36.

وقد أنشأوا لذلك الغرض عدة مصانع؛ في مراكش وفاس وتارودانت، وقد أشار إلى ذلك مارمول بقوله: "... وفي مراكش عاصمة السعديين، يوجد أمام السجن قصر كبير يدعي قصر النصر يصهر فيه سلاح المدفعية، وتصنع فيه الأسلحة والذخيرة الحربية...".⁽¹⁾ وقد إعتمدوا على العناصر المحلية في إدارة مصانع إنتاج مختلف الأسلحة، وكذا الأندلسيين والعثمانيين والأعلاج، كما إستخدموا المستعبدين كيد عاملة فيها، وأنتجوا أولى مدافعهم⁽²⁾ من نحاس منجم تتريرة، الذي تم إكتشافه في (946هـ/1539م)، وفي نفس الفترة أنتجت أيضا أولى كور المدفعية من حديد جزولة، وتم أيضا اكتشاف سر إنتاج القنابل⁽³⁾. لقد غصت مخازنهم المدافع والأسلحة المختلفة، والذخيرة المصنعة محليا، ومع ذلك كان السعديون لا ينفكون يستوردون الأسلحة والذخيرة من أوروبا، وكان بعض الملوك أمثال: عبد الملك عارفا بصناعة الأسلحة، وبياشر الأمور بنفسه⁽⁴⁾؛ فقد أشرف على صنع سبع قطع مدفعية، وعلى إنتاج العديد من البنادق. ويمكن القول أن صناعة الأسلحة السعدية استمرت في التطور بعد منتصف القرن 16م. وتجلى ذلك في إستيراد السعديين للمواد الأولية لصناعة الأسلحة، كما تجلى في المدفع ذي التسع فوهات الذي أهده عبد المالك إلى الجيش العثماني، حيث إستعان به ضد أخيه المتوكل⁽⁵⁾، ويمكن القول أن تطوره رافق تطور المشروع السياسي للدولة السعدية منذ بدايتها، لإدراكهم الأهمية الكبيرة لامتلاك وتصنيع الأسلحة، وخاصة صنف المدفعية، في خوض المعارك. مما دفعهم إلى الإهتمام بإنتاج قطع المدفعية بتعدد أحجامها، وإختلاف أشكالها، وتباين عياراتها النارية، معتمدين في ذلك على الخبرة الأجنبية⁽⁶⁾.

أما في فترة حكم أحمد المنصور، فقد إعتد في تقوية مؤسسة السلطان على تكوين جيش نظامي مرتبط أساسا بشخصه، وسهر على تجهيزه بأحدث الأسلحة النارية، إذ شجع على صناعة الأسلحة، وإهتم بإنتاج البارود، وصنع حوامل المدافع، وكراتها، مستفيدا في ذلك من توفر المغرب الأقصى على مناجم ملح البارود، والحديد والنحاس⁽⁷⁾. حيث كان يتم تصنيعها في " دار العدة "، وقد أشار إليها الفشتالي حيث قال: "... وأما ما يفرغ مع الأيام من مدافع النار ومكاحلها بدار

(1) - مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص ص 51-52.

(2) - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 40.

(3) - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص 288.

(4) - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 40.

(5) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 37.

(6) - امبارك بوعصب، "علم الأسلحة خلال العصر السعدي: من خلال مخطوط العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع"،

مجلة قضايا تاريخية، الجزائر، ع.3، س.1437هـ/2016م، ص 50.

(7) - محمد قبلي وآخرون، المرجع السابق، ص 386.

العدة المائلة قرب أبوابهم...⁽¹⁾، ومما يؤكد ما ذهب إليه الفشتالي ما ذكره " دي صالدانيا " حيث قال: "...أمر [أي السلطان المنصور] بإقامة معمل تصهر فيه قطع المدفعية ويصنع البارود بوفرة، وكان يخزن منه كل سنة ما يزيد على ألفي قنطار فضلا عما كان يستهلكه الجند، وأقام معملا آخر لصناعة البنادق والسيوف وسروج الخيل صناعة تامة الإتقان...⁽²⁾، ولضمان حسن سير تلك المصانع إستغل المنصور خبرة الأسرى الأوروبيين، الذين وقعوا في معركة وادي المخازن 1578م، بالإضافة إلى الإستفادة من معلمين إنجليز وفلامنك وفرنسيين⁽³⁾، ولم يكتف أحمد المنصور بالتصنيع، بل كان يستورد السلاح من الخارج⁽⁴⁾، وكان يحصل عليه من ملكة إنجلترا " إليزابيث "، وهولندا؛ أي الدول البروتستانتية⁽⁵⁾، التي أعلنت تحديها البابوي، وأصبحت تتبع للمسلمين السلاح، الذي كان يعتبر خيانة كبرى للعالم المسيحي⁽⁶⁾.

وقف كل من الإسبان والبرتغال المتضررين من تجارة الأسلحة موقفا صارما منها، وخاصة دولة البرتغال التي اعتمدت على براءات البابوية بتحريم بيع الأسلحة إلى السعديين، ومعاقبة كل من يبيع لهم، وقد تم ذلك المنع لتجارة الأسلحة من طرف العديد من الدول الأوروبية، إلا إنجلترا بحكم مخالفتها للمذهب الكاثوليكي وتبنيها المذهب البروتستانتية، فقد خالفت قرارات البابا، وأصبحت هي المورد الأول والرئيسي للأسلحة إلى الدولة السعدية⁽⁷⁾.

إستمرت صناعة الأسلحة خلال العهد السعدي حتى بعد وفاة المنصور، ودخول المغرب الأقصى مرحلة الفوضى والضعف؛ وما يؤكد ما ذهبنا إليه أننا أثناء بحثنا في هذه الدراسة وجدنا مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية بعنوان: " العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع " لمؤلفها إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكرياء الأندلسي⁽⁸⁾، الملقب ب: " رياش "⁽⁹⁾. وبالنظر لما يحمله المخطوط من مادة علمية دسمة فإنه يقدم لنا وصفا

(1) - عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 210.

(2) - دي صالدانيا انطونيو، المصدر السابق، ص 73.

(3) - المصدر نفسه، ص 73.

(4) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج 6، ص 198.

(5) -Mercedes Garcia- Arenal ,op.cit, p46.

(6) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج 6، ص 198.

(7) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 47-49. ينظر أيضا: محمد المهناوي، المرجع السابق، ص 181-186. ينظر

أيضا: Mercedes Garcia-arenal ,op.cit, p45.

(8) - هو إبراهيم بن أحمد غانم بن محمد بن زكريا، الملقب بالرياش: عارف بآلات الحرب، أندلسي، رحل من غرناطة ونزل بمراكش، وقد صنف بالإسبانية

كتابه: " العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع ". ينظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 1، ص 30.

(9) - إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكرياء الأندلسي ريفاس، العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع، المكتبة الوطنية الجزائر، رقم 1511، ص ص 1-236.

دقيقا عن الطرق المتبعة في صناعة الأسلحة، وكذا المدافع، وغيرها من التقنيات الحربية زمن السعديين. ويمكن القول أن هذا المخطوط يعد مصدراً أساسياً في المجال العسكري، كونه يعطينا صورة كاملة عن مجال صناعة الأسلحة بمختلف أنواعها، وكذا صناعة البارود والمدافع، والآلات الحربية وغيرها.

إنطلاقاً مما سلف ذكره فقد إهتم السعديون الأوائل منذ بداية قيام دولتهم بصناعة الأسلحة، وشراءها من الخارج، وقد إستمر ذلك المشروع إلى غاية سقوط الدولة. يمكننا القول أن صناعة الأسلحة بالدولة السعدية قد رافق مشروعهم السياسي، على إعتبار أنها دولة قامت على أساس الجهاد ضد الغزو الأيبيري، وكذا محاولتها إعادة لم شمل المغرب الأقصى من جديد، من خلال توحيد الصفوف، والقضاء على خصومهم.

خامساً: النشاط التجاري:⁽¹⁾

أ- التجارة الداخلية:

عرفت التجارة الداخلية خلال العصر السعدي نشاطاً واسعاً، وذلك بسبب توفر الأمن والإستقرار⁽²⁾، حيث حرص أحمد المنصور على توطيد دعائم الأمن في البلاد؛ لما للإستقرار من أثر في ازدهار الحياة الإقتصادية وتطورها، فعمل المنصور⁽³⁾ على توفير الأمن في الطرق، والأسواق والأرياف والمدن، كما أنشأ الحاميات العديدة في المواقع الخطيرة، وقد عاقب بشدة كل من حاول قطع الطريق، أو إشاعة الفوضى في الأسواق، من الأفراد أو القبائل⁽⁴⁾. وبفضل تلك السياسية التي إنتهجها المنصور فقد حقق الأمن النسبي، الذي بسببه عم دولته الكثير من المنجزات، داخل البلاد وخارجها؛ لاسيما في المجالات الإقتصادية المختلفة؛ ومنها تحكمه في طرق تجارة القوافل⁽⁵⁾، بالإضافة إلى نمو الزراعة؛ خاصة في البوادي وإزدهار الصناعة بالمدن. وهذا ما أدى إلى انتعاش التجارة الداخلية، وذلك من خلال تزايد عدد الفنادق في المدن، وإنتشار الأسواق اليومية، والأسبوعية والموسمية⁽⁶⁾.

(1)- ينظر: ملحق رقم 16، ص 277.

(2)- حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص 262.

(3)- محمد أمراني علوي، المرجع السابق، ص 122.

(4)- عمار بن خروف، ملامح من الحياة الإقتصادية...، المرجع السابق، ص 77.

(5)- تجدر الإشارة على أن المنصور عمل على تنشيط التجارة الداخلية، من خلال تمهيد الطرق التي بنى فيها المنازل والخيام، تسهلاً لتنقل التجارة والبضائع في أمان، وكان المنصور يُحْمَل مسؤولية الأمن بالطرق للأعيان، ولشيوخ القبائل من العرب و البربر. ينظر: القدوري عبد المجيد، المرجع السابق، ص ص 209-210.

(6)- حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص 262.

- الأسواق:

تعرف الأسواق⁽¹⁾ بأنها عبارة عن تجمعات كبرى للتداول التجاري⁽²⁾، بحيث كانت تنصب في المدن السعدية الكبرى؛ مثل: فاس ومراكش، حيث كانت مزدحمة بالدكاكين المملوءة بالبضائع والمنتجات المختلفة، وقد كانت الشوارع الرئيسية لتلك الأسواق مغطاة، وذلك لوقاية الزبائن والبضائع من أمطار الشتاء، وحر الصيف. أما في البوادي فقد أقيمت الأسواق في المراكز الهامة، حيث تباع فيها الحبوب، والماشية والجلود، وأنواع البضائع، ومختلف المنتجات. وكان التجار يقومون بالتجوال فيها بانتظام للبيع والمبادلة⁽³⁾، وللاشارة فقد كانت الأسواق الكبرى تعقد كلما قدمت القوافل، بينما كانت الصغرى تعقد يوميا، وأسبوعيا، وكانت تلك الأسواق عبارة عن اتصالات بين القبائل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي فرصة للمقايضة⁽⁴⁾.

أما عن مواعيد إنعقادها فقد اختلفت من منطقة إلى أخرى، فمثلا يعقد يوم الخميس في مدينة مراكش⁽⁵⁾، في حين يعقد يوم السبت في مدينة تيديسي⁽⁶⁾، أما في مدينة مكناس فكان يعقد يوم الإثنين، خارجها بقرب الأسوار⁽⁷⁾.

وبالإضافة إلى الأسواق اليومية، والأسبوعية التي كانت تقام كأسواق موسمية⁽⁸⁾، فمثلا يقام في منطقة جزولة سوق يستمر لمدة شهرين؛ يقدم خلالها الطعام للغرباء، وتعقد فيها الهدنة بين القبائل، ويختار رئيس كل جماعة قائدا ومائة من الرجال للقيام بالحراسة، والمحافظة على أمن السوق⁽⁹⁾. أما في منطقة اديكيس - إقليم مدينة حاحا - فكان يقام كل سنة سوق تستمر لمدة خمسة عشر يوما، تباع فيه البهائم والزبد والزيت، وكذلك الحديد والثياب المنسوجة في البلاد⁽¹⁰⁾.

والجدير بالذكر فإن التجار كانوا يجتمعون بحسب أصناف بضائعهم كل على حدة، حيث يتم ترويجها، إذ يشرف على تسيير وتنظيم الأسواق محتسب⁽¹¹⁾، حيث يأمرهم بعرض بضائعهم في

(1) سميت السوق بهذا الاسم لأن التجارة تجلب إليها، والمبيعات تساق نحوها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج.10، [د.ط.]، (بيروت: دار صادر، [د.س.]، ص 168.

(2) - دواد داودي، المرجع السابق، ص78.

(3) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص 259-260.

(4) - دواد داودي، المرجع السابق، ص78.

(5) - دكتوذي طويريس، المصدر السابق، ص 135.

(6) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 119.

(7) - المصدر نفسه، ج.1، ص215.

(8) - دواد داودي، المرجع السابق، ص79.

(9) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص145.

(10) - المصدر نفسه، ج.1، ص101.

(11) - تعتبر من الوظائف الدينية، التي تنبثق عن المبدأ الإسلامي " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "، وكحصيلة للتجربة التاريخية للمجتمع الإسلامي، تطورت هذه الوظيفة وأصبحت تعنى بضبط نشاط الأسواق، كالكشف عن الغشاشين في المواد الغذائية، وإنزال بعض العقوبات بالمخالفين، محاربة=

الأسواق العامة، من أجل معرفة السلع العادية، من السلع المهربة. وكان يعاقب من تحايل على أداء الواجبات بجلده، كما كان يأخذ نسبة اثنين في المائة على سكان المدينة، كواجب دخول أو خروج السلع من السوق، ونسبة ثمانية في المائة على الغريباء، وكانت تلك الرقابة صارمة، إذ يحكم على المخادعين والغشاشين برد المال، وبمائة جلدة، وعلى اللصوص بالقتل⁽¹⁾.

وللإشارة فقد عرفت الدولة السعدية شبكة واسعة من الطرق والمسالك التي ربطت مختلف المدن الداخلية، وسهلت عملية التبادل التجاري بينها⁽²⁾. ومن أهم تلك الطرق التجارية نذكر:
1- **طريق فاس - مراكش**: يعتبر من أهم الطرق التجارية بالمغرب الأقصى، حيث يربط بين إقليمين أساسيين في الداخل المغربي، ويتفرع عن هذا الطريق طرق أخرى، حيث يعتبر من أصعب الطرق التجارية التي تمر عبر بولعوان، على نهر أم الربيع، ومنها تمر عبر ممرات جبال الأطلس⁽³⁾، ثم تسير القوافل التجارية عن طريق جبل انماي، المحاذية لسفوح الجبال. والتي تبعد عن مراكش بأربعين ميلا⁽⁴⁾.

2- **طريق فاس - أغمات**: تعد من بين الطرق التجارية المستعملة منذ العصر الوسيط، فقد كان مركزاً تجارياً وعمرانياً يمتد إلى جنوب المغرب الأقصى نحو مدينة سجلماسة، إذ يمر عبر عدة مراكز تجارية مزدهرة، مثل: بلد زرواغة التي يجتمع فيها تجار فاس، وسجلماسة⁽⁵⁾. ثم يستمر الطريق نحو السوس، عبر جبل درن، والتي تقطعه القوافل في ثمانية عشر مرحلة⁽⁶⁾.

3- **طريق فاس - تمبكتو**: تمر الطرق التجارية متجهة نحو تمبكتو عبر درعة، وسجلماسة، في سبعة أيام، ومن سجلماسة إلى فاس ثلاثة عشر يوماً. وقد كان ذلك الطريق يحتوي على العديد من المراكز التي يقيم بها التجار الأجانب والدرعيين.

4- **طريق مراكش - تارودانت**: يمتد ذلك الطريق الرئيسي من مراكش إلى تارودانت، في مضيق عبر جبلي تانزيرا، ونفيفة، بجبال الأطلس الكبير، التي تحد بين مراكش، وإقليم السوس.

=المنكرات، مثل: بيع الخمر أو التدخين وسائر المحرمات، والتصدي لبعض الظواهر الربوية. ينظر: محمد المغراوي، " الحسبة بالمغرب "، **معلمة المغرب**، ج.10، [د.ط.]، (سلا: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1410هـ/1989م)، ص 3403-3407. ينظر أيضاً: عبد الحميد حسين حمودة، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية**، ط.1، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2006م)، ص 266-269.

(1)- دواد داودي، المرجع السابق، ص79.

(2)- المرجع نفسه، ص56.

(3)- مرمول كرخال، المصدر السابق، ج.2، ص 103.

(4)- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 137.

(5)- سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، ج.3، (مصر: مطبعة المعارف، [د.س.])، ص 509-510.

(6)- بان علي محمد البياتي، **النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (القرن 3-5هـ/9-11م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الآداب في تاريخ المغرب الإسلامي، كلية التربية للبنات -قسم التاريخ، جامعة بغداد -العراق، 2003-2004م، ص 33-34.

5- طريق مراكش -تمكروت: يمر ذلك الطريق عبر وادي تنيسفت، نحو درعة بمسيرة شهر كامل.
6- طريق مراكش-القصر: تعد من أهم الطرق التجارية النشطة بالمغرب الأقصى، وأكثرها حيوية، كونها تربط السواحل المحتلة على المحيط الأطلسي، بالإضافة إلا أنها تتفرع عند مدينة القصر إلى طريق فرعية، تربط بينها وبين أصيلا والعرائش، وطنجة. ويحتوي ذلك الطريق على ست عشرة مرحلة، وثلاثة أيام، بين مراكش وآسفي ، وإلى أزمو، ومازيغن يومان ونصف اليوم⁽¹⁾.
ب- التجارة الخارجية:

لقد كان للعلاقات الدبلوماسية للدولة السعودية مع الخارج أثر كبير في تطور التجارة الخارجية للمغرب الأقصى، حيث أقبل التجار الأجانب من جميع دول أوروبا الغربية على الدولة السعودية⁽²⁾، وقد شجعهم على ذلك حرص السعديين على توفير كل الشروط الضرورية لإزدهار التجارة الخارجية، وفي مقدمتها أمن وإستقرار الطرق التجارية، كما عمل السعديون على إيجاد منافذ بحرية عديدة في وجه التجارة الخارجية مع أوروبا ومع غيرها⁽³⁾، كما سعوا إلى التحكم في محاور التجارة مع بلاد السودان، وحاربوا المنافسة الخارجية للتجارة السعودية⁽⁴⁾ مع هذه الأخيرة، ولا سيما منافسة البرتغاليين الذين وصلوا إلى خليج غينيا عام 1440م. واتصلوا بمصادر الذهب السوداني، والعبيد من الزوج، وأنشأوا عدة مراكز تجارية على المحيط الأطلسي⁽⁵⁾. ومنها إنطلقوا في إحتكار التبادل التجاري، والقضاء تدريجيا على تجارة القوافل، كما شرعوا في ربط وإقامة العلاقات، والتحالفات مع بعض القبائل، والحكام الأفارقة، والسعديين على طول السواحل التي كانوا ينزلون بها⁽⁶⁾.

(1) - داود داودي، المرجع السابق، ص 57-58.

(2) - حميد آيت حبوش، المرجع السابق، ص 266.

(3) - ظهرت جهود السعديين في إيجاد المنافذ البحرية في وجه التجارة الخارجية السعودية، من خلال العمل على تحرير بعض المواقع الساحلية للمحيط الأطلسي مثل: تحرير تافتنا سنة 1514م، على مقربة من أغادير على يد القائم بأمر الله، والذي أصبح يوفر دخل تجاري قار وهام، حيث يتم عبره تهريب الأسلحة، وكان يعتبر الميناء الرئيسي لأعمال التجارية قبل أن استرداد أغادير سنة 1541م، والذي كان له وقع كبيرا على المغرب الأقصى، إذا على إثره اضطر البرتغاليون إلى إخلاء آسفي وأزمو، كما صار بإمكان السعديين إستقبال التجار الأجانب. ينظر: محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 34، 37. ينظر أيضا: حليلة بنكري، مداخل بيت مال...، المرجع السابق، ص 27.

(4) - أما جهود السعديين في محاربتهم للمنافسة الخارجية للمغرب الأقصى في التجارة مع بلاد السودان فتجلت في الحملة التي قادها محمد الشيخ، في حدود سنة 1543م إلى ودان، التي نجح البرتغاليون في استمالة شيخها إلى التجارة معهم، في مركزهم التجاري الساحلي الذي أقاموه لهذا الغرض في أرجن، ونجاح تلك الحملة في إخضاع ذلك الشيخ، وإحباط المساعي البرتغالية. ثم أن محمد الشيخ أخذ يخطط منذ ذلك التاريخ لإخضاع بلاد السودان، وهو ما تحقق في عهد ولده أحمد المنصور، الذي نجح في إخضاع بلاد السودان الغربي بالقوة في نهاية القرن (10هـ/16م)، والقضاء بذلك على المنافسة التي كان السعديون يعانون منها في التجارة معه. ينظر: عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 41-42.

(5) - عمار بن خروف، ملامح من الحياة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 77.

(6) - داود داودي، المرجع السابق، ص 24.

يضاف إلى ذلك التخفيف من الرسوم على التجار السعديين، أو إلغاء بعضها تماما في عهد أحمد المنصور⁽¹⁾، وتخفيض الرسوم الجمركية على التجار الأجانب بحيث لا تتجاوز 10% في الواردات إلى الدولة السعدية، وأقل من ذلك عن الصادرات منه⁽²⁾.

ناهيك عن المعاملة الحسنة للتجار الوافدين إلى المغرب الأقصى، والترحيب بهم، وإعطاء الأمان لهم طيلة إقامتهم فيه⁽³⁾، بالإضافة إلى فتح المجال أمامهم⁽⁴⁾، ومنحهم كل التسهيلات الممكنة، وهذا ما سمح بتزايد أعدادهم بصفة كبيرة، فإكتسبوا مع مرور الزمن خبرة، ومعرفة بخباياه الاقتصادية. فأصبح الكثير منهم يستخدمون السعديين كسماسرة يوزعون السلع الأوروبية، ويجمعون السلع الإفريقية، والمواد الخام، والسلع المغربية بغرض تصديرها إلى أوروبا⁽⁵⁾.

- كذلك بناءه الجسور والقناطر على الأنهار وفي الممرات الصعبة، تسهيلات للمواصلات بين مختلف الجهات في داخل المغرب، كقنطرة تانسيفت بمراكش، وكذلك جسر نهر أم الربيع السفلي، وقنطرة بين المدن بفاس، وقنطرة على وادي سبو⁽⁶⁾، علاوة على إهتمام المنصور بالموانئ على الساحل الأطلسي، وكذا ساحل البحر المتوسط، والتي ساهمت في حركة النشاط التجاري، وعلى سبيل المثال لا الحصر ميناء العرائش، وسلا، وتطوان، وآسفي، وأغادير، وسبتة وغيرها، من الموانئ الكبيرة التي كانت توجد بها الفنادق، ومخازن التجار والوكالات التجارية، ومراكز للجمارك، والتي كانت تشبه المناطق الحرة في عصرنا الحالي. وبذلك أضحت الحركة التجارية تسير في يسر وسهولة⁽⁷⁾.

- توفير العملة النقدية التي إستكثر منها السلاطين السعديون الأوائل، ولا سيما السلطان المنصور⁽⁸⁾، وهذا ما أشار إليه الأفراني فقال: "... وكانت ببابه كل يوم أربعة عشر مائة مطرقة لضرب الدينار، دون ما هو معد لغير ذلك..."⁽⁹⁾. وقد كان الإقبال شديدا على العملة السعدية من

(1)- تجدر الإشارة إلى أن الأمراء السعديين قد اتبعوا سياسة محاربة الاحتكار البرتغالي للتجارة بالمراكز السعدية التي سيطروا عليها، حيث أنه كانت الضرائب الجمركية بأكادير مرتفعة جدا، بحوالي 20%، مما كان يبعد التجار عن التعامل مع البرتغاليين، في حين أن الأمراء السعديين عملوا على تخفيض الرسوم الجمركية إلى 10%، لأنها أصبحت رمزية فقط، ونشير هنا إلى أن الضرائب الجمركية تدخل فيما يفرضه الشرع لبيت المال. إذ يعتبر الفقهاء المالكيون دخل البحر فيئا، أي محصلا بدون حرب، ويتميز بالتالي عن الغنيمة التي هي دخل يحصل عليه بالقوة. ينظر: حليلة بنكرعي، مداخل بيت مال المغرب...، المرجع السابق، ص 27-28، 39.

(2)- عمار بن خروف، ملاح من الحياة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 78.

(3) - المرجع السابق، ص 78.

(4)- إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص 32.

(5)- داود داودي، المرجع السابق، ص 37.

(6)- أحمد المقرئ، روضة الإس...، المصدر السابق، ص 22.

(7)- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج. 6، ص 263.

(8)- عمار بن خروف، ملاح من الحياة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 78.

(9)- محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص 168.

قبل التجار الأوروبيين الذين كانوا يهبونها على الرغم من المراقبة الشديدة، التي فرضها المنصور للحيلولة دون ذلك.

وبفضل كل تلك التدابير المذكورة عرفت التجارة الخارجية مع دول عديدة إنتعاشا، بل إزدهارا ملحوظا في عهد السعديين، ولاسيما في خلال النصف الثاني من القرن (10هـ/16م)⁽¹⁾. خاصة مع وجود نشاط صناعي وزراعي، والذي انعكس على الحركة التجارية. وعليه فقد كانت الدولة السعدية تتاجر مع:

أ- التجارة مع أوروبا:

1- إنجلترا:

سبق وأن أشرنا إلى العلاقات الطيبة التي كانت تجمع بين البلدين، والتي كان يغلب عليها الطابع الإقتصادي، بهدف الحصول على الأسلحة والمعدات الحربية، في ظل تنامي القوى الإقليمية ضد الدولة السعدية، وفي مقدمتها الإسبان والبرتغال، بالإضافة إلى الدولة العثمانية. لذلك لجأ السعديون إلى تعزيز النشاط التجاري بين البلدين لمختلف البضائع الأخرى، حيث استحكمت العلاقات أكثر في فترة أحمد المنصور وإليزابيث، وقد توجت تلك العلاقة بتأسيس الشركة البربرية للتجارة في سنة 1585م، والتي منحتم حق إحتكار التجارة الإنكليزية مع المغرب الأقصى لمدة 12 سنة، وتطورت العلاقة إلى تحالف سياسي وعسكري، وإقامة مشاريع مشتركة ذات طابع إقتصادي، كغزو الهند وإستغلال خيراته. لكنها لم تتحقق لإنعدام الثقة الكاملة بين الطرفين⁽²⁾.

على العموم ما يمكن قوله حول التبادل التجاري بين البلدين؛ أن السعديين كانوا يستوردون من إنجلترا الأسلحة والمعدات الحربية، كالمدافع والبنادق والبارود، والرصاص والقنابل، بالإضافة إلى الزعفران وبعض الثياب الحريرية، التي كانت تصل إلى المغرب الأقصى سرا بسبب عداة بعض الدول، خصوصا إسبانيا والبرتغال. أما صادرات السعديين إلى إنجلترا فإشتملت على المواشي، وألف صندوق من السكر سنويا، وكميات من الذهب والجلود والتمر، والشمع واللوز وريش النعام⁽³⁾. تجدر الإشارة إلى أن العلاقات بينهما مرت بفترة من الفتور في أواخر عهد

(1) - عمار بن خروف، ملامح من الحياة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص ص 78-79.

(2) - المرجع نفسه، ص 80.

(3) - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص 290.

المنصور، ثم إستؤنفت العلاقات التجارية من جديد، وإستمرت التجارة بينهما حتى بعد موت المنصور⁽¹⁾.

- مع باقي دول غرب أوروبا: فبعد إنجلترا تأتي كل من فرنسا، إسبانيا إيطاليا، وهولندا. ما يمكن قوله عن الصادرات السعدية إلى أوروبا، أنها كانت عبارة عن: السكر، التمر، والشمع، والجلود، وبعض المعادن كالححاس، وملح البارود، والذهب⁽²⁾. أما الواردات السعدية من أوروبا فكانت الأسلحة المختلفة؛ الهجومية والدفاعية، ومعدات بناء السفن، وبعض الأدوات المعدنية الجاهزة، وتأتي الأقمشة الصوفية، والكثانية العالية الجودة⁽³⁾.

2- مع بلاد السودان:

لقد كان للجوار التاريخي بين المغرب الأقصى والسودان الغربي دور بارز في تنشيط الحركة التجارية بينهما منذ أزمنة قديمة، مروراً بالفترة الوسيطية، وصولاً إلى الفترة الحديثة قيد الدراسة، وقد تجلّى الإزدهار التجاري بينهما في تكثيف الحركة التجارية للقوافل التي ربطت بين السعديين والسودان الغربي منذ العصور الوسطى، وكذلك في تعدد الطرق والمسالك، والتي امتدت حتى المحيط الأطلسي و في إتجاه الشرق⁽⁴⁾.

على العموم فإن التجارة السعدية مع بلاد السودان كانت دوماً مترابطة فيما بينها؛ تزدهر بازدهارها، وتضعف وتتدهور بتدهورها. وقد بلغت الدولة السعدية مبتغاها في التجارة مع تلك البلاد حين سيطرت عليها، وقضت على المنافسين لها في التجارة معها، وبذلك أصبحت مدنه الجنوبية كتدسي، وتارودانت، ومراكش المحطات الأخيرة للقوافل التجارية مع بلاد السودان طوال عهد المنصور⁽⁵⁾. وقد إتضحت مدى أهمية المنطقة ومؤهلاتها في التبادل التجاري بين الشمال والجنوب، وذلك أنه على مدى القرون التي تلت القرن 16م، لم تتوقف القوافل عن قطع الصحراء الكبرى لربط المغرب بهذا الجزء من إفريقيا⁽⁶⁾. و خاصة خلال فترة حكم السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي.

(1) - عمار بن خروف، ملامح من الحياة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 80.

(2) - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 42.

(3) - عمار بن خروف، ملامح من الحياة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 81.

(4) - عمر ناجيه، " الجوار وامتداداته التاريخية بين المغرب وغرب الصحراء الكبرى والسودان الغربي من خلال النشاط التجاري "، مجلة البحث التاريخي، المغرب، ع. 13-14، س. 2017م، ص 192.

(5) - عمار بن خروف، ملامح من الحياة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 82.

(6) - محمد أبيهي، توكبوكتو موكادور، " نموذج التواصل الحضاري الثقافي بين الشمال والجنوب "، مجلة ليكسوس في التاريخ و العلوم الإنسانية، المغرب، ع. 1، س. 2016 م، ص 20.

أما فيما يتعلق عن الصادرات والواردات ما بين الدولة السعدية والسودان الغربي فقد كانت الصادرات السعدية إلى بلاد السودان تتركز في الأدوات الحديدية، والنحاسية المصنعة في المغرب الأقصى، والخيول، والتمر، والحبوب، والكتب⁽¹⁾. أما أبرز الواردات فكانت: الذهب والملح والرقيق⁽²⁾. وفيما يتعلق بالذهب أو التبر، فقد نجح المنصور بعد احتلاله للسودان الغربي 1591م⁽³⁾، في الحصول على كميات كبيرة من الذهب، حيث تشير بعض الرويات أن قائد الحملة زرغون (1003هـ/1594م) أخذ معه حوالي 30 دابة محملة بالذهب؛ أخذها من تجار تنبكت، وتلك الكمية تقدر بحوالي 100.000 قطعة ذهبية، والتي قدرت ب 425 كجم، وبذلك فإنه يمكن القول أنه كان يكفي 50 جملا لنقل كل إنتاج السودان الغربي سنويا⁽⁴⁾.

3- مع الجزائر:

تجدر الإشارة إلى أن العلاقات التجارية ما بين البلدين كانت قائمة، ومستمرة بالرغم من التقلبات التي ميزت المشهد السياسي بينهما في الفترة قيد الدراسة، غير أن العلاقات الاقتصادية بينهما لم ترتق إلى مستوى إتفاقيات اقتصادية، أو إلى تحديد للرسوم الجمركية مثلا، كما أنه لا يتبين لأول وهلة وجود حرب اقتصادية ضد بعضهما. إلا أن اتجاه الحكم العثماني نحو الجنوب الجزائري، وسيطرته على المراكز التجارية فيه مع بلاد السودان، وبالمقابل إحتلال المغرب للسودان الغربي، يؤكد التنافس الاقتصادي الخفي بين الجزائر والمغرب الأقصى على التجارة مع بلاد السودان، منبع الذهب والعبيد من الزنوج، بل يمكن أن يرى في إحتلال المنصور لتوات ثم للسودان حربا واضحة، إذ إستطاع أن يحول محور التجارة مع السودان من الجزائر وتونس وليبيا، إلى المغرب بصفة خاصة، ولو أن بقاء القوى السعدية في السودان لم يدم طويلا بعد موت المنصور⁽⁵⁾.

أما عن المواد المتبادلة ما بين البلدين فإننا نجد أن صادرات الجزائر إلى المغرب الأقصى كانت: الحرير المنسوج، والفضة والخردوات، وأدوات الزينة⁽⁶⁾، العسل والسكر، الخيول القطن، والحديد والجلد، الذهب الخام، ريش النعام، العاج، دواب الركوب، الماشية، التمور الجزائرية

(1) - عمار بن خروف، ملامح من الحياة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 83.

(2) - ميهوب بن فارج، " المعاملات التجارية بين المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي ق(08-10هـ/14-16م) "، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، م. 13، ع. 1، س. 2021م، ص ص 234-235.

(3) - عمار بن خروف، ملامح من الحياة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 83.

(4) - Mauny Raymond, Tableau géographique de l'ouest Africain au moyenage-d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie. (Ifan-dakar: smithsonian institution libraries, 1961), p377.

(5) - عمار بن خروف، ملامح من الحياة...، المرجع السابق، ص ص 83-84.

(6) - محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ط. 1، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972م)، ص 104.

والسودانية، الأسلحة النارية، السيوف الأحزمة، الحبال والدروع، البغال، الصابون⁽¹⁾. كما كانت قوافل الحجيج تلعب دوراً كبيراً في التبادل التجاري عند مرورهم ببسكرة، متجهين إلى تونس ومنها إلى البقاع المقدسة، حيث أن السعديين كانوا يتزودون بالزيتون والكتان والحناء، والفواكه والخضر والبقول واللحوم⁽²⁾.

أما عن الصادرات السعدية للجزائر فكانت سلعا مختلفة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: الجلود المدبوغة، وجلود الأغنام، وبعض الخيول، والسروج، وسجاد فاس بكميات كبيرة، بالإضافة إلى البضائع النفسية كالذهب، والأحجار الكريمة، والعسل وكذا السكر، ونوعاً من التراب كان يستعمل في التنظيف يشبه الصابون⁽³⁾. ناهيك عن التجارة التي كانت تتم عبر الموانئ، وذلك لقرب المسافة بينهما، حيث كانت المراكب الجزائرية دائمة التردد على موانئها، لاسيما مرسى بادس⁽⁴⁾.

4- مع تونس والمشرق العربي:

لقد كان للمغرب الأقصى خلال الفترة السعدية علاقات تجارية مع تونس والمشرق العربي، ولو بشكل محدود، كمناسبة الحج في الغالب، لبعد المسافة من جهة، ولخضوع تلك البلاد للدولة العثمانية، ولتوتر العلاقات بين السعديين، وجيرانهم في الجزائر في كثير من الأحيان، ومخاطر الطريق البحري خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين.

إلا أن التجارة السعدية مع تونس كانت فيما يبدو أكثر نشاطاً وحيوية، إذ كانت تتجه كل سنة إنطلاقاً من سلا قافلة تجارية بمختلف البضائع إلى تونس لتعود منها ببضائع أخرى مروراً بمراكز تجارية عديدة في الجزائر⁽⁵⁾. حيث كانت تعتبر قافلة سلا أكبر القوافل على الإطلاق، نظراً لما كانت تلعبه من دور تجاري وكذا لكبر حجمها، ونشاطها، والذي كان يمتد من المغرب الأقصى مروراً بالجزائر وصولاً إلى تونس، حيث كانت تحتوى على 100 جمل محملة ببضائع

(1) - رشيد حفيان، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013-2014، ص ص 80-81-82.

(2) - مولاي بالحيمسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، [د.ط.]، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م)، ص 29.

(3) - F. élie de la primaudaie: " Le Commerce et la Navigation De L' Algérie " , Revue Algérienne et coloniale, paris, T.II, 1860, p p 100 ,191.

(4) - محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، تح: ادريس بوهليلة، ج.2، ط.1، (المغرب: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2005م)، ص 123.

(5) - عمار بن خروف، ملاحم من الحياة... المرجع السابق، ص 84.

المغرب الأقصى، وبضائع السودان، من منسوجات صوفية، وأدوات نحاسية، وبعض العقاقير والنقد الذهبي وغير ذلك⁽¹⁾.

ناهيك عن قوافل الحجيج السعدية، إذ أنها كانت تخرج في كل سنة من فاس قبل ثلاثة أسابيع من حلول شهر رمضان، حاملة معها الحايك، والجلود المصبوغة، والتبر، والعملة لتصل إلى تونس، وفي العودة تحمل معها القماش الحريري، الشاشية، التي يستعملها الجزائريون بشكل كبير، لتمر في طريقها بكل من: معسكر، تلمسان، حتى تصل وجدة عبر الطريق الشمالي⁽²⁾.

أهم الموانئ والمراكز التجارية:

1- ميناء سلا: مدينة عتيقة أسسها الرومان، على الضفة الشرقية قرب مصب نهر أبي رقرق، على بعد أكثر من نصف فرسخ بقليل من مدينة الرباط، وعند مصب النهر يوجد ميناء المدينة الذي ترسو فيه سفن البضائع الأوروبية، ويحتوي هذا الميناء على مدخل صعب جدا، وقد تعرضت هذه المدينة للاحتلال من طرف الإسبان، ثم إسترجعها بنو مرين⁽³⁾، وبنو بها الأسوار لحمايتها من الخطر الخارجي. وبعد سقوط الأندلس هاجرت إليها جاليات كبرى من الأندلسيين، ونشطت بها حركة القرصنة خلال العهد السعدي⁽⁴⁾، كما تجدر الإشارة إلى أن هذا الميناء شهد حركة تجارية كبيرة خلال القرن 16م، بسبب موقعه الإستراتيجي، والذي كان مقصدا للعديد من التجار؛ كالجنوبيين والبنادقة والفلامنديين⁽⁵⁾.

2- مرسى آسفي: مدينة قديمة بناها المغاربة على شاطئ المحيط الأطلسي في طرف إقليم دكالة، وليست محصنة إلا من جهة الشمال، تضم 4000 دار، والأراضي المحيطة بها غنية بالقمح، والمواشي، إلا أن سكانها إهتموا بالتجارة أكثر، ولكن هذه المدينة سقطت في يد البرتغاليين سنة (912هـ/1506م)، لكن سرعان ما إسترجعها البرتغاليون سنة (948هـ/1541م)، وكان البرتغاليون يحلمون إليها كل من الخوخ والقماش، وبضائع أخرى، ويستبدلونها بالجلود، والشمع والنيلة، والصبغ⁽⁶⁾. وعلى العموم فإن أهم ما يمكن قوله على آسفي أنها كانت مركزا مهما

(1)- عمار بن خروف، العلاقات الإقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 64.

(2)- رشيد حفيان، المرجع السابق، ص 57.

(3)- مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص ص 134-135.

(4)- الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 230.

(5)- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 208.

(6)- مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص 71.

للعلاقات التجارية بين المغرب وأوروبا خلال عهد السعديين، وإستقر بها عدد من القناصل الأوروبيين، وممثلي الدور التجارية الكبرى⁽¹⁾.

4-ميناء العرائش: مدينة قديمة تقع على الشاطئ الأطلسي، عند مصب وادي لكوس في المحيط، يحدها البحر من جهة، والنهر من جهة أخرى⁽²⁾. بنيت قصبتها سنة (897هـ / 1492م)⁽³⁾، ومن الموانئ القليلة التي ظلت بيد الوطاسيين⁽⁴⁾، أما في عهد السعديين فلعب هذا الميناء دورا هاما⁽⁵⁾ في نسج العلاقات الدبلوماسية، خاصة في فترة أحمد المنصور الذهبي.

5-ميناء المعمورة: يقع هذا الميناء على مصب نهر سبو⁽⁶⁾، ويحتوي هذا الميناء على مدخلين؛ أحدهما من الجهة الشمالية الشرقية، ويحاذي مجموعة من الكثبان الرملية، أما الثاني فيقع جنوب النهر، ويتخذ اتجاهه من الشرق إلى الغرب، ويمكن للسفن الصغيرة التي لا تتعدى حمولتها ثلاثين طنا أن تتوغل في النهر، أما السفن الكبيرة فلا يمكنها تجاوز المصب. وقد عرف هذا الميناء رواجاً في عهد الوطاسيين، وحافظ على أهميته بعد مجيء السعديين الذين زدوه بالمدفعية لحمايته من الأطماع الإسبانية، وأصبح في نهاية القرن مركزاً لتجمع القراصنة من كل الجنسيات⁽⁷⁾.

6-ميناء تطوان: يقع هذا الميناء عند مصب نهر واد مرتيل، الذي ينحدر من الأطلس الكبير ويصب في المحيط⁽⁸⁾، وقد شكل الميناء منذ القرن 15م، المرسى الرئيسي الوحيد على الساحل المتوسطي. تعترض المرسى أعاصير رملية صعبة تعوق من إمكانية الإتصال بين البحر وحوض الرسو، والذي يقع على بعد أكثر من ميل من الساحل، بشكل يزيد من خطورة الرسو الداخلي، وبالتالي يقتصر الدخول على المراكب التي لا تتعدى حمولتها 60 طن، مع إشتراط المعرفة بمكان الأعاصير والصخور، أما السفن الثقيلة فهي مجبرة على الرسو قبل المصب رغم إنكشافها أمام الرياح الشرقية، ويتم إتصالها بالمرسى بواسطة زوارق الشحن⁽⁹⁾.

(1) - الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 61.

(2) - مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص 188.

(3) - الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 200.

(4) - عثمان المنصوري، **التجارة بالمغرب...**، المرجع السابق، ص 159.

(5) - الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص 200.

(6) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 210.

(7) - عثمان المنصوري، **التجارة بالمغرب...**، المرجع السابق، ص 160-161.

(8) - مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص 222.

(9) - فيصل قاسم، **الحركة التجارية بين موانئ بلدان المغرب خلال العهد العثماني**، مذكرة مكملة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2013-2014م، ص 26-27.

7-أغادير: تقع في أقصى المغرب عند طرف جبال الأطلس الزاحف نحو المحيط الأطلسي بالقرب من مصب نهر السوس في البحر⁽¹⁾. إحتلتها البرتغاليون سنة (917هـ/1512م)، ثم حررها السعديون فأعادوا بناءها وتشييدها. كانت هذه المدينة من أهم الموانئ الجنوبية خلال الفترة السعدية⁽²⁾. تكمن أهميتها أنها تمتلك ميناء جيدا، بحيث يمكن أن ترسو أمامه السفن بالأعماق التي تريد، كما يوجد في أغادير خليج صغير يمكن أن ترسو به السفن الكبرى في أعماق جيدة وبأمان وحسب العمق التي تريد، وحسب الحمولة كذلك، حيث أنه كان بإمكانه استقبال سفن تناهز حمولتها 250 طنا⁽³⁾.

إن أهم ما يمكن أن نسجله في نهاية هذا الفصل هو حرص أحمد المنصور على تطوير إقتصاد بلاده، بإنتهاجه نفس السياسة التي انتهجها أسلافه من السلاطين السعديين، إلا أن عهده عرف نوعا من التطور في الإقتصاد، بحيث إستغل المنصور ما يمتلكه المغرب الأقصى من ثروات طبيعية وحيوانية، بالإضافة إلى الموقع الإستراتيجي الممتاز، بالإشراف على واجهتين بحريتين. وقد إستغل المنصور تلك الثروات في إنعاش الإقتصاد السعدي، وذلك بالإهتمام بالزراعة بنوعيتها المعيشية، والتسويقية. كما حرص المنصور في بداية حكمه على تطويرها وتحسينها، وعمل المنصور على إعادة النظر في المنظومة الجبائية بإصلاحها وتطويرها، هذا بالإضافة لإصلاح المنظومة النقدية، خاصة في ظل تدفق ذهب السودان الغربي. كما قام بتنويع مصادر الداخل؛ منها الثابتة، والأخرى مؤقتة؛ كغنائم الحرب، وإفتداء أسرى معركة وادي المخازن (986هـ/1578م).

كما عرفت البلاد صناعة الأسلحة، والتي كانت ضرورة بحكم إدراك السعديين الأوائل حتمية إمتلاك أسلحة تكون قادرة على تحقيق الإنتصار على خصومهم، ومن أجل ذلك عمل المنصور على النهوض بالمنظومة العسكرية؛ بإنتاج مختلف الأسلحة والذخيرة، مستغلا الخبرات الأجنبية، والوافدين الجدد على المغرب الأقصى، وفي مقدمتهم العثمانيين والأسرى والأوروبيين، كما عمل على إستيراد الأسلحة، رغم منع دولة الإسبان تجارة الأسلحة معهم. وقد رافق صناعة الأسلحة مشروعهم السياسي، إذ حتى في فترة دخول المغرب الأقصى في مرحلة الفوضى، فقد استمر إنتاج وصناعة الأسلحة المختلفة، وإستيرادها من الخارج.

(1) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص118.

(2) - الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص ص 52-53.

(3) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص164.

كما سجّلت من خلال هذه الدراسة أنه نظرا لوفرة النشاطات الإقتصادية المختلفة؛ الزراعية والصناعية، وكذلك توفر العملة النقدية الذهبية، فقد نشطت التجارة؛ سواء الداخلية أو الخارجية، حيث عمل المنصور على تعزيزها، من خلال حرصه على إصلاح طرق المواصلات، ببناء الجسور والقناطر، وتحرير الموانئ الحيوية، لإقامة التجارة مع الدول الأجنبية، بالإضافة إلى تخفيض الرسوم الجمركية، وتوفير الأمن والإستقرار النسبيين. سمح ذلك بتوافد التجار الأجانب إلى المغرب الأقصى من أجل التجارة، وتبادل الخبرات، وفي بعض الأحيان الإستقرار، والتفاعل مع المجتمع السعودي، وهذا ما سوف نتطرق إليه في الفصل القادم، عند حديثنا على المجتمع السعودي زمن السلطان أحمد المنصور الذهبي.

الفصل الرابع

مظاهر الحياة الإجتماعية في عهد أحمد المنصور الذهبي

أولاً: تركيبة المجتمع السعودي والنمو الديمغرافي.

أ- تركيبة المجتمع السعودي:

1-العنصر المحلي:

أ-الديرير .

ب-العرب .

2-العنصر الأجنبي:

أ-الأندلسيون .

ب-اليهود .

ج-العثمانيون

د-الأوروبيون .

هـ-السودانيون .

ب-طبقات المجتمع السعودي:

ج-النمو الديمغرافي:

ثانياً: الأوضاع الصحية.

أ-الكوارث الطبيعية:

1- الأوبئة.

2- المجاعات.

3- باقي الكوارث.

4-الأمراض المختلفة.

ب- الصحة:

1-طريقة مواجهة الكوارث الطبيعية.

2-بناء المستشفيات.

3-طرق العلاج.

ثالثاً: الأطفمة.

رابعاً: اللباس.

خامساً: المرأة.

سادساً: الإحتفالات والأعياد.

أ-المولد النبوي الشريف.

ب-رمضان.

ج-العيد.

د-الحج.

و-عاشوراء.

سابعاً: الموسيقى.

يعالج هذا الفصل ملامح الوضع الاجتماعي للمجتمع السعودي، بداية من التركيبة السكانية للمجتمع؛ فبالإضافة إلى العناصر المحلية، فقد توافد عليه عناصر أخرى، وفي مقدمتهم: الأندلسيون واليهود، والأوروبيون، والعثمانيون، والسودانيون. تفاعلت تلك العناصر داخل المجتمع السعودي، حيث عملت على نقل معارفها، وخبراتها إلى المغرب الأقصى، وساهمت بذلك في بناء المجتمع السعودي. كما رصد هذا الفصل النمو الديمغرافي للمجتمع، والذي شهد تغيراً بسبب الوضع الصحي، والكوارث الطبيعية التي عرفها المجتمع السعودي، بالإضافة إلى الحروب المستمرة التي شهدتها المنطقة، والتي سمحت بعدم استقرار أو تطور النمو الديمغرافي.

كما يعالج هذا الفصل المستوى المعيشي للمجتمع السعودي، المتمثل في الأوضاع الصحية التي شهدتها، والطرق التي إنتهجها لمحاربة الكوارث الطبيعية، ونقف في هذا الفصل على طبيعة الغذاء الذي تميز به المجتمع السعودي، خاصة في ظل المتغيرات التي طرأت على المجتمع؛ بتوافد عناصر جديدة عليه. كما يرصد الفصل نوع اللباس الذي عرفه السعوديون، وأهم التطورات والتغيرات التي أدخلت عليه. ويبحث في دور المرأة، ومكانتها داخل المجتمع السعودي. هذا بالإضافة إلى أنه يعالج الإحتفالات، والأعياد التي عرفها المجتمع السعودي، وأهم التغيرات التي طرأت عليها، كما يعالج الموسيقى؛ كونها من الإرث الثقافي، والذي شهد هو الآخر تطوراً في ظل حكم المنصور.

أولاً: تركيبة المجتمع السعودي والنمو الديمغرافي.

أ- تركيبة المجتمع السعودي:

لقد كان لظروف الأمن التي استطاع المنصور أن يوفرها لدولته، أثر فعال في تطور معالم الحياة الاجتماعية، إذ إمتزجت تيارات حضارية مختلفة: من البربر وكذا العرب والأندلسيين والأوروبيين، بالإضافة إلى عنصر العثمانيين والسودانيين⁽¹⁾، بالمجتمع السعودي. وعليه يمكن تصنيفها على النحو التالي:

(1) - أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص 216.

1-العنصر المحلي:

أ-البربر⁽¹⁾:

هم السكان الأصليون لبلاد المغرب⁽²⁾، ويمثلون الأكثرية التي إنتشرت في الحواضر (المناطق الشمالية)، وقد كانت تعمل في الزراعة والصناعة، وفي الصحاري والواحات، حيث تعتمد على الرعي والنهب⁽³⁾. وينقسم البربر إلى قسمين هم:

1-البربر البرانس: وهم من نسل برنس بن بر بن مازيغ. وتجدر الإشارة أنهم قد إستقروا في القرى الساحلية النلية والجبالية، وهذا للزراعة وتربية المواشي. ومن أشهر قبائلهم نذكر: مصمودة، ازداجة، أوربة، عجيسة، كتامة، أوربغة، لمطة، هكسورة، وكزولة (جزولة)⁽⁴⁾.

2-البربر البتر: وهم سكان البادية، يعيشون على الرعي والتنقل والغزو، وينقسمون إلى أربع قبائل وهي: ضرية، أداسة، نفوسة، لواتة. وتنقسم ضرية بدورها إلى مكناسة وزناتة، ومن زناتة بطون: جراوة، مغراوة، يفرن، زيان، ومرين⁽⁵⁾. وللإشارة فإنه رغم الاختلاف الحاصل في إنقسام البربر، كانت البرانس تقطن في المناطق الحضارية أي في الوسط، وعلى النقيض من ذلك كان البتر يعيشون على الترحال، وقد تعاون البتر مع العرب الفاتحين منذ اللحظة الأولى، بينما البرانس إنظموا إلى الحركات المعارضة لهم⁽⁶⁾.

وقد ظل هذا العنصر الأمازيغي مسيطرا من حيث التعداد السكاني بالمغرب الأقصى إلى زمن السعديين أنفسهم، حيث شكلت الأغلبية الديمغرافية، خاصة بمدينة مراكش عاصمة السعديين⁽⁷⁾، كما كانت اللغة الأمازيغية هي السائدة على ألسن سكان المدينة. وقد كان للعنصر الأمازيغي إسهامات كبيرة، وخاصة أمازيغ سوس الذين قدموا مع السعديين، بحيث تم إسناد العديد من الوظائف لهم، نظرا لكونهم أهل ثقة، لذلك تم إستخدامهم كقادة وحكام عسكريين، كذلك أسندت لهم مناصب علمية ودينية⁽⁸⁾، كما تم الإعتماد عليهم في الجيش بالعاصمة، حيث كانوا يسمون

(1)- تعود تسمية البربر إلى أن إفريقيش بن قيس بن صيفي لما سمع لهجتهم واختلاط أصواتهم سماهم البربر، والتي ترجع إلى أصل لاتيني " babarus"، والذي يعني عند الرومان من لا يفهم كلامه. للمزيد ينظر: شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 299.

(2)-Mercedes Garcia- Arenal, op.cit, p41.

(3) - عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفدوس المفقود (91-897هـ/710-1492م)، ط.1، (بيروت: دار النهضة العربية، 1423هـ/2002م)، ص22.

(4)- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط.2، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981)، ص17.

(5)- عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص23.

(6) - محمود السيد، المرجع السابق، ص 78.

(7)- إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص 31.

(8)- زين العابدين زريوح، " مراكش: عاصمة للدولة المركزية خلال العهد السعدي من الأوج إلى الركود (1525-1659م) "، مجلة إبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ع.01، س. 2020م، ص31.

"جيش السوس" (1)، كما إتخذ منهم السعديون حراسا لهم، حيث أوكلوا لهم حراسة أبواب المدينة كونهم أهل ثقة (2)، مثلما حدث زمن السلطان محمد الشيخ، الذي جعل قضاة من أهل سوس وحكامه والولاة منهم، من كل خطة؛ كالبوابين والمكاسيين والأدايل في مراكش، وغيرها من المدن المهمة بالدولة السعدية (3).

ب- العرب:

من بين العناصر المحلية زيادة على عنصر البربر، تواجدوا بالمغرب الأقصى منذ توافدهم إليه زمن خلافتي عمر بن الخطاب (13هـ/634م)، وعثمان بن عفان (23هـ/643م) رضي الله عنهما، أثناء عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب (4). وقد كانت الحملة تترك في طريقها مجموعات من العرب الذين جاؤوا مع الجيش، فإستقروا وإستوطنوا، وتوالت الفتوحات في العهد الأموي (5)، بتعدد الولاة وتوافد العنصر العربي، كما أسهم الخوارج في نقل عدد كبير من عرب المشرق إلى المغرب. وفي العصر العباسي استمر إرسال الجيوش إلى المغرب، إلا أنه بدأت ظهور الدويلات المستقلة عن الخلافة العباسية (6)؛ من بينها دولة الأدارسة، أين نزح كثير من العرب إلى منطقة المغرب، والذين فروا من سلطة العباسيين، ولم يكن لهم سوى المغرب كموطن جديد لهم (7).

أما التوافد الأكبر للعرب فقد ظهر في العهد الفاطمي، حين ما قدموا مهاجرين أيام الدولة الحمادية (8)، حيث أراد الخليفة الفاطمي "المستنصر" (9) أن ينتقم من أمراء صنهاجة، الذين إعترفوا بخلافة بني العباس، وأراد أن يتخلص من العرب، الذين كانوا يتوافدون على مصر منذ فتحها

(1) - Ernest Mercier, op.cit , p159.

(2) - مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص 40.

(3) - مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية...، المصدر السابق، ص 29.

(4) - شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات: الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السودان، ط.1، (القاهرة: دار المعارف، 1995م)، ص 300.

(5) - سميت بالدولة الأموية نسبة لمؤسسها معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية. استمر حكمها من (41-132هـ/661-750م)، وتعتبر أكبر دولة وثاني خلافة عربية في التاريخ الإسلامي، عاصمتها دمشق. للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج.2، [د.ط.]، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، [د.س.])، ص 709.

(6) - دولة إسلامية قامت بعد سقوط الدولة الأموية على يد العباسيين، استمر حكمها من: (656-132هـ/750-1258م). وهم أسرة تنتسب إلى العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم. للمزيد ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، المرجع السابق، ج.16، ص 75.

(7) - عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي: مغرب الأرض والشعب عصر الدول والدويلات، ج.1، ط.1، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1426هـ/2005م)، ص ص 37-38.

(8) - دولة بني حماد إحدى دول البربر في المغرب الأوسط، أقامها حماد بن بلكين الزيري والتي تنسب إليه. للمزيد ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، المرجع السابق، ج.5، ص 195.

(9) - خليفة فاطمي امتدت دولته من غرب إفريقيا إلى مصر والحجاز والشام والعراق وخراسان وصقلية، شهدت فترة حكمه غلاء شديدا وجوعا وقحطا طويلا، والذي امتد من (1036-1094م). للمزيد ينظر: حسين محمد نصار وآخرون، المرجع السابق، ص ص 3115-3116.

المسلمون، فيستقرون في القفار الممتدة شرقي وادي النيل، فأمرهم بمغادرة البلاد والذهاب إلى المغرب. وهكذا توافدت جموع بنو هلال بن عامر وسليم⁽¹⁾. أما عن موطن إستقرارهم بالنسبة للمغرب الأقصى، فقد سنقرت بعض القبائل العربية من بني هلال بمنطقة دكالة، وضواحي ميناء آسفى على المحيط. والبعض الآخر سكن منطقة حاحة وسهولها. في حين تحول فرع منهم إلى الشمال، بينما سكنت فروع أخرى السهول الواقعة بين سلا ومكانس بالجنوب. أما قبائل بني سليم فقد كانوا يفرضون على سكان درعة الأتات، كما كانوا يقصدون تمبكتو مرة كل سنة من أجل التجارة، وكل القبائل العربية التي ذكرناها إمتزجت بأهل المغرب الأقصى⁽²⁾. بحيث أصبحت تشكل نسيجا إجتماعيا، وأصبح يطلق عليها بالعنصر المحلي.

أما في عهد السعديين فقد تم إستخدامه في إطار قبائل عرب الدولة أو " الكيش "، بحيث حمل السعديون معهم قبائل بني معقل من سوس والصحراء للإستقرار مكان قبائل الهالبيين الذين ساندوا الوطاسيين ووهبهم أراضي تلك القبائل⁽³⁾، حيث كان محمد الشيخ المهدي أول من عمل على إدماجهم في الجيش، وقد سار في ذلك على نفس نهج أخوه الأعرج الذي إتخذ جيشا معظمه من العرب التابعين لأمير " هنتاتة " بعد إخضاعه لمراكش، واستمر وجودهم داخل الجيش حتى بعد نهاية حكمه⁽⁴⁾، أما في عهد أحمد المنصور، فقد حرص على التقرب من أعيان قبائل الأعراب من خلال إغداق الهبات والعطايا عليهم، وذلك كمحاولة منه لكبح جماحهم، ومنع تمرداتهم، حيث احتفظ بهم إلى جانبه في مراكش، ليكونوا بمثابة مفاتيح للتحكم في قبائلهم⁽⁵⁾.

2-العنصر الأجنبي:

أ- الأندلسيون:

يعد العنصر الأندلسي من أهم العناصر الوافدة على المغرب الأقصى، ومن أكثر العناصر التي ساهمت وأثرت في المجتمع السعودي، إذ يعود أقدم توافد للعنصر الأندلسي في المغرب الأقصى، إلى عهد الأمير الأموي الحكم الربضي⁽⁶⁾، وكان ذلك في أواخر القرن الثاني وبداية

(1) - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، [د.ط.]، [د.م.]: المطبعة العربية، [د.س.] ص 129.

(2) - شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 302.

(3) - زين العابدين زريوح، مراكش: عاصمة...، المرجع السابق، ص 32.

(4) - Andrzej Dziubunski, " L'armée et la flotte de guerre marocaines à l'époque des sultans de la dynastie saadienne ", Hespéris Tamuda, v.xiii, paris, 1972, p 63.

(5) - خورخي دي هنين، وصف الممالك المغربية (1603-1613م)، تر: عبد الواحد أكيمير، [د.ط.]، (الرباط: منشورات معهد الدراسات الأفريقية، 1997م)، ص 204.

(6) - هو الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، الأموي، أبو العاصي، أشهر خلفاء الدولة الأموية الأندلسية، تولى الحكم من (154-206هـ/771-822م) لقب بالربضي لإيقاعه بأهل الربض، حيث وصل إلى علمه أنهم يدبرون مكيدة للإيقاع به، فقتلهم وهم ديارهم. ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، المرجع السابق، ج 9، ص 483-484.

القرن الثالث الهجريين، نتيجة لوقعة الرض المشهورة⁽¹⁾، حيث أمر بطردهم من الأندلس⁽²⁾. ولكن توافد العنصر الأندلسي على بلاد المغرب بصفة عامة، والمغرب الأقصى بصفة خاصة ظهر بشكل كبير، بعد النكبة الكبرى بسقوط غرناطة سنة 1492م⁽³⁾، آخر معاقل المسلمين في الأندلس، بحيث برزت تلك الهجرات عبر فترات متفاوتة، إبتدأ من أول القرن 16م⁽⁴⁾. أما عن مناطق إستقرارهم فقد تنوعت تنوعا كبيرا، إذ لم تقتصر على منطقة معينة، بل شملت مناطق عديدة من المغرب الأقصى مثل: الرباط وسلا، وكذا فاس، مكناس، ومراكش، وتطوان، وشفشاون وآسفي... الخ، وقد أسهمت هذه الشريحة في بناء المجتمع السعودي⁽⁵⁾.

تجدر الإشارة إلى أن تأثير العنصر الأندلسي كان أكثر من أي عنصر خارجي آخر، وذلك لعدة إعتبارات، أبرزها عامل الدين الإسلامي، وكذا عامل الجوار، يضاف إلى ذلك تبادل التأثير السياسي والحضاري ما بين المغرب الأقصى والأندلس، منذ الفتح الإسلامي⁽⁶⁾. على العموم فقد حمل الأندلسيون معهم إلى المجتمع السعودي الكثير من ألوان الثقافة الجديدة، والنادرة كعلم القراءات والطب، والموسيقى⁽⁷⁾، مثل إدخال الموسيقى الأندلسية إلى جانب الزجل⁽⁸⁾، والموشحات⁽⁹⁾ الأندلسية⁽¹⁰⁾. يضاف إلى ذلك بروزهم في مجال الترجمة⁽¹¹⁾؛ كترجمة المعاهدات والمراسلات الرسمية، كما عملوا على نقل المعارف من الإسبانية إلى العربية، ككتب الطب، والصيدلة والفلك، والفنون الحربية⁽¹²⁾.

(1) من أشهر الثورات التي قمعها الحكم بن هشام سنة (202هـ/808م)، حيث كان قوم من الأندلسيين يعيشون في إحدى ضواحي قرطبة، بسبب ما عرف عنه من معاقرة الخمر، وتشاغله باللهو والصيد، وقد زاد من نقمة الشعب عليه قتله لجماعة من أعيان قرطبة، فكرهه الناس، وصاروا يتعرضون له، ولجئده مما حثه على تحصين قرطبة، فأقام حولها الأسوار، وحفر الخنادق، وجعل جنوده على مقربة منه، فزاد ذلك من حقد أهل قرطبة عليه، وزاد توجسهم منه، ثم حدث أن مملوكا له اختلف مع أحد العوام فقتله، فثار أهل الرض، وزحفوا إلى قصره، وأحاطوا به فقاتلهم قتالا شديدا، هو وجنده حتى تغلب عليهم، ولم يكف الحكم بهزيمتهم، بل أحرق وخرّب ديارهم، وقتل ثلاثمائة من وجهائهم، وأمر بطردهم خارج البلاد. ينظر: إيناس حسني البهجي، تاريخ دولة الأندلس، ط.1، (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2016م)، ص 157.

(2) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 302.

(3) -Nabil Matar, op. cit, p07.

(4) - إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع ...، المرجع السابق، ص 232.

(5) - محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم ...، المرجع السابق، ص ص 301-325.

(6) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 279.

(7) - محمد حجي، الحركة الفكرية ...، ج.1، المرجع السابق، ص 66.

(8) - فن من فنون الشعر العامي، نشأ وازدهر في الأندلس، ثم انتقل إلى المشرق العربي. للمزيد ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، المرجع السابق، ج.14، ص 155.

(9) - لون شعري نشأ بالأندلس في أواخر القرن الثالث الهجري، إتخذ معناه من الدلالة اللغوية للشواح والإشاح، بما في ذلك من معاني التتميق والتزيين. للمزيد ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، المرجع نفسه، ج.14، ص 154.

(10) - ميكيل دي ايبانثا، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، تر: جمال عبد الرحمن، ط.1، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005م)، ص 241.

(11) - محمد حجي، الحركة الفكرية ...، ج.1، المرجع السابق، ص 66.

(12) - محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم ...، المرجع السابق، ص 278.

علاوة على ترجمة الكتب الدينية، الإنجيل والتوراة، وذلك بهدف إطلاع المسلمين على زيف إدعاءات المسيحيين⁽¹⁾. وبذلك أثروا المكتبات المغربية بمختلف مؤلفاتهم، وأسسوا مكتبة بالرباط⁽²⁾. كما أسهموا في ميدان العلوم التجريبية والبحثية، وعملوا على إحياء الدراسات الطبية والصيدلة بالمجتمع السعدي، وبالأخص في فاس ومراكش، وقد قرب الملوك السعديون الأطباء الأندلسيين، واتخذوا من بينهم طبيب القصر الخاص، وأغدقوا عليهم من الصلات والمكافآت ما شجعهم على النشاط في علاج المرضى، وصنع الأدوية⁽³⁾.

أما في مجال الزراعة، فقد شهدت هي الأخرى إنتعاشا كبيرا؛ فقد استغل الأندلسيون إمكانيات المغرب الأقصى الزراعية وعملوا على تطويرها، بحيث حرصوا على زراعة أراضيهم وإستصلاحها، وعدم تركها بورا⁽⁴⁾. ومن أجل ذلك عمل السلطان أحمد المنصور على إقطاعهم أراض فسيحة في فحص مدينة مراكش. وفي هذا السياق يرصد لنا الفشتالي ما قام به المنصور مع الأندلسيين، إذ أقدم على إقطاعهم أراض، حيث قال: "...وأقطعتهم الدولة أراضي فسيحة بالجانب الغربي من فحصها..."⁽⁵⁾، فقام الأندلسيون بغراستها بمختلف أنواع الأشجار المثمرة كأشجار الزيتون⁽⁶⁾، وبذلك أسهموا في تطوير إنتاج الفلاحة السعدية: "...فإغترسوا بها جنات معروشات وغير معروشات..."⁽⁷⁾. وقد حرص الأندلسيون على تحسين إنتاج الخضر والفواكه، كما أسهموا في تطوير بعض أساليب وتقنيات الري، حيث عملوا على تطوير العديد من النواعير إنطلاقا من نهر تانسيفت كنواعير فاس. ولم يكتف الأندلسيون بالجانب العملي، بل إهتموا كذلك بالجانب النظري، من خلال تأليف العديد من المصنفات التي تعنى بعلم الفلاحة⁽⁸⁾.

أما في مجال الصناعة فهي الأخرى كان لهم نصيب فيها؛ بحيث إشتهروا بالأخص بصناعة الحدادة والنجارة، والخرافة والحياكة⁽⁹⁾، وتربية دودة القز⁽¹⁰⁾، كما برعوا في صناعة الحرير والصوف، لدرجة أن تجار الأقمشة الصوفية بفاس كانوا كلهم أندلسيين، كما برزوا في صناعة

(1)- محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم ...، المرجع السابق، ص280.

(2)- ميكيل دي ايبالنا، المرجع السابق، ص198.

(3)- محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم ...، المرجع السابق، ص274.

(4)- عمار بن خروف، ملامح من الحياة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص71.

(5)- عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص42.

(6)- محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم ...، المرجع السابق، ص266.

(7)- عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص42.

(8)- محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم ...، المرجع السابق، ص266.

(9)- عبد اللطيف الشادلي، الحركة العباشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م، ط.1، (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1982م)، ص150.

(10)- Mercedes Garcia- Arenal, op.cit, p65.

الشاشية. هذا بالإضافة إلى أنهم حملوا معهم العديد من الفنون، وطوروها بالمغرب، كدباغة الجلود. كما أنهم أدخلوا بعض الصناعات الجديدة للمغرب " كصندوق العروس "(1)، ناهيك على إدخالهم العديد من الحرف إلى المغرب، ووجدوا البيئة الملائمة لتطويرها وتصريفها(2). وهذا ما أكده ابن القاضي في مصنفه بقوله: " ... وقد ظهر بدولته [أي المنصور السعدي] من العلم والحرف المهمة التي لم تكن من قبل في المغرب أصلا..."(3). ولم يكتف الأندلسيون بذلك، بل حملوا معهم تنظيماتهم إلى المجتمع السعدي، فقد كانوا منتظمين في طوائف حرفية عرفت باسم(4) نقابات(5). كما إشتهروا بمهارتهم في البيع والشراء(6).

أما في المجال العسكري فنتيجة للمعارك التي خاضها السعديون ضد الإحتلال الأيبيري، فقد فرضت عليهم تلك الظرفية التاريخية إمتلاكهم لأسلحة تكون قوية قادرة على أن تحقق لهم تفوقا عسكريا على العدو الأيبيري، وطرده من الثغور السعدية(7). ولأجل ذلك فقد سارع السعديون إلى إنشاء بعض المصانع لذلك الغرض في مراكش، وفاس وتارودانت، وقد أشار إلى ذلك مارمول بقوله: " وفي مراكش عاصمة السعديين، يوجد أمام السجن قصر كبير يدعى قصر النصر يصهر فيه سلاح المدفعية، وتصنع فيه الأسلحة والذخيرة الحربية..."(8). وقد إعتد السعديون في إدارة تلك المصانع، وإنتاج مختلف الأسلحة على العناصر الوافدة، وفي مقدمتهم الأندلسيين(9)، الذين كانوا يشرفون(10) على صناعة الأسلحة والذخيرة بمدينة فاس(11). بالإضافة إلى العثمانيين،

(1) - هو جزء من جهاز العروس التي تصطحبه معها من بيت أهلها إلى منزلها الزوجي لتضع فيه حاجاتها من ثياب وحلي. صندوق العروس غالبا ما يزين بالصدف، ويكون مصنوعا من خشب الجوز أو السنديان أو من العرعر الصلب. وتورثه الجدة لابنتها، ومن ثم لحفيدتها، وقد تمتد صلاحيته لأجيال أخرى. ينظر: نبيل جميل، لوحات ريفية تراثية، ط.1، (بيروت: دار الفارابي للنشر والتوزيع، 2014م)، ص71. ينظر أيضا: محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم...، المرجع السابق، ص 267.

(2) - محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم...، المرجع السابق، ص266-267.

(3) - ابن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص 250.

(4) - محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم...، المرجع السابق، ص267.

(5) - هي عبارة عن تنظيم للعمال والمهنيين في مجال ما، غرضه المحافظة على شروط استخدامهم، وتحسينها والدفاع عن مصالحهم أمام أصحاب العمل، والسلطات المختلفة. ينظر: يحي محمد نيهان، معجم مصطلحات التاريخ، ط.1، (عمان: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، 2007م)، ص283.

(6) - عبد اللطيف الشادلي، المرجع السابق، ص150.

(7) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص36.

(8) - مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص ص 51-52.

(9) - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية...، ج.2، المرجع السابق، ص40.

(10) - ومنهم على سبيل المثال مصمم الأسلحة الثقيلة المشهور في ذلك الوقت المسلم الأندلسي أحمد الحجري المعروف باسم افوكاي، كان قد فر من الأندلس إثر الإضطهاد، واستطاع أن يدفع بالإنتاج الحربي في مصانع مراكش للسلاح، وأبدى كثيرا من الإهتمام والإختراع والتصميم في تلك المصانع بعد أن تم وضع الإمكانيات اللازمة له، وقام بصنع العديد من مدافع الميدان المتوسطة والكبيرة. ينظر: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص ص 261-262.

(11) - محمد رزوق، المرجع السابق، ص267.

والأعلاج، وقد أنتجوا أولى مدافع لهم⁽¹⁾، من نحاس منجم تنزيرة الذي تم إكتشافه في (946هـ/1539م)⁽²⁾.

كما أن أحمد المنصور الذهبي سعى إلى الإهتمام بتشكيل جيش قوي يكون قادراً على تحقيق الإنتصارات على خصومه، ومن جهة أخرى يكون حديثاً، على الطراز العالمي آنذاك. ومن أجل تحقيق ذلك ركز على الجيش النظامي، معتمداً على العنصر الأندلسي، بالإضافة إلى عناصر أخرى. و للإشارة أن تلك القوات كانت تضم في صفوفها أعداداً كبيرة من الأندلسيين⁽³⁾. ويعد أحمد المنصور السعدي أول من قسم الجيش إلى فرق، وجعل لكل فرقة قائداً، كما خصص لكل فرقة لباساً يمتاز بألوانه وأشكاله عن لباس فرقة أخرى، ومن بين الفرق التي شكلها المنصور هي فرق الجيش الأندلسي، وقائدها هو " جودار باشا " الأندلسي، الذي قام بغزو⁽⁴⁾ السودان الغربي.

أما في مجال البناء والعمران، فقد عرف هو الآخر تطوراً بفضل إسهامات العنصر الأندلسي، وذلك من خلال تطوير طراز البناء على الطريقة الأندلسية. فقد أدخل الأندلسيون العديد من الأساليب والتقنيات الجديدة؛ كالفسيفساء والنقش على الحجر والجبس، والخشب والفسطقيات المائية، بالإضافة إلى الثريات الموجودة ببعض مساجد مدينة فاس، المأخوذة من نواقيس الكنائس الإسبانية التي حملها الأندلسيون معهم⁽⁵⁾. وفي عهد أحمد المنصور شاركوا في بناء المصانع، ومصافي السكر بمنطقة سوس⁽⁶⁾، كما ساهموا في تشييد قصر البديع⁽⁷⁾، الذي يعد أحد أعظم تحفة فنية احتفظت كتب التاريخ، والرحلات بوصفها⁽⁸⁾. وقد إستغل المنصور خبرة الأندلسيين في بناءه، بالإضافة إلى عناصر أخرى، حيث قام المنصور بإشراك عدد كبير من المهندسين والعارفين بمجال البناء من الأندلسيين⁽⁹⁾.

(1) - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية...، ج.2، المرجع السابق، ص40.

(2) - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص 288.

(3) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج.6، ص272.

(4) - عبد الحق المريني، المرجع السابق، ص60.

(5) - محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم...، المرجع السابق، ص267.

(6) -Mercedes Garcia- Arenal, op.cit, p65.

(7) - ينظر: ملحق رقم 16-17، ص 277.

(8) - محمد حجي، الحركة الفكرية...، ج.1، المرجع السابق، ص 51.

(9) - محمد السيد محمد أبو رحاب، " قصر البديع السعدي بمدينة مراكش في ضوء المصادر والبقايا الأثرية "، المجلة العلمية لكلية الآداب، سوهاج-مصر، ع.32، س.2011م، ص 834.

على العموم فإن طراز البناء الأندلسي لم يعد مقتصرًا على مدن الشمال، وإنما انتشر وتخطى جبال الأطلس، حتى الدور المتوسطة بعد أن أصبح الأندلسيون يعيشون بين أظهر سكان المدن. وبسبب تزايد النزوح بأعداد كبيرة بعد قرار الطرد الذي إتخذه الملك الإسباني فيليب الثالث ضد المسلمين الأندلسيين في (22 جمادى الثانية 1018هـ/22 سبتمبر 1609م)، نهائياً من شبه الجزيرة الإيبيرية⁽¹⁾.

ب - اليهود:

يعود أقدم تواجد لليهود بالمغرب إلى القرن (3ق.م) على عهد الفينيقيين، بينما إزداد توافدهم على المنطقة بعد تحطيم القيصر " تيتوس " معبد بيت المقدس سنة 70 للميلاد، واختلطوا مع سكان المغرب، وحاولوا نشر تعاليم دينهم. وبعد الفتح الإسلامي للمغرب⁽²⁾ ظلوا بالمنطقة، باعتبارهم من أهل الذمة⁽³⁾.

تجدر الإشارة إلى أنه بعد سقوط غرناطة 1492م، تزايدت عدد هجراتهم فرارا من محاكم التفتيش، التي إضطهدتهم إلى جانب المسلمين، والتي إعتبرتهم مارقين عن الدين الكاثوليكي، فعملت على متابعتهم بنوع من التضييق والتعذيب، ولاسيما حرق الآلاف منهم⁽⁴⁾، ونتيجة لأعمال الإضطهاد والتعسف التي مورست عليهم من قبل ملوك الكاثوليك في إسبانيا والبرتغال⁽⁵⁾، إتجهت موجات كبيرة مابين القرنين (15 و16م) مع الأندلسيين إلى الضفة الجنوبية من حوض البحر الأبيض المتوسط⁽⁶⁾؛ إلى المغرب الكبير، وفي مقدمتهم المغرب الأقصى، بحكم القرب الجغرافي⁽⁷⁾ ما بين منطقتين.

وقد إستقر اليهود في العهد السعودي في أقصى الشمال إلى تخوم الصحراء، وإستوطنوا بالخصوص المراكز التجارية، التي تمر منها أو تنتهي إليها قوافل الذهب، الرابطة بين شمال إفريقيا والسودان⁽⁸⁾. وبعد إستقرارهم في المغرب الأقصى تمتعوا بحريات كبيرة، خاصة في الفترة السعودية، بحيث سمحت لهم الدولة بأن يمارسوا شعائرهم، وطقوسهم الدينية في أمان داخل البلاد،

(1) - محمد حجي، الحركة الفكرية...، ج.1، المرجع السابق، ص52.

(2) - شوقي ضيف، المرجع السابق، ص303.

(3) - Elvira Azevedo Mea, " Les Juifs du Maroc-Un pont entre deux rives ? " La Revue de Sémiotique Méditerranéenne des Formes Civilisationnelles, Maroc, N° 7-8, 2011, p52.

(4) - محمد حجي، الحركة الفكرية...، ج.1، المرجع السابق، ص 267.

(5) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 292.

(6) - محمد حجي، الحركة الفكرية...، ج.1، المرجع السابق، ص 267.

(7) - Bernard rosenberger, " Les juifs au Maroc dans la première moitié du xvième siècle ", Hespéris-Tamuda, vol. xxxii, paris, 1999, p116.

(8) - محمد حجي، الحركة الفكرية...، ج.1، المرجع السابق، ص ص 267-268.

وقد حملت إليهم مرة باخرة إنجليزية في جملة ما حملت من البضائع؛ 26 صندوق مملوء بكتب التوراة⁽¹⁾. كما كانت لهم مقابر خاصة بهم⁽²⁾. وعُرف عن أحمد المنصور أنه كان يفدي أسرى المسلمين واليهود من رعاياه بالمال أو بالمبادلة بمسيحيي وادي المخازن، لكن العلماء كانوا ينتقدونه في سماحة ببلاطه⁽³⁾. ولأجل حماية اليهود الذميين، فقد بنت لهم الدولة السعدية أحياء خاصة، حصينة للإقامة بها، لا تبعد كثيرا عن مقر الحاكم⁽⁴⁾.

وقد تعددت إسهامات العنصر اليهودي في المجتمع السعدي، ولكن تأثيرهم الكبير يتركز في الجانب الإقتصادي مقارنة بباقي الجوانب. فيمكن القول أن اليهود كانوا يمتنون بصفة عامة مهنة التجارة، وكذلك بعض المهن التي كادت تكون مقصورة عليهم وحدهم؛ مثل مهنة السروجية، أي صناعة البردعة، والصياغة والقصدير، وكانوا يعملون كذلك باعة متجولين، وإسكافيين متنقلين⁽⁵⁾. كما إشتغلوا بصياغة الحلي⁽⁶⁾، وضرب النقود⁽⁷⁾، بالإضافة إلى أنهم كانوا يستقبلون حمولات الذهب الواردة من السودان، فيقوم يهود المدينة بتصفية الذهب، ووزنه والتأشير عليه وإرساله إلى بني سمكن بواحة لكتاوة، ومن هناك يوجه إلى مدينة مراكش⁽⁸⁾.

وقد إعتمدت عليهم الدولة كوسطاء في الصفقات التجارية الكبرى⁽⁹⁾، هذا إضافة إلى نشاط اليهود التجاري في إدارة معامل السكر التي أقامتها الدولة السعدية، والتي كانت تدار في الغالب من قبل اليهود⁽¹⁰⁾. ففي عهد محمد الشيخ الذي إستفاد من خبرتهم، حيث إستدعى أحد اليهود الذين إعتنقوا الإسلام إلى القيام بتشييد أرحية جديدة لطحن قصب السكر، على ضفاف وادي سوس، وكان ذلك سنة 1536م⁽¹¹⁾. وكل ذلك النشاط التجاري والداخلي كان عمليا بيد اليهود، الذين تولوا مقاليد الإقتصاد بالبلاد، وإحتكروا تجارة السكر، والتبغ والبارود⁽¹²⁾، كما كانوا يشرفون على أملاك الأمراء، وكبار القوم. وتلك الوضعية بمجموعها فتحت أمام اليهود مجالات واسعة

(1) - أحمد بن القاضي، المصدر السابق، ج.1، ص 346-347.

(2) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 292.

(3) - أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص 346-347.

(4) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 292.

(5) - عبد القادر العافية، الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، [د.ط.]، (المملكة المغربية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1402هـ/1982م)، ص 208.

(6) - Mercedes Garcia- Arenal , op.cit , p71.

(7) - محمد حجي، الحركة الفكرية...، ج.1، المرجع السابق، ص 268.

(8) - أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص 85.

(9) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 292.

(10) - محمود السيد، المرجع السابق، ص 242.

(11) - إبراهيم حركات، تطور الأوضاع الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 37.

(12) - المرجع نفسه، ص 43.

للإتصال بالطبقة الحاكمة، وبالأجانب على مختلف المستويات والأجناس، وساعدتهم على إقامة ثروات ضخمة، والتي إستغلوها في نواح عديدة من النشاط الإقتصادي، خاصة في خلق منافسة مع التجار الإنكليز الذين أسسوا الشركة البربرية سنة 1585م. والتي سرعان ما فشلت تجارتهم وأعلنت إفلاسها سنة 1598م بسبب مضاربة اليهود لهم⁽¹⁾.

ناهيك عن مجالات أخرى كالتب؛ ففي فترة حكم عبد الملك المعتمد (1576-1578م) للمغرب كان يرافقه طبيب يهودي⁽²⁾ خاص به، والذي أشرف على معالجته أثناء وعكته الصحية كما عمل على التستر⁽³⁾ على موت السلطان، خلال معركة وادي المخازن 1578م⁽⁴⁾. أما في المجال السياسي فقد كان لهم النصيب الأوفر في ذلك، فقد أشركهم أحمد المنصور الذهبي في مختلف شؤون الدولة؛ حيث إتخذ منهم السفراء، والممثلين في أوروبا⁽⁵⁾، على أساس ثقافتهم، ومعرفتهم الواسعة باللغات الأجنبية. ولم يكتف المنصور بذلك بل إتخذ لنفسه مستشارا خاصا من اليهود، يعتمد عليه في الكثير من قضايا الدولة⁽⁶⁾.

كما أصبحوا يقومون بدور الوساطة في الأعمال الدبلوماسية، ما بين المغاربة والأجانب، مثل عمليات إفتكاك الأسرى⁽⁷⁾. وإستطاع البعض منهم أن يصل إلى أعلى المناصب في الدولة كالوزارة وغيرها⁽⁸⁾. ونظرا للأهمية التي جناها المنصور من اليهود، فقد وصل به الأمر إلى أن إفتدى الأسرى اليهود من جزيرة مالطة⁽⁹⁾، ودفع عنهم المال. وفي هذا السياق يذكر ابن القاضي أن المنصور "أخرج يهوديا من الأسر من جزيرة مالطا بمال"⁽¹⁰⁾. ولم يقتصر الأمر على عامة اليهود، بل حتى العلماء الذين لهم أصل يهودي⁽¹¹⁾.

أما من الناحية الاجتماعية، فقد إندمجت الجالية اليهودية مع المجتمع السعودي إندماجا كبيرا، بل وأصبحوا مدللين، ويتمتعون بحرية خاصة، وذلك بسبب الشرع الإسلامي الذي يقوم بحمايتهم

(1) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 292.

(2) - محمد بن تاويت، " وثيقتان هامتان عن معركة وادي المخازن "، مجلة دعوة الحق عدد خاص بمناسبة الأربعمئة لمعركة وادي المخازن، الرباط، ع.8، س. 1978م، ص52.

(3) - Michel abitbol, Histoire du maroc, ((s.l): editions perrin, (s.d)), p164. Mercedes Garcia- Arenal, op.cit, p19.

(4) - شوقي أبوخليل، المرجع السابق، ص ص 92-98.

(5) - أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص346.

(6) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 292.

(7) - المرجع نفسه، ص 292.

(8) - عبد القادر العافية، المرجع السابق، ص216.

(9) - تقع في البحر الأبيض المتوسط جنوب صقلية، تبلغ مساحتها 264 كم². خضعت للحكم الفينيقي واليوناني والقرطاجي والروماني والعربي. للمزيد ينظر:

حسين محمد نصار وآخرون، المرجع السابق، ص2989.

(10) - أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص346.

(11) - المصدر نفسه، ج.1، ص347.

وكان القضاة المسلمون يأخذون لهم الحق وينصفونهم. وذلك إنطلاقاً من الوازع الديني، الذي لا يفرق في التقاضي بين المسلم وغير المسلم⁽¹⁾. وعلى النقيض من ذلك فإن تأثيرهم في الجانب الاجتماعي كان أقل شأنًا من باقي المجالات الأخرى، حيث أنهم كانوا يشرفون على خدمة دار قصر السلطان، إذ كان يسمح لهم بالدخول إلى مقاصير النساء⁽²⁾. غير أنهم قاموا بإدخال بعض العادات السيئة على المجتمع السعودي مثل: مهنة البغاء، حيث إشتغلوا داخل دور القادة والعمال⁽³⁾، كما عُرفوا بمهنة السحر، مثل: الساحر " ابراهيم " الذي لم يسلم الناس من شره إلى غاية أن قتله القائد يحي سنة (1001هـ/1593م)، وأمر بشنقه⁽⁴⁾. كما أدخلوا عادة شرب الخمر، والتي كانت رائجة في الحانات اليهودية، مما جعل السلطة تلجأ إلى تقنين تجارة المشروبات الكحولية، وتمنع اليهود من بيعها لجيرانهم المسلمين والمسيحيين، كما منعت تقديمها لهم عند دعوتهم لتناول الطعام⁽⁵⁾.

ج- العثمانيون:

يُعد العنصر العثماني هو الآخر من بين العناصر الوافدة على المجتمع السعودي، حيث إستقروا بمدينة مراكش، بحكم إعتقاد السلاطين السعوديين عليهم. لكن مع الأيام أخذوا يتفاعلون مع السكان تدريجياً، نظراً للعامل الديني الإسلامي الذي يجمع بينهم، حيث أخذ المغاربة عنهم نظماً وعادات في المأكل والمشرب والملبس، وفي ميدان البناء وال عمران، مثل " حي الدباشي " الذي ينسب للقائد العثماني؛ أحد قادة المنصور⁽⁶⁾. وقد برز دورهم بالمغرب خاصة في عهد السلطان عبد الملك، وبدرجة كبيرة زمن السلطان أحمد المنصور⁽⁷⁾، الذي إعتد عليهم في الجيش السعودي. وقد برز عدد من القادة العثمانيين الذين كانت لهم مناصب رفيعة داخل القصر والجيش⁽⁸⁾، إذ

(1) - عبد القادر العافية، المرجع السابق، ص216.

(2) - مرمول كبرخال، المصدر السابق، ج.2، ص 172.

(3) - عبد القادر العافية، المرجع السابق، ص216.

(4) - محمد حجي، الحركة الفكرية...، ج.1، المرجع السابق، ص271.

(5) - حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، تر: أحمد شحلان، ج.2، [د.ط.]، (الرباط: مطبعة النجاح الجديدة، 2000م)، ص370.

(6) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص278.

(7) - لقد بلغت الدولة العثمانية أوج قوتها وعظائها خلال القرن السادس عشر، في مختلف مجالات الحياة سواء على المستوى السياسي، أو مختلف المجالات الحضارية، وكانت القسطنطينية من أهم عواصم العالم مجدا وحضارة، والجدير بالذكر أن عبد الملك و أحمد المنصور قد استغلوا قوة وعظمة الدولة العثمانية؛ إذ لجوا إلى الجزائر العثمانية وكذا الدولة العلية، بهدف طلب يد العون من السلطان العثماني لاسترجاع ملكهم المغتصب من طرف ابن أخيهم المتوكل حسب أسبقتهما في السن. وأثناء مكوثهم؛ سواء في الجزائر أو الدولة العثمانية، تعرف المنصور على مختلف نواحي الحياة؛ الإدارية وكذا الحضارية لدى العثمانيين. وقد أعجب بالكثير من الأمور التي وجدها هناك. وقد سعى بعد توليه الحكم لنقل الكثير مما شاهده عند العثمانيين إلى الدولة السعودية. كما انتقل معهم إلى المغرب الأقصى العديد من قادة العثمانيين من أجل مساعدتهم في حريهم. ينظر: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 277.

ينظر أيضا: إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص66.

(8) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص ص 192-193.

يشير " دي صالدانيا ": " أن ألفتان من الترك كانوا برفقة المنصور عند دخوله مراكش مطلع سنة 1579م⁽¹⁾ وقد كان تأثير العنصر العثماني في المجتمع السعودي كبير، وقد تجلي ذلك التأثير، خاصة في الميدان العسكري، لأن المنصور كان يهدف منذ توليته إلى تكوين جيش سعودي حديث، على غرار الجيش العثماني⁽²⁾ - الإنكشارية - "...فقد اصطفى من العجم موالى أنبتهم نعمته ودربتهم تربيته، فنجبت طوائف عديدة ليس منهم فتى إلا أضخم حالا وأعظم شأنًا..."⁽³⁾، أي أن المنصور قد عمد إلى تربية الصغار على غرار ما كان الأمر عند العثمانيين بالشرق، وكون منهم فرقا عسكرية نظامية⁽⁴⁾؛ تضم مختلف الجنسيات، ومن بينهم العثمانيون، وبذلك أعاد تنظيم الجيش، وأخذ عن العثمانيين نظامهم الحربي، بحيث عيّن أفرادا من العثمانيين اللاجئيين بالمغرب الأقصى للقيام بتدريبهم على الطريقة العثمانية⁽⁵⁾، كما إستفادت الدولة السعودية من العثمانيين في إنتاج وصناعة الأسلحة والمدافع، حيث كان العثمانيون يشرفون على المصانع التي أسسها محمد الشيخ بهدف صناعة وتطوير الأسلحة السعودية⁽⁶⁾.

إستخدم أحمد المنصور بعض المصطلحات العسكرية العثمانية في المجال العسكري منها: الأدباشي، والتي تعني ضابط، ولا يزال في مراكش حي يدعى " درب دباشي "، وهو تحريف للأصل العثماني، بلكباشي والتي تعني قبطان، وكذلك مصطلح كاهية (كولونيل)، ولا تزال بالمغرب الأقصى عائلة تدعى بالكاهية، كذلك مصطلح الشاوش: وهو الذي ينفذ أوامر السلطان، ويستعمل اللفظ الآن بمعنى عون، الطوجي والتي تعني ضابط مدفعية⁽⁷⁾. كما إقتبس المنصور السعودي الزي العسكري العثماني⁽⁸⁾، والذي يتكون أساسا من كسوة (المحصور) العثمانية المزخرفة، ذات السروال الفضفاض، والصدريّة المزركشة (الجيدور)⁽⁹⁾.

لقد إختلفت تأثيرات العنصر العثماني وتعددت مظاهرها في المجال السياسي؛ بحيث إقتبس المنصور عن الدولة العثمانية بعض التنظيمات السياسية والإدارية، فقد قسم المنصور المغرب الأقصى إلى اثنتي عشرة ولاية، أو إقليما، أسند إدارتها لرجال يثق بهم، جعل على رأس كل منها

(1) - انطونيو دي صالدانيا، المصدر السابق، ص 44.

(2) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 278.

(3) - عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 201.

(4) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 278.

(5) - محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي...، المرجع السابق، ص 241.

(6) - عثمان المنصوري، المرجع السابق، ص 36.

(7) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص 357.

(8) - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص 147.

(9) - محمد حجي، الحركة الفكرية...، ج.1، المرجع السابق، ص 53.

عامل، بمنزلة نائب عنه في الأقاليم، والذي كان يتمتع بصلاحيات واسعة. وقد أناب المنصور أبناءه في أقاليم خاصة؛ كفاس ومكناس، والسوس ومراكش.

قسم المنصور الأقاليم نفسها إلى قيادات، يرأسها قائد، أو باشا يدير العامة، وبيئت في قضايا المدينة والمنازعات، ويساعده صاحب الشرطة المكلف بالحفاظ على الأمن، وكذلك القاضي الذي كان يكلف بالنظر في القضايا الشرعية، فضلا عن شيوخ القبائل الذين عهد إليهم بمهمة تأمين سلامة الطرق⁽¹⁾، وهو بذلك قد إقتبس نفس التنظيم الإداري المعمول به في الباب العالي، كما أنه إستمد فكرة الديوان؛ وحتى التسمية نفسها من تقاليد العثمانيين، الذين كانوا يعملون به في إيالات بلاد المغرب - الديوان - . والديوان هو عبارة عن مجلس عسكري، مهمته مراقبة تصرفات الباشا، وموافاة الباب العالي بما يهمه من أخبار، وكان يجتمع ثلاث مرات في الأسبوع، ويتولى النظر في المظالم والشؤون الإدارية، والعسكرية، والسياسية والخارجية⁽²⁾. أما ديوان المنصور فهو عبارة عن مجلس إستشاري أو " مجلس الملاء "، وهو أعلى سلطة قانونية في البلاد ومن إختصاصاته أنه ينظر في الأمور السياسية، والقضائية والعسكرية⁽³⁾.

وقد حددت أيام إنعقاده؛ يوم السبت والإثنين، ويوم الأربعاء⁽⁴⁾. كذلك من بين الأمور التي أدخلت في المجال الرسمي إستخدام الطغراء كعلامة للمصادقة على الرسائل الملكية، كتقليد عثماني، وهي عبارة عن خطوط معقدة وذات شكل زخرفي، لم تستعمل في المغرب الأقصى من قبل⁽⁵⁾.

أما في الجانب الإجتماعي فمن بين الآثار العثمانية على المجتمع السعودي ظاهرة تقديم الهدايا للموظفين، لتسهيل الخدمات العمومية، والتي أصبح يطلق عليها إسم البقشيش، أو الحلوان والذي كان يعطى في كل خطوة وحركة، فالزائر الأجنبي دبلوماسيا كان أم غيره، كان عليه أن يقدم " البقشيش " للحرس الذي يرافقه، ولمن يحمل إليه نبأ سارا، وهكذا ألف موظفو الإدارة تلك العادة السيئة، فكانوا لا يخفون جشعهم ولا تورعهم عن مطالبة القناصل والتجار الأجانب، بتقديم الهدايا إليهم⁽⁶⁾. أما أثر التقاليد العثمانية في الحياة الاجتماعية فيتجلى في إستعمال كثير من الألفاظ العثمانية؛ كالقهواجي، والشاوش، وفي ظهور المقاهي البلدية، على الطريقة العثمانية لأول

(1) - نمير عقيل، المرجع السابق، ص 403.

(2) - إبراهيم حركات، المغرب عبر... ج. 2، المرجع السابق، ص 330.

(3) - شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص ص 42-43

(4) - عبد العزيز الفتتالي، المصدر السابق، ص 205.

(5) - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص 148.

(6) - المرجع نفسه، ص 233.

مرة بالمغرب الأقصى، وقد حمل صاحب المقهى وصف القهوجي⁽¹⁾. ومن بين كل المؤثرات الرسمية والشعبية ذات الأصل العثماني نجد الاحتفال بالشموع المزخرفة في عيد المولد النبوي⁽²⁾، حيث خصه السعديون بمظاهر وتقاليد معينة، ظل معمولاً بها بعدهم⁽³⁾.

د-الأوروبيون:

بعد إنتصار السعديين في معركة وادي المخازن 1578م، حظي المغرب الأقصى بمكانة مرموقة في العالم، وأصبحت الدول من جراء ذلك الإنتصار تتنافس لكسب صداقة المغرب، وعقد الإتفاقيات التجارية والسياسية معه⁽⁴⁾. وأدرجت الدولة السعدية في صلب السياسة الدولية، وبذلك ظهر السلطان أحمد المنصور كحاكم قوي يمكن الإعتماد عليه، والتحالف معه⁽⁵⁾، خاصة وأن أحمد المنصور عمل على الحفاظ على التوازن ما بين الشرق والغرب من جهة، وبين دول الغرب الكاثوليكية والبروتستانتية من جهة أخرى، ففتح بذلك أبوابه لكل الأوروبيين من مختلف أعراقهم وجنسياتهم، فتعدد بذلك الوافدون الأوروبيون على المجتمع السعدي، ما بين سفراء وبعثات دبلوماسية، أو مفوضين أو بصفتهم تجار نظاميين، أو مهريين متعاقدين مع الدولة للعمل بالمصانع والمعامل⁽⁶⁾. فقد توافد على المغرب الأقصى عدد من الصناع الإيطاليين والإيبيريين، الذين حملوا معهم العديد من التقنيات في مجال الصناعة، فكانوا يعملون في المعاصر أو يقومون بتسييرها والإشراف عليها⁽⁷⁾.

وقد أدوا دوراً أساسياً في صناعة الأسلحة، وتجهيز السفن⁽⁸⁾. يذكر الوزان في هذا الصدد أن أحد الغرناطيين الأثرياء أقام حوالي 18 سنة بمدينة هسكورة، وكان يشتغل في صنع القذافات⁽⁹⁾. وقد حقق التجار الأوروبيون عدداً طائلاً من الأرباح. وبحكم تعاملهم اليومي مع السعديين فإن هؤلاء التجار قد تعرفوا على عاداتهم وتقاليدهم الكثيرة والمختلفة، وبدورهم تعرف

(1)-إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص148.

(2)- نفسه، ص148.

(3)- إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص374.

(4)- حليلة بنكري، معركة وادي المخازن...، المرجع السابق، ص91.

(5)- محمد أمراني علوي، المرجع السابق، ص33.

(6)- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص280.

(7)- عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص20.

(8)- المرجع نفسه، ص36.

(9)- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص165.

السعديون على عادات وتقاليد الأوربيين، وإن كانت على نطاق خاص، كما تعلموا اللغات الأجنبية كذلك⁽¹⁾.

كما تواجد بالمجتمع السعودي العديد من الأسرى⁽²⁾، الذين وقعوا في الأسر خاصة بعد الإنتصار الذي حققه السعديون في معركة وادي المخازن 1578م، فقد أسر السعديون العديد من الأسرى الأوربيين الذين قدموا مع الحملة البرتغالية، وقد أدت هذه الفئة دورا مهما في المجتمع السعودي حيث إستخدمهم أحمد المنصور في الأعمال الزراعية والتجارية، بالإضافة إلى إستغلالهم في غمار الحروب القبلية⁽³⁾ أما في المجال العسكري فقد إستفاد المنصور من خبرتهم في صناعة مختلف أنواع الأسلحة⁽⁴⁾ والذخيرة الحربية⁽⁵⁾، كما إستخدموا في تشييد وبناء الحصون العسكرية⁽⁶⁾. كما إمتنوا العديد من المهن كصناعة الزليج الملون على مختلف الأصناف تحت إشراف معلمون إنجليز وفلامنك وفرنسيين⁽⁷⁾، كما كانوا يمتنون مهنة نشر الخشب طوال أيام الأسبوع ماعدا يوم الجمعة، وكذا أيام الأعياد التي يحتفل بها المسيحيون خلال أيام من السنة الميلادية⁽⁸⁾. هذا بالإضافة إلى الإعتماد عليهم في خدمة القصر⁽⁹⁾ حيث كانوا يعملون بالسرايب أسفل القصر عددا من الأشغال في المخازن والمطابخ والمغاسل⁽¹⁰⁾. أما فيما يتعلق بعامة الناس فلقد إرتفع معدل إمتلاكهم لأسرى إلى أسير لكل شخص تقريبا، مما ينعكس سلبا على سوق الشغل بمدينة فاس، خاصة التي إمتلأت مدينتها القديمة بالأسرى، إلى حد أن أصحاب الحرف والفلاحين أصبحوا يملكون ما لا يقل عن إثنين أو ثلاثة من الأسرى، ويستعملونهم كعمال في مصانعهم أو في حقولهم⁽¹¹⁾.

كما تواجد بالمجتمع السعودي العديد من الرحالة والمغمورين أو الجواسيس، ورجال الدين المسيحيين الذين كانوا يشرفون على إفتكاك الأسرى وتبادل المسجونين، إذا بفضل هؤلاء الأجانب

(1) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 280-281.

(2) - المرجع نفسه، ص 280.

(3) - أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص 86.

(4) - ديبكتودي طوريس، المصدر السابق، ص 147.

(5) - مرمول كريخال، المصدر السابق، ج. 2، ص 52.

(6) - روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج. 1، [د.ط.]، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1416هـ/1992م)، ص 121.

(7) - انطونيو دي صالدانيا، المصدر السابق، ص 73.

(8) - مرمول كريخال، المصدر السابق، ج. 2، ص 155.

(9) - Mercedes Garcia- arenal, op.cit, p62.

(10) - عبد الهادي التازي، قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا بواعث تشييده وظروف وعمليات ترميمه، [د.ط.]، (الرباط: مطبعة فضالة، 1977م)، ص 07.

(11) - حليلة بنكري، معركة وادي المخازن...، المرجع السابق، ص 103-104.

الذين زاروا المغرب الأقصى وعلى الرغم من إختلاف الأسباب التي دفعتهم لزيارته إلى أننا إستطعنا بفضلهم التعرف على الكثير من مظاهر الحياة⁽¹⁾ خلال العهد السعودي بصفة عامة، وفترة أحمد المنصور بصفة خاصة، إذ بفضل ما كتبوه عن تاريخ المغرب الأقصى تم كشف وإمادة اللثام على الكثير من الحقائق المسكوت عنها، والتي في الغالب لا نجدها في الكتابات المحلية.

هـ-السودانيون:

سبق وأن أشرنا في الفصل الثالث عند حديثنا عن العلاقات ما بين الدولة السعودية والسودان الغربي عن توتر العلاقات ما بين الطرفين، وإزدادت حدتها بقُدوم المنصور، وقد نتج عن الخلاف ما بين الدولتين بأن قام المنصور بغزو السودان الغربي، وهو ما يهمننا في هذا المقام. فمن بين آثار ذلك التوسع خلال تلك الحملة هو إستقدام العديد من السودانيين كعبيد⁽²⁾. وفي هذا الصدد يذكر الأفراني: "... بعد أن استولى جودر باشا على تنبكت وسائر ما يواليها من المدائن والقرى، بعث جودر للمنصور يخبره بالفتح وبهدية عظيمة، فيها عشرة آلاف مثقال ذهباً، ومائتين من الرقيق وغير ذلك..."⁽³⁾، أما في الحملة الثانية على يد محمود باشا بن زرقون فقد أرسل أيضاً العديد من العبيد والغلمان حيث قال: "...ولما استوثق له الأمر هنالك، بعث نصف جيشه مع هدية للمنصور فيها من الذخائر ما لا يحصى، وهي اثني عشر مائة مملوك من الجواري والغلمان..."⁽⁴⁾.

وبذلك فقد تواجد بالمغرب الأقصى العديد من العبيد السودانيين، والذين تفاعلوا مع المجتمع السعودي، وقد كانت لهم أدوار كبيرة. فمن بين إسهاماتهم في الجانب الإقتصادي؛ إستغلال مجموعة كبيرة منهم كيد عاملة في الضيعات السلطانية المخصصة لقصب السكر، من خلال القيام بالعمليات الزراعية، وصيانة شبكات السقي، وغيرها من الأعمال، بل أن العديد من المؤرخين إعتبروا أن التزويد بالعبيد للإستخدام في مزارع قصب السكر ومعامله شكل إحدى الدوافع الرئيسية لغزو السودان⁽⁵⁾. إذ لم يكن للسعديين إلا سكر السوس للتعامل مع الأوروبيين، لكن أثناء صعود المنصور إلى السلطة لم تكن معاصر السكر مستثمرة، نتيجة ضعف المزارع والتجهيزات المائية، إذ أصيبت أثناء الصراع الذي إنتهى بإعتلاء عبد الملك للسلطة. حاول

(1) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص280.

(2) - جلال يحيى، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، [د.ط] (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1999م)، ص 117.

(3) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص167.

(4) - المصدر نفسه، ص 171.

(5) - الحسين عماري، " تجارة الرقيق ونظمية المخزن خلال العصر الحديث "، مجلة أهل، المغرب، مج.15، ع. 33، س. 2008، ص 72.

المنصور تقويم ذلك الوضع، فعمد إلى زيادة المزارع، والتجهيزات المائية والصناعية. أما بالنسبة لليد العاملة ففضل أن تكون من العبيد الذين إستغلوا كثيرا في مصانع السكر⁽¹⁾. علاوة على إستغلالهم كبضاعة عند تجار الرقيق⁽²⁾.

أما في الجانب العسكري فلا شك أنه كان له حضور قوي في تاريخ المغرب الأقصى، بإعتباره أنه شكّل الأداة الفعالة لبناء الدولة، وإستمرارها وسيادتها. ونظرا لأهمية الجانب العسكري، فقد أولاه المنصور عناية خاصة منذ بداية عهده، فشهد بذلك تطورا هاما، شمل بنيته وتسليحه ومهامه. ولعل أن أحمد المنصور الذهبي، كان من بين السلاطين السعديين الذين إهتموا بتشكيل جيش نظامي، معتمدا فيه على عدد من العبيد السود الذين تم إرسالهم إليه من تومبكتو⁽³⁾. ويذكر الزياني في هذا الصدد أثناء حديثه عن وصول الرقيق إلى مراكش من السودان فقال: "...فدفع المنصور نصف العبدان لرؤساء البحر يركبون فيه، ويخدمون معهم ليتدربوا على سفره، و النصف الآخر أعطاهم السلاح والخيل من جملة الجند وزجهم بالجواري كل واحد أعطاه واحدة، فأولئك العبيد هم أصل العبيد الذين جمعهم السلطان إسماعيل..."⁽⁴⁾.

لم يقتصر دور تجارة الرقيق على تزويد المؤسسة العسكرية بالعنصر البشري الضروري للخدمة العسكرية ولو بأعداد قليلة جدا، بل تعدى الأمر ذلك إلى مجالات أخرى، يمكن أن نميزها بين الإستخدام العائلي لتلك الشريحة الاجتماعية، وبين الطلب الرسمي عليها؛ أي إستخدامها في القصور السلطانية، فبخصوص إستغلال الرقيق في الخدمات المنزلية يمكن القول بأنه تم على يد الفئات الاجتماعية الثرية والحرفيين⁽⁵⁾.

كما شكلت الإيماء عنصرا مهما في القصر السلطاني، إذ أن العبيد الذين خصصوا للإستخدام الحريمي لاسيما من الإماء والخصيان⁽⁶⁾ لعبوا دورا بالغ الأهمية في خدمة البلاط. ففيما

(1)- محمد رزوق، " ملاحظات حول الوجود المغربي في السودان الغربي خلال فترة أحمد المنصور الذهبي (1578-1603م)"، ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع و الدولة عبر تاريخ المغرب، ج.2، [د.ط.]، (الدار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1989)، ص289.

(2)- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص281. ينظر أيضا: محمد أبيهي، " العبيد في تاريخ المغرب المعاصر"، مجلة ليكسوس مجلة إلكترونية، المغرب، ع. 21، س. 2018م، ص 10.

(3)-الحسين عماري، المرجع السابق، ص73. ينظر أيضا:

Morisse Delafosse: " LES debuts des troupes noire du MAROC ", HESPERIS-Tamuda , vol. iii, paris, 1923, P.01.

(4)- محمد رزوق، دراسات في تاريخ...، المرجع السابق، ص 18.

(5)-الحسين عماري، المرجع السابق، ص75.

(6)- الخصاء عادة مارستها الشعوب قديما، وتتمثل في تجريد الذكر من فحولته، من أجل التأثير في مسار حياة العبد وسلوكاته الجنسية، كانت عملية الخصي يقوم بها تجار يهود. ينظر: عيوني محمد دور الرقيق في الحياة السياسية والثقافية ببلاد المغرب والأندلس خلال القرنين 5 و4 الهجريين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص حضارة إسلامية، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية، جامعة الجزائر 1، 1433-1434هـ/2012-2013م، ص 52.

يخص الإماء ضم القصر السلطاني حريما تكوّن من عدد من الجوارى المحظيات، وجدت بينهن سودانيات، وقد عرف عن المنصور السعدي إهتمامه بهذا النوع الخاص من نساء السودان، بغرض⁽¹⁾ التسري⁽²⁾. إلى جانب الزوجات الشرعيات إتخذ الملوك السعديون عددا غير محدد من الإماء البيض والسود⁽³⁾، سواء ممن يتم شراؤهن أو أسرهن بأعداد كبيرة، خاصة في السودان التي جلب منها الألاف من الجوارى على دفعات في عهد المنصور، إذ ضمت إحداها إثني عشر مملوكا بين الجوارى والغلمان⁽⁴⁾، وأخرى عشرة آلاف جارية كلهن في سن البلوغ، كما حث المنصور قائده هناك على أن يجلب له من إناث الأسرة الحاكمة في السودان - أسرة أسكية-⁽⁵⁾ ما يليق بمقامه⁽⁶⁾.

ففي سنة 1599م عاد جودر باشا إلى مراكش حاملا معه خمسة عشر من بنات أسكية، ليتخذهن السلطان في عداد المحظيات، ووجدت محظيات كذلك داخل البلاط أو إماء أوروبيات. كما تكوّن حريمه من مائة وستين امرأة، عدا الإماء اللواتي كن في خدمة الأميرات⁽⁷⁾. أما فيما يتعلق بالخصيان، فإنه حسب ما تذكره المصادر فإن حضور الذكور من العبيد إنحصر في هذه الفئة التي كان بإمكانها وحدها التردد على الحريم؛ الجناح المخصص للعائلة السلطانية من أجل حراسة نساء السلطان⁽⁸⁾.

ب- طبقات المجتمع السعدي:

تصنيف عام لفئات المجتمع السعدي على ما يلي:

1- **الفئة الأولى (الطبقة الحاكمة):** نجدها في قمة الهرم الإجتماعي، وهي تمثل أفراد الأسرة الحاكمة، وقد كان المنصور يولي البعض منهم مهاما سياسية، أو يعطيهم ولايات خاصة⁽⁹⁾.

(1)-الحسين عماري، المرجع السابق، ص 75.

(2)- هو اتخاذ الأمة المملوكة للجماع من قبل سيدها، وقد عرف في الأمم السابقة، إلا أن الإسلام وضع له شروط تكفل للجارية حقوقها، وتصور كرامتها الإنسانية، والتسري جازئ في الإسلام بالكتاب والسنة والإجماع. ينظر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، ج.11، ط.2، (الكويت: وزارة الأوقاف و الشئون الإسلامية، 1408هـ-1988م)، ص 294.

(3)- ديبكتودي طويريس، المصدر السابق، ص 157.

(4)- مؤرخ مجهول، **تاريخ الدولة السعدية ...**، المصدر السابق، ص 68.

(5)- أسس سنى على إمبراطورية " صنغي" الإسلامية، وكان أول إمبراطور لها، وعند موته انتقل الحكم إلى أسرة جديدة، أحد قواد " السوننكي" إحدى قبائل منطقة غرب إفريقيا، وهو " أسكيا محمد الأول" بعد إعلانه الثورة على ابن " سنى على" واستيلائه على السلطة. و" أسكيا" لقب يعني " القاهر"، حيث قام بتنظيم شؤون البلاد من الناحية الإدارية، واستخدم طائفة من الموظفين الأكفاء، كما نظم الجيش، وأفاد من الخبرات السابقة، واتخذت حركته مظهرا إسلاميا واضحا، وقد استمر أبناؤه في حكم البلاد إلى أن سقطت في يد السعديين. ينظر: عبد الرحمن قدوري، **الغزو المغربي...**، المرجع السابق، ص 127.

(6) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 271-272.

(7) - الحسين عماري، المرجع السابق، ص 75.

(8) - المرجع نفسه، ص 75.

(9)- أحمد بن القاضي، **المنتقى المقصور ...**، ج.1، المصدر السابق، ص 216.

2- **الفئة الثانية (طبقة كبار القوم):** وتتشكل من السياسيين والقادة العسكريين، الذين كانوا يحيون حياة خاصة، للإنعامات والهبات المتوالية التي يغدقها المنصور عليهم في مختلف المناسبات والظروف، ثم للإقطاعات التي كانت تقدمها لهم الدولة، ويدخل في هذه الفئة رؤساء القبائل وشيوخها من (عرب الدولة) (1).

3- **الفئة الثالثة (الطبقة المتوسطة):** تتكون من شرفاء وقضاة وفقهاء، وكتاب وشعراء وقراء وخطباء، وأجناد ورؤساء، وشيوخ وعمال، ويدخل ضمن هؤلاء أيضا فئة التجار الأغنياء (2) ممن كانوا يشكلون نواة الطبقة البورجوازية. وأخذت هذه الفئة تبرز بفضل إزدهار أعمال التجارة الداخلية والخارجية، والتشجيع المتواصل للمنصور لهم، مما أدى إلى تكديس الأموال حتى صاروا أغنياء (3). ولا يخفى ما كان لهؤلاء من أثر في الكثير من الإجراءات الاقتصادية التي إتخذها المنصور لصالح التجارة الداخلية بالمغرب الأقصى، والمساعدة التي قدموها في عملية غزو السودان (4).

4- **الفئة الرابعة (الطبقة الكادحة أو العامة):** وهي قاعدة الهرم الاجتماعي وتضم فئات العامة من أرباب الحرف وطبقات الجند، وجمهور الشعب في المدن والبوادي، وفي السهول والجبال (5). وللاشارة أن هذا التصنيف كان مرنا وليس بدائم، إذ أنه هناك عناصر تحولت بسرعة من فئتها إلى فئة أخرى أحسن منها، وذلك لعدة أسباب منها: الثورات أو نتيجة للخدمة العامة للسلطة أو نتيجة للدور الثقافي والعلمي (6).

ج- النمو الديمغرافي.

إن علم الديموغرافيا هو علم يعتمد في الأساس على الإحصاء، فيبحث في حياة البشرية ولاسيما عدد الولادات والوفيات، وعن الأحوال العامة للسكان في فترة زمنية محددة. ويبرز التغير الطارئ في النمو الديموغرافي من حيث التزايد أو النقصان في تعداد السكان (7)، وهذا ما يوضح لنا على أن الباحث في التاريخ الديموغرافي يعتمد بالدرجة الأولى على الأرقام، أو يقدر أعداد السكان، ولكن إذا لم يقدم مبررات معقولة حول ذلك، فإن أرقامه هذه تظل بدون مصداقية، ولا تترتب عنها نتائج يعتد بها من الناحية العلمية. وقيام باحث معين بتصور وتقدير أرقام

(1) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص 290-291.

(2) - أحمد بن القاضي، **المنتقى المقصور...**، ج.1، المصدر السابق، ص ص 216-217.

(3) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 291.

(4) - أحمد بن القاضي، **المنتقى المقصور...**، ج.1، المصدر السابق، ص 217.

(5) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 291.

(6) - أحمد بن القاضي، **المنتقى المقصور...**، ج.1، المصدر السابق، ص 217.

(7) - عبد الكريم الياقي، **في علم السكان مباحث في المورفولوجية الاجتماعية**، [د.ط.]، (دمشق: مطبعة الجامعة السورية، 1370هـ/1951م)، ص 06.

وإحصاءات، والإعتماد عليها في البحث لا يمنع باحثاً آخر من تقديم أرقام أخرى، مخالفة لها، مما يحول هذا البحث في هذا المجال إلى نوع من التخمين والحدس⁽¹⁾.

إن المشكلة الرئيسية التي إعتزنتنا عند محاولة الخوض في هذا المجال، هي غياب الإحصائيات الدقيقة، مما يجعل أي محاولة نقدمها تقوم على أساس التقدير والتقريب⁽²⁾، وذلك بسبب عدم إستعمال " كنانيش " هذا من جهة، ومن جهة أخرى إمتناع معظم سكان القبائل عن دفع الضرائب للسلطة المركزية منذ العصر المريني، حال دون توفر " كنانيش " ضرائبية إحصائية تتعلق بكل أنحاء البلاد، بحيث تقوم مقام إحصاء سكاني، وإن المصادر التي وردت فيها بعض الإشارات حول النمو الديموغرافي تبقى مجرد ملاحظات، كون أنها تصف السكان بالكثرة ولا تعطي أرقاماً دقيقة⁽³⁾.

مثال على ذلك ما ذكر الباحث " عثمان المنصوري " نقلاً عن المؤرخ فرناند بروديل بأن عدد سكان مدن البحر الأبيض المتوسط، عرف إرتفاعاً، سواء من الدول المسيحية أو الإسلامية، في نفس الفترة. ويذكر أن عدد سكان المغرب والجزائر وتونس لم يتعد ثلاثة ملايين نسمة على أكثر تقدير، ويستند إلى ذلك بتكاثر الأسود والحيوانات المفترسة بالقرب من المدن والدواوير، مما يوحي بفراغ البلاد من السكان⁽⁴⁾.

كما أن كتاب وصف " إفريقيا " لحسن الوزان، يُعد من المصادر التي تطلعنا على الأحوال العامة للمغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر، وخاصة أنه يطلعنا على أحواله الديمغرافية، ويستمد هذا المصدر قيمته من كون صاحبه جال في البلاد طولاً وعرضاً⁽⁵⁾. بالإضافة إلى كتاب " إفريقيا " لمرمول " كرخال ". فالكتابان معا يقدمان وصفاً عاماً لمدن وقرى المغرب، ويتضمنان أرقاماً عن عدد السكان، إنطلاقاً من وحدة تقريبية، وهي " الكانون "، كوحدة حسابية، وهو مقياس لا يمكننا من معرفة العدد الحقيقي للسكان. فالكانون يعادل خمسة أفراد، وهو بدوره رقم تقريبي⁽⁶⁾ هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن كتاب حسن الوزان " وصف إفريقيا " تعتريه بعض العيوب، خاصة وأنه لم يدون مصدره في المغرب الأقصى، وإنما دونه في إيطاليا معتمداً على ذاكرته

(1) - عثمان المنصوري، " بعض قضايا البحث الديمغرافي في الفترة الحديثة (القرن 16م نموذجاً) "، مجلة كنانيش، المغرب، ع.1، س. 1992م، ص83.

(2) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص336.

(3) - محمد استيتو، الكوارث الطبيعية في تاريخ...، المرجع السابق، ص76.

(4) - عثمان المنصوري، بعض قضايا البحث...، المرجع السابق، ص83.

(5) - محمد استيتو، " الأزمة الديموغرافية في تاريخ المغرب الحديث "، مجلة كنانيش، المغرب، ع.1، س. 1999م، ص116.

(6) - عثمان المنصوري، بعض قضايا البحث...، المرجع السابق، ص84.

فقط⁽¹⁾، هذا علاوة على أن الوزن بالرغم من أنه قد زار المغرب الأقصى طولا وعرضا، وأحصى عدد السكان، إلا أنه لم يتعرض لذكر كل التجمعات السكانية بنفس الدقة والإهتمام⁽²⁾، ومثال على ذلك أنه عند الحديث عن بلاد تيبوت إكتفى بقول: "... وفي القسم الجنوبي من بلاد تيبوت القريب من الأطلس (الصغير) تكثر القرى والمداشر... " ⁽³⁾، دون ذكر تلك القرى والمداشر وعدد كواينها، ناهيك عن المناطق التي لم يزرها، أو لم يتحدث عنها بالمرّة⁽⁴⁾. وقد نهج مارمول، نفس المنهج والطريقة التي اتبعها الوزن في الوصف، وأخذ عنه أحيانا الكثير، رغم أنه يتحدث عن فترة أخرى من القرن 16م⁽⁵⁾.

على الرغم من صعوبة الإعتقاد على كتابي حسن الوزن ومارمول كرخال بسبب ما يغلب عليهما من طابع التقديرات، مما يجعلنا نقع في التخمين والحدس التي سبق وأن أشرنا إليهما، إلا أننا سنركز على مصدر آخر، وهو كناش السلطان أحمد المنصور الذهبي؛ وهو عبارة عن تقييد كتبه إبراهيم بن عبد الله الحساني⁽⁶⁾، بطلب من أحمد المنصور سنة (988هـ/1580م)، خلال الحركة التي قام بها للسوس الأقصى في نفس السنة⁽⁷⁾، حيث تم إحصاء عدد القبائل، وتم تسجيلها على أساس وحدة السرجة، التي تعادل 15 كانون⁽⁸⁾.

ولقد توصلت الباحثة حليلة بنكرعي، من خلال تحليلها لما جاء في " كناش السلطان أحمد المنصور الذهبي "، أن عدد تعداد سكان قبائل سوس يصل إلى 1.557.950 نسمة⁽⁹⁾⁽¹⁰⁾. ويتضح لنا من خلال الدراسة التي قامت بها الباحثة أن معطياتها دقيقة، وذلك استناداً إلى إعتقاد تقييد عدد القبائل بدقة في " كناش المنصور " عكس مصدر حسن الوزن الذي يعتمد على التقدير والتخمين كما سبق وأن أشرنا، وهذا ما يجعلها دراسة أكثر مصداقية. وعليه نستنتج أن

(1) - حسن الوزن، المصدر السابق، ج.1، ص15.

(2) - محمد استيتو، الأزمة الديموغرافية...، المرجع السابق، ص 116.

(3) - حسن الوزن، المصدر السابق، ج.1، ص 116.

(4) - محمد استيتو، الأزمة الديموغرافية...، المرجع السابق، ص116.

(5) - عثمان المنصوري، بعض قضايا البحث...، المرجع السابق، ص84.

(6) - هو سوسي الأصل من سكان بلدة " ايرغ " في الأطلس الصغير، حيث أقام بفاس، لإتمام تعليمه عن علمائها، وقد نال حظا وافرا من العلم والمعرفة، وكان يلقب ببقية جزوالي، وقد صادف تاريخ قيام السلطان أحمد المنصور السعدي برحلته إلى سوس عام (988هـ/1580م)، وهي الفترة التي كانت محلته مستقرة بنازلة ايرغ. وانتهى به الأمر إلى الانضمام إلى جيش السلطان، وأصبح من عيونه بسوس، وقد كلفه السلطان بوضع هذا الديوان. ينظر: إبراهيم بن علي الحساني، المصدر السابق، ص03.

(7) - حليلة بنكرعي، مداخل بيت المال...، المرجع السابق، ص140.

(8) - إبراهيم بن علي الحساني، المصدر السابق، ص 02.

(9) - حليلة بنكرعي، مداخل بيت مال...، المرجع السابق، ص34.

(10) - باعتبار أن عدد سكان البوادي 2.700.000 نسمة، وعدد الكوانيين في 270.000 كانونا، يعني أن الكانون يعادل 10 أفراد. ينظر: حليلة بنكرعي، المرجع نفسه، ص 34.

عدد سكان منطقة سوس وحده كان يفوق تعداد سكان مراكز تجمع السكان في الحواضر، وهذا مما يؤكد أن أرقام الوزن تظل معطى مساعدا فقط، ولكنه لا يمكن الإعتماد عليها بدرجة كبيرة⁽¹⁾. مما ينبغي الإشارة إليه حول صعوبة البحث خلال الفترة قيد الدراسة هو ظهور تغيرات على مستوى النمو الديمغرافي، إذ أننا نلمس نوعين من التحولات التي طرأت على تعداد السكان: تحول إيجابي، وآخر سلبي، أما التحول الإيجابي فهو كما شهدنا أثناء حديثنا عن تركيبة المجتمع السعودي خلال الفترة المدروسة، إذا لاحظنا بشكل جلي توافد عناصر جديدة على المجتمع السعودي وفي مقدمتهم عنصر الأندلسيون واليهود، والذين نزحوا إلى المغرب الأقصى بعد سقوط آخر معاقل المسلمين في الأندلس، بحكم القرب الجغرافي، وكذا العامل الديني بالنسبة للأندلس. كما توافد على المغرب الأقصى عناصر أخرى تمثلت في العنصر الأوروبي والعثماني، بالإضافة إلى العنصر السوداني، وقد أدى ذلك التوافد إلى زيادة في تعداد ساكنة المغرب الأقصى. ومما يؤكد ما ذهبنا إليه ما أورده فرناند بروديل حيث قال: "... وكان على المتوسط أن يجد نفسه حلا لمشكلة تضخم عدد سكانه... فالمحاولات المتكررة لطرد اليهود ابتداء من مطلع القرن الخامس عشر... وعمليات طرد المريسك (مسلمي اسبانيا) في عهد فليب الثاني لم تكن إلا مؤشرا على التضخم السكاني في المتوسط... وإن هذه هجرات ذات دلالات هامة قياسا إلى عدد السكان في القرن السادس عشر..."⁽²⁾. وهذا ما يوضح لنا جليا الزيادة في تعداد سكان المغرب الأقصى؛ وذلك بنزوح اليهود والأندلسيين إليه، بالإضافة إلى العناصر الوافدة الأخرى التي سبق وأن أشرنا إليها.

وعلى النقيض من ذلك نلمس تحولا سلبيا، يمكن أن نصفه بالنزيف الديمغرافي، الناتج عن الحروب، والكوارث الطبيعية، التي عرفها المغرب الأقصى خلال تلك الفترة؛ بحيث شهد المغرب الأقصى العديد من المعارك والحروب⁽³⁾، وشتى أنواع المواجهات والإصطدام⁽⁴⁾ التي جرت بين

(1) -عثمان المنصوري، بعض قضايا البحث...، المرجع السابق، ص 85.

(2) - فرنان بروديل المتوسط والعالم المتوسطي، تعر: مروان أبي سمرا، ط. 1، (بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، 1413هـ/1993م)، ص 92.

(3) - تجدر الإشارة أنه قد بلغت عدد المعارك بحلول القرن 16 م، إلى ما يناهز 160 معركة، موزعة كما يلي: معارك بين الوطاسيين والبرتغال، وعددها 26 معركة، و معارك بين الوطاسيين والمعارضين لحكمهم، وعددها 7 معارك، معارك بين الوطاسيين والسعديين وعددها 14 معركة، غارات البرتغاليين على سكان المغرب الأقصى، تفوق عددها 64 معركة، معارك السعديين والمعارضين لحكمهم، والتي بلغت 30 معركة. ينظر: عثمان المنصوري: " تأثير الحروب والكوارث على النشاط التجاري بمغرب القرن السادس عشر"، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج. 2، [د.ط.]، (الدار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الحسن الثاني بعين الشق، 1989م)، ص 167.

(4) - محمد استيتو، " الأزمة الديمغرافية في تاريخ المغرب الحديث"، مجلة كناش الديمغرافي التاريخية، المغرب، ع. 2، س. 2000 م، ص 42.

أطراف متعددة، تسببت في العديد من القتلى⁽¹⁾. لذلك يعتبر تراجع تعداد سكانه أمراً طبيعياً⁽²⁾، كما رضح تحت وطأة عدد من الكوارث المختلفة: وباء، جفاف، مجاعة، جراد... الخ⁽³⁾. وإذا كان من الصعب تقدير عدد ضحايا تلك الحروب والكوارث، فإن المرجح هو أن عدد الوفيات فاق كثيراً عدد الولادات. فعرف بذلك المغرب الأقصى تراجعاً في عدد سكانه.

والدليل على ذلك التراجع، هو أن المغرب الأقصى فقد قسماً كبيراً من سكانه في سنوات المجاعة والوباء من (1507-1512م)، والجفاف، والمجاعة الكبرى من (1516-1522م)⁽⁴⁾. وقد أدى ذلك إلى حدوث نزيف ديمغرافي كبير تمثل في تراجع ساكنة المغرب خلال الفترة، بنسبة تجاوزت الثلث⁽⁵⁾؛ مع تفاوت كبير بين المناطق في معدل الوفيات الناجمة عن المجاعة والوباء، إذ وصل إنخفاض النمو الديمغرافي في بعض المناطق إلى نسبته 70%⁽⁶⁾. فيما أصبحت بعض المناطق خالية تماماً، دون إعادة الإعمار نتيجة للطاعون والمجاعة التي أصابت البلاد⁽⁷⁾.

هذا بالإضافة إلى مجاعة 1525م، ووباء 1533م، ثم وباء (1535-1537م)، ومجاعات سنة (1540-1549م)، ومجاعة وقحط (1551-1554م)، ووباء 1557م وجفاف ووباء 1579م وجفاف وقحط 1582م، والوباء الكبير سنة 1597م⁽⁸⁾.

إنطلاقاً مما سلف يتضح لنا جلياً أن تراجع تعداد السكان كان مستمراً طوال القرن السادس عشر، وإستمر حتى خلال الفترة المدروسة، وهذا مما لا يسمح بتعويض عدد الموتى الذين تم فقدانهم جراء تلك الأوبئة. حتى إذا سلمنا بأن الأوبئة كانت متباعدة في بعض السنوات، فإنه خلال الفترات التي يتوقف فيها الوباء، كانت تحدث الكوارث الطبيعية، ناهيك عن الحروب. كل تلك الكوارث ساهمت بشكل كبير في تراجع النمو الديمغرافي، وأثرت على الأنشطة الاقتصادية، وعلى التطور العمراني والحضاري.

(1) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 339.

(2) - محمد استيتو، الأزمة الديمغرافية...، المرجع السابق، ص 45.

(3) - تجدر الإشارة إلى أن الكوارث الطبيعية بالمغرب الأقصى خلال القرن 16 م، كانت على النحو التالي: الوباء 8 مرات، الجفاف والمجاعة 12 مرة، الفيضانات: 4 مرات، الجراد 4 مرات، علاوة على الزلازل مرة واحدة. للمزيد ينظر: عثمان المنصوري، تأثير الحروب...، المرجع السابق، ص 169.

(4) - عثمان المنصوري، بعض قضايا...، المرجع السابق، ص 87.

(5) - محمد الناجي، التوسع الأوروبي والتغير الاجتماعي في المغرب ق 16-19م، تر: عبد الرحيم حزل، ط.1، (الرباط: جذور النشر، 2004م)، ص 61.

(6) - برنار روزنبرجي وحفيد التريكي، المرجع السابق، ص 52-53.

(7) - مارمول كرخال، مصدر السابق، ج.2، ص 102-103.

(8) - عثمان المنصوري، بعض قضايا...، المرجع السابق، ص 87.

ثانيا: الأوضاع الصحية:

أ-الكوارث الطبيعية:

لقد تعرض المغرب الأقصى في القرن السادس عشر إلى جملة من الكوارث الطبيعية، منها الأوبئة والجفاف، والمجاعة بالإضافة إلى الزلازل. كما تعرض إلى فيضانات قوية ناهيك عن هجوم الجراد من حين إلى آخر⁽¹⁾.

1-الأوبئة:

لقد أصيب المغرب الأقصى بسلسلة من الأوبئة، والتي كانت تعصف بالبلاد بشكل دوري خلال القرن السادس عشر، وكانت تأتي عادة من القارة الأوروبية. إذ أنه إثر سقوط آخر معاقل المسلمين في الأندلس 1492م، نزحت أعداد كبيرة من المسلمين واليهود نحو المغرب الأقصى، بحكم القرب الجغرافي، فتسبب هؤلاء في نقل الأوبئة إليه، مع بداية العصر الحديث، إذ بالرغم من الترحيب الذي لاقوه من قبل السلاطين الوطاسيين، إلا أنه لم يسمح لهم بدخول العاصمة فاس، وذلك بسبب وصول أخبار مفادها وجود مصابين بوباء الطاعون، لذلك تم نصب مخيم لإقامتهم خارج أسوار المدينة، من أجل منع نقشي البواء. ومع ذلك فإن التدابير الاحترازية لم تأت أكلها، وقد نجم عن ذلك دخول البواء للمدينة، حيث تسبب في وقوع كارثة بوفاة 20.000 شخص داخل المدينة ونواحيها. بعد زوال البواء سمح لمن بقى منهم على قيد الحياة بالدخول إلى المدينة، في حين قرر الكثير منهم العودة إلى إسبانيا وتغيير معتقدتهم إلى الديانة المسيحية⁽²⁾.

وقد عرفت البلاد ظهور وباء الطاعون مرة أخرى سنة 1509م⁽³⁾، وتزامن هذا البواء بدخول السعديين إلى السوس الأقصى⁽⁴⁾. وقد أعقب ذلك البواء حدوث أزمة في المغرب، بسبب حدوث الجفاف والمجاعة والغلاء، وقد رافق تلك الأزمة حلول وباء آخر، والذي كان أشد فتكا، عُرف باسم " لطاعون "، والذي إمتد ما بين (1520-1522م)، ونجم عنه هلاك عدد كبير من الضحايا، الذين أنهكتهم أزمة الجوع، والقحط، بالإضافة إلى البواء⁽⁵⁾.

(1)-عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص325.

(2)- برنار روزنبرجي وحميد التريكي، المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16 و17م، تر: عبد الرحيم حزل، ط.2، (الرباط: منشورات دار الإيمان، 2010م)، ص 20-22.

(3)- Nachoui Mostafa: " Histoire des épidémies au Maroc: Des pestes à la covid-19 ", **Revue Espace Géographique et société Marocaine**, Maroc, N°40, Septembre 2020, p7.

(4)- برنار روزنبرجي وحميد التريكي، المرجع السابق، ص 25.

(5)- المرجع نفسه، ص31-33.

وقد عاود الوباء زمن السلطان عبد الله الغالب، إذ بعد عودته من معركة وادي اللين التي جرت رحاها بينه وبين الباشا العثماني على الجزائر حسن بن خير الدين، في إطار الصراع الطويل ما بين الطرفين، والذي راح ضحيته والده محمد الشيخ سنة 1557م. وأثناء عودته وجد الوباء قد إجتاح مدينة فاس، فأستقر خارج أسوارها⁽¹⁾. بحيث إنتقلت عدوى الوباء عن طريق مدينة مليلية المحتلة من طرف الإسبان⁽²⁾، وإستمر ذلك الوباء من سنة (1557-1558م)⁽³⁾، وقد عرف بالطاعون، حيث إستوطن جبال الريف على طول الساحل المتوسطي. ثم إنتقل إلى مدينة فاس معقل السعديين⁽⁴⁾، حيث كان يوقع ما بين 1000 و1500 من الضحايا يوميا⁽⁵⁾، في تلك المدينة وحدها. كم تأثرت مدينة مراكش هي الأخرى بذلك الوباء، بحيث أصاب من فئة اليهود فقط حوالي 7500 شخص⁽⁶⁾. وقد أشار إليه الناصري على أن ذلك الوباء كان من أشد الأوبئة فتكا، حيث قال: " وفي سنة خمس وستين وتسعمائة كان بالمغرب وباء عظيم كسا سهله وجباله وأفنى كمامته وأبطاله واتصل أمره إلى سنة ست وستين بعدها "⁽⁷⁾.

أما في فترة حكم المنصور فقد تميز عهده على العموم، بتدهور الأحوال الصحية التي كثيرا ما نجمت عن المجاعات، والفيضانات. فقد إختلفت تلك الأوبئة من حيث تأثيرها؛ فكانت هناك أوبئة معدية، وبعضها كان ينتقل من جهات أخرى إلى أوروبا أو بالعكس. إذ بعد معركة وادي المخازن الشهيرة 1578م، التي إنتصر فيها السعديون على البرتغاليين إنتشر مرض الكحة (السعال)، مدة سنتين متواليتين (1579-1580)⁽⁸⁾، أدى إلى وفاة عدد كبير من الناس، والذي إعتبر عقابا من الله بسبب عدم إقتسام الغنائم الهائلة لتلك المعركة بوجه شرعي⁽⁹⁾. وقد عرف ذلك الوباء بإسم " الزكام الإسباني " الذي أصيبت به إسبانيا والأراضي الجرمانية، ولكنه سرعان ما إنتقل من الضفة الأوروبية إلى المغرب الأقصى⁽¹⁰⁾، وقد وصف ذلك العام " عام كحيجة " أو عام " البقول ". إذ يشير الأفراني إلى ذلك بقوله: " ... وفي عام سبعة وثمانين وتسعمائة، وقع غلاء

(1) - أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 39.

(2) - برنار روزنبرجي وحميد التريكي، المرجع السابق، ص 81-82.

(3) - Nachoui Mostafa, op . cit, p10.

(4) - برنار روزنبرجي وحميد التريكي، المرجع السابق، ص 82.

(5) - Nachoui Mostafa, op .cit, p10.

(6) - برنار روزنبرجي وحميد التريكي، المرجع السابق، ص 83.

(7) - أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 88.

(8) - إبراهيم حركات، أحمد المنصور الذهبي...، المرجع السابق، ص 74.

(9) - أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 191.

(10) - برنار روزنبرجي وحميد التريكي، المرجع السابق، ص 85-86.

عظيم حتى عرف ذلك العام بعام البقول. ووقع سعال عظيم أصاب الناس عامة في بعض فصول ذلك العام فلا يزال الإنسان يسعل إلى أن تقبض روحه، وسمي العام عام كحيجة⁽¹⁾.

وقد عاود الوباء من جديد في عام 1597م، قادما من إسبانيا⁽²⁾، لتنتقل عدواه إلى المغرب الأقصى، والذي سماه القادري في مصنفه نشر المثنائي " بالطاعون العظيم "، حيث بلغت فيه أعداد الموتى ما بين 500 إلى 1000 فرد في مدينة فاس وحدها، من بينهم 6 آلاف من أعيان وشرفاء وفقهاء المدينة⁽³⁾. وقد إستمر وباء الطاعون ما بين عامي (1597-1598م) يحصد الأرواح. ثم عاود الوباء من جديد سنة 1598م، حيث تفشى الطاعون بمراكش لدرجة أنه أودى بحياة ألف وستمائة أسير من أصل ألفين وأربعمائة، أي الثلثين⁽⁴⁾.

ثم عاود الوباء سنة 1601م، ولكنه كان أشد فتكا من سابقه على الرغم من أن الجو كان أقل فسادا من سنة 1598م، ولتقادي ذلك الوباء كان يلجأ السلطان أحمد المنصور إلى أخذ الحيطه منه، من خلال قضاء فترة الوباء التي إستمرت أربعة أشهر خارج المدينة⁽⁵⁾، ثم جاء بعده وباء سنة 1603م، وقد عم سهل المغرب الأقصى وجبله، وقد حصد عددا من الموتى في صفوف العامة⁽⁶⁾، حيث توفي على إثره السلطان أحمد المنصور⁽⁷⁾. إذ تشير بعض المصادر كما ذكرنا عند حديثنا عن وفاة السلطان، أنه مات مسموما من طرف ابنه زيدان، بإيعاز من طرف والدته رغبة منها في وصول ابنها إلى الحكم⁽⁸⁾.

2- المجاعات:

عرف المغرب الأقصى عبر مختلف مراحل التاريخ موجات من المجاعة التي ضربت البلاد والعباد، وخلفت نتائج كارثية على مستوى بنياته الاقتصادية والاجتماعية. يمكننا تعريف المجاعة على أنها نقص شديد في المنتوجات الغذائية، لدرجة يستحيل فيها على السكان الحصول على ما يفهم من القوت، ويرتبط حدوث المجاعات بعوامل مختلفة؛ بعضها طبيعي⁽⁹⁾، وبعضها بشري⁽¹⁾،

(1) - محمد الصغير الأفراني، *نزهة الحادي...*، المصدر السابق، ص 247.

(2) - Rivet Daniel, *Histoire du Maroc de Moulay Idris à Mohammed VI*, (France: Librairie Arthème Fayard, 2012), p192.

(3) - محمد القادري، المصدر السابق، ج.1، ص 69.

(4) - انطونيو دي سالدانبا، المصدر السابق، ص 215.

(5) - المصدر نفسه، ص 205.

(6) - محمد الصغير الأفراني، *نزهة الحادي...*، المصدر السابق، ص 279.

(7) - محمد القادري، المصدر السابق، ج.1، ص 105. ينظر أيضا:

(8) - محمد الصغير الأفراني، *نزهة الحادي...*، المصدر السابق، ص 279.

(9) - تنشأ المجاعة من الكوارث الطبيعية من فيضانات وأوبئة، وكذا من ظواهر أخرى مثل الجراد، الذي حل بالمغرب خلال سنوات 1517 و 1540 و 1571 و 1579م، بحيث توجد هناك علاقة وطيدة ما بين هذه العوامل، وبين المجاعة.

وأهم مسبب لها هو نقص أو عدم إنتظام الأمطار، أو إنعدامها في بعض الحالات، مما يؤثر سلبا على الإنتاج الفلاحي، كما يؤثر أيضا على القطيع، إذ يلجأ الناس لبيعه خوفا عليه من الموت وتصبح الوضعية أشد قسوة. عندما تتوالى سنوات الجفاف، حيث يستهلك الإحتياطي من الحبوب في البذر، وهو ما يجعل عودة الإنتاج إلى حاله السابق أصعب، حتى بعد زوال الجفاف⁽²⁾.

قبل بداية حديثنا عن ذكر السنوات التي حدثت فيها المجاعة خلال القرن السادس عشر إلى غاية فترة السلطان أحمد المنصور، تجدر الإشارة إلى أنه من خلال تتبعنا للمصادر التاريخية، وعند رصد السنوات التي حدثت فيها المجاعة، نجد دائما المجاعة يرادفها: إنحباس المطر⁽³⁾، وكذا قلة المواد الغذائية، وكذا غلاء الأسعار، والأوبئة، وكثرة الأموات.

فقد ضربت المغرب الأقصى مجاعة مابين سنة (1520-1521م)، والتي تعرف بسنة " الجوع الكبير". حيث رصد لنا الناصري ذلك الحدث بقوله: وفي سنة ست وعشرين وتسعمائة انحبس المطر بفاس والمغرب واضطر الناس إلى استخراج السواني من الأودية والأنهار ليسقي زرعهم ... وفي سنة سبع وعشرين بعهدنا أن الغلاء صار تاريخا في الناس مدة⁽⁴⁾، فقد شمل الجفاف البلاد كلها، إلا أن سهول الشاوية ودكالة كانت أكثر تضررا منها، وتقاديا للموت جوعا⁽⁵⁾، جعل المغاربة يبيعون أبناءهم للأبييريين، خوفا عليهم من الموت بالجوع، قبل أن يتحولوا هم أنفسهم إلى رقيق عند البرتغاليين⁽⁶⁾.

و شهد المغرب الأقصى خلال خريف سنة 1540م إلى غاية سنة 1541م جفافا ومجاعة خطيرة، عرفت حدة تلك المجاعة، خاصة في السهول الأطلسية، وفي السوس، وزاد من حدتها أسراب الجراد القادمة من الجنوب، وبلغت حتى طنجة. وإن كانت تلك المجاعة لم تتسبب في خسائر مادية، إلا أنها تسببت في إرتفاع الأسعار في الجنوب؛ في منطقة النفوذ السعودي، وقد

(1) - فالحروب مثلا تؤدي إلى نقص السكان الذين يزاول البعض منهم الفلاحة. كما أنها تخرب الأراضي التي تكون مسرحا للقتال، وتؤدي إلى عدم استقرار سلطة المخزن، وتحدث تخوفا من السكان على محاصيلهم. وتدفع العديد منهم إلى ترك أراضيهم والفرار إلى المناطق الأكثر أمنا. بل تحول بعضهم من فلاحين مستقرين، إلى رعاة متنقلين، كما تتأثر المواصلات ومعها التبادل التجاري بين البادية والمدينة، مما يؤدي إلى تراجع في الإنتاج.

(2) - عثمان المنصوري، التجارة بالمغرب...، المرجع السابق، ص 327-328.

(3) - عرف المغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر، تزامنا مع تلك الفتن فترات طويلة من الجفاف، والتي بلغت إحدى عشر سنة نذكر منها السنوات التالية: 1511-1517-1519-1520-1540-1552-1553م، 1583م. وقد كان يفرض فيها الصوم عادة لمدة ثلاثة أيام متفرقة، خاصة أيام الإثنين والخميس. ينظر أيضا:

- أحمد بوشارب، مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر، ط.1، (الرباط: منشورات كلية الآداب، 1996م)، ص 47.

- Georges Vajda, " Un recueil de textes judeo-marocaines ", Hesperis tamuda, 1 ère partie, 3^e-4^e trim, t. xxxv, Paris, 1948, pp 316, 323, 333.

(4) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.4، ص 165.

(5) - أحمد بوشارب، مغاربة في البرتغال...، المرجع السابق، ص 48.

(6) - أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص 78.

استمرت تلك المجاعة إلى غاية سنة 1542م، والتي تضررت منها حتى الحامية البرتغالية بالمغرب الأقصى، أين اضطر قائد الحامية إلى مراسلة ملك البرتغال يطلب منه تعجيل إرسال المواد الغذائية.

كما عاودت المجاعة سنة (1552-1553م)، حيث ضرب الجفاف البلاد من جديد. وقد تسببت في إرتفاع الأسعار من جديد، غير أن سقوط الأمطار المتأخرة تلك السنة أدى إلى هبوط الأسعار، وبذلك تم إنقاذ الموسم الفلاحي، وانتهت بموسم حصاد جيد⁽¹⁾. ثم ضربت المجاعة المجتمع السعودي من جديد سنة 1579م، والتي نجم عنها غلاء شديد، وقد عُرف ذلك العام بعام " البقول " وهذا ما أشار إليه الأفراني بقوله: " ... وفي عام سبعة وثمانين وتسعمائة، وقع غلاء عظيم حتى عرف ذلك العام بعام البقول..."⁽²⁾.

إلا أن أخطر كارثة سوف يعرفها المجتمع السعودي خلال نهاية القرن 16م، وتستمر إلى العقد الأول من القرن السابع عشر هو إنتشار وباء الطاعون الذي دام ما بين (1596-1606م)، وقد رافقته مجاعة خطيرة، ما بين (1603-1606م)، والتي زادت في تعميق أزمة الوباء التي أصابت مختلف بنيات المجتمع السعودي⁽³⁾.

يمكن أن نستنتج من خلال حديثنا عن المجاعة والأوبئة كمقارنة فيما بينهم؛ أن الأوبئة الفتاكة يكون تفشيها سريعا، في معظم الحالات، بين الناس بدون تمييز بين فئاتهم الاجتماعية وحظوظهم من الثروة، وإن كان غالب ضحاياها من الفقراء والمسنين وحديثي السن، فإن المجاعات على العكس من ذلك، تنتقي ضحاياها من بين الفئات الفقيرة والمعدمة، وقد تلحق بهم أعداد مهمة من بين متوسطي الحال، لاسيما إذا امتدت لفترات طويلة، وقلّ مخزون الناس من القوت، أو نفذ بالمرّة⁽⁴⁾.

3- باقي الكوارث:

من بين تلك الكوارث العواصف والثلوج التي كانت تحل بالمغرب الأقصى من حين إلى آخر، مثل عام (997هـ/1589م)، المعروف بعام الثلج، وبالضبط في شهر صفر - يناير، هلك من جراء كثرة الثلوج وقساوة البرد، جماعة لا يحصى عددهم من جيش السلطان المنصور

(1)- محمد استيتو، الكوارث الطبيعية...، المرجع السابق، ص 95-96.

(2)- محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص 247.

(3)- محمد استيتو، الكوارث الطبيعية...، المرجع السابق، ص 97.

(4)- محمد استيتو، " من وسائل مواجهة الفقراء للمجاعات في المغرب خلال العصر الحديث: (نماذج من القرنين 16 و17م) "، الأيام الوطنية العاشرة: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، [د.ط.]، (المغرب: الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2002م)، ص 247.

السعدي⁽¹⁾. هذا بالإضافة إلى تعرض المغرب الأقصى إلى إنهيار بعض المنشآت العمرانية، مثل ما حدث بفاس عندما إنهدمت دُور كثيرة، علاوة على تهدم قنطرة سبو، وبقي منها بعض الأقباس... وقد عمل السلطان أحمد المنصور على تجديد سد الوادي بمال، أكثره من القرويين...⁽²⁾.

4- الأمراض المختلفة:

كما إنتشر بالمغرب الأقصى خلال الفترة السعدية بعض الأمراض، مثل مرض الجذام⁽³⁾، الذي إنتشر خاصة في المناطق الفقيرة. ومن الأمراض المنتشرة أيضا مرض الرشح⁽⁴⁾، والجرب⁽⁵⁾ والقرع، والسعال الديكي⁽⁶⁾، وكذا مرض الزهري⁽⁷⁾. و الجدير بالذكر أن أغلب الأمراض المنتشرة في الفترة السعدية مصدرها الدول الأوروبية. كما أن التعامل مع المصابين بالأمراض المعدية يتم وفق ضوابط دينية، تمنع إختلاطهم بالأصحاء، كالقيام بجمع المجنومين في أماكن معينة، حتى يضمن لهم العيش لمنع الإتصال بالأشخاص غير المصابين⁽⁸⁾.

ب- الصحة:

1- طرق مواجهة الكوارث الطبيعية:

- (1) - أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.2، المصدر السابق، ص584.
- (2) - محمد بن الطيب القادري، نشر المئاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، محمد حجي، أحمد التوفيق، ج.1، [د.ط.]، (الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1397هـ/1997م)، ص79.
- (3) - هو مرض مزمن معدّي، ينصب تأثيره على الأغشية المخاطية المبطنة للحم والأنف، وكذلك الجلد والعصب المحيطي، وتتأثر العينان والكبد والطحال. والجذام ليس من الأمراض القاتلة. ينظر: جابر بن سالم القحطاني، موسوعة جابر لطب الأعشاب، ج.1، ط.2، (الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 1429هـ/2008م)، ص293.
- (4) - يوجد نحو أكثر من مائة فيروس تتسبب في حدوث هذا المرض. وقد توصل العلماء إلى أحد الأسباب التي تصيب الناس بنزلات البرد باستمرار. ينظر: جابر بن سالم القحطاني، موسوعة جابر لطب الأعشاب، ج.3، ط.1، (الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 1429هـ/2008م)، ص240.
- (5) - هو مرض جلدي حاك (تصعبه حكة شديدة) طفيلي معدّي، ويعتبر مرضا غير تناسليا، ولكنه ينتقل من خلال العلاقات الجنسية والتلامس، ويحدث احتكاكا تنتج عنه خدوش ودمامل وبثور، وينتشر خاصة في المناطق مثل: منطقة الإبطين والرقبة وبين الفخذين، وبين أصابع اليد والرقبة وغيرها. ينظر: زينب منصور، معجم الأمراض وعلاجها أول معجم شامل بكل مصطلحات الأمراض المتداولة في العالم وتعريفاتها، [د.ط.]، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2009م)، ص278.
- (6) - يصيب السعال الديكي (Whooping-cough) الأنسجة المبطنة للمسالك التنفسية التي تؤدي إلى الرئتين، وتحدث العدوى به نتيجة لاستنشاق الرذاذ المتطاير في الهواء و المحتوي على أعداد كبيرة من الجراثيم المسببة للمرض بالقرب من الشخص المصاب. ينظر: زينب منصور، المرجع نفسه، ص461.
- (7) - هو مرض معدّي يصيب الجهاز التناسلي، وينتقل من شخص إلى آخر، كما ينتقل من المرأة الحامل إلى الجنين في الرحم، وتدخل بكتيريا الزهري في الدم ثم تنتشر إلى جميع أجزاء الجسم، ويسير هذا المرض حتى يصبح مزما حيث يستمر مع المريض لسنين طويلة إذا لم تتم معالجته. ينظر: زينب منصور، المرجع نفسه، ص436.
- (8) - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص247-248.

لقد كان من عادة المغاربة إذا حلت الأزمة بفعل القحط يفرض الحاخامات على اليهود صيام ثلاثة أيام⁽¹⁾، وقراءة كتاباتهم، والإقرار بآثامهم، والإعلان عنها أما الناس⁽²⁾. في حين يقوم المسلمون بتأدية صلاة الإستسقاء، ويؤمهم رجل صالح، ممن له معرفة عميقة بالعلوم الدينية⁽³⁾، وتكرر صلاة الإستسقاء مرارا إلى أن ينزل الغيث. وإذا إستمر إنحباس المطر يقومون في بعض الأحيان بإخراج كل اليهود من المدينة ويأمرونهم ألا يعودوا إلا بعد سقوط المطر. كما كانوا يلجئون في بعض الأحيان إلى الأولياء والمجاذيب والفقهاء والشرفاء⁽⁴⁾، أو أضرحتهم ليستمطروا بهم⁽⁵⁾.

الإعتماد على أسلوب إِدْخار الأَقْوات كإحدى الوسائل لمقاومة المجاعة من خلال تأسيس المطمورة، والتي كانت جزءا رئيسيا من الحقل⁽⁶⁾، كما كان ينصح بالإستعانة على الجوع بأنواع من الحبوب، التي لا تستهلك في الأوقات العادية، مثل حبوب الشيلم والزوان، التي تعيش عليها عادة الدواجن والطيور، إذ تطحن ويصنع منها أنواعا من الخبز والعصائد، البحث عن بقايا الحبوب في أكوام التبن، أو حفر بيوت النمل، والإستحواذ على مخزونها من الحبوب، الإجتهد في طلب الكسب عن طريق تجارة بسيطة، إستلاف أو بيع أدوات ووسائل الإنتاج وغيرها⁽⁷⁾، أو اللجوء إلى الفرار أو الإرتحال من البلاد التي يحدث فيها الجوع... الخ. وقد كانت تلك جملة من الوسائل التي إعتمد عليها عامة الناس من أجل التخفيف من حدة المجاعات، وإن كانت تلك الإجراءات لا تف بالغرض إذا طالّت مدة الجذب⁽⁸⁾.

2- بناء المستشفيات:

لم يرقم السعديون ببناء مستشفيات كثيرة، فقد كانت الدول لا تخص بهذه المنجزات إلا مدنا قليلة، وأهم بيمارستانات السعديين، المستشفى الذي بناه عبد الله الغالب بمراكش، ومكانه

(1) - Georges Vajda, op.cit, p 316.

(2) - محمد استيتو، من وسائل مواجهة الفقراء...، المرجع السابق، ص 252.

(3) - محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، [د.ط.]، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1992م)، ص 349.

(4) - ورد أن أهل فاس كانوا في حاجة إلى المطر فقصدوا دار الشيخ رضوان الجنوي (ت 991هـ/1583م) ليستسقوا به نظرا لقلّة المطر، حتى عدت الماشية والزرع، فاجتمعت كلمتهم على الشيخ، ففقدوا عليه الباب، فخرج إليهم، فطاحوا (كذا) بين يديه وهم يستغيثون به، فامتنع إليهم وقال لهم: عليكم بسادتنا الشرفاء الطالبين، فوجد صبي من أبناء الشرفاء يلعب بالباب فقبضه وحمله إليه وسار معهم إلى المصلى، فإذا بالسحاب قد طلع وتحركت الرياح، فما رجع الناس إلى منازلهم حتى أعطاهم الله المطر الذي لم يروا مثله. بنظر: محمد ابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تج: زهراء النظام، ط.1، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1997م)، ص 173.

(5) - محمد استيتو، من وسائل مواجهة الفقراء...، المرجع السابق، ص 252.

(6) - محمد الأمين البزاز، المرجع السابق، ص 352.

(7) - محمد استيتو، من وسائل مواجهة الفقراء...، المرجع السابق، ص 255-256.

(8) - محمد استيتو، المرجع نفسه، ص 260-261.

بالطالعة⁽¹⁾، حيث خصص له أوقافا كثيرة لمعالجة المرضى وتغذيتهم وأداء رواتب الأطباء والمشرفين عليه⁽²⁾. وقد أشار الناصري لذلك بقوله: "...أنشأ مولاي عبد الله رحمه الله جامع الأشراف والسقاية الملاصقة بالجامع[...]. والمارستان الذي ظهر نفعه ووقف عليه أوقافا عظيمة..."⁽³⁾.

كما بني أبو مروان عبد الملك المعتصم مستشفى للأسرى المسيحيين بمراكش، وكان يقدم إليهم فيه العلاج والغذاء، وكان لصنيع المعتصم أثرا كبيرا في نفس الرعايا المسيحيين، حتى أنشأ أحد الرهبان قصيدة مدح للتتويه بهذا العمل⁽⁴⁾.

أما في عهد المنصور فقد أنشأت بعض البيمارستات بهدف العلاج، حيث كان يعالج فيها الأسرى، وأطلق عليها اسم الرحمة، إذ يذكر انطونيو دي صالدانيا: " كما أقام لعلاج الأسرى مارستانا أطلق عليه الناصري اسم " الرحمة"..."⁽⁵⁾.

3- دور الوقف في تطوير العلاج:

بالإضافة إلى دور الوقف⁽⁶⁾ الذي ساهم في تطوير القطاع الصحي، من خلال ما أوقفه المحسنون على قطاع الصحة، حيث قامت أم المنصور " مسعودة الوردكيتية " بتخصيص بعض الموقوفات لمساكين المارستان بمراكش، إذ: " حبست... جميع السبعين حانوت... الواجبة لها في نصفها من القيسارية المشتركة بينها وبين مساكين المارستان المخترعة لها وسط سوق الحضرة المراكشية"⁽⁷⁾.

أما المنصور فقد أوقف العديد من الأوقاف على قطاع الصحة، حيث يذكر " دي صالدانيا " أنه أوقف الأوقاف على المارستان الذي أنشأه للأسرى، فقال: "... وأوقف على نفقته ثلاث أرحية

(1) - وقد حول فيما بعد إلى ملجأ للحمقى، وتحول نشاطه كليا عن أهدافه الطبية في العصر العلوي، فصار معتقلا للنساء، ولا يزال مكان مبنى المستشفى السعدي موجودا بمراكش، وقد أصبح خرابا.

(2) - إبراهيم حركات، السياسة المجتمع...، المرجع السابق، ص 249.

(3) - خالد أبو العباس الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 39.

(4) - إبراهيم حركات، السياسة المجتمع...، المرجع السابق، ص 249.

(5) - انطونيو دي صالدانيا، المصدر السابق، ص 74.

(6) - لغة: الحبس والمنع، وهو أيضا المنع من النقل والتداول. للمزيد ينظر: عبد الجليل عبد شوب، كتاب الوقف، ط.1، (القاهرة: دار الأفاق العربية، 2000م)، ص 09. ينظر أيضا: أحمد الريسوني، الوقف الإسلامي مجالته وأبعاده، ط.1، (مصر: دار الكلمة، 2014م)، ص 13. ينظر أيضا: صالح بن غانم السدلان، أحكام الوقف والوصية والفرق بينهما، ط.2، (الرياض: دار بلنسية للنشر والتوزيع، 1416هـ)، ص 06. ينظر أيضا: منذر قحف، الوقف الإسلامي تطوره، إدارته، تميزه، ط.1، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 2000م)، ص 54.

- اصطلاحا: هو حبس العين لتسبيل ثمرتها، أو حبس عين والتصدق بمنفعتها. ينظر: محمد أبو زهرة، محاضرات في الوقف، ط.2، (القاهرة: ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، 1972م)، ص 39.

(7) - أحمد بن محمد المقرئ، روضة الاس العاطرة...، المصدر السابق، ص 65.

وكثيرا من الأراضي التي يزرعها الأسرى أنفسهم ويغنون منها أزيد من ألف كروزادوش وبفضل ما كان يجمع من الصدقات بين الأسرى، فإن المارستان توفر على أزيد من خمسين سريرا...⁽¹⁾.

ناهيك عن الأوقاف التي حبسها عامة الناس على البيمارستانات، وجعل لها أوقافا تقوم بمهامها، إذ يذكر حسن الوزان أنه في فاس مثلا بنيت: "مارستانات عديدة لا تقل حسنا عن المدارس... وكان الغرباء قديما يعطون السكن بها لمدة ثلاثة أيام، ويوجد عدد كبير من البيمارستانات خارج أبواب المدينة... وكانت البيمارستانات غنية جدا... يتوفر كل بيمارستان على كل ما يحتاج إليه من كتاب وممرضين وحراس وطباخين وغيرهم ممن يهتمون بالمرضى، ويتقاضى كل واحد من هؤلاء المستخدمين أجرا حسنا"⁽²⁾. وقد كانت تتم العناية والإنفاق على الكل من مال الأوقاف حيث: "...يجمع دخل الأملاك العديدة الموقوفة عليهم لوجه الله من طرف الأعيان وغيرهم من المحسنين ويقدم إلى هؤلاء المرضى كل ما هو ضروري..."⁽³⁾ وقد إشتغل الوزان نفسه في شبابه كاتبا في تلك البيمارستانات مدة عامين بمبلغ ثلاثة مئائيل في الشهر⁽⁴⁾. بذلك يتضح لنا مساهمة الوقف في الجانب الصحي من خلال توفير الرعاية الصحية، بإقامة البيمارستانات، وتوفير مختلف أنواع الأطر الطبية لها؛ من أدوية وتغذية، وممرضين... الخ، بمساعدة أموال المحسنين.

4- طرق العلاج:

أما فيما يتعلق بطرق العلاج المستخدمة في المجتمع السعودي فقد كانت عند الطبقة الشعبية طرق علاج بدائية، تعتمد على الحمية، أو الأعشاب الطبية المورثة عن الأجداد، بالإضافة إلى الكي. وهو ما أكده "دييكثودي طوريس" في كتابه (تاريخ الشرفاء) حيث يقول: "... وإذا مرضوا لا يلجؤون أصلا إلى الأطباء وإلى الصيدليين، وإنما طبهم الحمية، والأعشاب والنار..."⁽⁵⁾. هذا بالإضافة إلى استخدام البيض في الجراحة لجبر الكسر للجرحى وقطع من الكتان لمنع سيال الدم وللضماد. خاصة في الحروب لتضميد الجروح⁽⁶⁾.

(1) - انطونيو دي سالدانبا، المصدر السابق، ص 74.

(2) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص ص 227-228-229.

(3) - المصدر نفسه، ج 1، ص 278.

(4) - نفسه، ص 229.

(5) - ديكثودي طوريس، المصدر السابق، ص 159.

(6) - حميد التريكي، "عبد الملك السعودي: من المنفى إلى الملك (1557-1578م)"، مذكرات من التراث المغربي، ج 3، الرباط، [د.ع.].، ص 1984م، ص

أما فيما يتعلق بالطبقة الحاكمة فقد كانوا يعتمدون على الطب الأوروبي، حيث يحيطون أنفسهم بأطباء خواص، قدموا من أوروبا، سواء ممن وقعوا في الأسر، أو من تم جلبهم من أوروبا، مثل: الطبيب " غيوم بيرار " الذي أشرف على علاج السلطان عبد الملك السعدي عندما كان مريضا، وأصبح الطبيب الشخصي للسلطان والقنصل الفرنسي في فاس، عام 1578م⁽¹⁾. وقد إستمر غيوم بيرار (Guillaume Bérard) في منصبه في عهد المنصور، ثم سرعان ما حلّ محله الطبيب أنول دو ليسل (A.delisle) والذي قدم من فرنسا بصفته طبيبا، وقد إستمر في منصبه طوال الفترة الممتدة من (1588-1599م)⁽²⁾.

⁽¹⁾-Hernry De Castries, **Les Sources Inédites L'Histoire Du Maroc premiere série –Dynastie saadienne, archives et bibliothèques de France**, T. iii, (paris : Ernest Leroux éditeur, 1911), p p vii-viii.

⁽²⁾-Ibid, pp xiii-xv.

ثالثاً: الأطعمة.

يعتبر الطعام موروثاً حضارياً وثقافياً، حيث يشكل حلقة متكاملة، ومظهراً من مظاهر حياة المجتمعات عبر العصور⁽¹⁾، والذي تتداول على نقله الأمم والشعوب والأجيال. إن الغذاء يعطي للجسم القدرة على النمو بشكل سليم، كما أنه يمدّه بالطاقة التي يحتاجها في حياته اليومية، إذ بالغذاء تصح الأبدان⁽²⁾، كما أن الأطعمة تعكس درجة تطور ورقي أي مجتمع من المجتمعات⁽³⁾. وفي حقيقة الأمر فقد عرفت الأطعمة في المغرب الأقصى على مر التاريخ تنوعاً كبيراً، بحيث كان للعوامل الطبيعية التي عاشها المجتمع المغربي دور مهم في فرض أنواع معينة من التغذية⁽⁴⁾ على المجتمع، وتنوع أنماط عيش سكانه، تبعاً لتنوع التضاريس والتربة والمناخ، وتبعاً لأهمية تساقط الأمطار والمجري المائية، والغطاء النباتي، مما ترتب عن ذلك كله إختلاف في أنواع الغذاء، وفي طريقة إستهلاكه، حسب الجهات والفئات، والفصول والظروف⁽⁵⁾.

توزعت أغذية المغرب الأقصى إلى ثلاثة وجبات؛ فبالنسبة للمجتمع الحضري، حسب ما ذكره حسن الوزان عن حاضرة فاس، والتي إتخذها كنموذج لذلك، حيث أنه كان من عادة سكانها أن يتناولوا اللحم الطري مرتين في الأسبوع، لكن الأعيان يأكلونه مرتين في اليوم، ويتناولون ثلاث وجبات في اليوم، هي كالتالي:

- صباحاً: وجبة خفيفة مركبة من خبز وفواكه، وحساء من دقيق القمح، ويأخذون في الشتاء بدل الحساء رغيفاً من حنطة محشو بلحم مملح ينضج معه.

- أما في الظهر: فتتكون الوجبة من أكلة مركبة من خبز وسلطة وجبن وزيتون، بحيث تكون الوجبة أكثر تغذية في الصيف.

- أما في المساء: فيتناولون أكلة خفيفة مركبة من خبز مع بطيخ أو عنب أو لبن.

- أما في الشتاء: يتناولون طعام⁽⁶⁾ يسمى الكسكسو وحسب ما ذكره الحسن الوزان، فقد كان يصنع من دقيق مبلل يحول إلى حبيبات في حجم حبات الكزبرة، تنتضج في قدر مثقوب "كسكاس"

(1) ملياني زينب، "الأطعمة والأشربة بالمغرب والأندلس في العصر الإسلامي عصر المرابطين والموحدين"، مجلة أسنة للبحوث والدراسات، الجلفة - الجزائر، ع.7، س. جوان 2013م، ص93.

(2) - أحمد الكامون، هاشم السقلي، المرجع السابق، ص127.

(3) - ملياني زينب، المرجع السابق، ص93.

(4) - سعيد أدحمان، "ملاحظات أولية حول تاريخ التغذية في مغرب العصر الحديث القيم الحضارية والمحددات الطبيعية المتحكمة في ثقافة الغذاء"، مجلة دورية كان التاريخية، الكويت، ع.51، س. 2021م، ص162.

(5) - محمد استيتو، أوقات وتغذية...، المرجع السابق، ص22.

(6) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص ص 252-253.

تسمح بطلوع بخار من قدرة أخرى ثم يخلط هذا الدقيق المتبخر بعد نضجه بالسمن، ويسقى بالمرق⁽¹⁾، وقد أطلق عليها أيضا الطعام، ويعتبر سيد الأطعمة بلا منازع، وأجوده ما صنع من دقيق بمرق مطبوخ باللحم، والخضر لفتا وجزرا وفولا الخ، ودهن بالسمن الذي لم يخل منه بيت فقير أو غني⁽²⁾.

أما بالنسبة لتغذية سكان سلسلة الأطلس وما جاورها، فحسب ما ذكره الوزان عن أهل حاحا كنموذج لذلك أن غذاؤهم كالتالي:

- صباحا: خبز شعير وطعام يدعي العصيدة. أما في الظهر: يتناولون خبز شعير وعسلا، وفي الشتاء، خبزا وعسلا، وفي الصيف لبن وزبدة، ويؤكل كذلك اللحم مطبوخا بالبصل والبقول والكسكي. أما وجبة العشاء العادي فتتكون من: عصيدة من دقيق الشعير في الخريف والشتاء، تغلى بالماء ويصب في وسطها زيت الهرجان، وتؤكل بالأصابع لكنها في الربيع والصيف تصبح أكثر فائدة، إذ يطبخ الدقيق في اللبن بدل الماء، ويدهن بالزبدة⁽³⁾.

أما بالنسبة لسكان سلسلة الريف: فقد كان معظم طعامهم: خبز دقيق الشعير أو الدخن أو مزيج بينهما. وبذور العنب، والدبس المصنوع من العنب المطبوخ وحساء البقول، والأسماك والسردين المملح، والبصل، والثوم وفي بعض الأحيان يتناولون لحوم التيوس والعنزات المسنة، بالإضافة إلى لبن المعز الذي يعتبر غذاء ثميناً لهم، وفواكه كالعنب الطازج والزبيب، والتين طريا ومجففا، والمشمش والخوخ، والبرتقال، والليمون والزيتون، والسفرجل واللوز⁽⁴⁾.

من خلال عرضنا لتوزيع الوجبات الغذائية لدى السعديين حسب ما ذكره الوزان أن أقوات المجتمع السعدي كانت مختلفة ومتنوعة، حسب مختلف جهات المغرب، يتضح أن مادتي الشعير والقمح كانتا تشكلان القوت اليومي لأغلب المغاربة، وهذا ما يفسر المكانة المتميزة لهما، حيث شكّلا حسب محمد المختار السوسي " عماد المعيشة " ⁽⁵⁾. أما فيما يتعلق بالأرز فقد كان بدرجة أقل بحكم أنه لم يكن مستساغا للمغاربة، هذا بالإضافة إلى بعض البقوليات؛ مثل العدس، والبقول والحمص... الخ⁽⁶⁾.

(1) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص253.

(2) - محمد بوزيان بنعلي، المرجع السابق، ص49.

(3) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص96.

(4) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص ص 324-339.

(5) - محمد المختار السوسي، المعسول، ج.1، [د.ط.]، (الدار البيضاء: طبع بمطبعة الجامعة، 1381هـ/1961م)، ص44.

(6) - إبراهيم حركات، تطور الأوضاع الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 24. ينظر أيضا: شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري، مسالك الأبحار في ممالك الأمصار، تخ: حمزة أحمد عباس، ج.4، [د.ط.]، (أبو ظبي: دار الكتب الوطنية، 2003م)، ص196.

كما سجلنا من خلال حديث حسن الوزان أن السعديين كانوا يستهلكون أيضا الفواكه، والتي كانت متنوعة من منطقة إلى أخرى، وقد سمحت بتغيير الوجبات الغذائية بالنظر لكثرة أنواعها، وكذلك لنضجها على طول فصول السنة، حيث نجد العنب طريا وزيبيا، والتين طريا ومجففا، والبرتقال، والليمون والزيتون، والسفرجل واللوز والبطيخ، بالإضافة إلى التفاح والإجاص والمشمش البرقوق، النبق، الرمان،... الخ⁽¹⁾.

كما كان للخضر أيضا نصيب في أقوات السعديين، إلا أنه بدرجة أقل، حيث أن إستهلاك السعديين لها لم يحظ بإقبال عدد كبير من المغاربة، ولكن هذا لا يعني أنهم لم يكونوا يستهلكونها في وجباتهم، بل على العكس من ذلك نجد بعض الخضروات مثل السلاطة، الجزر، اللفت والبصل، والثوم. كما كانت بعض مناطق المغرب مثل: تارودانت كانوا يستهلكون مختلف الخضر، حيث تواجد بها سوق كان يعقد كل يوم خميس قرب المدينة، يقصده السكان لإقتناء حاجياتهم من كل أنواع الخضر الطرية، واليابسة⁽²⁾.

أما فيما يتعلق باللحوم بمختلف أنواعها فهي الأخرى، كانت تدخل ضمن أقوات السعديين. فحسب ما ذكره حسن الوزان من خلال عرضه توزيع الأغذية نجد أن المغاربة كانوا يستهلكون اللحوم بأنواعها المختلفة، وكذلك الأجبان والسمن، بالإضافة إلى الأسماك.

إنطلاقا مما سلف ذكره نستنتج أن الغذاء الرئيسي لمختلف الطبقات الشعبية سواء في المدن أو البوادي كان يعتمد بدرجة كبيرة على الشعير والقمح، بالإضافة إلى الخبز والعصيدة والكسكس، وكذلك اللحوم بمختلف أنواعها، والسمك. أما الفواكه فقد كانت من بين الأغذية المكتملة. في حين أن شراب معظم المغاربة كان يتكون من الماء، ولبن الماعز والنوق⁽³⁾.

أما فيما يتعلق بالمطبخ السعدي، فقد عرف تطوراً وتنوعاً على مر التاريخ، وقد قيل: "أرني مطبخ أية أمة أحدثك عن حضارتها"⁽⁴⁾، ومن هذا المنطلق فقد كان شاهداً على مستوى الرقي الإنساني، وإبداعات الحياة اليومية، من إختراع في المأكل والمشرب، وتقنن فيهما، وتكيف مع الطبيعة⁽⁵⁾.

(1) - محمد مزين، فاس وياديتها...، ج.2، المرجع السابق، ص398.

(2) - ديبكثودي طوريس، المصدر السابق، ص167.

(3) - المصدر نفسه، ص159.

(4) - عبد الله كنون، النوع المغربي في الأدب العربي، ج.1، ط.2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1960م)، ص143.

(5) - أحمد الكامون، هاشم السقلي، المرجع السابق، ص127.

والواقع أن المطبخ السعودي بلغ خلال ذلك العصر تقننا في إعداد أنواع المطاعم، والمشارب وإتقانها⁽¹⁾. وبالإضافة إلى الأكل المحلي، فقد دخلت بعض المأكولات الغربية عن المجتمع السعودي، والتي ساهمت في نقلها بعض العناصر الوافدة على المجتمع السعودي، وفي مقدمتهم الأندلسيون، واليهود والأوروبيون، بالإضافة إلى العثمانيين والسودانيين، الذين تواجدوا بالمغرب الأقصى، حيث كان واضحا تأثير العنصر الأندلسي في مجال الطبخ، فقد جلب معه الكثير من أصناف الطعام، وأساليب الطبخ التي تفننوا فيها، وقاموا بنقلها للمغرب، بالإضافة إلى إستعمالهم التوابل على إعتبارها مادة أساسية في الطبخ⁽²⁾.

من بين تلك المأكولات الأندلسية نجد البسطيلة: ⁽³⁾ ذات الأصل الأندلسي⁽⁴⁾ (pastella) وكذلك أكلة البايلة⁽⁵⁾، أكلة التفايا⁽⁶⁾، أكلة المروزية⁽⁷⁾، أكلة الخليع⁽⁸⁾ وكذلك أكلة الإسفنج⁽⁹⁾. وقد أكد لنا ذلك حسن الوزان حيث قال: "...أنه كان سوق الدخان حيث تباع الفطائر المقلية في الزيت (الإسفنج)... ويبيعون منها يوميا كمية كبيرة، تؤكل عند الفطور، لاسيما أيام الأعياد وقبل أيام الصيام. وتؤكل مع اللحم المشوي أو العسل أو مع حساء قبيح..."⁽¹⁰⁾.

(1) - عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 143.

(2) - المرجع نفسه، ص ص 129-130.

(3) - الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط.2، (الدار البيضاء دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1406هـ/1986م)، ص 305.

(4) - هي عبارة عن فطائر محشوة بخليط من لحم الحمام المهروس والبيض بنكهة الليمون والعسل، إضافة إلى الزيت واللوز المفروم، ولم يعرف المغاربة هذا النوع من المأكولات إلا بعد إتصالهم بالأندلسيين الذي أخذوه بدوره عن الإسبان. ينظر: أحمد الكامون، هاشم السقلي، المرجع السابق، ص 130.

(5) - هو عبارة عن طعام مصنوع من بقايا الأطعمة، وتتكون من قطع من السمك والدجاج واللحم مما يتبقى من الأطعمة. ينظر: أحمد الكامون، هاشم السقلي، المرجع نفسه، ص 130.

(6) - هو نوع من الأطعمة التي أخذها المغاربة عن الأندلسيين، وتتكون من اللحم والتوابل والماء والكزبرة والزيت وهو نوعان: التفايا الخضراء وأخرى بيضاء. أما الأولى فتكون فيها الكزبرة طرية، بينما الثانية فتكون جافة. ينظر: رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم النعيمي، [د.ط.]، (العراق: دار الرشيد للنشر، 1980م)، ص 48.

(7) - وهي من الأطباق التي تحضر في أيام عيد الأضحى، وله علاقة بمدينة مرو بلاد فارس. يحضر هذا الطبق من اللحم مع الزيت والملح والكزبرة اليابسة والكمون وحمص مبلول ولوز مقشور وجبات ثوم، بالإضافة إلى قليل من البصل، ويستعمل مع البرقوق والزبيب، لذلك فهو طبق معسل غني بالتوابل ولا يزال هذا النوع من الأطباق معروف بالمغرب الأقصى. ينظر: أحمد الكامون، هاشم السقلي، المرجع السابق، ص 131-132. ينظر أيضا: عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي المغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مج.2، [د.ط.]، (المغرب: مطابع فضالة، 1406هـ/1986م)، ص 312.

(8) - يعد هذا الطبق من لحم المعز والغنم، ويمكن حفظه لسنة أو سنتين، ويهدف هذا النوع من الأطباق إلى الحفاظ على اللحم من الإلتلاف والضياح. ينظر: أحمد الكامون، هاشم السقلي، المرجع السابق، ص 132.

(9) - تُعد هذه الأكلة من الدقيق الأبيض، حيث يخلط بماء ساخن وملح وخميرة، ويترك حتى يربط، ثم يعجن عجنا قويا، ويسقى بالماء قليلا ويطال عجنه، حتى يصير خفيفا ويرفع كله في أثناء عجنه من المعجنة باليد، وينزل بسرعة حتى يخرج عنه الريح ويترك يختمر حتى يظهر عليه أثر الاختمار، ثم يقلى في الزيت الساخن. للمزيد ينظر: ابن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طبياح الطعام، تح: محمد بن شقرون، ط.2، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1984م)، ص 80.

(10) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 236.

أما عن الحلويات نجد حلوة أذان القاضي⁽¹⁾، حلوة الزلابية (أو الشباكية)⁽²⁾، حلوة السنبوسك⁽³⁾، حلوة المجينات⁽⁴⁾، وكذلك حلوة كعب الغزال⁽⁵⁾.

نقل الأندلسيون أيضا طريقة الأكل بالجلوس على الأرض إلى الطاولة ذات القوائم القصيرة، من العادات التي أصبحت متدولة في جميع مناطق المغرب الأقصى⁽⁶⁾.

كما ساهم اليهود في التأثير في الطبخ السعودي، حيث أخذ السعديون عن اليهود طريقة قلي الفلفل، وتقطيعه وغمسه في الخل، وتحميصات أخرى؛ كالبادنجال والجزر وهي أطعمة يهودية⁽⁷⁾، كما أدخل اليهود بعض الحلويات مثل حلوة بوريم، أو الرغائف التي كانت تقدم في عيد الفصح اليهودي، أما عن المشروبات فأكثر ما كان يميز اليهود عن المسلمين هو تناول المشروبات المسكرة كالخمر⁽⁸⁾.

(1) هي نوع من الحلويات معروفة عن الأندلسيين، تصنع من عجن دقيق بماء وزيت دون خميرة، ثم يمد منها قريصات رفاق تكون سعتها الكف أو أكثر وتطوى طيتين، وتفتح حواشيها وتقلي بعد أن يدخل فيها عيدان رفاق حتى لا تغلق الأطراف فإذا قلبت صنع حشو من الفستق أو من اللوز والسكر ويعجن بماء الورد ويحشى به الأذان، وقد أطلق عليها هذا الاسم لأنه تشبه الأذان في طريقة صنعها. ينظر: أحمد الكامون، هاشم السقلي، المرجع السابق، ص134.

(2) هي تحريفا للزربية نسبة إلى الموسيقي المشهور زرياب، تصنع من العجين، وتجعل في إناء مثقوب القعر ثم يجعل الأصبع على الثقب ثم ينصب القالي يده على المقلاة ويزيل أصبعه فيجري العجين من الثقب في المقلاة ويصور من العجين جواشم وشباكا وغيرها، ذلك على عادة ما جرى عند الأندلسيين في عملها، فإذا انتهى القالي أزيلت رغوته وقطر سريعا من الزيت، وغمس في عسل مغلي حتى تستوفي حقاها من العسل ثم تزال منه وتوضع على لوح أو شباك. ينظر: عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج.2، ص 316. ينظر أيضا: أحمد الكامون، هاشم السقلي، المرجع السابق، ص135.

(3) من بين الحلويات التي عرفها الأندلسيون، تحضر عن طريق حل السكر في الماء، ثم إضافة اللوز مدروس وتركه على النار، ثم يضاف له اللوز المقشور المهشم، وقرنفل وزنجبيل بعد ما تحل هذه العقاقير في مسحوقه في ماء ورد، يضاف فيه قليل من الكافور والمسك ويعجن الجميع حتى يمتزج ويلتحم، ويعمل منه أقراص غليظة كروية الشكل على قدر الكف، وهناك نوع آخر من السنبوسك محشو باللحم التي يصنعه أهل إفريقيا. ينظر: ابن رزين التجيبي، المرجع السابق، ص 251.

(4) تعتمد طريقة طهيها على المجينات على دقيق، والذي يعجن ويعرك بحيث يشبه السفنج، لكن يضاف إليه الجبن طريا وتضاف إلى العجين والجبن بعض التوابل والخول، كالأستيون، والفلفل والقرنفل وماء كزيرة خضراء، وكذلك اللوز والفستق. ينظر: أحمد الكامون، هاشم السقلي، المرجع السابق، ص136.

(5) يتخذ شكل نصف دائرة أو هلال، دقيق في طرفيه غليظ في وسطه، وقد يغير بدقيق السكر الناعم فيه، إلا أن ابن رزين ذكر بأنه يبيل الدقيق بقليل من الزيت ويعجن بماء ساخن بعد خله في ملح دون خميرة عجنا محكما، ويضاف إليه نافع وانيسون ولفل وزنجبيل، يدرس سكر ولوز مخلوطين درسا بليغا حتى يلتصقا، ويضاف إليهما ماء ورود ويعجن ذلك حتى يختلط ثم تدهن اليان بالزيت ويقتل من ذلك فتائل أرق ما يمكن، ثم يمد العجين على المائدة ويوضع الحشوة المفتول طيه ويضم عليه الأطراف، ويفتل باليد فتائل كمثل فتل الكعك، غير أن هذا يترك مستطيلا ولا يدور، ثم توضع هذه الفتائل في الملة وتقطع بسكين في العرض قطعاً متقاربة، وتطبخ على حالها في الفرن في الملة التي وضعت فيها، ثم يفضل بعضها من بعض، وترفع في إناء نظيف إلى وقت استعمالها. ينظر: ابن رزين التجيبي، المرجع السابق، ص 65.

(6) لوبي كاردياك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجاهدة الجدلبة (1492-1640م) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمریکا، تع: تق: عبد الجليل التميمي، ط.1، (تونس: منشورات المجلة التاريخية المغربية- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983م)، ص 26. ينظر أيضا: أحمد الكامون، هاشم السقلي، المرجع السابق، ص138.

(7) أحمد الكامون، هاشم السقلي، المرجع السابق، ص135.

(8) روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، ج.2، [د.ط.]، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1416هـ / 1996م)، ص827.

كما أخذوا عن العثمانيين الذين إستقر البعض منهم في مراكش، بعض المأكولات والمشروبات⁽¹⁾، فعلى سبيل المثال: شرب القهوة، حيث ساهم العنصر العثماني في نقل ثقافة شرب القهوة إلى المجتمع السعودي، كما حمل صاحب المقهى إسم القهوجي⁽²⁾.
إنطلاقاً مما سلف ذكره نستنتج بأن المأكولات والمشروبات في المجتمع السعودي قد تنوعت، من منطقة إلى أخرى، نتيجة لإختلاف التضاريس الجغرافية للمنطقة، كما كان لتوافد عدد من الأجانب إلى المغرب الأقصى دور في تنوع المطبخ السعودي. بالإضافة إلى المأكولات والمشروبات المحلية، فقد تواجدت بالمغرب الأقصى أكالات ومشروبات مستوردة، والتي حملتها معها العناصر الأجنبية. وقد أصبحت مع مرور الوقت ضمن الموروث الثقافي للمغرب الأقصى.

(1)-عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص278.

(2)- إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع...، المرجع السابق، ص 148.

رابعاً: اللباس.

تميزت ملابس السلاطين السعديين في بدايات عهدهم وبالضبط في فترة السلطان محمد الشيخ بطابع البداوة⁽¹⁾، وموطن الشاهد في ذلك ما ذكره أبو علي حرزوز الذي عرف بولائه للسلطة الوطاسية، حيث وصف ملبسهم في إحدى خطبه فقال: " القوم الذين يلبسون الاردية والاكسيا ويركبون الاناجيا ويبد أن جوابهم بويلهم ميا، فسوف يلقون غيا، ولا اذكركم في منبري ما دمت حيا "⁽²⁾. في نفس السياق يؤكد الأفراني على ذلك فقال: "...ويقال أنه لما دخل مدينة فاس دخلها وعليه وعلى أصحابه ... وسمة البداوة لائحة عليهم..."⁽³⁾.

لكن وبمجرد دخول السعديين إلى عاصمة الوطاسيين وتوليهم زمام الحكم عمل السلطان محمد الشيخ على تغيير ملابسهم ذات الطابع البدوي، محاولاً عصرنتها وفق أسس الحكم، وذلك نظراً لكون الملابس من علامات وشارات الملك التي يحرص السلطان على التفرد بها دون غيره من بقية العوام.⁽⁴⁾ فقد حرص السلطان محمد الشيخ⁽⁵⁾ على التأدب بآداب الحاضرة، والتخلق بأخلاق المدينة⁽⁶⁾، ولأجل ذلك فقد إستعان بشخصيتين مهمتين تشرفان على ذلك؛ أما الشخصية الأولى فكانت قاسم الزرهوني، والذي كان وزيراً لبنى مرين، حيث عمل على تحسين زي السعديين: إذ يذكر مجهول في مصنفه " تاريخ الدولة التمكدراتية " في هذا السياق بقوله: "... زين لباسهم وزيهم وأراهم كيف يلبسون الثياب وكيف يشدون الشدود والعمائم وكيف يركبوا المراكب بزي عجيب وكيف يشهرون السلاح بالذهب والفضة والوشي، وكيف يباشرون الأمور مع أعيان القوم..."⁽⁷⁾. وبذلك فقد إكتسى السلطان محمد الشيخ على حد تعبير الأفراني: "...طلاوة وازداد في عيون العامة حلاوة..."⁽⁸⁾، وأما الشخصية الثانية فكانت العريفة بنت ابن نحو فكانت لبني مرين ودخلت بأيدي الشرفاء(السعديين)، " ...فأرتهم كيف يلبسون نساءهم الملابس الحسان

(1) - كمال النفاع، المرجع السابق، ص 285.

(2) - مجهول، تاريخ الدولة...، المصدر السابق، ص 28.

(3) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص 71.

(4) - عز الدين العلام، الآداب السلطانية: دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، [د.ط.]، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم

المعرفة، 2006م)، ص ص 124-125.

(5) - كمال النفاع، المرجع السابق، ص 285.

(6) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص 71.

(7) - مجهول، المصدر السابق، ص 28.

(8) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص 72.

والتنوير بالطيب والزينة بالزي العجيب والفروش من الحرير والرقم في المخاد والأردية ووقد الشمع إلى غير ذلك...⁽¹⁾.

وقد إحتفظ السعديون بزيهم الرسمي للدولة وهو البياض⁽²⁾، الذي نقل عن الأندلس من أيام الموحدين⁽³⁾، غير أنه وبتولي عبد الملك الحكم السعدي سوف يتخلى عن لباس أسلافه ويرتدي اللباس على الطريقة العثمانية⁽⁴⁾. فقد إقتبس من العثمانيين لباسهم، فلبسه هو وحاشيته، كما سوف ينقله إلى جنوده أيضا⁽⁵⁾، وفي هذا السياق يذكر الأفراني: "... فكان يتزين بزى الأتراك، ويجري مجراهم في كثير من شئونه، وكان يتهم بالميل للأحداث، وربما كان يظهر ذلك كما سلف. ويلقب من الألقاب السلطانية بالمعتصم..."⁽⁶⁾. ومما يؤكد ما ذهبنا إليه حول تزيينه بزى العثمانيين ما وصفه الإسباني " لويس دي اوكسيديا " عن زي عبد الملك السعدي حيث قال: " كان يتزين بقفطان تركي أحمر قاني وأبيض ويحمل عمامة على رأسه، والخنجر في جنبه، في يده حفنة صغيرة من السلاح الفولاذي، وكان يمتطي فرسا رماديا فاتحا، وكان مكسوا بمخمل أخضر مزين بأوشحة ذهبية معقودة "⁽⁷⁾.

وفي عهد أحمد المنصور أولى عناية خاصة باللباس، حيث إستحدث لباسا خاصا يطلق عليه " المنصورية "، وهو نوع من اللباس " من الملف الذي يقال له قلب حجر"، وسمي بالمنصورية نسبة إلى المنصور⁽⁸⁾. وهو معطف طويل بأكمام طويلة، وفوقه شبه معطف آخر خفيف يغلق بأزرار وللتغلب على فضفضة هذا اللباس الذي لا يساعد على خفة الحركة، إستعملت " المضممة "⁽⁹⁾ من أجل ضم الجسم⁽¹⁰⁾.

(1) - مجهول، المصدر السابق، ص29.

(2) - تجدر الإشارة على أن الشعار الأبيض تبناه المغاربة عن أهل الأندلس منذ قديم، خلافا عن الدولة العباسية ذات الشعار الأسود الذي نقله عنها المرابطون، ولا يزال كثير من سكان الصحراء حتى يومنا هذا يرتدون ثيابا زرقاء أو سوداء. ينظر: إبراهيم حركات، المغرب عبر...، المرجع السابق، ج.2، ص 370.

(3) - إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع...، المرجع السابق، ص254.

(4) - Nehemia Levtzion, Roland Oliver, Op .cit, p409.

(5) - حميد التريكي، " عبد الملك السعدي من المنفى إلى الملك "، مجلة مذكرات من التراث المغربي، المغرب، مج.3، س.1985م، ص163.

(6) - محمد الصغير الأفراني، المصدر السابق، ص144.

(7) - حميد التريكي، المرجع السابق، ص 171.

(8) - أحمد بن محمد المقرئ، روضة الأس...، المصدر السابق، ص41.

(9) - إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع...، المرجع السابق، ص254.

(10) - هو عبارة عن حزام لشد اللباس إلى الجسم، وهي مما نقله المهاجرون الأندلسيون إلى المغرب. ومما لا شك أن أصل الكلمة عربي، وقد انتشر استعماله في العصر السعدي ما بين العلماء والفقهاء. ينظر: محمد رزوق، المرجع السابق، ص295. ينظر أيضا: مولاي أحمد الكامون، هاشم السقلي، المرجع السابق، ص 152. ينظر أيضا:

R.P.A Dozy, Dictionnaire détaillé des noms de vêtements chez les arabes, (Pays-Bas: couronné et publié de l'institut royal, 1845), p250

كما أن المنصور كان يرتدي الزي الأبيض، شعار الدولة السعدية، في المناسبات الرسمية والدينية⁽¹⁾. ففي عيد المولد النبوي الشريف، كان أحمد المنصور يؤم المسلمين في صلاة الفجر وهو يرتدي الزي الأبيض، شعار الدولة، وفي هذا السياق يقول الفشتالي: "...فإذا حضرت صلاة الفجر برز مولانا [أحمد المنصور] ... فيصلى بالناس ثم يقعد على أريكة ملكه وعليه خلع البياض شعار الدولة..."⁽²⁾. ناهيك عن اللقاءات ذات الطابع الرسمي، كاستقبال السفراء أو المبعوثين الأجانب إلى المغرب، حيث كان فيها المنصور يرتدي الزي الأبيض، إذ أثناء إستقباله لمبعوث الملك الإسباني فليب الثاني صبيحة 30 يوليوز 1579م، إرتدى المنصور خلعة بيضاء على الطريقة الأندلسية، والتي كانت عبارة عن عمامة في رأسه على هيئة لائقة ووقورة، بخاتمين مزينتين بياقوتتين ورديتي اللون⁽³⁾.

أما فيما يتعلق بلباس الجيش السعدي فإنه منذ عهد عبد الملك المعتصم، الذي إقتبس الزي العثماني لباساً خاصاً، فقد إتخذ اللباس العثماني كلباس رسمي للجيش⁽⁴⁾، فلبسه الجند والبحارة والخدم، وقد سار المنصور على نفس منوال أخيه، حيث ألبس الجيش كسوة " المحصورة التركية " المزخرفة ذات السروال الفضفاض والصدريّة المزركشة (الجيدور)⁽⁵⁾.

أما فيما يتعلق بباقي عامة الناس سواء الرجال أو النساء، فإن أهم ما يمكن أن نسجله كإشارة حسب تتبعنا للمصادر التاريخية التي رصدت لنا اللباس أنه كان يختلف من منطقة إلى أخرى بالمغرب الأقصى، وكذا ما بين البدو والحضر، وما بين الطبقة الفقيرة والغنية. بالإضافة إلى أنها كانت تختلف حسب فصول السنة. وهذا ما كان يخلق نوعاً من الإختلاف حتى من ناحية الشكل والنسيج.

فبالنسبة للباس الرجل حسب ما أورده حسن الوزان عند حديثه عن أهل فاس بأن الأعيان يلبسون في الشتاء ملابس صوفية مستوردة، تتكون في الغالب من قميص يلبس تحت سترة ضيقة بنصف كم، وتلبس فوق السترة عباءة واسعة مخيطة من الأمام، ثم يضعون برنوساً من فوق. أما عن غطاء الرأس فهو عبارة عن قلنسوة تُلَف بعمامة⁽⁶⁾ من الكتان حول الرأس، تدور مرتين حوله،

(1) - إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع...، المرجع السابق، ص254.

(2) - عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص236.

(3) - كمال النفاع، المرجع السابق، ص288.

(4) - إبراهيم حركات، المغرب عبر... ج.2، المرجع السابق، ص370.

(5) - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب... ج.1، المرجع السابق، ص53.

(6) - هو عبارة عن شريط مستطيل من الثوب يتراوح طوله بين متر وأربعة أمتار وعرضه لا يتعدى خمسين سنتيمتراً يتخذ إما من صوف أو قطن أو كتان أو حرير أو غيره، ليلف رأس الشخص الذكر، إما بكيفية كلية أو جزئية، والعمامة في الحضارة العربية الإسلامية، تعتبر جزءاً أساسياً من أجزاء اللباس لا =

وتسحب تحت الذقن، ويلبس الناس سراويل من الكتان، وأحذية بدون جوارب، وعند ركوبهم الخيل في الشتاء يلبسون أحذية كبيرة. أما العلماء والأعيان المسنون فيلبسون سترات عريضة الأكمام. أما عامة الناس فلباسهم أكثر بساطة، إذ يلبسون سترة فوقها برنوس بدون عباءة، كما أنهم لا يضعون على رؤوسهم سوى طاقية متواضعة. أما طبقة الفقراء فيلبسون ثوبا وبرنوسا من الصوف الخشن بلون أبيض⁽¹⁾.

أما أهل مراکش فحسب ما ذكره مارمول كريخال فإنهم كانوا يلبسون جبات من الجوخ الملون تصل إلى الأرجل، وقطعا صغيرة مفصلة على شكل القرن كأنصاف سترات من فوق، من شملة رقيقة، أو من خيوط الحرير والصوف، ولهم قمصان وسراويل من قماش أبيض، وقلنسوات قرمزية مع عمامات صغيرة. ويرتدي الأعيان سترات قرمزية أو من الحرير الملون، أو من القماش (كامبري) الرفيع، ولباس العامة كذلك، ولكن بأثمان أقل وللعديد منهم دثارات ملونة لها أربعة أذيال، ونصف أكمام ضيقة جدا، والكل مزين بأزرار وفوقه شبه سترات أو معاطف من ثوب خشن⁽²⁾. هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا يرتدون نعالا مسماة حتى الآن بـ "البلاغي" أو أحذية تغطي الساق، وكانت البلاغي ذات اللون الأسود، وسوف تستمر على نفس اللون إلى غاية فترة السلطان إسماعيل العلوي أين سوف تتغير وتصبح ذات لون أصفر⁽³⁾.

وفيما يخص اللباس فمعظم سكان الأرياف كانوا يضعون أكسية فوق قمصان الكتان أو الصوف وسراويل الكتان، ويضيفون حسب أحوال الجو، برانس مصنوعة من الصوف، ويلفون رؤوسهم بعمامات بيضاء، ويختص الشيوخ والفقهاء بوضع القلنسوات شأنهم في ذلك شأن عامة أهل المدن⁽⁴⁾.

أما فيما يتعلق بالبربر من منطقة حاحا إلى تادلا فقد كانوا يرتدون كساء من صوف خشن من غير قميص، في حين أن منطقة جزولة ترتدي ثيابا لا أكمام لها، وتتسلح بالخناجر والسيوف، بينما يرتدي بربر الريف الجلابة التي كانت منتشرة عندهم⁽⁵⁾.

=يكتمل الهدام أبدا بدونها. ينظر: محمد بوسلام، "العمامة"، معلمة المغرب، ج.18، [د.ط.]، (المغرب: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا، 1424هـ/2003م)، ص6182.

(1) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، صص 251-252.

(2) - مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص57.

(3) - إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع...، المرجع السابق، ص 255.

(4) - محمد قبلي، المرجع السابق، ص 313.

(5) - إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع...، المرجع السابق، ص 255.

أما فيما يتعلق بلباس النساء فهو الآخر كان يتنوع حسب الفصول، ويختلف لباس البيت عن لباس الخروج، ولباس نساء الأعيان عن لباس نساء العامة، فقد وقف " مارمول " على لباس الفاسيات ذوات الطبقة الراقية، فقال أنهم في فصل الصيف إذا خرجن لبسن فساتين بيضاء فاخرة ثمينة منسوجة بالذهب والحريز، وفوقها خمار أو عباءة من قماش رفيع مطرز الجوانب بحريز قرمزي، وطويلة بقدر غطاء لكنها أقل عرضا، مع شريط من حريز أبيض أو ملون حولها، منسوج في الخمار بنفس الشكل، ويطوئها إلى صدرهن، حيث تربط بحلقات سميقة من ذهب أو فضة⁽¹⁾. بينما رصد لنا حسن الوزان لباسهن في فصل الشتاء بأنه عبارة عن ثوب مخيط من الأمام كثياب الرجال وله أكمام عريضة، وفي حالة خروجهن يلبسن سراويل طويلة تستر سيقانهن، ويرتدين خمارا يشبه خمار نساء الشام، ويخفين وجوههن بقطة من القماش بحيث لا تظهر إلا عيونهن⁽²⁾. ويمكن القول أن الفاسيات قد تأثرن بلباس أندلسيات غرناطة، وهذا ما أكدته مرمول بقوله: " ... أن زي الفاسيات يكاد يكون زي موريسكيات غرناطة..."⁽³⁾.

كما تأثرت الأميرات بالأزياء الأوروبية، إذ يذكر ديبكو دي طوريس أن أخت الأمير عبد المؤمن، كانت ترتدي الزي الإسباني المتكون من بدلة الساتان الأبيض، وأكمام قميص عريضة جدا ومفتوحة، وخمار رفيع فوق الرأس⁽⁴⁾.

على العموم أنه ما يمكن تسجيله من خلال حديثنا عن الألبسة في المجتمع السعودي خلال فترة المنصور، أنه قد شهدت تطورا مقارنة بباقي السلاطين السعوديين، وقد بدأ هذا التطور أو التعديل منذ عهد عبد الملك، ثم اكتمل هذا التطور في عهد أحمد المنصور، كما لاحظنا أن هذا التعديل الذي شهده اللباس، قد تأثر بفعل المؤثرات الخارجية متمثلا في العنصر العثماني، والأوروبي، والأندلسي في بعض الأحيان، كما سجلنا من خلال هذا العنصر اختلافا في زي اللباس باختلاف الهرم الاجتماعي، بداية من السلطة مرورا بالطبقة الغنية، وصولا للطبقة الكادحة، كما أن هذا الاختلاف نسجه حتى على مستوى إختلاف المناطق الجغرافية بالمغرب الأقصى، وما بين الحضر والبدو، وكذا ما بين مختلف الفصول الأربعة طول السنة.

(1) - مارمول كرىخال، المصدر السابق، ج.2، ص 176.

(2) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص 252.

(3) - مارمول كرىخال، المصدر السابق، ج.2، ص 177.

(4) - ديبكودي طوريس، المصدر السابق، ص161.

خامسا: المرأة.

شكلت المرأة محطة هامة في تاريخ الدولة السعودية، إذ منذ بداية قيام الحكم السعودي عملت المرأة السعودية على دعم الدولة، من خلال مساهمتها في السيطرة على مدينة فاس، عن طريق مهاجمة أبو حسون الوطاسي، برمي جنوده بوابل من الحجارة من أسطح منازلهم للخلاص من الجوع المترتب عن حصار السلطان محمد الشيخ، مما جعل الملك الوطاسي ينسحب في مقابل إستيلاء محمد الشيخ على مقاليد الحكم في مدينة فاس⁽¹⁾. كما إستجابت بعضهن للدعوة السعودية بالمشاركة في العمليات العسكرية ضد الغزو الصليبي⁽²⁾، بما فيهن النساء اللواتي بلغن من العمر ثمانين أو مائة سنة⁽³⁾ كمساهمة منهن في رد الخطر الصليبي هذا من جهة. ومن جهة أخرى الرد على الإعتداءات التي كانت تطالهن بسبب عمليات الأسر من طرف البرتغاليين وحلفائهم من الأعراب⁽⁴⁾.

وبعد أن إستقرت الأوضاع للدولة السعودية تفاعلت المرأة داخل المجتمع السعودي، وشكلت دورا فعالا سواء في البادية أو المدينة، فعلى مستوى البادية كانت المرأة بمثابة عمود الحياة القروية من خلال قيامها بالعديد من الأشغال المتعددة، سواء على مستوى المنزل كسقي الماء⁽⁵⁾، وحمل الحطب⁽⁶⁾، وطحن الدقيق بسواعدهن في أرحية صغيرة من حجر حسب الحاجة⁽⁷⁾، وكذا عجين الخبز وطهي الطعام، وغسل الملابس وصنع الألبان، وبنفس الوتيرة نجدها في الميدان الفلاحي تقدم أدوارا كبيرة⁽⁸⁾؛ كالحصاد والنقل، وجمع الغلال المختلفة؛ كجني الزيتون، وقطف العنب، وجمع مختلف المحصولات الزراعية، وتسميد الأرض ونقشها وسقيها⁽⁹⁾. بل وفي بعض المناطق من المغرب الأقصى كمنطقة بنو رزين⁽¹⁰⁾ يتكلفن بشؤون الزراعة والحرق كاملة، بدل من أزواجهن الذين يتركون لهم أعمال المنزل والحرق والرعي⁽¹¹⁾، وكذلك كن يقمن برعي الماشية بينما يعاقر

(1) - مارمول كرخال، المصدر السابق، ج.1، ص 477.

(2) - زين العابدين زربوخ، " المرأة بين الفاعلية والتهميش خلال العصر السعودي"، *مجلة البكسوس مجلة إلكترونية*، المغرب، ع.19، 2017م، ص50.

(3) - مارمول كرخال، المصدر السابق، ج.2، ص169.

(4) - المصدر نفسه، ج.2، ص16.

(5) - عبد القادر العافية، المرجع السابق، ص 220.

(6) - عثمان المنصوري، " تاريخ المرأة المغربية في العصر الحديث «مقاربة» أولى"، *مجلة أمل*، المغرب، ع.13-14، س.1998م، ص160

(7) - مارمول كرخال، المصدر السابق، ج.2، ص 08.

(8) - عبد القادر العافية، المرجع السابق، ص 220.

(9) - المرجع نفسه، ص 220.

(10) - هي قبيلة تقع بناحية غمارة (إقليم شفشاون حاليا) وتحيط بها قبائل " متبوة " البحر، وكثامة وبنو خالد وبنو سميح. للمزيد ينظر: محمد ابن عزوز

حكيم: " بني رزين"، *معلمة المغرب*، ج.5، [د.ط.]، (المغرب: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا، 1413هـ/1992م)، ص1527.

(11) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص331.

أزواجهن الخمر⁽¹⁾، وإلى جانب عملهن في ميدان الفلاحة، فقد كن يزاولن بعض الصناعات اليدوية كصناعة الأواني الفخارية، وغزل الصوف⁽²⁾.

أما عن عيشهن ومظهرهن، فقد عانت نساء البادية من الفقر، إذ كن يعتمدن فقط على الرعي، وحرث الأرض إذ " ليس لهم إيراد آخر غير قطعانهم، التي يرحلون معها"⁽³⁾. وبذلك فقد عشن حياة أقل ما يقال عنها أنها كانت صعبة، خاصة في المناطق الجبلية، أما عن مظهرهن، فقد كان قبيحا، ورائحتهن نتنة، إذ يصفهن مارمول كريخال بقوله: " النساء قبيحات المنظر، قدرات منتنات،... تفوح منهن رائحة التيوس بقوة، لأنهن يشتغلن ليل نهار بقطعانهم..."⁽⁴⁾. ويضيف مارمول على ذلك، عدم إرتدائهن النعال التي تحميهن من قسوة الطبيعة حيث قال: " يمشي الرجال والنساء بدون نعال، وبأرجلهم شقوق تصل حتى العظم..."⁽⁵⁾، أما عن ملابسهن فكن يمشين شبه عاريات في بعض المناطق كمناطق كجبال هنكيسة⁽⁶⁾، اللواتي يسرن نساءهم عاريات تقريبا⁽⁷⁾، أما عن زينتهن التي يتزين بها فكانت بسيطة جدا، فقد إتخذن حليا من الفضة أو الحديد أو النحاس⁽⁸⁾.

وعلى النقيض من ذلك فإن النساء في المدينة تميزن بالأناقة وحسن المظهر، وعشن حياة رغيدة إذ كن " ... أنيقات يمشين وهن متزينات بعدد من الأساور الملولبة والمنبسطة من الذهب والفضة، وبكمية من الدرر والجواهر في العنق والرأس والأذنين. لباسهن من الحرير أو القماش الرفيع يسترهن حتى الأقدام..."⁽⁹⁾. علاوة على ذلك يحملن خواتم عديدة من ذهب وفضة، ولآليء وجواهر، وأقراطا، وقلائد وأساور في سواعدهن وأخرى في السيقان (الخلاخل)⁽¹⁰⁾. أما عن الأعمال الملقاة على عاتقهن فتمثلت في أشغال المنزل، من خبز وطهي وغسل الثياب وتربية الأطفال والعناية بهم، وتنظيم أثاث البيت وصيانته، بالإضافة إلى مزاولتهن الخياطة والطرز

(1) - مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص247.

(2) - عبد القادر العافية، المرجع السابق، ص 220.

(3) - مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص123.

(4) - المصدر نفسه، ص123.

(5) - نفسه، ص17.

(6) - بيتندئ هذا الجبل تقريبا عند الأطلس غربا، ويمتد مرتفعا شرقا على مسافة زهاء أربعين ميلا. وتوجد قدامه ماسة والبلاد السوسية الأخرى. للمزيد ينظر:

حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص ص 120-121.

(7) - مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص39.

(8) - حسن الوزان، المصدر السابق، ج.1، ص110.

(9) - مارمول كريخال، المصدر السابق، ج.2، ص57.

(10) - ديبكثودي طوريس، المصدر السابق، ص60.

والعمل في تصنيع الصوف من تصبين وغزل الأنواع الجيدة والممتازة، وغزل وتلوين الصوف⁽¹⁾. بحيث كن يتقن صناعة الزرابي العثمانية من عدة أنواع⁽²⁾.

تجدر الإشارة إلى أنه ليست كل نساء المدينة كن يعيشن حياة رغيدة، بل تواجدت بالمدن وضواحيها نساء فقيرات، فعلى سبيل المثال لا الحصر في مدينة فاس التي اضطرت بعضهن إلى ممارسة الدعارة، أو الشعوذة من أجل كسب القوت اليومي⁽³⁾. كما تواجد بالمدينة من كن يعيشن حياة رغيدة، لكن تغيرت أوضاعهن إلى درجة العوز، أو شدة الحاجة، مثل ابنة عبد الواحد قاضي الجامعة بفاس أيام المنصور الذهبي، والتي كانت تعيش في رغد الحياة على أيام أبيها بسبب ما كان يغدقه المنصور على والدها من عطايا، ولما توفي أبوها أصبحت فقيرة، إذ أصبحت تدور على الديار وتطلب من يستأجرها لطحين أو غيره، بعدما كانت تلبس في رجليها في حياة أبيها خلاخل من الذهب، لا تحملها إلا بسلسلة في حزامها، ولها وصائف يتبعنها يحملن ما يتجرجر من حللها⁽⁴⁾. كما تواجد بالمدينة العديد من الإماء، سواء البيض أو السود اللواتي تم أسرهن في معركة وادي المخازن، أو اللواتي تم جلبهن من السودان الغربي، وقد سُخرن للخدمة أو المتعة⁽⁵⁾.

تجدر الإشارة إلى أن نساء المدينة كن لا يغادرن بيوتهن إلا لضرورة ملحة، وعلى الخصوص إلى الحمام⁽⁶⁾. أو للقيام بزيارة، أو للذهاب إلى المسجد⁽⁷⁾، ولا يخرجن إلا وقد حجبن وجوههن جيدا ليختمن عن الأنظار⁽⁸⁾، وذلك نظرا لإختلاط العناصر الوافدة الجديدة في المغرب بكثرة من الخارج، فإن الرجال المحافظين كانت لهم غير شديدة على نسائهم⁽⁹⁾، لذلك كانوا يبعثون معهم خصيا لكي يحرسهن⁽¹⁰⁾. غير أن بعض المناطق في المغرب كن يخرجن متجملات بالخضاب، ويسرن سافرات الوجوه دائما، مثل نساء "تنزيت بهسكورة"⁽¹¹⁾.

(1) - عبد القادر العافية، المرجع السابق، ص221.

(2) - ديبكتودي طوريس، المصدر السابق، ص61.

(3) - زين العابدين زربوخ، المرجع السابق، ص50-51.

(4) - محمد الصغير الأقراني، صفوة من انتشار من أخبار...، المصدر السابق، ص183.

(5) - ديبكتودي طوريس، المصدر السابق، ص157. ينظر أيضا: مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعيدية...، المصدر السابق، ص68. ينظر أيضا: عيد

الكريم كريم، المرجع السابق، ص271-272. ينظر أيضا: محمد معروف، المرجع السابق، ص75.

(6) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص371.

(7) - مازمول كرىخال، المصدر السابق، ج.2، ص57.

(8) - المصدر نفسه، ج.2، ص57.

(9) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص371.

(10) - ديبكتودي طوريس، المصدر السابق، ص60.

(11) - مازمول كرىخال، المصدر السابق، ج.2، ص113-114.

ولإشارة فإن المرأة زمن الحكم السعودي، تمتعت بمجموعة من الحقوق التي كفلها الشرع للنساء كحق التملك والتصرف والتعلم⁽¹⁾، وهذا الأخير أي التعليم برزت فيه العديد من العالمات الصالحات مثل: عائشة بنت أم محمد بن عبد الله الإدريسي والدة ابن عسكر، صاحب كتاب دوحة الناشر، وهي من شهيرات المتصوفات⁽²⁾، وقد تتلمذ على يدها مجموعة من المشايخ؛ كعبد الله الغزواني، وغيرهما " فهدى الله على يدها خلقا كثيرا، وكان الناس يتحامون حماها ولا يقدر أحد رد شفاعتها "⁽³⁾ وكذلك من العالمات الصالحات نجد زهرة بنت الشيخ عبد الله الكوش⁽⁴⁾، التي أخذت عن أبيها، وكانت من أهل الولاية الظاهرة وكرست حياتها لذلك، وأصبح ضريحها مشهورا بعد وفاتها بحومة الكتبين⁽⁵⁾. كما كان للمرأة الحق في إختيار الزوج في بعض المناطق⁽⁶⁾، في حين كان يتم إكراههن على الزواج في بعض المناطق الأخرى من قبل أقاربهن، أو من أجل مصلحة⁽⁷⁾، كما كان لهن الحق أيضا الإنتصاب للشهادة⁽⁸⁾.

والجدير بالذكر أن المرأة كان لها الإسهام في العديد من القضايا الحساسة والحاسمة في مسار الدولة السعودية، كعقد التحالفات أو حل المنازعات، فعلى سبيل المثال أثناء الصراع الذي كان محتدما ما بين الأخوين محمد الشيخ وأخيه أحمد الأعرج، لجأ محمد الشيخ إلى تزويج إبنتيه من أجل التقرب والتصالح مع أخيه أحمد الأعرج، حيث زوج إبنتيه مع أبناء أخيه⁽⁹⁾، كمحاولة لتهدئة الأوضاع، وبالفعل فقد نجحت إحدى بناته وهي مريم في التوسط بين الأخوين⁽¹⁰⁾. وعندما إستقر الحكم لمحمد الشيخ بعد إنتصاره على الحكم الوطاسي ساهمت المرأة أيضا في إحداث تطورات على مستوى الدولة، إذ عملت العريفة بنت ابن نحوا على تنظيم عوائد الملوك

(1) - محمد بوزيان بنعلي، فحيح في عهد السعديين، (وجدة: مطبعة الجسور، 2005م)، ص 39.

(2) - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص 252.

(3) - محمد بن عسكر، المصدر السابق، ص 23.

(4) - هي السيدة الفاضلة، كانت من أهل القدم الزاسخ في العرفان ومن أهل الولاية الظاهرة، أخذت عن أبيها العلم لم تنزوج قط، توفيت عام (1020هـ/1611م). للمزيد ينظر: العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكز وأغامت من الأعلام، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ج.3، ط.2، (الرباط: المطبعة الملكية، 1418هـ/1997م)، ص252.

(5) - محمد الصغير الأفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء...، المصدر السابق، ص282.

(6) - محمد بوزيان بنعلي، المرجع السابق، ص 39.

(7) - زين العابدين زربوخ، المرجع السابق، ص53.

(8) - محمد بوزيان بنعلي، المرجع السابق، ص40.

(9) - مارمول كرىخال، المصدر السابق، ج.1، ص478.

(10) - المصدر نفسه، ج.1، ص465.

الداخلية بالقصر⁽¹⁾ "...فأرتهم كيف يلبسون نسائهم الملابس الحسان والتتوير بالطيب والزينة بالزي العجيب والفروش من الحرير والرقم في المخاد والأردية ووقد الشمع إلى غير ذلك..."⁽²⁾.
وأيضاً في نفس سياق السياسة ساهمت المرأة في الكثير من المرات في عقد التحالفات أو التوسط فيما بين الدول، إذ تشير بعض المصادر أنه أثناء سفر عبد الملك والمنصور إلى السلطان العثماني سليم الثاني، من أجل طلب المساعدة منه، لإسترجاع حكمهم حسب أحقيتهم بالملك، من ابن أخيها عبد الله الغالب، فقد كانت ترافقهم مسعودة الوزكيتية؛ أم المنصور السعدي، من أجل التوسط لدى السلطان سليم، وطلب المساعدة منه في إستعادة حكم إبنها، وقد رفض في البداية بسبب إنشغاله في إسترجاع تونس من الحكم الصليبي، ثم إستأذنه الأخوان بالمشاركة في الدفاع عن تونس فوافق على ذلك، وقد إستطاعوا إسترجاع تونس للحكم العثماني، ثم تحينت أم عبد الملك وهي سحابة الرحمانية فرصة نبأ إسترجاع العثمانيين لتونس فمازالت تلح عليه وإبنها عبد الملك حتى أجابها في ذلك⁽³⁾.

كذلك مسعودة الوزكيتية أم المنصور، التي عرف عنها قيامها بأعمال الخير؛ كالصدقات وتجهيز اليتامى وتزويجهم، كما عرفت بتشبيدها لجامع بباب دكالة، وكما أوقفت العديد من الأوقاف، وساهمت في تشييد العديد من المنشآت؛ كجسر وادي أم الربيع، وإصلاحها الطرق سواء في البادية أو الحواضر وغير ذلك⁽⁴⁾.

كذلك الشبانية زوجة المنصور تشير بعض الروايات في المصادر التاريخية حول إشاعة مفادها أنها هي من تسبب في موت السلطان أحمد المنصور، عندما أوعزت إلى إبنها زيدان بتسميم والده، مما أدى إلى موته⁽⁵⁾.

(1) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص252.

(2) - مجهول، المصدر السابق، ص29.

(3) - إبراهيم حركات، السياسية والمجتمع...، المرجع السابق، ص 66. ينظر أيضاً: عبد الله كنون الحسني، المرجع السابق، ص 119-120. ينظر أيضاً: محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص120. - Mercedes garcia -Arenal, op.cit, p29.

(4) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص146. ينظر أيضاً: العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام، تر: عبد الوهاب ابن منصور، ج.7، ط.2، (الرباط: المطبعة الملكية، 1413هـ/1993م)، ص 269-270. ينظر أيضاً: أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور...، المصدر السابق، ج.1، ص 256-257. ينظر أيضاً: -Osire Glacier, op.cit, p 93-94.

(5) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص279.

سادسا: الإحتفالات والأعياد.

أ - المولد النبوي الشريف:

يرجع تاريخ الإحتفال بالمولد النبوي الشريف في العالم الإسلامي إلى عهد الفاطميين⁽¹⁾، إذ أنهم أول من سن عيد المولد في الممالك الإسلامية، وكان الدافع وراء ذلك هو الإقتداء بالأقباط الذين إعتادوا أن يحتفلوا برأس السنة الميلادية، ثم أصبح عيدا رسميا في الدولة⁽²⁾.

أما في الغرب الإسلامي فقد بدأت بوادر ظهوره في مملكة غرناطة بالأندلس، حيث تم الإحتفال به بصورة رسمية في القرن (7هـ/13م)، وقبل هذا التاريخ كان الناس يحتفلون به دون السلطات لاسيما في بلاد المغرب والأندلس، وأول من إهتم بهذا الإحتفال رسميا هو صاحب سبته أبو القاسم الغزفي⁽³⁾، حيث جعل هذا اليوم عيدا رسميا لإمارته، ثم تم تعميمه في الأندلس⁽⁴⁾.

وقد بدأت هذه الظاهرة تعرف طريقها إلى بلاد المغرب مع نهاية العصر الموحيدي وبداية العصر المريني⁽⁵⁾، بحيث لم تلبث الدولة المرينية أن تبنت المبادرة العزفية إقتناعا منها بضرورة شد الرعية إلى التمسك بالبيئة الإسلامية، والتعلق بالنبي الكريم⁽⁶⁾، وإن لم يتم إتخاذها بشكل رسمي وصبغتها العامة إلا في عهد السلطان أبي يعقوب يوسف المريني، الذي عمل على تعميمها⁽⁷⁾، وكان ذلك سنة (691هـ/1292م)⁽⁸⁾. غير أنه في عهد السلطان أبي عنان المريني⁽⁹⁾ عمل على إشاعها وترسيخها، وإتخذ جميع التدابير الرسمية حتى تصبح من إحدى عادات ونقائيد المجتمع

(1) - تجدر الإشارة إلى أن ظاهرة الإحتفال بالمولد النبوي الشريف قد بدأت مع الدولة الفاطمية، منذ عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بمصر (341-365هـ/975-953م)، الذي سن للمجتمع المصري الإحتفال بمولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في الثاني عشر من شهر ربيع الأول. للمزيد ينظر: تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، ج.2، [د.ط.]، (القاهرة: طبعة جديدة بالافست بولاق، 2002)، ص490. ينظر أيضا: عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص ص 274-275.

(2) - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص 259.

(3) - هو محمد بن أحمد الشهير بأبي القاسم، ولد سنة (607هـ/1210م)، تولى حكم سبته سنة (647هـ/1249م)، ودخل في طاعة السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني سنة (672هـ/1353م)، كان عالما وأديبا فاضلا، توفي سنة (677هـ/1278م). ينظر: عدنان خلف سرهيد الدراجي، التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية خلال عصر سلطنة غرناطة (635-897هـ/1238-1492م)، ط.1، (مصر: دار حميثرا للنشر والترجمة، 2018م)، ص105.

(4) - عدنان خلف سرهيد الدراجي، المرجع نفسه، ص105.

(5) - ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب مصدر جديد من مصادر تاريخ المغرب الآداب والحضاري في العصر المريني، تح: محمد ابن شقرون، ط.1، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990م)، ص117.

(6) - عبد الهادي التازي، " لماذا عيد المولد في الغرب الإسلامي؟ الأسباب التي كانت وراء إنشائه. بعد أن لم يكن لا في عهد الأدارسة ولا في عهد المرابطين والموحدين "، مجلة دعوة الحق، المغرب، ع.277، س. 1989م، ص48.

(7) - ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص117.

(8) - عبد الهادي التازي، لماذا عيد المولد...، المرجع السابق، ص48.

(9) - هو فارس بن أبي الحسن علي، ولد سنة (729هـ/1329م). بويع بالملك سنة (749هـ/1349م) في حياة أبيه، استتب له الأمر سنة (752هـ/1358م)، عرف بحبه للعلوم والأدب، توفي مخنوقا على يد وزيره. للمزيد ينظر: ابن الأحمر، نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، تح: محمد رضوان الداية، ط.2، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1976م)، ص69.

المريني⁽¹⁾. فقد أصبح الإحتفال بالمولد يدخل ضمن سياسة الدولة المرينية إتجاه الأشراف، وقد إستمرت هذه الظاهرة في العصر المريني إلى أن قام السلطان أبو سعيد الثالث⁽²⁾ بإزالة مراسم الإحتفال بعيد المولد النبوي على الصعيد الرسمي⁽³⁾.

أما في العهد السعدي فلما آلت شؤون الحكم للسلطان أحمد المنصور⁽⁴⁾ أعاد إحياء ظاهرة الإحتفال بعيد المولد⁽⁵⁾، وجعل منه أكبر إحتفال رسمي للدولة والأمة⁽⁶⁾، والذي كان فرصة لإجتماع الصلحاء والأولياء من مختلف بقاع المغرب الأقصى، حيث يتم الإحتفال بمراكش وغيرها⁽⁷⁾، وقد قدم لنا الفتشالي وصفا دقيقا عن الإحتفالات التي كانت تقام حيث قال: " ... أنه إذا طلعت طلوع شهر ربيع الأول، صرف الرقاع إلى الفقراء أرباب الذكر على رسم الصوفية من المؤذنين المتعاورين في الأسحار بالأذان"⁽⁸⁾، فيأتون من كل جهة ويحشرون من سائر حواضر المغرب الأقصى، ثم يأمر الشماعين بتطريز الشموع⁽⁹⁾ على أن يتقنوا صنعها، فيتنافس المهرة الشماعين فيصوغون أنواعا من الشمع التي تحير الناظرين⁽¹⁰⁾.

وإذا كان يوم المولد النبوي كان يؤم المنصور الناس في صلاة الفجر، وبعد الإنتهاء من الصلاة يجلس على سرير الملك وعليه الحلة البيضاء⁽¹¹⁾، ثم يدخل عليه الناس حسب طبقاتهم. وبعد جلوس الجميع، يتقدم أحد الوعاظ فيسرد سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعدما يفرغ من ذلك، تتطلق أشعار المولديات، وبمجرد إنتهائهم يتقدم أهل الذكر والمنشدين⁽¹²⁾. ثم بعد الإنتهاء من ذلك يتقدم الشعراء، فينشدون قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تختتم بمدح أحمد المنصور والدعاء له، ولولي عهده⁽¹³⁾. ثم تقام بعد ذلك على شرف ضيوف السلطان

(1) - ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص117.

(2) - هو عثمان بن أحمد بن أبي سالم، يكنى أبا سعيد، أمه الحجاب العالي الجوهر، ببيع حاكما على المغرب الأقصى سنة (800هـ/1398م)، توفي

سنة(823هـ/1421م). ينظر أيضا: أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر، المصدر السابق، ص ص 40-41.

(3) - محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، ط.1، (الدار البيضاء: توفال للنشر، 1987م)، ص105.

(4) - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب...، ج.1، المرجع السابق، ص123.

(5) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص274.

(6) - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب...، ج.1، المرجع السابق، ص123.

(7) - إبراهيم حركات، المغرب عبر...، ج.2، المرجع السابق، ص274.

(8) - عبد العزيز الفتشالي، المصدر السابق، ص236.

(9) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص228.

(10) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج.5، ص 151.

(11) - عبد العزيز الفتشالي، المصدر السابق، ص236.

(12) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص 152.

(13) - محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص 229.

السعدي (العلماء والفقهاء والقضاة، والأشراف وكبار مسؤولي الدولة...) مآدبة يقدم فيها مختلف أنواع الطعام والحلويات، وهي المآدبة التي تختتم بالشكر والدعاء⁽¹⁾.

وعندما تنتهي إحتفالات المولد النبوي، كان المنصور يعطي الصلوات والخلع للشعراء وكبار المشايخ⁽²⁾، وقد كان المنصور سخيا في إعطاء الأموال للعلماء والشعراء، وفي هذا السياق يقول: "... حتى أنه ينفق في ذلك اليوم من الأموال ما لا يحصى كثرة، ويعطي كلا على قدره من ثلاثمائة إلى خمس آلاف أوقية ذهباً، وقد أنال الفقيه النحوي أبا العباس أحمد الزموري ذات سنة نحواً من خمس آلاف أوقية ذهباً، أناله جنانا بمراكش وأرض حرث وغير ذلك..."⁽³⁾.

ب- رمضان:

يعتبر شهر رمضان من الأشهر المقدسة عند المسلمين فهو ليس كغيره من الشهور، حيث يحظى هذا الشهر بطابع خاص، إذ تكثر فيه العبادات وأعمال البر والخير طيلة هذا الشهر الفضيل. قبل حلول الشهر الكريم تسبق ليلة ثبوت رؤية الهلال لمعرفة حلول رمضان من عدمه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾⁽⁴⁾ وقول الرسول ﷺ: " صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ، وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْهِ، فَإِنْ غُيِّبَ عَلَيْكُمْ فَأَكْلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ"⁽⁵⁾ وقد جرت العادة المتوارثة في بلاد المغرب عند رؤية هلال رمضان أو شوال بإضرام النار لإعلام القرى الأخرى برؤية الهلال⁽⁶⁾. وقد كانت عادة السعديين خلال فترة المنصور أنه إذا حل شهر رمضان الكريم كان القضاة والفقهاء والأعيان يكبون في النهار بتدارس صحيح البخاري⁽⁷⁾، في كل يوم إلى غاية يوم السابع والعشرين الذي يختتم فيه صحيح البخاري⁽⁸⁾، بينما يحيون ليلهم بالصلاة، إذ يقبل العلماء إلى البلاط، يؤمون

(1) - كمال النفاع، المرجع السابق، ص 293.

(2) - المرجع نفسه، ص 294.

(3) - أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور...، ج. 1، المصدر السابق، ص 375-376.

(4) - سورة البقرة آية: 185.

(5) - أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط. 1، (بيروت: دار ابن كثير، 1423هـ/2002م)، ص 459-460. رقم الحديث 1909.

(6) - أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي وآخرون، ج. 1، [د.ط.]، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1401هـ/1981م)، ص 412.

(7) - تجدر الإشارة إلى أن طريقة تدارس صحيح البخاري حسب ما أورده ابن القاضي في مصنفه "نزهة الحادي" حيث قال: "كان القاضي يتولى السرد بنفسه، فيسرد نحو الورقتين من أول السفر، ويتفاوض مع الحاضرين في المسائل، ويلقى من ظهر له بحث أو توجيه ما ظهر له ولا يزالون في المذاكرة، فإذا تعالى النهار ختم المجلس، وذهب القاضي بالسفر فيكمله سرداً في بيته، ومن الغد يبدئ سفره آخر، وهكذا والسلطان في جميع ذلك جالس قريب من حاشية الحلقة قد عين لجلوسه موضع". ينظر: محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص 231. ينظر أيضاً: الناصري، المرجع السابق، ج. 5، ص 153.

(8) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج. 5، ص 153.

بالسلطان لتأدية صلاة التراويح⁽¹⁾، ويذكر التمرغوطي أن المنصور كان يغدق على أهل الذكر بالعطايا التي تفوق قيمتها عن سائر أهل السنة فقال: "... كانوا يتلقون العطايا ويتلقون من عطايه وإكرامه يوم عيد الفطر ما تقر به أعينهم، وتلاحقهم الهدايا خلال السنة أيام"⁽²⁾. ولم يكن أهل الذكر هم فقط من يتلقون العطايا، بل حتى الفقراء والمساكين. إذ يذكر الفشتالي أن المنصور كان يعطي أموالا لذوي الحاجات عند إنقضاء رمضان⁽³⁾.

ج- العيد:

يعتبر العيد من المناسبات الدينية التي يحتفل بها المسلمون في كل السنة، والذي يحل مباشرة بعد شهر رمضان ثاني أهم الأعياد بعد عيد الأضحى⁽⁴⁾، وقد حرص المنصور على إحياء هذه الشعيرة الدينية من كل سنة، والتي كانت تقام بها طقوس خاصة، إذ يحضر المنصور لصلاة الفجر، فيصلى بالناس ثم يجلس على أريكة قبته ويتقدم الناس على مختلف طبقاتهم حوله، ثم يتقدم أهل الذكر والإنشاد ليلقوا ما في جعبتهم حول ما يتعلق بهذا اليوم، ثم تقدم الحلويات بمختلف أنواعها، ثم يختم هذا الحفل بالشكر والدعاء⁽⁵⁾.

د- الحج:

يعتبر الحج من أعظم الشعائر الدينية في الإسلام، فهو الركن الخامس من أركان الإسلام، وقد حرص المسلمين على مر التاريخ على زيارة بيت الله عبر قوافل الحج، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾⁽⁶⁾. ونظرا لما كان يمثله الحج من قدسية دينية لدى المسلمين، فقد حرص المغرب الأقصى عبر مختلف فتراته على زيارة بيت الله الحرام عبر ركب الحج المغربي، والذي يتوجه سنويا إلى الحجاز لأداء مناسك الحج. وقد جرت العادة أن يكلف المنصور أمير ركب الحج بحمل رسالة خاصة إلى شريف مكة والمدينة⁽⁷⁾.

(1) - التمرغوطي، *النفحة المسكية في السفارة التركية*، تق و تح: عبد اللطيف الشادلي، [د.ط.]، (الرباط: المطبعة الملكية، 1423هـ/2002م)، ص 146.

(2) - محمد حجي، *الحركة الفكرية...*، ج.1، المرجع السابق، ص 123.

(3) - عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 251-252.

(4) - مولاي أحمد الكامون، هاشام السقلي، المرجع السابق، ص 162.

(5) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 296.

(6) - سورة الحج أية: 27.

(7) - عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 296-297.

و- عاشوراء:

كان للاحتفال بيوم عاشوراء -العاشر من محرم- أهمية خاصة، لأنه من الأعياد التي سنّها الرسول عليه السلام واحتفل بها في زمنه⁽¹⁾ بصوم ذلك اليوم، والذي قبله أو الذي بعده مخالفة لليهود المدينة⁽²⁾. وقد أولى أحمد المنصور عناية خاصة لهذا اليوم عن باقي الأيام، حيث كان يعد له طقوساً خاصة؛ فقد وصف لنا الفشتالي ما كان يحدث في ذلك اليوم، ففي كل سنة يقام حفل عظيم يتم فيه ختان الأطفال؛ خاصة الفقراء، وذوي الحاجة من الحضرة وضواحيها، بهدف إدخال السرور على أولاد المسلمين، مع الإعتناء بهم عناية خاصة، حيث كان يشتري لهم ثياباً جديدة، كما تُقدم إليهم الحلوى والألعاب. ويحضر قاضي الجماعة وقاضي المظالم وسط حفل بهيج، يساهم فيه المطربون بألحانهم، وبعد ختان الأطفال تقدم لكل واحد منهم قطعة ثوب وكمية من اللحم والمال⁽³⁾.

(1) - إبراهيم حركات، السياسة المجتمع...، المرجع السابق، ص 260.

(2) - مولاي أحمد الكامون، هاشام السقلي، المرجع السابق، ص 165.

(3) - أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 252.

سابعاً: الموسيقى.

لقد ساهم التطور الإقتصادي الذي عرفه السعديين، وكذا الهجرة الكبرى لمسلمي الأندلس إلى المغرب الأقصى في إزدهار الموسيقى السعدية. ومما يدل على ذلك الإزدهار هو إبتداع بعض أساليب التأليف الموسيقي، ناهيك عن إبتكار نوبات⁽¹⁾، كنوبة الإستهلال⁽²⁾ التي تعتبر قفزة نوعية في الموسيقى، علاوة على موازين⁽³⁾ جديدة، في مجال اللحن والمقامات⁽⁴⁾ وميزان الدرج⁽⁵⁾. وقد فتحت هذه الإبتكارات أفاقاً جديدة في مجال الموسيقى، وأنعشت قرائح المؤلفين وأمدتهم بنفس جديد⁽⁶⁾.

كما شهدت الفترة أيضاً ظهور أوزان جديدة في الملحن⁽⁷⁾، ويتعلق الأمر بالمبيت ومكسور الجناح والمشتت والسوسي، فضلاً عن إستحداث ظاهرة الصروف في فن الزجل، ويعتبر إبتكار تلك الصروف والأوزان طفرة هامة في تاريخ الموسيقى المغربية عموماً، والفن الملحن على وجه الخصوص⁽⁸⁾.

تجدر الإشارة إلى أن الموسيقى كانت تحدث توازناً وسط المجتمع السعدي، وبالأخص طبقة الكادحين، بحيث كانوا يرفهون بها عن أنفسهم في فترات راحتهم، ويصنعون جواً اجتماعياً ينسبهم هموم البيئة وشقاء العيش⁽⁹⁾، إذ لم تكن الموسيقى مجرد هواية، بل أصبحت تحرك الوجدان

(1)- في اللغة من فعل ناب وهي الفرصة وهي إسم من المناوبة، فيقال جاءت نوبتك أي جاءت فرصتك أو النيابية. أما اصطلاحاً: فهي لون من الغناء ينتمي إلى التراث الغنائي الأندلسي، ويمارس في كل دول المغرب. للمزيد ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص ص 774-775. ينظر أيضاً: عبد العزيز عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، [د.ط.]، (الكويت: عالم المعرفة- سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1983م)، ص 41.

(2)- نوع من مقدمة للصوت وقد عرف الفارابي الإستهلال أنه مبدأ يكون على مجرى العادة في المخاطبة (أي بدون إيقاع) ويكون جزءاً صغيراً من القول (أي الشعر)، أو يكون أقل من جزء أوسط (أي أقل من شطر البيت). ينظر: جورج ديمتري صاوة، قاموس كتاب الأغاني للإصبياني: قاموس موسيقي واجتماعي لفصص المطربين والعازفين، [د.ط.]، (بوسطن: دار بريل للنشر في ليدن المحروسة، 2015م)، ص 513.

(3)- هو تكرار منتظم لمجموعات متماثلة من الضربات، والسكانات الجزئية المرتبة ترتيباً معيناً، والمحتوية على مقادير زمنية محددة وذلك من أول اللحن إلى نهايته. للمزيد ينظر: بن سنوسي كمال، مصادر البحث في الموسيقى الأندلسية بالمغرب العربي - جمع ودراسة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تخصص الفنون الشعبية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر، 2015-2016م، ص 12.

(4)- هو علم طبوع الألحان الجزئية التي تتدرج نغمها الأساسية في جماعة معينة، وتعيين أجناس التأليف التي تتحكم في طبقاتها التي تتقيد بها مزامير الحنجرة عند الأداء في طريقة ما ومقام اللحن، هو مذهب نغمة وتوسطها ونهاياتها في طبقات الصوت، ويشبه أن يكون كالبيت في الأشعار. للمزيد ينظر: أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبه، مر: محمود أحمد الحفني، [د.ط.]، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967م)، ص ص 22-23.

(5)- ونقصد به التغييرات الإيقاعية، النقلة السريعة التي تحدث لها السرعة بسبب النقرات الزائدة التي شغلت الأزمان الفارغة في الإيقاعات الثقيلة والإدراج يبقى به زمان جملة اللحن على حالته ولا يقصر به. ينظر: جورج ديمتري صاوة، المرجع السابق، ص 131.

(6)- عبد العزيز عبد الجليل، المرجع السابق، ص 77.

(7)- الملحن يتمثل من خلال منظومات يطلق عليها القصائد والسرايات، تقوم على أربعة بحور عروضية أساسية تعارف عليها أشياخ هذا الفن منذ أن بدأ في استكمال مقوماته العروضية والموضوعية في القرن العاشر وهي: لمبيت، ومكسور الجناح، ولمشبت، والسوسي. ينظر: عبد العزيز بن عبد الجليل: " مادة الملحن " معلمة المغرب، ج1، [د.ط.]، (المغرب: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1426هـ/2005م)، ص ص 7254-7255. ينظر أيضاً: عبد العزيز بن عبد الجليل، الموسيقى الأندلسية المغربية، [د.ط.]، (الكويت: سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988م)، ص 241.

(8)- كمال النفاع، المرجع السابق، ص 281.

(9)- إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع...، المرجع السابق، ص 256.

وتضبط خلجات الجنان تهديبا للأنفاس، وضبطا للأعصاب. بل أن الموسيقى أصبحت تستغل في علاج الأمراض العصبية، وذلك قبل أن تعرف أمريكا وأوروبا موسيقى الروك (rock and roll)، وكذلك الموسيقى الأمريكية المعروفة بـ (Rythm and blues)⁽¹⁾.

كما إهتم أحمد المنصور السعدي بالموسيقى خلال فترة حكمه، بحيث أولى عناية خاصة بالموسقيين، أين كان يخصصهم بعطايا الموسقيين، حيث حدث في إحدى المناسبات الدينية الفقيه القاضي أبو مالك عبد الواحد الحميدي بصحبة بعض الفقهاء والمغنيين والموسقيين، وقال الحميدي أنه حينما انصرف الفقهاء من الحضرة السلطانية، إلتقوا بأهل الموسيقى والغناء، الذين أخرج أحدهم شبابة من الإبريز أهدها إياها أحمد المنصور، وهي ما يعادل قيمتها الهدايا التي حصل عليها باقي الفنانين. في حين لم يحظ القاضي ولا الفقهاء الذين كانوا برفقته بهذه الحظوة، وهو ما دفع القاضي الحميدي للتعليق على ذلك الحدث بقوله: " لئن بلغت فاسا لأردن أولادي إلى صنعه الموسيقى، فإن صنعة العلم كاسدة، ولولا أن الموسيقى هي العلم العزيز ما رجعنا مخفقين، ورجع المغني بشبابة الإبريز"⁽²⁾.

كما برز في عهده المديح، وذلك نظرا لإهتمام المنصور بالمولد النبوي الشريف الذي أصبح أحد أكبر الإحتفالات الرسمية للدولة، حيث كان قصره في مراكش وبلاط أبنائه في الأقاليم يتزين بإيقاد الشموع، وعزف الفرق الموسيقية، وتغني المنشدين بموشحات وأشعار أقطاب التصوف، وإنشاد المولوديات بين يديه مما ينظمه الشعراء في مدح الرسول، والتنويه بمنحزات الشرفاء السعديين⁽³⁾.

وقد أكد العديد من المؤلفين⁽⁴⁾ بما كان يحظى به المولد النبوي الشريف زمن المنصور؛ ومن بين هؤلاء المؤلفين نجد الفشتالي وزير المنصور، الذي ترك لنا وصفا دقيقا حول طقوس الإحتفالات التي كانت تقام بهذه المناسبة، وفي ذلك الوصف سوف نحاول الوقوف عند أهم ما يتعلق بجانب الموسيقى، حيث قال: "...إنه إذا طلعت طلوع ربيع الأول توجه العناية إلى الإحتفال له بما يربي على الوصف... فيصير الرقاع إلى الفقراء أرباب الذكر على رسم الصوفية

(1)- عبد العزيز ابن عبد الله، " كيف تطورت الآلة الإشبيلية والطرب الغرناطي في المهاجرات الأندلسية بالمغرب"، مجلة الأكاديمية، المغرب، ع.27، س.2010م، ص91.

(2)- محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص ص 242-243. ينظر أيضا: الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص ص 189-190.

(3)- محمد حجي، الحركة الفكرية...، ج.1، المرجع السابق، ص 123.

(4)- أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور...، ج.1، المصدر السابق، ص ص 379-380. ينظر أيضا: علي بن محمد التمكروتي، المصدر السابق، ص ص 142-145. ينظر أيضا: محمد الصغير الأفراني، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص ص 228-229. ينظر أيضا: الناصري، المرجع السابق، ج.5، ص ص 151-152.

من المؤننين النعارين في السحر بالآذان حتى إذا كانت ليلة الميلاد الكريم تلاحقت الوفود من مشايخ الذكر والإنشاد وحضرت الآلة الملوكية فارتفعت أصوات الآلة وقرعت الطبول، وضج الناس بالتهليل والتكبير والصلاة على النبي الكريم، وتقدم أهل الذكر والإنشاد يقدمهم مشايخهم واندفع القوم لترجيع الأصوات بمنظومات على أساليب مخصوصة في مدائح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يخصصها اصطلاح العزف بالمولديات نسبة إلى المولد النبوي الكريم، قد لحنوها بألحان تخلب النفوس والأرواح، وترق لها الطباع، وتبعث في الصدور الخشوع، وتقشعر لها جلود الذين يخشون ربهم يتفننون في ألحانها على حسب تفننها في النظم. فإذا أخذت النفوس حظها من الاستماع بألحان المولديات الكريمة تقدمت أهل الذكر المزمزمون بالرقيق من كلام الشيخ أبي الحسن الششتري، وكلام القوم المتصوفة أهل الرقائق، كل ذلك تتخلله نوبات المنشدين للبيتين من نفس الشعر...⁽¹⁾.

إن أهم ما يمكن أن نرصده حول الموسيقى زمن المنصور هو تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية؛ سواء من الشرق، عن الخلافة العثمانية أو من الدول الأوروبية، ومن أبرز تلك التأثيرات الموكب الملكي الذي يصحب معه فرق الموسيقى التي من المحتمل أن تكون قد تأثرت؛ إما بالعنصر الأوروبي خاصة بحكم خضوع الكثير من الثغور المغربية للإحتلال الإسباني أو البرتغالي، والذي أقام حاميات تضم فرقا موسيقية كانوا لا غنى لهم عنها في أوقات السلم أو الحرب. في حين قد يكون المغرب الأقصى، قد تلقى أولى تركيبات الموشح الشرقي مع توافد العنصر العثماني، الذي جاء من أرض الجزائر، ثم وجدوا لهم مستقرا بين الجنود السعدية النظامية⁽²⁾. وهو ما يؤكد الفشتالي في هذا السياق عند وصفه لموكب السلطان أحمد المنصور؛ وجود فرق موسيقية، وتأثرها بالعنصر الأجنبي، حيث قال: "وأمامه موكب الطبل العظيم الذي يسمع دوي صوته على البعد ومن خلفه الطبول الأخرى التي يقرع مع المزامير المعروفة بالغيطات⁽³⁾، واحدها غيطة يتولى النفخ فيها قوم من العجم اسانيد يتعلمونها فتنبعث منها أصوات وتلاحين لا تحرك الطبع ولا تبعثه على شيء سوى الحرب حكمة فلسفية ومزامير أخرى وجعاب طوال صفريه على مقدار

(1) - عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 236-237.

(2) - بن عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ...، المرجع السابق، ص 83.

(3) - هي آلة موسيقية هوائية، تحمل منفخا صغيرا ينفخ فيه فيؤدي الريح إلى أنبوب خشبي مخروطي الشكل، دقيق في أعلاه، طوله حوالي ثلاثين سم، يتسع بالتدريج إلى أن يبلغ عند طرفه الأسفل نحو عرض كف اليد، وبه مابين سبعة وعشرة ثقوب يحدث عقفا بالأصابع أصوات موسيقية متفاوتة الدرجات، ويعتمد استخدام الغيطة على تقنية خاصة تتطلب تخزين كمية وافرة من الهواء داخل الفم أثناء تصريف الهواء في جوف الغيطة. للمزيد ينظر: عبد العزيز بن عبد الجليل: "الغيطة"، معلمة المغرب، ج. 19، [د.ط.]، (المغرب: مطابع سلا، 1425هـ/2004م)، ص 6370.

النفير تسمى الطربينات⁽¹⁾ مما أحدثه أمير المؤمنين في دولته ازدادت بها تلك الآلة حسنا ومزيد فخامة⁽²⁾.

نستنتج مما أورده لنا الفشتالي عند حديثه عن الموكب السلطاني أن أحمد المنصور قد أحدث فرقة موسيقية عسكرية، ليزيد من فخامة دولته، والتي كانت مجهزة بآلات موسيقية، لم يكن متعارف عليها بالمغرب، منها الغيطات، والطربينات، والتي تعود إلى العنصر العثماني. يرى الباحث بن عبد الجليل أن المغاربة لم يتجاوبوا معها بحكم أنها لا تحرك الطبع ولا تهز المشاعر الرقيقة، وإنما تستفز المحارب ليشرع السلاح وينطلق إلى ساحة القتال⁽³⁾.

لم يقتصر التحول الذي عرفه مجال الموسيقى والغناء خلال فترة المنصور على الآلات الموسيقية فحسب، بل تعدى ذلك ليشمل الألحان والإيقاعات، التي تأثرت بمثيلاتها الموجودة في إفريقيا جنوب الصحراء⁽⁴⁾، خاصة فن كشناوة⁽⁵⁾، التي جلبها المنصور السعدي على إثر حملاته العسكرية الموقفة في أرض السنغال ومالي⁽⁶⁾.

إن أهم ما يمكن تسجيله من خلال دراستنا لهذا الفصل هو دور وإسهام العناصر الوافدة إلى المجتمع السعدي، حيث ساهمت تلك العناصر بما تمتلكه من خبرة في نقل مختلف المعارف والخبرات التي إكتسبوها في بلدانهم، وعملوا على نقلها إلى المغرب. وقد تفاعلت تلك العناصر معا في بناء المجتمع السعدي، من خلال التفاعل مع المجتمع بنقل معارفهم وخبراتهم التي تعلموها في بلدانهم إلى المغرب.

كما سجلت من خلال هذا الفصل أن المغرب الأقصى قد واجهته تحديات على مستوى النمو الديمغرافي، والذي عرف عدم الإستقرار، بسبب الأزمات التي ضربت البلاد؛ من الأوبئة والمجاعات والكوارث الطبيعية، ناهيك عن الحروب المستمرة، سواء داخل البلاد أو خارجها. أدت كل تلك العوامل إلى حدوث نزيف ديمغرافي. وقد حاول السعديون الحد من تلك الكوارث الطبيعية من خلال إنشاء منظومة صحية، غلب عليها طابع البدائية، بالإعتماد على الطب الشعبي والكي، بالإضافة إلى وجود بعض المستشفيات. إلى أنها لم تكن تف بالغرض لمحاربة تلك الأمراض

(1) - ينظر: ملحق رقم 18، ص 278.

(2) - عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 204.

(3) - بن عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ...، المرجع السابق، ص 87.

(4) - كمال النفاع، المرجع السابق، ص 285.

(5) - تعود أصول تلك الموسيقى إلى جنوب الصحراء الكبرى التي تضم السنغال ومالي والنيجر وغينيا، أما معنى الكلمة يقول موريس دولافوس مفسرا أصلها أنها تشبهه لفظة الأمازيغية " أفال-ن إغوينواوين"، وهي تعني أرض الزنوج، وقد نتج عن هذا المصطلح، ولادة صفة " غينيا " ومنها " غناوة ". للمزيد ينظر: سعيد بوكرامي، " موسيقى كناوة الأصول والامتدادات "، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، ع. 37، ص. 2017م، ص 135.

(6) - بن عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ...، المرجع السابق، ص 89.

الخطيرة، وفي مقابل ذلك فقد حرص السلاطين السعديون على إحاطة أنفسهم بالأطباء الخواص من الدول الأجنبية. إلا أنه ورغم كل الإحتياجات فقد مات السلطان أحمد المنصور بالوباء. كما سجلت من خلال هذا الفصل أن المجتمع السعودي عرف أنواعاً مختلفة ومنتوعة من الأغذية، والتي تنوعت بين مختلف مناطق، وجهات المغرب الأقصى، حيث كان للطبيعة التي تميز بها المغرب الأقصى دور في تحديد نوع التغذية التي يتناولها الفرد السعودي، حيث تنوعت التضاريس، وإختلفت الأقاليم المناخية، وتنوعت الفصول؛ أدى كل ذلك إلى تنوع كبير في التغذية. كما دخلت على المطبخ السعودي العديد من التطورات والتعديلات، بسبب الوافدين الجدد الذين نقلوا ما يُجيدون من طهي إلى المغرب الأقصى. فصارت مع مرور الوقت ضمن المورث الثقافي للمجتمع المغربي.

كما سجلت من خلال هذا الفصل أن المرأة المغربية كان لها دور ومكانة حيوية داخل المجتمع السعودي، سواء في البادية أو الحضر، على الرغم من الإختلاف الكبير الذي سجلناه على مستوى المعيشة من ناحية المظهر، والتزين واللباس والأعمال المنوط بها، إلا أن أهم شيء إشتراك فيه كل منهن هو الحفاظ والإهتمام بأسرهن.

كما سجلت من خلال هذا الفصل أنه قد أدخلت بعد التحديثات والتغيرات على مستوى اللباس، بالإضافة إلى الإحتفالات الدينية والموسيقى، حيث وجدت أن المنصور قد حافظ على ما تركه أسلافه السعديون، بل إنه حاول تطويره وتعديله، كإستحداثه للباس المنصورية. أما على مستوى الإحتفالات: فقد أدخل في الإحتفال التزين بزينة الشموع، خاصة في الإحتفالات الدينية، وبالأخص في المولد النبوي الشريف. كما لاحظنا مدى كرم السلطان مع العلماء في مثل تلك الإحتفالات؛ بإعطائهم الأموال وتقريبهم منه، أما في مجال الموسيقى فقد لاحظنا بعض التغيرات، حيث عمل المنصور على إدخال بعض التعديلات مثل: الموسيقى الاستعراضية، الترونييت في الموكب السلطاني، أو إعلان الحروب، وهو مستنبط من الدولة العثمانية، بالإضافة إلى فن المديح- القصائد الدينية-، كما عرف المغرب طبعاً جديدة في الموسيقى، كفن الكناوة، والذي أدخله السودانيون معهم، بالإضافة إلى طبوع أخرى جاء بها الأندلسيون.



الحائز للموسم



الخاتمة:

توصلت من خلال هذه الدراسة البحثية الموسومة بـ: "الواقع الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور الذهبي السعدي (1578-1603م)"، إلى العديد من النتائج والإستنتاجات، التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

تعتبر مرحلة بداية القرن 16م، من أصعب المراحل التي مر بها المغرب الأقصى، والذي شهد الغزو الأيبيري على سواحله المتوسطية والأطلسية، وحتى بعض المدن الداخلية، وفي مقابل ذلك عجزت الدولة الوطاسية عن الوقوف في وجهه، حيث إستفحل أمره في المغرب الأقصى. كما عجزت الدولة عن توحيد البلاد، ناهيك عن الضعف الذي شهدته في شتى المجالات، السياسية، الإقتصادية، الإجتماعية، والثقافية. نتيجة لتلك الأحداث المزرية ظهرت حركة الجهاد، بفضل دور وجهود الزوايا التي عملت على تطهيره ضد الغزاة، إلى أن تهيأت الظروف بجنوب المغرب الأقصى لظهور نجم دولة الأشراف السعديين كقيادة جديدة للبلاد، بقيادة القائم بأمر الله الذي وضع اللبنة الأولى لمعالم دولته. غير أن التأسيس الحقيقي للدولة كان في عهد محمد الشيخ الذي وضع الأسس الحقيقية للدولة. ثم توالى جهود السعديين في رد الخطر الأيبيري، وتحرير العديد من مناطق النفوذ وإستخلاصها لصالح المغرب، كما وحدت البلاد تحت رايتهم.

يُعد أحمد المنصور من أهم سلاطين الدولة السعدية، حيث بلغت في عهده أوج مجدها وتطورها على جميع الأصعدة. ولكن ذلك لم يكن من فراغ، وإنما نتيجة لجهوده في القضاء على التمردات والثورات، بالإضافة إلى حنكته السياسية، وشخصيته في حد ذاتها التي جمعت ما بين العلم والثقافة والسياسية، إلى جانب الفروسية. وعلى النقيض من ذلك فقد عُرف بصرامته وتشدده مع رعيته، خاصة في مسألة فرض الضريبة إلى حد التعسف.

كما ساهمت فترة مكوث عبد الملك وأخيه أحمد المنصور في الجزائر، ثم لجوئهما إلى الدولة العثمانية في تكوين شخصياتهما السياسية، حيث تأثر الأخوان بالحضارة العثمانية. بمجرد أن أصبح زمام الحكم في يد عبد الملك عمل على التحديث، والنهوض بالبلاد مستفيداً في ذلك من التجربة العثمانية، لكن وافته المنية في معركة وادي المخازن 1578م. حرص المنصور على مواصلة المشروع الذي بدأه أخوه، في سبيل تحديث الدولة وعصرنتها. شمل ذلك التحديث إصلاحات عميقة في الدولة؛ كتقوية مؤسساتها، بإدخال العديد من التحديثات، كديوان التظلم وتشفير الرسائل، ووضع نظام الطغراء في المراسلات الرسمية. كما شمل تحديث المنظومة العسكرية من جميع الجوانب. كما إهتمت الدولة بالتمسح، من خلال إقامة مصانع لذلك الغرض،

مع الإشراف عليها من طرف العثمانيين، أو من الوافدين الأجانب، أو إستيرادها من الخارج، كما عمل على تكوين أسطول بحري في الحوض المتوسطي، بهدف حماية الثغور السعدية، ورد الخطر الأيبيري.

إن أهم ما يمكن تسجيله حول علاقات الدولة السعدية مع الدول الأوروبية أنها كانت تتحكم فيها المصالح المشتركة، والتي كانت في عمومها ذات طابع سياسي إقتصادي، حيث عقدت الدولة العديد من المعاهدات والإتفاقيات معها، والتي كانت ذات طابع سياسي وتجاري. إستمرت تلك العلاقات بتلك الصيغة حتى في مرحلة ضعف الدولة. كما أن أحمد المنصور كان حذرا في تعامله مع الغرب، بهدف حماية دولته، وعدم إدخالها في أي حرب، وإستفاد أحمد المنصور من إنقسام العالم المسيحي إلى المذهب الكاثوليكي والبروتستانتي في سياسته الخارجية، حيث وفر له ذلك الإنقسام مساحة كبيرة للمناورة مع تلك الدول.

أما فيما يتعلق بعلاقتها مع الدولة العثمانية، فقد تميز المشهد السياسي في بداية القرن 16م بطابع التوتر والفتور، بسبب مسألة الخلافة الإسلامية، وأحقية المغرب الأقصى في تولي الخلافة بحكم أنهم من الأشراف، هذا بالإضافة إلى تخوف السعديين من التوسع العثماني في المنطقة. إلا أن المشهد السياسي سوف يتغير إنطلاقا من فترة عبد الملك، إذ تحولت العلاقات من طابع العداء والتوتر إلى التعاون والسلم مابين الدولتين. كما حرص المنصور بعد توليه على الحفاظ على تلك العلاقة مابين البلدين.

إن أهم ما يمكن أن نرصده من خلال هذه الدراسة أن السياسة الإقتصادية السعدية في عهد أحمد المنصور لم تكن مستقلة تماما عن السياسة المتبعة في عهد أسلافه، إلا أن كثيرا من مظاهر النشاط الإقتصادي، إنطبعت ببصمات بارزة في عهده، سواء أنه قام بتطويرها أو إدخال التعديل عليها. فعلى سبيل المثل شكلت الجباية موردا حيويا لإقتصاد الدولة السعدية، و أولى السعديون عناية خاصة بالجباية منذ بداية قيامهم، وعملوا على تطويرها، وخاصة في فترة المنصور الذي أعاد النظر فيها، وكذا توسيع الإيطار الجغرافي في فرضها، وذلك نظرا لما كانت توليه من أهمية ضرورية للبلاد، من خلال توفير الأموال بهدف الجهاد ضد العدو الأيبيري، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تقوية بيت مال السعديين، من خلال ما كانت توفره من سيولة مالية مستمرة ومنظمة، مقارنة مع باقي مداخل الدولة المتحصل عليها من مختلف القطاعات الإقتصادية.

كما لم تكتف الدولة بالجباية، بل سعت لتتويع موارد بيت المال، من خلال الإهتمام بالنشاط الزراعي، الذي شكل المورد الرئيسي للدولة، نظرا لما كان يتوفر عليه المغرب الأقصى من أراض خصبة، حباه الله بها، بالإضافة إلى توفر المناخ الملائم، والمياه.

كل تلك العوامل مجتمعة ساهمت في إنتعاش الزراعة، سواء المعيشية أو التسويقية. وحتى يضمن المنصور إقتصاداً متطوراً سعى جاهداً لإستغلال خبرات العنصر الأندلسي، واليهود، حيث قامت الدولة بإقطاع الأندلسيين أراض زراعية بهدف تطوير الفلاحة السعدية، من خلال نقل معارفهم وتجاربهم التي عاشوها في الأندلس إلى المغرب الأقصى.

كما إهتمت الدولة أيضا بالزراعة التسويقية، والمتمثلة في إنتاج قصب السكر، حيث أولاهها المنصور أهمية خاصة، إذ عمل على توسيع الأراضي المخصصة له، وإستصلاح الأراضي الزراعية، وعدم تركها بورا، وجلب اليد العاملة من العنصر السوداني. كما أنشأ العديد من المعاصر لتصنيعه، مستفيداً من تجربة الأجانب في تسييرها. أثمرت جهود المنصور في ذلك حيث أصبح المغرب الأقصى رائداً في مجال صناعة السكر، والمورد الأول لهذه المادة، وإستفاد المنصور من عوائد مالية كبيرة لهذا المنتج، في إنتعاش الإقتصاد السعدي.

لم يكتف المنصور في تتويع موارد بيت المال على النشاط الزراعي فحسب، بل حتى في المجال الصناعي، إذ قام بالبحث عن مصادر وموارد إقتصادية جديدة، تكون ثابتة وقارة، و وجد ظالته في السودان الغربي، الذي جلب منه اليد العاملة لتقوية إقتصاده، كما جلب منه الذهب، إذ بفضل ذلك المورد الجديد نشطت الحياة الإقتصادية والمالية، بسبب ما كان يدر عليه من ذهب السودان، وهذا ما ساهم في تطوير النظام النقدي للبلاد. بالإضافة إلى المعادن التي تم إكتشافها داخل المغرب الأقصى. عمل المنصور على تعزيز النشاط الصناعي من خلال الإهتمام بالصناعة التقليدية، خاصة بفضل وجود صناع مهرة، من الذين وفدوا على البلاد، وساهموا في نقل خبراتهم إلى المجتمع السعدي. بالإضافة إلى الإهتمام الكبير للسعديين منذ قيام دولتهم بضرورة إمتلاك أسلحة قوية تحقق لهم الإنتصار على أعدائهم، لذلك إهتموا بصناعة الأسلحة بكل أنواعها، وأنشؤوا المصانع لذلك الغرض، مستفيدين من خبرات الوافدين عليهم. وبذلك يمكن القول أن تطور السلاح لدى السعديين رافق مشروعهم السياسي للدولة.

كما إهتم المنصور بتعزيز الحركة التجارية سواء الداخلية أو الخارجية، من خلال توفير الأمن النسبي للبلاد. وفي سبيل تحقيق ذلك عمل على تأمين الطرق التجارية من خلال إنشاء المنازل، وتشبيد الحصون على طول الطرق التجارية بهدف حمايتها. بالإضافة إلى إقامة السدود

القناطر، الجسور، وكذا تعزيز إنشاء وسائل النقل لتتنقل البضائع داخل المدن، ووضع محتسب للإشراف على الأسواق. أما على المستوى الخارجي فحرص السعديون على إسترداد الثغور المحتلة من طرف الإسبان، بهدف تعزيز الحركة التجارية وإعادة إحياءها، وساهمت الموانئ التي تم إسترجاعها في تنشيط الحركة التجارية بين الداخل والخارج، مما إنعكس على الحركة التجارية بالإيجاب.

شهد المغرب الأقصى خلال الفترة السعدية، خاصة بعد تولي أحمد المنصور توافد عدد كبير من العناصر الأجنبية، وفي مقدمتهم الأندلسيون واليهود، والعثمانيون والأوروبيون والسودان، وذلك نتيجة لتوفر الأمن والإستقرار النسبيين للبلاد، بالإضافة إلى دور المنصور في إخماد الثورات والتمردات الداخلية، علاوة على الإصلاحات والتحديثات العميقة على المستوى الداخلي، ناهيك عن ربطه لعلاقات جديدة مع الدول العظمى آنذاك، وهو ما ساهم في توافد العناصر الجديدة على البلاد. فتطورت أنماط الحياة الإجتماعية، نتيجة تأثرهم بالوافدين الجدد الذين حملوا معهم خبرتهم الواسعة في ميادين عديدة وساهموا في تحديث وتطوير البلاد.

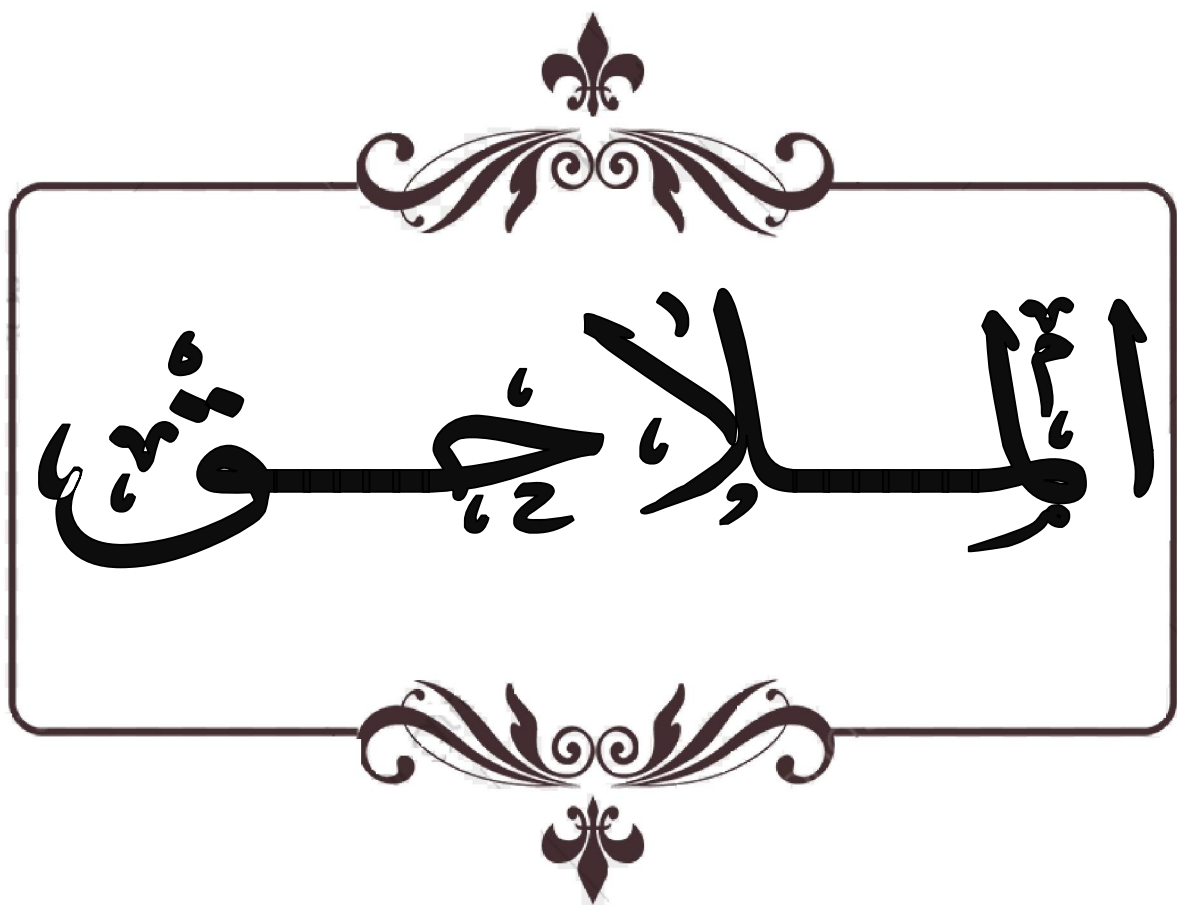
على الرغم من توافد العديد من العناصر الأجنبية كما سبق وأن أشرنا إلى أن المغرب الأقصى شهد العديد من الكوارث الطبيعية، التي عصفت بالبلاد في العديد من السنوات خلال الفترة الحديثة، تسببت في إحداث نزيف ديمغرافي للمغرب، إنعكس ذلك بالسوء على الإقتصاد السعدي على الرغم من التطور الذي شهده. كما أضرت أيضا بالمجتمع السعدي، إذ أدى ذلك إلى تراجع ساكنة المغرب الأقصى بفعل تلك الأزمات الطبيعية.

إن أهم ما يمكن أن نسجله على مستوى العادات والتقاليد، وكذا الأطعمة واللباس، وحتى الموسيقى أن أحمد المنصور قد حافظ على ما ورثه عن أجداده السعديين؛ أي أنه لم تكن هناك قطيعة ما بينه وبين الماضي. إلا أنه قام بإدخال بعض التحديثات والإصلاحات عليها، وذلك راجع إما لتأثره بالعنصر العثماني، أو بباقي العناصر التي وفدت إلى المغرب الأقصى، وفي مقدمتها الأندلسيون، وكذا اليهود والأوروبيون، والسودانيون.

وحتى يخلد المنصور فترة حكمه، حرص على تشييد مجموعة من المنشآت العمرانية، كان أبرزها قصر البديع الذي يعتبر من بين أهم وأعظم العمائر في عهده، والذي إستغرق تشييده حوالي ستة عشر عاما، وساهم في إنجاز هندسته وزخرفته عنصر الأندلسيين. كما بنى مسجدا بمراكش، وكذا إنشاء حصنان، في ثغر العرائش، والسدود. وغيرها من المنشآت العمرانية التي مازال التاريخ يذكرها كأعظم إنجازات تم تشييدها في وقته.

على الرغم من التطور الكبير الذي وصلت إليه الدولة السعودية من جميع النواحي خلال فترة أحمد المنصور - كما سبق وأن أشرنا - إلى أن ذلك لم يستمر طويلاً، فكانت فترة إزدهار محدودة وظرفية، إذ بمجرد وفاته حطم أبناؤه ما بناه أبوهم، إذ تولى من بعده ملوك ضعفاء، متناحرون على عرش السلطة. ويمكن القول أن السلاطين الأوائل الذين حكموا الدولة السعودية بداية من القائم بأمر الله، إلى غاية فترة المنصور كانوا بناءً للدولة، أما الحكام الذين جاؤا من بعدهم فقد هدموا ما بناه أسلافهم. وكما قال ابن خلدون: أن الدولة لها أعمار طبيعية مثل الأشخاص، فبعد قيام الدولة في عهد القائم بأمر الله واستمرارها في التطور إلى غاية أن بلغت مجدها وذروتها في عهد المنصور، دخلت مرحلة الضعف، والفوضى، مما أدى إلى إنهيارها وأقول نجمها.

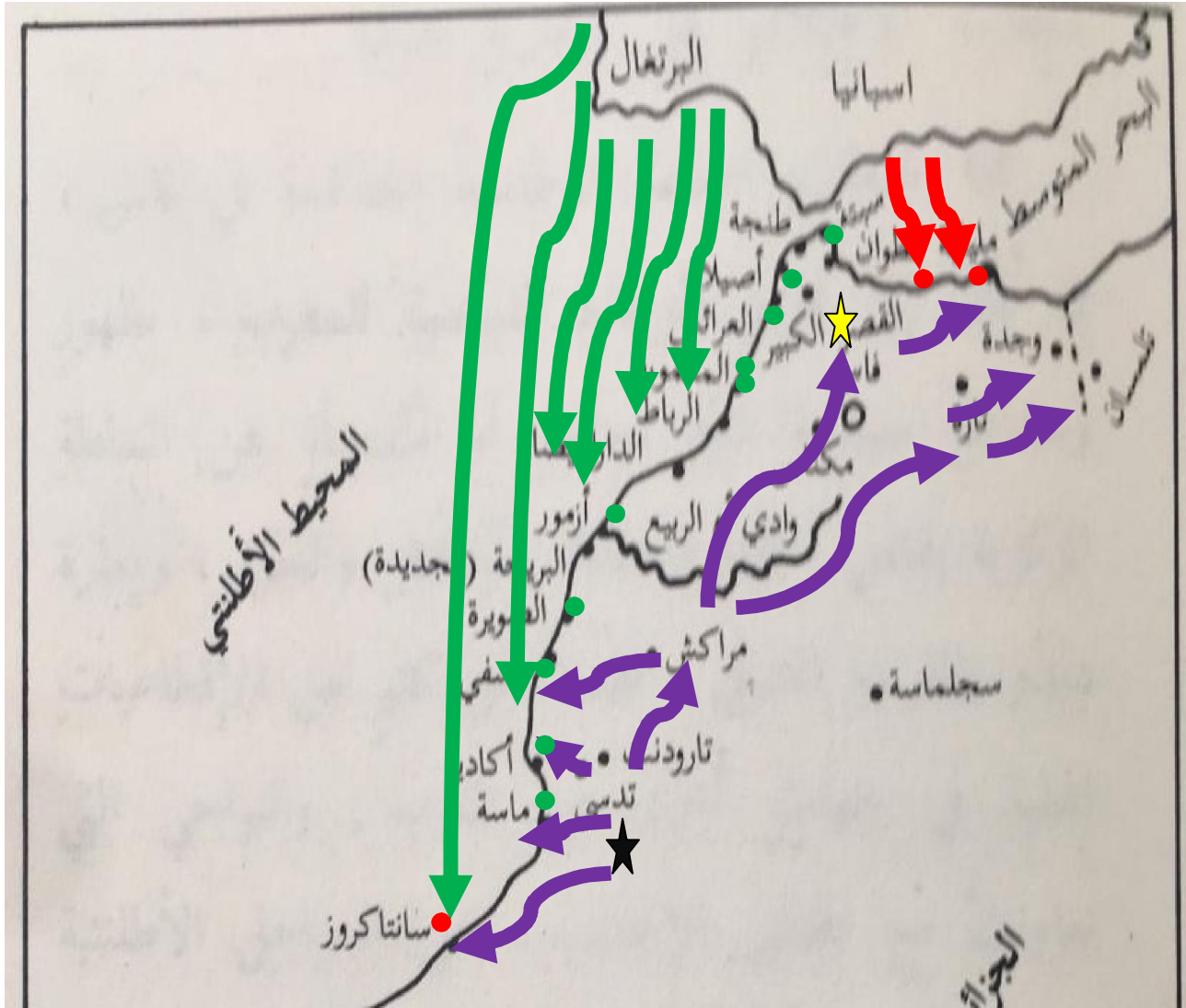
في الأخير فإن هذه النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة العلمية لا تعدو أن تكون سوى مجرد آراء واستنتاجات قابلة للمناقشة، كما يمكن من خلالها أن تكون خطوة لفتح مواضيع جديدة للدراسة من أوجه مختلفة. وأرجو أن أكون قد وفقت في تحقيق ولو جزء بسيط من الأهداف المرجوة من هذه الدراسة، والإجابات على الإشكالية المطروحة. فإن وفقت فمن الله وإن لم أوفق فمن نفسي.



فهرس الملاحق

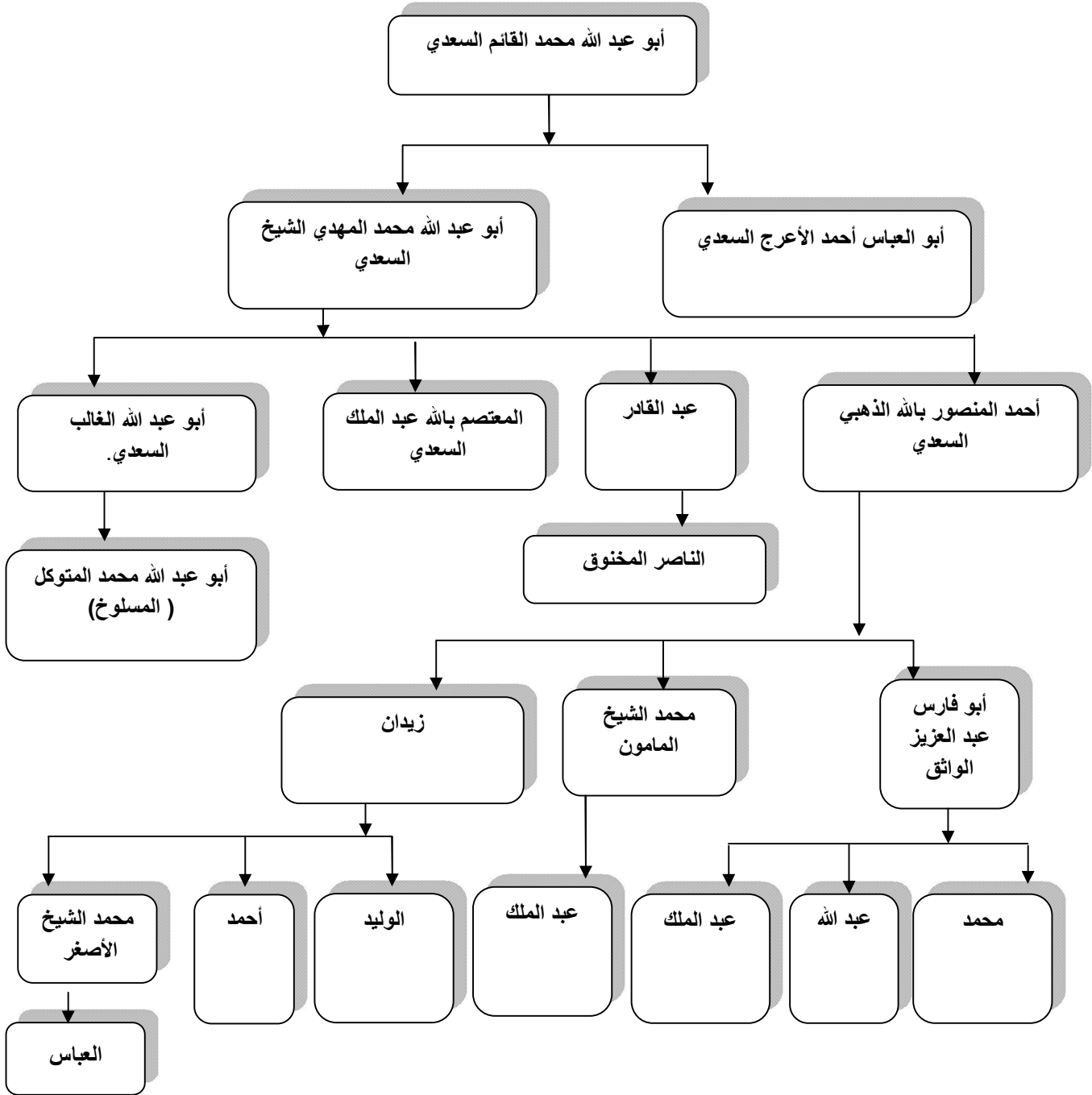
| الصفحة | مضمون المحتوى | الرقم |
|--------|--|-------|
| 266 | يمثل الغزو الأيبيري للمغرب وقيام الدولة السعدية. | 01 |
| 267 | يمثل مخطط شجرة نسب السعديين. | 02 |
| 268 | يمثل صورة شخصية السلطان أحمد المنصور الذهبي. | 03 |
| 269 | يمثل خريطة توضح موقع معركة وادي المخازن (986هـ/1578م). | 04 |
| 269 | يمثل تركيبة القوات البرتغالية والسعدية في معركة وادي المخازن (986هـ/1578م). | 05 |
| 270 | يمثل علامة طغرة السلطان أحمد المنصور. | 06 |
| 270 | يمثل نموذج لتشفير الرسائل المخزنية في عهد أحمد المنصور الذهبي لمبعوثه الدبلوماسي عبد الواحد بن عنون. | 07 |
| 271 | يمثل حملة السلطان أحمد المنصور الذهبي إلى بلاد السودان (1590-1591م). | 08 |
| 271 | خريطة تمثل توسع المنصور في السودان الغربي. | 09 |
| 272 | يمثل العملة النقدية في العهد السعدي. | 10 |
| 273 | جدول يمثل المناطق المؤدية للأعشار والزكوات لسلطان السعديين إلى غاية فترة أحمد المنصور الذهبي. | 11 |
| 273 | يمثل أسماء القبائل وقيمة الضرائب التي كانت تدفعها بعض القبائل على عهد أحمد المنصور السعدي. | 12 |
| 274 | يمثل الضرائب الغير الصريحة في عهد أحمد المنصور. | 13 |
| 275 | يمثل خريطة النشاط الإقتصادي في العهد السعدي. | 14 |
| 276 | خريطة المسالك التجارية والطرق البحرية في بداية القرن السادس عشر الميلادي. | 15 |
| 277 | يمثل صورة لقصر البديع الذي بني في عهد أحمد المنصور الذهبي. | 16 |
| 277 | يمثل مخطط تصميم لقصر البديع بمراكش. | 17 |
| 278 | صورة لبعض الآلات الموسيقية في العصر السعدي. | 18 |

ملحق رقم 01: يمثل الغزو الأيبيري للمغرب وقيام الدولة السعدية⁽¹⁾.



| | |
|--------------------------------|---|
| الغزو البرتغالي. | ← |
| الغزو الإسباني | ← |
| مناطق الاحتلال البرتغالي. | ■ |
| منطقة انطلاق الأشراف السعديين | ★ |
| تحركات السعديين لتوحيد المغرب. | ← |
| معركة وادي المخازن | ★ |
| مراكز احتلها البرتغال. | ● |
| مراكز احتلها الإسبان | ● |

⁽¹⁾ -إبراهيم علي حسن، المرجع السابق، ص 13. بتصرف

ملحق رقم 02: يمثل مخطط شجرة نسب السعديين⁽¹⁾.

(1) - عبد الكبير المجذوب الفاسي، محمد بن الطيب القادري، عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، موسوعة أعلام المغرب، تح: محمد حجي، ج.3، ط.2، (تونس: دار الغرب الإسلامي، 2008م)، ص1134.

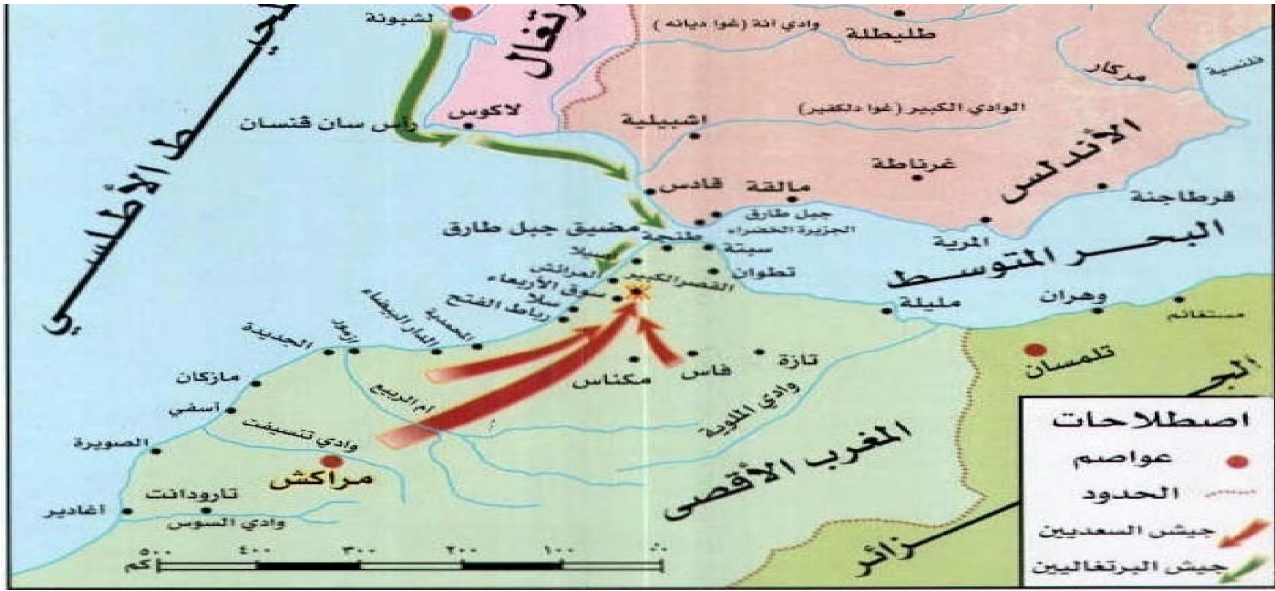
ملحق رقم 03: يمثل صورة شخصية السلطان أحمد المنصور الذهبي⁽¹⁾⁽²⁾.



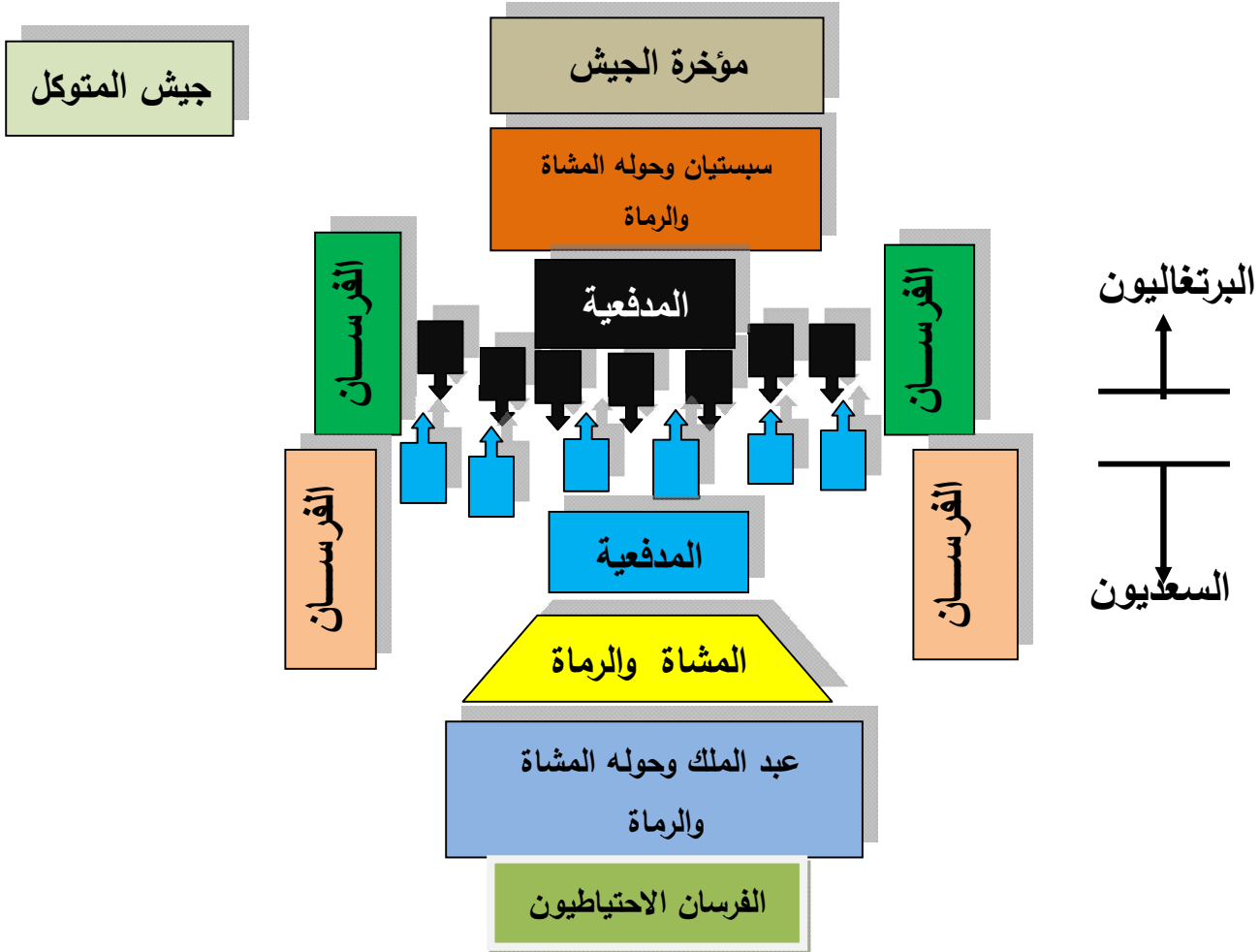
⁽¹⁾ - علي بن محمد التمكنوني، المصدر السابق، ص 19.

⁽²⁾ -Mercedes Garcia- Arenal, op.cit, p90.

ملحق رقم 04: يمثل خريطة توضح موقع معركة وادي المخازن (986هـ/1578م)⁽¹⁾.



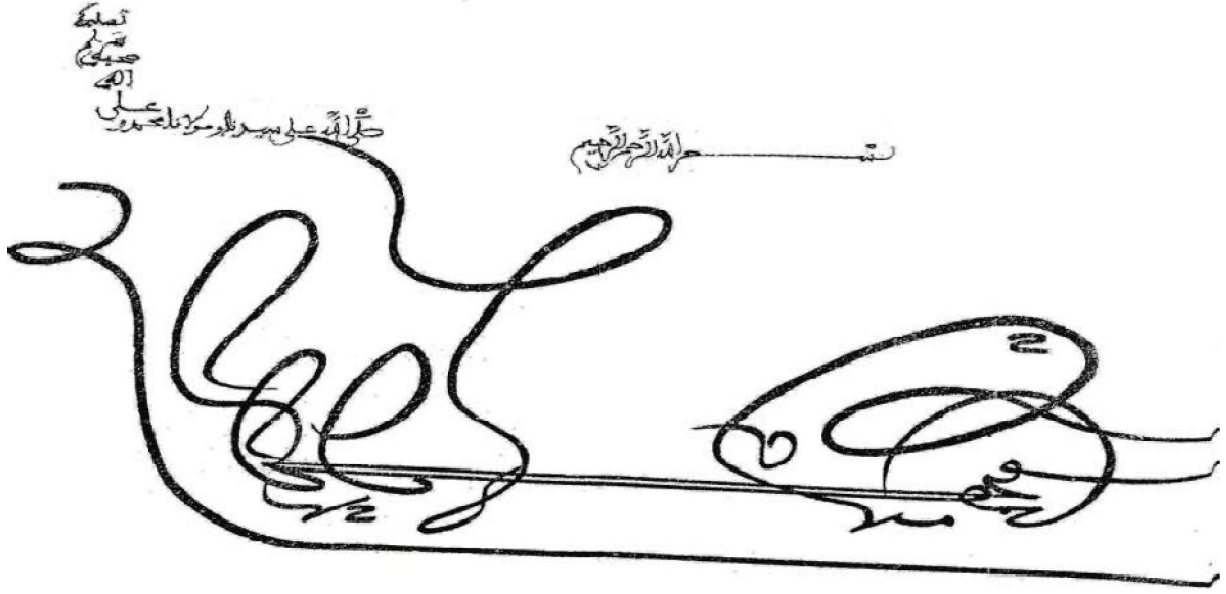
ملحق رقم 05: يمثل تركيبة القوات البرتغالية والسعدية في معركة وادي المخازن 1578م⁽²⁾.



(1)- شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط.12، (دمشق: دار الفكر، 1425هـ/2005م)، ص107.

(2)- شوقي أبو خليل، وادي المخازن...، المرجع السابق، ص60.

ملحق رقم 06: يمثل علامة طغرة السلطان أحمد المنصور (1).



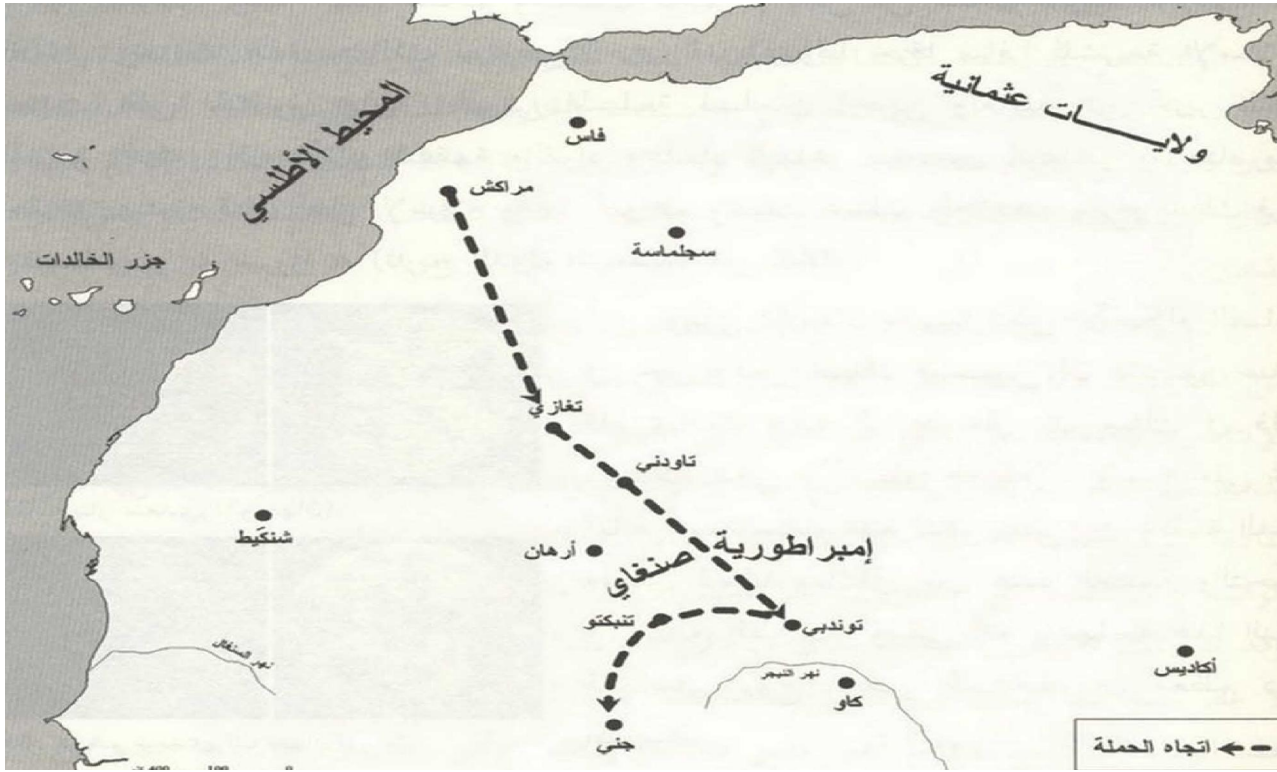
ملحق رقم 07: يمثل نموذج لتشفير الرسائل المخزنية في عهد أحمد المنصور الذهبي لمبعوثه الدبلوماسي عبد الواحد بن عنون (2).

| | | | |
|---------|---------|---------|----------|
| أ = 1 | ب = 2 | ج = 3 | د = 4 |
| ح = 5 | و = 6 | ح = 7 | هـ = 8 |
| ت = 9 | ي = 10 | ك = 20 | ل = 30 |
| م = 40 | ن = 50 | ص = 60 | ع = 70 |
| ف = 80 | ض = 90 | ق = 100 | ر = 200 |
| س = 300 | ط = 400 | ث = 500 | خ = 600 |
| ذ = 700 | ز = 800 | غ = 900 | ش = 1000 |

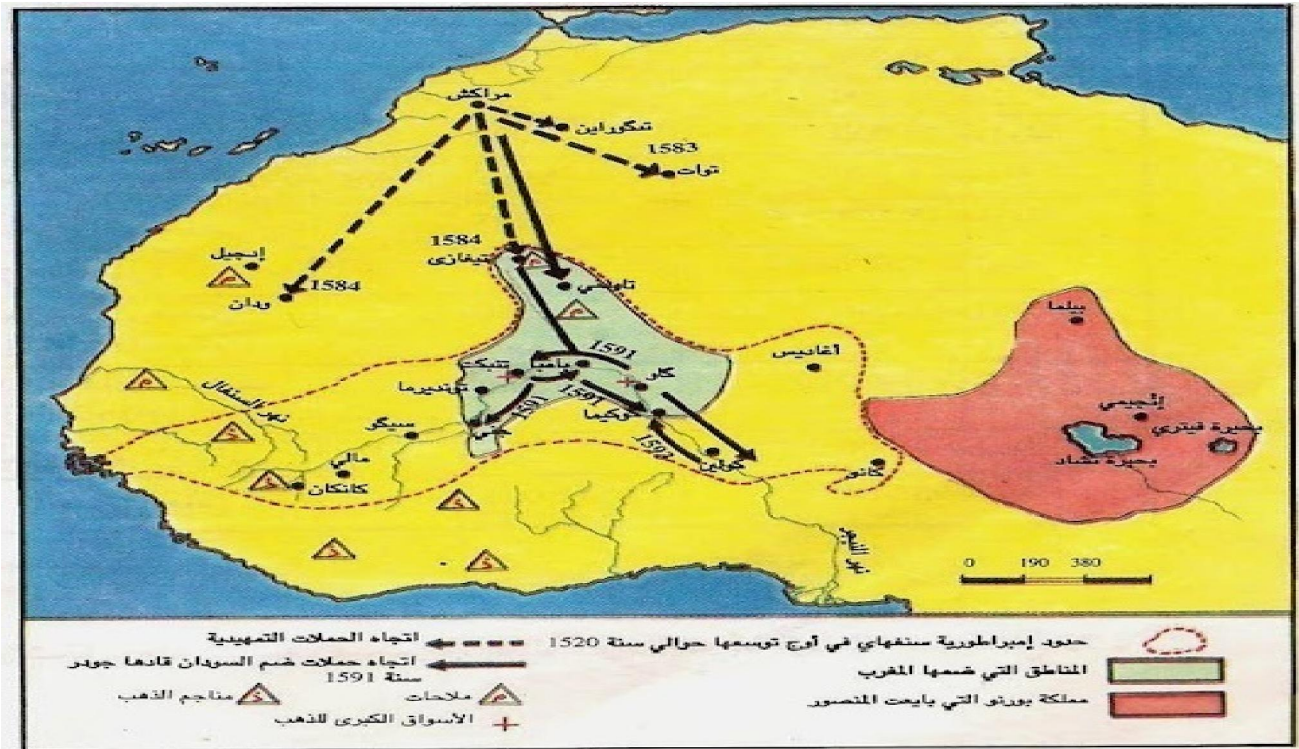
(1) - محمد نبيل ملين، المرجع السابق، ص 254.

(2) - المرجع نفسه، ص 248-249.

ملحق رقم 08: يمثل مسار حملة السلطان أحمد المنصور الذهبي إلى بلاد السودان (1590-1591م)⁽¹⁾.



ملحق رقم 09: خريطة تمثل توسع المنصور في السودان الغربي⁽²⁾.



(1) - محمد القبلي، المرجع السابق، ص389.

(2) - الموقع الإلكتروني: https://tarikh5.blogspot.com/2020/07/blog-post_33.html، اليوم: 2022/06/03، الساعة 14:47

ملحق رقم 10: يمثل العملة النقدية في العهد السعودي⁽¹⁾.



درهم سعودي (كلا الوجهان)

(1) - محمد القبلي، المرجع السابق، ص390.

ملحق رقم 11: جدول يمثل المناطق المؤدية للأعشار والزكوات لسلطان السعديين إلى غاية فترة أحمد المنصور الذهبي⁽¹⁾.

| السنة | السلطان المؤداة له | المناطق المؤدية للأعشار والزكوات |
|------------------------------|-------------------------------------|---|
| ما بين سنتي (1510-1511م) | القائم بأمر الله | درعة-تروذانت-تيدسي |
| ما بين سنتي (1517-1522م) | أحمد الأعرج وأخوه محمد الشيخ المهدي | قبائل حاحة والشياطمة |
| 1525م | أحمد الأعرج | إقليم مراكش |
| ما بين سنتي (1541-1554م). | محمد الشيخ | أقاليم: تادلة-دكالة-فاس-تامسنا- أزغار-الريف كرت |
| ما بين سنتي (1578-1603م) | أحمد المنصور | أقاليم المغرب كلها تقريبا، إضافة إلى الشعوب الصحراوية والقبائل البربرية |

ملحق رقم 12: يمثل الضرائب الغير الصريحة في عهد أحمد المنصور⁽²⁾.

| نوعية الضريبة | دخلها السنوي بالمتقال في العهد السابق للمنصور | دخلها السنوي في عهد المنصور |
|--|---|-----------------------------|
| ضرائب على الأفراد والكوانين | 2.520.000 متقال | 5.040.000 متقال |
| ضرائب على الأرحيات | 810.000 متقال | 1.620.000 متقال |
| ضرائب يؤدها التجار المسيحيون الذين يتاجرون داخل البلاد | 400.000 متقال | 800.000 متقال |
| الجزية | 120.000 متقال | 240.000 متقال |
| ضرائب على صيد السمك | 20.000 متقال | 40.000 متقال |
| ضرائب على الأرض | 4.320 متقال | 8.640 متقال |
| مجمل الدخل السنوي | 3.874.320 متقال | 7.748.640 متقال |

(1) - الفقيه الإدريسي، الحياة في عهد الدولة السعدية...، المرجع السابق، ص 240.

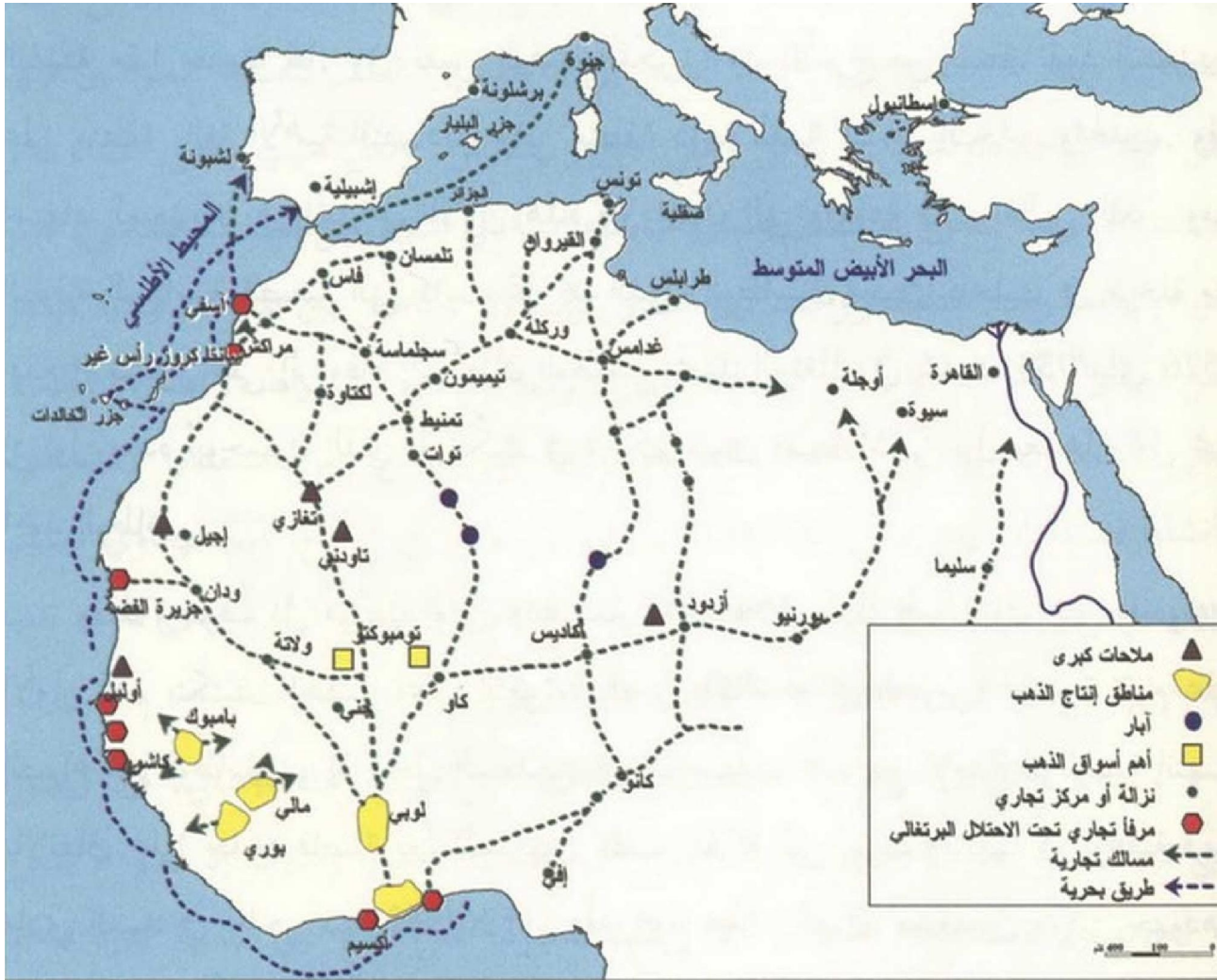
(2) - حليلة بنكرعي، مداخل بيت المال...، المرجع السابق، ص 87.

ملحق رقم 13: يمثل أسماء القبائل وقيمة الضرائب التي كانت تدفعها على عهد المنصور السعدي⁽¹⁾.

| أسماء القبائل | عدد السرجات | مقابل المتقال بالدرهم | مقابل الدرهم بالمتقال |
|--|-------------|---------------------------------|-----------------------|
| 1-هشتوكة جبلا وفحصا | 2.500 | 20.000 موزونة. أو 6.667 درهم | 666.7 متقال |
| 2-هلالة جبلا وفحصا | 2.000 | 16.000 موزونة أو 5.333 درهم | 533.3 متقال. |
| 3-لف ادوليت | 3.000 | 24.000 موزونة أو 8.000 درهم | 800 متقال |
| 4-قبائل بعمرانة والغريان | 1.000 | 8.000 موزونة. أو 2.667 درهم | 266.7 متقال |
| 5-قبائل وادي سوس | 2.283 | 18.264 موزونة. أو 6.088 درهم | 608.8 متقال. |
| 6-فروع تضلم | 500 | 4.000 موزونة. أو 1.333 درهم | 133.3 متقال. |
| 7-أهل وفق وحربيل واغشان واغشتم | 280 | 2.204 موزونة أو 747 درهم. | 74.7 متقال. |
| 8-قبائل ماسة وتزنيت وادوبلال واهل جرار | 240 | 1.920 موزونة أو 640 درهم | 64 متقال. |
| 9-أهل وادي الغيران | 200 | 1.600 موزونة أو 533 درهم | 53.5 متقال. |
| المجموع | 12.003 | 96.024 موزونة أو 32.088 درهم | 3.209 متقال. |

(1) - الحسناني محمد بن إبراهيم بن علي، ديوان قبائل السوس في عهد المنصور الذهبي، تح: عمر أفا، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح، 1988م)، ص 14-27. ينظر أيضا: الحسين ريوش بلحسن: "التدبير المالي وانعكاساته على الرعية بالمغرب في مابين القرن 15-ومطلع القرن 17م"، مجلة رفوف، الجزائر، مج.8، ع.1، 2020م، ص ص80-81. ينظر أيضا: حليلة بنكرعي، مداخيل بيت المال...، المرجع السابق، ص 80.

ملحق رقم 15: يمثل خريطة المسالك التجارية والطرق البحرية في بداية القرن السادس عشر للميلاد⁽¹⁾.

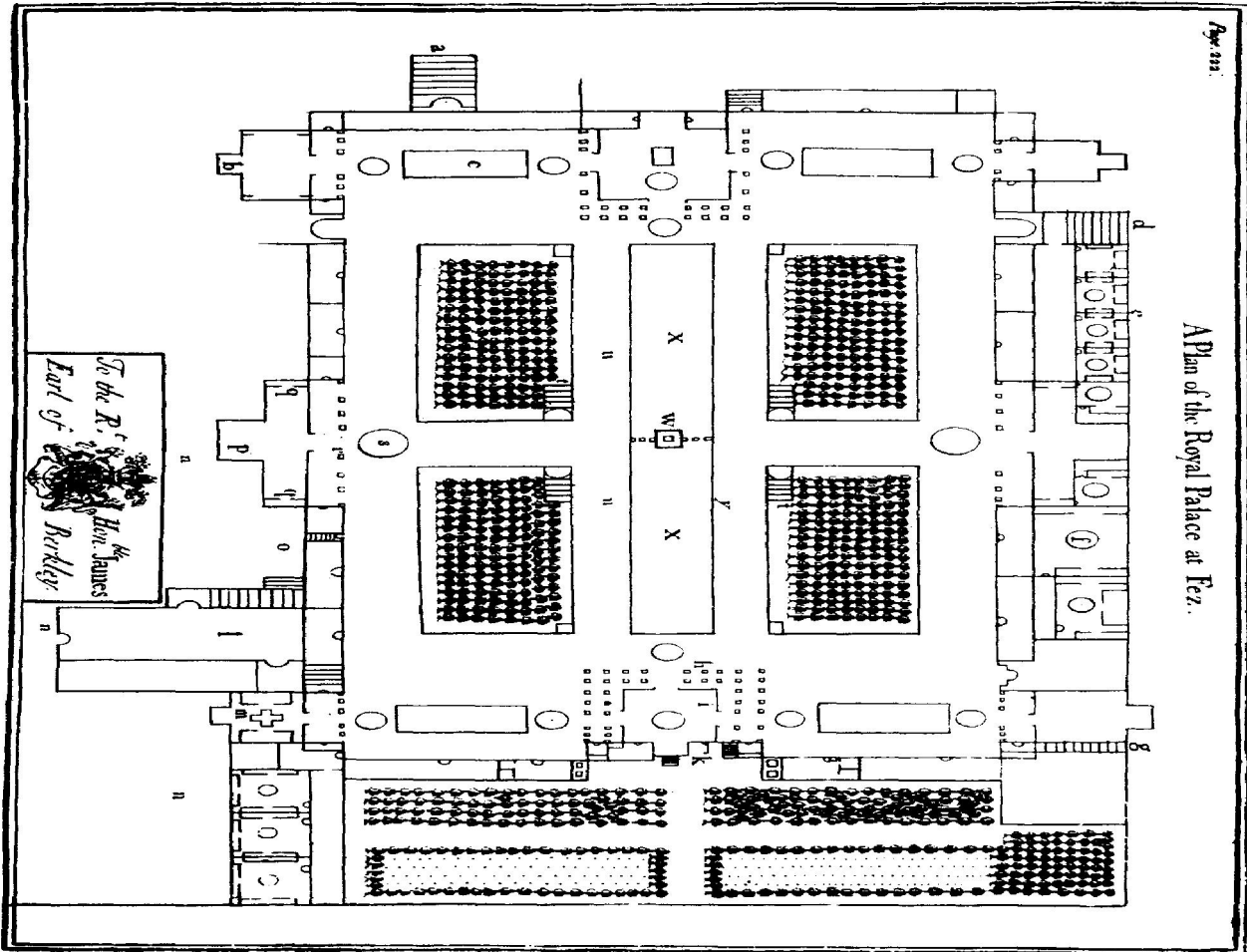


(1) - محمد القبلي، المرجع السابق، ص 375.

ملحق رقم 16: يمثل صورة قصر البديع الذي بني في عهد أحمد المنصور⁽¹⁾.



ملحق رقم 17: يمثل مخطط تصميم لقصر البديع بمراكش⁽²⁾.



⁽¹⁾ - محمد القبلي، المرجع السابق، ص 383.

⁽²⁾ -Jean Meunier: " Les grand Riad et les bâtiments Saadiens du badi 'à Marrakech selon le plan publié par windus ", **Hespéris-Tamuda**, vol. XLIV ,paris, 1957, p135.

ملحق رقم 18: يمثل صورة لبعض آلات الموسيقى في العصر السعودي⁽¹⁾.



آلة الترومبيت⁽²⁾



آلة القباقيب أو القراقش



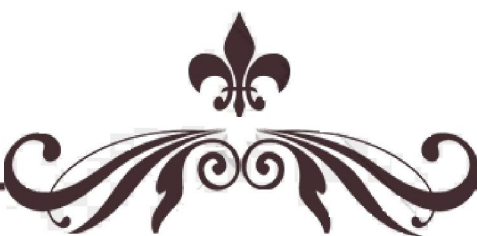
آلة الكنبري



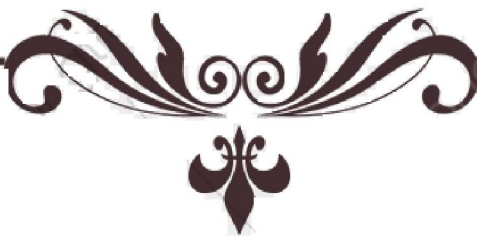
آلة الطبل

(1) - سعيد بوكرامي، المرجع السابق، ص ص 137-139.

(2) - الموقع الإلكتروني: <https://www.montadamahdi.net/essaydetails.php?eid=5424&cid=47> اليوم: 2022/06/04، الساعة 19:53.



قَائِمَتَا الْمَصَانِفَيْنِ وَالْمَلِكِ الْجَمِيلِ



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، مجمع ملك فهد للطباعة، المصحف الشريف، الإصدار 2.1.

الحديث النبوي الشريف.

1. ابن ماجة، سنن، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ج.1، [د.ط.]، (مطبعة: دار إحياء الكتب العربية، [د.س.]).

2. البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط.1، (بيروت: دار ابن كثير، 1423هـ/2002م).

أولاً: المخطوطات.

3. ريفاس إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكرياء الأندلسي، العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1511.

ثانياً: الوثائق الأرشيفية المطبوعة والمنشورة باللغة الأجنبية:

4. De Castries Henry, Les sources inédites L' Histoire du Maroc, première série-Dynastie saadienne, Archives et Bibliothèques de France, Tome.2, (paris: Ernest Leroux éditeur, 1909).

5. De Castries Henry, Les Sources Inédites L'Histoire Du Maroc première série –Dynastie saadienne, archives et bibliothèques de France, Tome iii, (paris : Ernest Leroux éditeur, 1911).

6. De Castries Henry, Les Sources Inédites de Maroc, 2ère série-Dynastie saadienne, archives et bibliothèques d'angleterre, Tome.2, (paris : Ernest Leroux éditeur, 1918).

7. De Castries Henry, Les Sources Inédites L'Histoire du Maroc de 1530 à 1845, première série –Dynastie saadienne 1530-1660, Archives et Bibliothèques de France, Tome.1, (Paris: Ernest Leroux Editeur, 1905).

8. Ricard Robert, chantal de la véronne, Les Sources Inédites de L'Histoire du Maroc, Archives et Bibliothèques D'Espagne, Tome II , (paris: Paul Geuthner, 1956).

ثالثاً: المصادر.

9. إبراهيم بن علي بن عبد الله الحساني، ديوان قبائل سوس في عهد المنصور الذهبي، تح: عمر آفا، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح، 1988م).

10. إبن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، مج.2، ط.1، (القاهرة: مكتبة دار التراث، 1391هـ/1971م).
11. (—)، درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمدي أبو النور، مج.1، ط.1، (القاهرة: دار التراث، 1390هـ/1970م).
12. إبن القاضي أحمد، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ط.1، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973م).
13. إبن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، ج.6، [د.ط.]، (بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، 1431هـ/2000م).
14. إبن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طببات الطعام، تح: محمد بن شقرون، ط.2، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1984م).
15. إبن أبي زرع الفاسي علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، [د.ط.]، (الرباط: دار للطباعة والوراقة، 1972م).
16. إبن زيدان عبد الرحمن، العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج.1، (الرباط: المطبعة الملكية، 1381هـ/1961م).
17. إبن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج.2، 10، [د.ط.]، (بيروت: دار صادر، [د.س.]).
18. الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مج.1، [د.ط.]، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1422هـ/2002م).
19. الأفراني محمد الصغير، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تق وتتح: عبد المجيد خيالي، ط.1، (الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي، 1425هـ/2004م).
20. (—)، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تق وتتح: عبد اللطيف الشاذلي، ط.1، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1419هـ/1998م).
21. البشاري مقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط.3، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1411هـ/1991م).

22. البكري أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، [د.ط.]، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، [د.ت.]).
23. (—)، المسالك والممالك، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، ج.2، [د.ط.]، ([دم.]: الدار العربية للكتاب، 1992م).
24. ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، تح: محمد رضوان الداية، ط.2، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1976م).
25. (—)، روضة النسرین في دولة بني مرین، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، [د.ط.]، (الرباط: المطبعة الملكية، 1382هـ/1962م).
26. ابن القاضي أحمد، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، تح: محمد رزوق، ج.1، [د.ط.]، (الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1986م).
27. ابن رجب شاوش ابن المفتي حسين، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تح: فارس كعوان، ط.1، (الجزائر: بيت الحكمة، 2009م).
28. ابن عسکر محمد، لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، ط.2، (الرباط: مطبعة باوفسيط دار المغرب، 1397هـ/1977م).
29. التمكنوني علي بن محمد، النفحة المسكية في السفارة التركية، تق و تح: عبد اللطيف الشادلي، [د.ط.]، (الرباط: المطبعة الملكية، 1423هـ/2002م).
30. التتبكي أحمد بابا، معراج الصعود: أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، تح وتر: فاطمة الحراف وجون هانويك، ط.1، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2000م).
31. (—)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط.1، (ليبيا: منشورات دار الكاتب طرابلس، 2000م).
32. الجوزية ابن قيم، أحكام أهل الذمة، تح: أبي براء يوسف بن أحمد البكري، أبي أحمد شاکر بن توفيق العاروري، ج.1، ط.1، (المملكة العربية السعودية: رمادي للنشر، 1418هـ/1997م).
33. حلیم إبراهيم بك، التحفة الحلیمیة في تاریخ الدولة العلیة، ط.1، ([دم.ن.]: مطبعة ديوان عموم الأوقاف، 1363هـ - 1905م).
34. الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج.3، [د.ط.]، (بيروت: دار صادر، 1398هـ/1977م).

35. (—) ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ،
تح: لافي بروقنصال، ط.2، (بيروت: دار الجيل، 1408هـ/1988م).
36. (—) ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، [د.ط.]، (بيروت:
مكتبة لبنان، 1974م).
37. دي صالدا نيا أنطونيو، أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تر وتح: عثمان المنصوري
وآخرون، (الرباط: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 2011م).
38. دي كولا صو البارون - ماكنمارا، الملوك المغاربة، تر: عثمان المنصوري، ط.1، (الرباط:
مطابع الرباط نت ، 2016م).
39. دي هنين خورخي، وصف الممالك المغربية (1603-1613م)، تر: عبد الواحد أكبير،
[د.ط.]، (الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 1997م).
40. روجرز ب.ج ، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900م، تر: يونان لبيب
رزق، ط.1، (الدار البيضاء: دار الثقافة الشركة الجديدة، 1401هـ/1981م).
41. الزيانى أبو القاسم، البستان الطريف، في دولة أولاد مولاي الشريف، تح: رشيد الزاوية،
ط.1، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1992م).
42. (—) ، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تح: رشيد الزاوية،
[د.ط.]، (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1429هـ/2008م).
43. (—) ، جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت و اللؤلؤ و المرجان في ذكر الملوك
وأشياخ السلطان المولى سليمان، تق: تح: عبد المجيد خيالي، ط.1، (بيروت: منشورات
محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة دار الكتب العلمية، 1424هـ/2002م).
44. السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج.3،
[د.ط.]، (بيروت: دار الجيل، 1412هـ-1992م).
45. السعدي عبد الرحمان، تاريخ السودان ، تح: هوداس، (بارس: (د.ن)، 1981م).
46. السلامي العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكز واغامت من الإعلام، تح: عبد
الوهاب ابن منصور، ج.1، 2، 3، 5، 7، ط.2، (الرباط: المطبعة الملكية،
1413هـ/1993م).
47. الشراط محمد ابن عيشون، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح:
زهراء النظام، ط.1، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1997م).

48. طوريس ديبيكتودي، تاريخ الشرفاء، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، [د.ط.]، (الدار البيضاء: المدارس شركة النشر والتوزيع، 1988م).
49. العمري شهاب الدين أحمد بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمطار، تح: حمزة أحمد عباس، ج.4، [د.ط.]، (أبو ظبي: دار الكتب الوطنية، 2003م).
50. الفارابي أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان، الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبه، مر: محمود أحمد الحفني، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967م).
51. الفشتالي أبي فارس عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تح: عبد الكريم كريم، [د.ط.]، (الرباط: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، 1972م).
52. القادري عبد الكبير المجذوب الفاسي، محمد بن الطيب، عبد السلام بن عبد القادر بن سوادة، موسوعة أعلام المغرب، تح: محمد حجي، ج.3، ط.2، (تونس: دار الغرب الإسلامي، 2008م).
53. القادري محمد بن الطيب، نشر المئاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي، احمد التوفيق، ج.1، ط.1، (الرباط: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1398هـ/1978م).
54. الكاساني علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ج.9، ط.2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ/2003م).
55. كريخال مارمول، إفريقيا، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، ج.1، [د.ط.]، (الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1404هـ/1984م).
56. (—)، إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج.2، 3، [د.ط.]، (الرباط: دار النشر للمعرفة لنشر والتوزيع، 1408-1409هـ/1988-1989م).
57. كعت محمود، تاريخ الفتاش: في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس وتكلمته تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، تقديم: حماه الله ولد السالم، ط.1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1971م).
58. الماوردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية، تح: أحمد جاد، [د.ط.]، (القاهرة: دار الحديث، 1427هـ/2006م).
59. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب، تح: سعد زغلول عبد الحميد، [د.ط.]، (العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، 1968م).

60. المختار السوسي محمد، المعسول، ج.1، (الدار البيضاء: مطبعة الجامعة، 1381هـ/1961م).
61. المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية (1255-1334هـ/1839-1916م): تح: إدريس بوهليسة، ج.1، 2، ط.1، (المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2005م).
62. المقري أحمد بن محمد، روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط.2، (الرباط: المطبعة الملكية، 1403هـ/1983م).
63. المقرئ تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، ج.2، [د.ط.]، (القاهرة: طبعة جديدة بالافتتاح بولاق، 2002).
64. مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعيدية التكمدرتية، تح: عبد الرحيم بنحادة، ط.1، (مراكش: مطبعة تينمل نشر طباعة توزيع، 1992م).
65. النميري ابن الحاج، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب: مصدر جديد من مصادر تاريخ المغرب الأدابي والحضاري في العصر المريني، تح: محمد ابن شقرون، ط.1، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990م).
66. الوزان حسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج.1، 2، ط.2، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1983م).
67. الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي وآخرون، ج.1، [د.ط.]، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1401هـ/1981م).

رابعاً: المراجع باللغة العربية.

68. أبو خليل شوقي، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط.12، (دمشق: دار الفكر، 1425هـ/2005م).
69. (————)، وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة - القصر الكبير، ط.1، (دمشق: دار الفكر، 1409هـ/1988م).
70. أبو زهرة محمد، التكافل الاجتماعي في الإسلام، ط.1، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1991م).

71. (—) (محاضرات في الوقف، ط.2، (القاهرة: ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، 1972م).
72. أبو محمد الرشاطي وابن الخراط الاشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تق: تح: ايميليو مولينا وخاتينتوبوسك بيلا، [د.ط.]، (مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، 1990م).
73. أحمد الكامون مولاي، هاشم السقلي، التأثير الموريسكي في المغرب، ط.1، (وجدة: مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2010م).
74. الأخضر محمد، الحياة الأدبية في المغرب على الدولة العلوية (1075-1311هـ/1664-1894م)، ط.1، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1977م).
75. الأرقش دلندة، عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، [د.ط.]، (ميدياكوم: مركز النشر الجامعي، 2003م).
76. استيتو عبد الله، الدولة السعدية جوانب من تاريخ المغرب الحديث، ط.1، (أكادير: الطباعة Bz PRINT، 2017م).
77. آصاف عزتلو يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، ط.1، (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014م).
78. الأطفاني أبو الفرج، مقاتل الطالبين تح: السيد أحمد صقر، ط.3، (لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1419هـ/1998م).
79. أفا عمر، النقود المغربية في القرن الثامن عشر أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس، ط.1، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1414هـ/1993م).
80. أمجان فريدون، سليمان القانوني: سلطان البرين والبحرين حقائق في ضوء المصادر، تر: جمال فاروق، أحمد كمال، ط.1، (مصر: دار النيل، 1435هـ - 2014م).
81. الأمين محمد، محمد علي الرحماني، المفيد في تاريخ المغرب، [د.ط.]، (الدار البيضاء: دار الكتاب، [د.ت.]).
82. بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، [د.ط.]، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م).
83. بروديل فرنان، المتوسط والعالم المتوسطي، تعر: مروان أبي سمرا، ط.1، (بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، 1413هـ/1993م).

84. البزاز محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، [د.ط.]، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1992م).
85. بن العربي الصديق، كتاب المغرب، ط.3، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1404هـ/1984م).
86. بن خروف عمار، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، ج.2، [د.ط.]، (المغرب: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م).
87. (—)، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب، ج.1، ط.1، (الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 1427هـ/2006م).
88. بن عبد الجليل عبد العزيز، الموسيقى الأندلسية المغربية، [د.ط.]، (الكويت: سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988م).
89. بن غانم السدلان صالح، أحكام الوقف والوصية والفرق بينهما، ط.2، (الرياض: دار بلنسية للنشر والتوزيع، 1416هـ).
90. بن محمد شاهين عزة بنت عبد الرحيم، خدمات الحج في الحجاز خلال العصر العثماني، ط.1، (مصر: دار القاهرة، 2006 م).
91. بن منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، ج.1، (الرباط: المطبعة الملكية، 1388هـ/1968م).
92. بن عبد الله عبد العزيز، تاريخ المغرب العصر القديم والعصر الوسيط، [د.ط.]، (الدار البيضاء: مكتبة السلام، الرباط: مكتبة المعارف، [د.س.]).
93. بنعلي محمد بوزيان، فجيج في عهد السعديين، [د.ط.]، (وجدة: مطبعة الجسور، 2005م).
94. بنكرعي حليلة، مداخل بيت مال المغرب في عهد السعديين 1548-1661م، ط.1، (الرباط: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1427هـ/2006م).
95. البهجي إيناس حسني، تاريخ دولة الأندلس، ط.1، (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2016م).
96. البهنسي صلاح أحمد، طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني، ط.1، (القاهرة: دار الآفاق العربية، 1464هـ/2004م).

97. البوزيدي أحمد، التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17 مطلع القرن 20) دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، [د.ط.]، (الدار البيضاء: أفاق متوسطة، 1994م).
98. بوشرب أحمد، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور، ط.1، (الدار البيضاء: دار الثقافة، 1404هـ/ 1984م).
99. (————)، مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر، ط.1، (الرباط: منشورات كلية الآداب، 1996م).
100. (————)، مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر دراسة في الثقافة والذهنيات بالمغرب من خلال محاضر محاكم التفتيش الدينية البرتغالية، ط.1، (المحمدية: مطبعة فضالة، 1996م).
101. بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، [د.ط.]، (الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م).
102. بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة وآخرون، [د.ط.]، (بنغازي: منشورات جامعة قارونس، 1988م).
103. بيرتي بيير، معركة وادي المخازن، تر: محمد بن عبود، وآخرون، ط.1، (الدار البيضاء: النجاح الجديدة، 1991م).
104. التازي عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي المغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مج.2، [د.ط.]، (المغرب: مطابع فضالة، 1406هـ/ 1986م).
105. (————)، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مج.7، 8، [د.ط.]، (المحمدية: مطابع فضالة، 1408هـ- 1988م).
106. (————)، الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، ج.3، ط.1، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1422هـ/ 2001م).
107. (————)، قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا بواعث تشييده وظروف وعمليات ترميمه، [د.ط.]، (الرباط: مطبعة فضالة، 1977م).
108. التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر: محمود علي عامر، ط.1، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1409هـ/ 1989م).

109. الجمال شوقي عطاء الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)، ط.1، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1977م).
110. جميل نبيل، لوحات ريفية تراثية، ط.1، (بيروت: دار الفارابي للنشر والتوزيع، 2014م)
111. الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج.3، [د.ط.]، (الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2014م).
112. الحاجي عبد الله، الدولة السعدية آليات التطور ومظاهر التدهور سوس بين (916-1015هـ/1609-1510م)، ط.1، (المغرب: إفريقيا الشرق، 2013م).
113. حتامله محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، [د.ط.]، (عمان: طباعة مطابع الدستور التجارية، 2000م).
114. (—)، التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني 1527-1598م، ط.1، (عمان: الجامعة الأردنية، 1403هـ/1982م).
115. حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج.1، [د.ط.]، (المغرب: مطبعة فضالة، 1396هـ / 1976م).
116. (—)، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج.2، [د.ط.] (المغرب: مطبعة فضالة، 1398هـ/1978م).
117. حركات إبراهيم، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، [د.ط.]، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1408هـ-1987م).
118. (—)، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، ج.2، [د.ط.]، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1420هـ/2000م).
119. حسن إبراهيم علي، أحمد المنصور الذهبي السعدي، ط.1، (الرباط: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1407هـ/1987م).
120. الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط.2، (الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1406هـ/1986م).
121. الحسن عيسى، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط.1، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2008م).
122. حسين حمودة عبد الحميد، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، ط.1، (القاهرة: دار الثقافة للنشر، 2006م).

123. الحسين رشيد، العلاقات الاجتماعية في المجال الأمازيغي بين العرف والقانون، ط.1، (إدم.: مطابع امبريال، 2004م).
124. حسين محمد حمزة، لبنى رياض عبد المجيد، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط.1، (الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، 14326هـ/2015م).
125. الحسيني النجفي السيد عبد الرزاق كمونه، فضائل الأشراف، (إدم.: مطبعة الآداب في النجف الأشراف، 1390هـ/1970م).
126. الحويري محمود محمد، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط.1، (مصر: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2002 م).
127. الخلافي عبد اللطيف، الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي (669-920هـ/1270-1550م)، [د.ط.]، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2011م).
128. الدالي الهادي المبروك ، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ط.1، (القاهرة: الدار المصرية، 1999م).
129. داهش محمد علي، الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف، [د.ط.]، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1971م).
130. داود محمد، مختصر تاريخ تطوان، ط.1، (المغرب: المطبعة المهدية، 1375هـ/1955م).
131. دولينا نينل الكسندروفنا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر، تر: أنور محمد إبراهيم ، [د.ط.]، (إدم.)، المجلس الأعلى للثقافة، 1999م).
132. دي ايبالنا ميكيل، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، تر: جمال عبد الرحمن، ط.1، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005م).
133. راشد زينب عصمت، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ج.1، [د.ط.]، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1986م).
134. رزوق محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، ط.3، (الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 1998م).
135. (—)، دراسات في تاريخ المغرب، ط.1، (الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 1991م).

136. رفعت باشا إبراهيم، مرآة الحرمين الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، ج.2، ط.1، (مصر: مطبعة دار الكتب المصرية، 1925م).
137. روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، ج.2، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1416هـ/ 1996م).
138. روزنبرجي بانار وحميد التريكي، المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16 و17م، تر: عبد الرحيم حزل، ط.2، (الرباط: منشورات دار الإيمان، 2010م).
139. روسي أتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترك خليفة محمد التليسي، ط.2، (مصر: الدار العربية للكتاب الإسكندرية، 1991م).
140. رياض محمد، شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية، ط.1، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2005م).
141. الريسوني أحمد، الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده، ط.1، (مصر: دار الكلمة، 2014م).
142. زبادية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسفيين (1493-1591م)، [د.ط.]، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.س.]).
143. الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ط.1، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972م).
144. (—————)، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، [د.ط.]، (الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر والتوزيع، 1975م).
145. الزعفراني حاييم، يهود الأندلس والمغرب، تر: أحمد شحلان، ج.2، [د.ط.]، (الرباط: مطبعة النجاح الجديدة، 2000م).
146. زيادة نقولا، إفريقيات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، ط.1، (رياض: الزين للكتب والنشر، 1991م).
147. السائح الحسن، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط.2، (الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1406هـ/1986م).
148. السباعي أحمد، تاريخ مكة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ج.2، [د.ط.]، (الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 1419هـ - 1999م).

149. سرهيد الدراجي عدنان خلف، التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية خلال عصر سلطنة غرناطة (635-897هـ/1238-1492م)، ط.1، (مصر: دار حميثرا للنشر والترجمة، 2018م).
150. سعيدوني ناصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، [د.ط.]، (الجزائر: البصائر للنشر و التوزيع، 2012م).
151. السيد محمود، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، [د.ط.]، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2006م).
152. (—)، تاريخ دول المغرب العربي ليبيا-تونس-الجزائر- موريتانيا، [د.ط.]، (إسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2000م).
153. الشادلي عبد اللطيف، الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م، ط.1، (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1982م).
154. شاكر محمد، التاريخ الإسلامي: العصر العثماني، ج.8، ط.4، (بيروت: المكتب الإسلامي، 2000م).
155. شبارو عصام محمد، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91-897هـ/710-1492م)، ط.1، (بيروت: دار النهضة العربية، 1423هـ/2002م).
156. (—)، قاضي القضاة في الإسلام، ط.2، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1992م).
157. الصغير خالد، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر (1856-1886م)، ط.2، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1997م).
158. صقر جوزف، قصة وتاريخ الحضارات العربية: السودان، ليبيا، المغرب، ج.19-20، [د.ط.]، [د.م.]: EDITO CREPS INT، 1422 هـ / 1999م).
159. الصلابي علي محمد محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط.1، (مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1421هـ/2001م).
160. (—)، صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، [د.ط.]، (عمان: دار البيارق للنشر، 1442هـ/1998م).
161. ضيف شوقي، عصر الدول والإمارات: الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السودان، ط.1، (القاهرة: دار المعارف، 1995م).

162. العافية عبدالقادر، الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، [د.ط.]، (المملكة المغربية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1402هـ/1982م).
163. عامر محمود علي، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، المغرب الأقصى لبيبة، [د.ط.]، (دمشق: منشورات جامعة دمشق، 1420-1421هـ/1999-2000م).
164. عبد الجليل عبد العزيز، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، [د.ط.]، (الكويت: عالم المعرفة- سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1983م).
165. عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج.3، (مصر: مطبعة المعارف، [د.س.]).
166. عبد العزيز سالم السيد، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، ط.1، (لبنان: دار المعارف، 1961م).
167. عبد الله كنون، النوع المغربي في الأدب العربي، ج.1، ط.2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1960م).
168. عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)، [د.ط.]، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2013م).
169. عبد عشوب عبد الجليل، كتاب الوقف، ط.1، (القاهرة: دار الأفاق العربية، 2000م).
170. عبوش أحمد صالح، الملكة اليزابيث (1558-1603م)، ط.1، (القاهرة: المكتب العربي للمعارف، 2015م).
171. العقاد صلاح، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر - تونس - المغرب الأقصى، ط.6، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1993م).
172. العلام عز الدين، الآداب السلطانية: دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، [د.ط.]، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، 2006م).
173. علوي محمد أمراني، الدولة السعودية وسياسة التوحيد في عهد أحمد المنصور الذهبي، ط.1، (الرشيدية: مطبعة اركويرانت - المعهد المغربي للدراسات والتواصل الثقافي الرشيدية، 2017م).
174. علي باري محمد فاضل، سعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، ط.1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1971م).

175. عنان محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط.3، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1386هـ/1966م).
176. عودة محمد عبد الله، إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، [د.ط.]، (عمان: دار الأهلية للنشر والتوزيع، 1989 م).
177. الغربي محمد، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، [د.ط.]، (الكويت: مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، 1982م).
178. الغساني الأندلسي محمد، رحلة الوزير في افتكاك الأسير (1690-1691م)، تح: نوري الجراح، ط.1، (الإمارات العربية المتحدة: دار السويدي للنشر والتوزيع، 2002م).
179. غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي: مغرب الأرض والشعب عصر الدول والدويلات، ج.1، ط.1، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1426هـ/2005م).
180. فتحة محمد، النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ/12-15م)، [د.ط.]، (الدار البيضاء: مطبعة المعارف الجديدة، 1999م).
181. فريد بك المحامي محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحق: إحسان حقي، [ط.1]، (بيروت: دار النفائس، 1401هـ/1981م).
182. فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، ج.1، [د.ط.]، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2002م).
183. الفيلاي عبد الكريم، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج.1، ط.1، (القاهرة: شركة ناس للطباعة، 2006م).
184. القبلي محمد وآخرون، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، ط.1، (الرباط: مطبعة عكاظ الجديدة، 2011م).
185. (—)، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، ط.1، (الدار البيضاء: تويقال للنشر، 1987م).
186. قحف منذر، الوقف الإسلامي تطوره، إدارته، تنميته، ط.1، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 2000م).
187. قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، [د.ط.]، (بيروت: دار النهضة العربية، 1985م).
188. القدوري عبد المجيد، المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)، ط.2، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012م).

189. القرضاوي يوسف، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط.4، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1425هـ/2005م).
190. قشتيليو محمد، محنة الموريسكيون في إسبانيا، ط.2، (تطون: مطابع الشويخ، 1999م).
191. كاردياك لوبي، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية (1492-1640م) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا، تع: تق: عبد الجليل التميمي، ط.1، (تونس: منشورات المجلة التاريخية المغربية- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983م).
192. الكتاني يوسف، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج.1، [د.ط.]، (بيروت: دار لسان العرب، [د.س.]).
193. كريم عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، ط.3، (الرباط: منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، 1427هـ / 2006م).
194. كنون عبد الله الحسني، مدخل إلى تاريخ المغرب، ط.1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1438هـ/2017م).
195. (—)، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج.1، ط.2، (طنجة: (د.ن)، 1380هـ/1960م).
196. (—)، نكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، تق: محمد بن عزوز، ج.1، ط.1، (الدار البيضاء: دار ابن حزم، 1430هـ/2010م).
197. الكيلاني سامي، في البريوع الأندلسية، (سوريا: مكتبة الشرق، 1936م).
198. لقبال موسى، المغرب الإسلامي، ط.2، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م).
199. لوبي كاردياك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية (1492-1640م) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا، تع: تق: عبد الجليل التميمي، (تونس: منشورات المجلة التاريخية المغربية- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983م).
200. لوطنو روجي، فاس قبل الحماية، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج.1، 2، [د.ط.]، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1416هـ/1992م).

201. محمد حسين حمدى عبد المنعم، مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي و الحضاري، [د.ط.]، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1993م).
202. محمد سيد أشرف صالح، أصول التاريخ الأوربي الحديث، ط.1، (قطر: دار واتا للنشر الرقمي، 2009م).
203. محمد شادي تيسير محمد، الفساد في العالم الإسلامي دراسة سياسية حضارية (358-567هـ/969-1171م)، [د.ط.]، (الإسكندرية: دار التعليم الجامعي، [د.س.]).
204. محمد على جمعة، المكاييل والموازن الشرعية، ط.2، (القاهرة: القدس للإعلان والنشر والتسويق، 1421هـ/2001م).
205. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م)، [د.ط.]، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، [د.ت.]).
206. المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، [د.ط.]، (دم: المطبعة العربية، [د.س.] .
207. المراكشي محمد بن محمد بن عبد الله الموقت، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، تع: أحمد متفكر، ط.3، (مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، 1432هـ/2011م).
208. المريني عبد الحق، الجيش المغربي عبر التاريخ، ط.5، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1997م).
209. مزين محمد، فاس وباديتها: مساهمة في تاريخ المغرب السعدي (1549-1637م)، ج.2، ط.1، (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1986م).
210. المطوي محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط.2، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982م).
211. ملين محمد نبيل، السلطان الشريف الجذور الدينية و السياسية للدولة المخزنية في المغرب، تر: عبد الحق الزموري وعادل عبد الله، ط.1، (الرباط: المعهد الجامعي للبحث العلمي-جامعة محمد الخامس، 2013م).
212. المنصوري عثمان، التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر مساهمة في تاريخ المغرب الإقتصادي، ط.1، (الدار البيضاء: منشورات كلية الرباط، 1422هـ/2001م).
213. موسى عايدة العزب، تجارة العبيد في إفريقيا، ط.2، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 1428هـ-2007م).

214. مؤنس حسين، عالم الإسلام، (القاهرة: مطابع الزهراء للإعلام العربي، 1973م).
215. (—)، معالم تاريخ المغرب والأندلس، [د.ط.]، (القاهرة: دار الرشاد، 1992م).
216. الناجي محمد، التوسع الأوروبي والتغير الاجتماعي في المغرب ق 16-19م، تر: عبد الرحيم حزل، ط.1، (الرباط: جذور النشر، 2004م).
217. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرينية، تح: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، ج.3، 4، 5، 7، [د.ط.]، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1418هـ/1997م).
218. (—)، سلا ورباط الفتح، أسطولهما وقرصنتهما الجهادية، تح: أحمد بن جعفر الناصري، ج.4، [د.ط.]، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1427هـ/2006م).
219. النظام زهراء، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية-ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، ط.1، (الرباط: دار الإيمان، 1436هـ/2015م).
220. النفاع كمال، محاولات التحديث والإصلاح في العصر السعودي عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور نموذجا، ط.1، (المغرب: نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 2017م).
221. هاو سونيا، في طلب التوابل، تر: محمد عزيز رفعت، مر: محمود النحاس، [د.ط.]، (مصر: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بالفجالة، 1957م).
222. ياغي إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، [ط.1]، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ/1996م).
223. اليافي عبد الكريم، في علم السكان مباحث في المورفولوجية الاجتماعية، [د.ط.]، (دمشق: مطبعة الجامعة السورية، 1370هـ/1951م).
224. يحي جلال، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، [د.ط.]، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1999م).

خامسا: المراجع باللغة الأجنبية.

225. Abitbol Michel, Histoire du maroc, (s.l) : editions perrin ,(s.d) .
226. Arenal –Mercedes garcia, Ahmad al-Mansur the beginnings of Modern Morocco, (oxford: published by oneworld publications:2009).
227. Daniel Rivet, Histoire du Maroc de Moulay Idris à Mohammed VI, (France :Librairie Arthème Fayard, 2012).

228. Dozy R.P.A, Dictionnaire détaillé des noms de vêtements chez les arabes, (Pays-Bas: couronné et publié de l'institut royal, 1845).
229. Glacier Osire, Femmes politiques au Maroc d'hier à aujourd'hui La résistance et le pouvoir au féminin, (Maroc: Tarik éditions, 2016).
230. Lugan Bernard, Histoire De L'Afrique Du Nord (égypte, libye, Tunisie, Algérie, Maroc) Des Origines à nos jours, (Monaco :Groupe artège édition du rocher, 2016).
231. Matar Nabil, Europe Through Arab Eyes 1578-1727, (New York: Columbia University press,1893).
232. Mercier Ernest, Histoire de l'Afrique septentrionale (berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), Tome III, (paris: Ernest LEROUX Éditeur, 1868).
233. Raymond Mauny, Tableau géographique de l'ouest Africain au moye nage-d'après les sources écrites , la tradition et l'archéologie, (Ifan-dakar :smithsonian institution libraries ,1961).

سادسا: المقالات والدوريات العربية:

234. إبراهيم دايد تركان، " إنجلترا والدولة السعدية في المغرب الأقصى جوانب من تاريخ العلاقات بين الطرفين (1554-1659م) "، المجلة الدولية للبحوث التطبيقية، الهند، مج. 5، س. 2019، ص ص 4-13.
235. ابن العربي العثماني سعيدة محمد، ياسر وجيه صلاح، " العلاقات العثمانية المغربية تلاحق ثقافي تحالف وصراع "، مجلة الفنون و الأدب وعلوم الإنسانيات والإجتماع تصدر عن كلية الإمارات للعلوم التربوية، الإمارات العربية المتحدة، ع. 69، س. 2021، ص ص 20-30.
236. ابن عبد الله عبد العزيز، " دور الملاحة المغربية في البحار طوال ألف عام "، مجلة المناهل تصدرها وزارة الشؤون الثقافية - الرباط، المغرب، ع. 32، س. 1985، ص ص 64-121.
237. (—)، " كيف تطورت الآلة الاشيبيلية والطرب الغرناطي في المهاجرات الأندلسية بالمغرب "، مجلة الأكاديمية تصدر عن أكاديمية المملكة المغربية المغرب، ع. 27، س. 2010، ص ص 87-115.
238. أبيهي محمد، توكبوكتو موكادور، " نموذج التواصل الحضاري الثقافي بين الشمال والجنوب "، مجلة ليكسوس: في التاريخ والعلوم الإنسانية مجلة علمية إلكترونية محكمة، المغرب، ع. 1، س. 2016، ص ص 18-25.

239. (—)، " الحاحيون ومقاومة الإحتلال البرتغالي "، مجلة ليكسوس الإلكترونية دورية متخصصة في التاريخ والعلوم الإنسانية، المغرب، ع. 10، س. 2017م، ص ص 55-63.
240. (—)، " العبيد في تاريخ المغرب المعاصر "، مجلة ليكسوس مجلة إلكترونية متخصصة في التاريخ والعلوم الإنسانية، المغرب، ع. 21، س. 2018م، ص ص 7-16.
241. أحمد طه عسر عسران، " من انتصارات الإسلام : معركة وادي المخازن "، مجلة الوعي الإسلامي تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، مج. 19، ع. 224، س. 1983م، ص ص 46-54.
242. إدريس أقبوش، " مسعودة الوزكيتية: امرأة وراء عظمة أحمد المنصور السعدي "، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن مركز جيل البحث العلمي، لبنان، ع. 62، س. 2020، ص ص 127-136.
243. الإدريسي الفقيه، " التنظيم الجبائي في العهد السعدي: ضريبة النابية نموذجا "، مجلة كلية الآداب ، بني ملال- المغرب، ع. 4، س. 2001م، ص ص 95-113.
244. (—)، " السياسة الجبائية في العهد السعدي: رصيد لحصيلة أثارها العامة"، مجلة كلية الآداب، بني ملال-المغرب، ع. 6، س. 2003م، ص ص 157-179.
245. (—)، " الجباية والمشروعية السياسية للدولة التجربة السعدية نموذجا "، مجلة أمل، المغرب، مج. 8، ع. 24، س. 2000م، ص ص 184-208.
246. استيتو محمد، " أقوات وتغذية في تاريخ المغرب الحديث ق. 15-18م "، مجلة أمل، المغرب، مج. 6، ع. 17، س. 1999م، ص ص 22-52.
247. (—)، " الأزمة الديموغرافية في تاريخ المغرب الحديث "، مجلة كنانيش متخصصة في الديمغرافيا التاريخية تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الأول، المغرب، ع. 1، س. 1999م، ص ص 113-136.
248. (—)، " الكوارث الطبيعية في تاريخ مغرب 16م "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الأول، وجدة، ع. 2، س. 1991م، ص ص 155-164.
249. (—)، " صناعة السكر خلال العصر السعدي: محطة ضائعة في التاريخ الإقتصادي والاجتماعي المغربي "، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية: تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، المغرب، ع. 8، س. 2008م، ص ص 59-70.

250. (—)، " الأزمة الديمغرافية في تاريخ المغرب الحديث "، مجلة كناش الديمغرافي التاريخية تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة محمد الأول، المغرب، ع.2، س. 2000م، ص ص 41-63.
251. اغوثان نور الدين، " التأثيرات الحضرية العثمانية على المغرب خلال القرن 16م "، مجلة ليكسوس في التاريخ والعلوم الإنسانية مجلة إلكترونية علمية متخصصة، المغرب، ع. 7، س. 2016م، ص ص 77-87.
252. أيمن عميمور، " حملة أحمد المنصور على السودان الغربي وموقف السودانيين منها في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م "، مجلة الدراسات الإفريقية تصدر عن مختبر الدراسات الإفريقية في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء جامعة الجزائر 02، الجزائر، مج.2، ع.4، س. 2016م، ص ص 132-169.
253. البسيروى أحمد أحمد، " التاريخ الحربي للمغرب "، مجلة دعوة الحق مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر تصدرها وزارة عموم الأوقاف، الرباط، ع. 8، س. الثالثة، 1379هـ / 1960م، ص ص 29-31.
254. بلحسن الحسين ريوش، " التدبير المالي وانعكاساته على الرعية بالمغرب في ما بين القرن 15-ومطلع القرن 17م "، مجلة رفوف تصدر عن مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر، مج. 8، ع. 1، س. 2020م، ص ص 74-88.
255. بن تاويت محمد، " وثيقتان هامتان عن معركة وادي المخازن "، مجلة دعوة الحق عدد خاص بمناسبة الأربعمئة لمعركة وادي المخازن تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط-المغرب، ع. 8، س. 1978م، ص ص 47-56.
256. بن خروف عمار، " ملامح من الحياة الإقتصادية في المغرب في عهد السعديين "، مجلة الدراسات التاريخية، ع. 2، جامعة الجزائر، 1987م، ص ص 67-91.
257. بن عثمان محمد، " المنصور الذهبي "، مجلة المغرب، الرباط، السنة الخامسة، عدد خاص، ع. 6-7، س. 1936م، ص ص 9-12.
258. بن فارح ميهوب، " المعاملات التجارية بين المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي القرن (08-10هـ/14-16م) "، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، مج.13، ع.1، س. 2021م، ص ص 229-242.

259. بن معمر محمد، " قضية العرائش بين المطامع السياسية وضغوط العلماء (1019هـ / 1610م) "، مجلة إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الإجتماعية، الجزائر، ع. 19-20، س. 2003، ص ص 89-98.
260. بنكرعي حليلة، " البحر المحيط المغربي في الفترة ما بين 1459-1631م "، مجلة أمل، المغرب، مج. 7، ع. 21، س. 2000، ص ص 204-211.
261. (—)، " الكانون في القرن السادس عشر الميلادي "، مجلة كنانيش الديمغرافيا التاريخية تصدر عن كلية الآداب، وجدة-المغرب، ع. 2، س. 2000، ص ص 109-112.
262. (—)، " معركة وادي المخازن وأثرها السياسي والمالي 1578-1603م "، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن طفيل، المغرب، ع. 2، س. 2000، ص ص 91-109.
263. بوتشيش إبراهيم القادري، " مذكرات أسير برتغالي في المغرب القرن السادس عشر "، مجلة أسطور للدراسات التاريخية تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ع. 1، س. 2015، ص ص 174-185.
264. بوعصب امبارك، " علم الأسلحة خلال العصر السعودي من خلال مخطوط: العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع "، مجلة قضايا تاريخية تصدر عن مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، ع. 3، س. 1437هـ/2016م، ص ص 50-63.
265. بوكرامي سعيد، " موسيقى كناوة الأصول والإمتدادات "، مجلة الثقافة الشعبية فصلية علمية محكمة تصدر عن أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، ع. 37، س. 2017، ص ص 134-139.
266. بووشن محسن، " التنافس الإسباني- الإنجليزي حول الثغور المغربية خلال عهد أحمد المنصور السعدي (986هـ/1578م/1012هـ/1603م) "، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة باتنة 1 الحاج لخضر، الجزائر، مج. 05، ع. 02، س. 2020، ص ص 92-106.

267. التازي عبد الهادي، " الأسطول المغربي عبر التاريخ "، مجلة البحث العلمي تصدر عن المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس، المغرب، مج. 18، ع. 33، س. 1982م، ص ص 15-47.
268. (—)، " من الوثائق المغربية في بغداد: رسالة المنصور الذهبي لأحد أقطاب الشرق صورة عن الحالة الإجتماعية والسياسية في المملكة المغربية "، مجلة دعوة الحق تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، المغرب، ع. 76، س. 1967م، ص ص 96-104.
269. (—)، " لماذا عيد المولد في الغرب الإسلامي؟ الأسباب التي كانت وراء إنشائه.. بعد أن لم يكن لا في عهد الأدارسة ولا في عهد المرابطين والموحدين "، مجلة دعوة الحق تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، المغرب، ع. 277، س. 1410هـ/1989م، ص ص 48-55.
270. (—)، " وقعة وادي المخازن بدون رقابة "، مجلة دعوة الحق تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط- المغرب، ع. 8، س. 1398هـ/1978م، ص ص 27-29.
271. التريكي حميد، " عبد الملك السعدي من المنفى إلى الملك "، مجلة مذكرات من التراث المغربي، المغرب، مج. 3، س. 1985م، ص ص 148-173.
272. جلول ابن قومار، " المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السعدي 986هـ-1012هـ/1578م-1603م "، مجلة الواحات للبحوث والدراسات تصدر عن جامعة غرداية، الجزائر، ع. 20، س. 2014م، ص ص 175-181.
273. حجي محمد، " العلاقات المغربية التركية في القرن السادس عشر "، مجلة المناهل، الرباط- المغرب، ع. 25، س. 1403هـ/1982م، ص ص 7-22.
274. حركات إبراهيم، " أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة "، مجلة دعوة الحق تصدرها الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ع. 8، س. 1978م، ص ص 57-80.
275. (—)، " الأجهزة السياسية المركزية لدى المخزن السعدي "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، الرباط، ع. 11، س. 1985م، ص ص 7-30.

276. (—)، " تطور الأوضاع الإقتصادية على عهد السعديين "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية تصدر عن جامعة محمد الخامس - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ع. 12، س. 1986م، ص ص 15-46.
277. (—)، " مظاهر التعاون بين المغرب والدولة العثمانية "، مجلة دار النيابة، المغرب، ع. 6، س. 1985م، ص ص 21-27.
278. (—)، " تطور الأوضاع الإقتصادية على عهد السعديين "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس، المغرب، ع. 12، س. 1986م، ص ص 15-46.
279. حمزة مجيد كامل، " العامل الإسرائيلي في العلاقات المغربية الإسبانية "، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية تصدر عن مركز الدراسات الفلسطينية جامعة بغداد، العراق، ع. 12، س. 2010م، ص ص 53-78.
280. الحميدي نواف فلاح، " العلاقات المغربية الإنجليزية من (986-1065هـ/1578-1654م) "، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت مجلس النشر تصدر عن مجلس النشر جامعة الكويت، الكويت، مج. 32، ع. 128، س. 2014م، ص ص 11-37.
281. خبطة الحسني محمد عبد الحفيظ، " العلامة الطغرائية بين المغرب السعودي وتركيا العثمانية دراسة تاريخية - فنية "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع. 35، س. 2015م، ص ص 179-212.
282. خضير عيسى رابحه محمد، " القائد العثماني سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس 1568-1574م "، مجلة جامعة تكريت للعلوم تصدر عن جامعة تكريت، العراق، مج. 18، ع. 1، س. 2011م، ص ص 351-384.
283. رزوق محمد، " العلاقات المغربية الإسبانية خلال القرن السادس عشر العهد السعودي الأول نموذجاً "، مجلة المناهل تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، ع. 38، س. 1989م، ص ص 184-193.
284. زريوح زين العابدين، " مراكش: عاصمة للدولة المركزية خلال العهد السعودي من الأوج إلى الركود (1525-1659م) "، مجلة إبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية تصدر عن كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية بجامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريرج، الجزائر، ع. 01، س. 2020م، ص ص 28-47.

285. (—)، " المرأة بين الفاعلية والتهميش خلال العصر السعودي "، مجلة ليكسوس الإلكترونية متخصصة في التاريخ والعلوم الإنسانية، المغرب، ع. 19، 2017م، ص ص 49-58.
286. زمامة عبد القادر، " مع أبي الحسن التمكروتي رحلته إلى القسطنطينية "، مجلة المناهل تصدر عن وزارة الشؤون الثقافية، الرباط-المغرب، ع. 25، س. 1403/هـ/1982م، ص ص 221-236.
287. زينب ملياني، " الأطعمة والأشربة بالمغرب والأندلس في العصر الإسلامي عصر المرابطين والموحدين "، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات تصدر عن جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، ع. 7، س. 2013م، ص ص 93-101.
288. السرحان علي كامل حمزة، " العلاقات الخارجية للدولة السعودية خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي (1549-1603م) دراسة تاريخية "، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية تصدر عن كلية الآداب جامعة القادسية، العراق، مج. 20، ع. 4، س. 2017م، ص ص 83-130.
289. سعيد ادحمان، " ملاحظات أولية حول تاريخ التغذية في المغرب العصر الحديث القيم الحضارية والمحددات الطبيعية المتحكمة في ثقافة الغذاء "، مجلة دورية كان التاريخية تصدر عن مؤسسة كان ، الكويت، ع. 51، س. 2021م، ص ص 161-172.
290. السيد عمر سلمى عمر، " دور السعديين في تاريخ المغرب (1554-1659م) "، مجلة جامعة سنار تصدر عن جامعة سنار، السودان، مج. 1، ع. 2، س. 2011م، ص ص 121-146.
291. شعوب عز الدين، " صناعة السكر في العهد السعودي "، مجلة ليكسوس الإلكترونية دورية متخصصة في التاريخ والعلوم الإنسانية، المغرب، ع. 21، س. 2018م، ص ص 55-61.
292. شونم محمد، " إحتلال المغرب ونشأة الدولة السعودية خلال القرنين 15 و 16م "، مجلة ليكسوس الإلكترونية دورية متخصصة في التاريخ والعلوم الإنسانية، المغرب، ع. 35، س. 2020، ص ص 8-28.
293. الصقلي علي، عبد الهادي التازي، " المعركة الكبرى "، مجلة البحث العلمي تصدر عن المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس - الرباط-، المغرب، مج. 18، ع. 33، س. 1982م، ص ص 275-279.

294. طحطح خالد فؤاد، " العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث (القرن السادس عشر - أواخر القرن الثامن عشر) "، مجلة كان التاريخية دورية تصدر عن مؤسسة كان التاريخية، الكويت، ع. 14، س. 2011، ص ص 106-112.
295. عبد الرحمن العثمان أيمن، " قشتاليو المغرب الأقصى ودورهم في الحياة العامة "، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العراق، مج. 7، ع. 13، س. 1434هـ/2013م، ص ص 1-23.
296. عبد سعدون الحسيني قاسم، " حركة الاسترداد الاسبانية reconquista (الريكونيكيستا) قراءة في المصطلح و المضمون "، مجلة كان التاريخية تصدر عن مؤسسة كان التاريخية، الكويت، مج. 2، ع. 5، س. 2020م، ص ص 299-313.
297. عبد نتيش كاظم، " الدولة السعدية في عهد السلطان عبد الله الغالب (965-981هـ/1557-1574م) "، مجلة آداب ذي قار تصدر عن كلية الآداب جامعة ذي قار، العراق، ع. 18، س. 2016م، ص ص 246-273.
298. العبيدي سمير عبد الرسول، " واقعة وادي المخازن 1578م "، مجلة العميد مجلة فصلية محكمة تعني بالأبحاث والدراسات الإنسانية تصدر عن مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، العراق، مج. 10، ع. 37، س. 2021، ص ص 279-315.
299. العجلوي الموساوي، " دار السكة بمراكش في العهد السعدي التمويل المعدني وتقنيات الصناعة النقدية "، أشغال الملتقى الثاني 1990م بعنوان " مراكش خلال العصرين المريني والسعدي "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض، المغرب، ع. 8، س. 1992م، ص ص 105-116.
300. عدة الشيخ، " العلاقات بين الدولة العثمانية ودول المغرب الأقصى ودور الجزائر في أحداث الصراع بينهما "، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية تصدر عن مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، مج. 1، ع. 2، س. 2018م، ص ص 242-257.
301. عقيل نمير، " السياسية الداخلية للمغرب الأقصى في عهد السلطان أحمد المنصور السعدي (1578-1603م) "، مجلة دراسات تاريخية، تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب جامعة دمشق، سوريا، ع. 135، س. 1439هـ/2017م، ص ص 395-419.

302. علي أحمد سالم، " العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن السادس عشر "، مجلة كان التاريخية دورية تصدر عن مؤسسة كان التاريخية، الكويت، ع. 13، س. 2011م، ص ص 49-54.
303. عماري الحسين، " تجارة الرقيق ونظمية المخزن خلال العصر الحديث "، مجلة أمل، المغرب، مج. 15، ع. 33، س. 2008م، ص ص 70-80.
304. العمراني محمد، " العلاقات السعدية العثمانية من خلال كتاب: تأسيس دول الأشراف بالمغرب وصراعها مع أترك إيالة الجزائر 1509-1830م للمؤلف أوغست كور "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، بفاس، المغرب، ع. 1، س. 2015م، ص ص 7-54.
305. الغاشي مصطفى، " المغرب السعدي والعثمانيون من صراع محمد الشيخ إلى تعاون عبد الملك "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد الملك السعدي، المغرب، ع. 12، س. 2006م، ص ص 115-141.
306. غربي الحواس، " ظروف الحملة المغربية السعدية على مملكة صنغاي 1591م "، مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن مؤسسة هيروودوت للبحث العلمي والتكوين، الجزائر، ع. 6، س. 2018، ص ص 64-75.
307. الغرميني عبد السلام، " الإقطاع والوضع القانوني للأراضي على عهد السعديين "، مجلة دار الحديث الحسنية تصدر عن مؤسسة دار الحديث الحسنية، المغرب، ع. 7، س. 1989م، ص ص 80-87.
308. غيث مطير سعد، " الأسكيا محمد الكبير: رحلته المشرقية ودوره الثقافي والجهادي "، مجلة الشهيد تصدر عن المركز الليبي للمخطوطات والدراسات التاريخية، ليبيا، مج. 33، س. 2012م، ص ص 69-92.
309. الفاسي محمد، " موقعة وادي المخازن الحاسمة "، مجلة البحث العلمي تصدر عن المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس، المغرب، ع. 9، س. 1966م، ص ص 217-232.
310. (—)، " إحتلال البرتغاليين للثغور المغربية الذي أدى إلى موقعة وادي المخازن "، مجلة دعوة الحق تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط- المغرب، ع. 8، س. 1398هـ/1978م، ص ص 21-26.

311. (—)، "سوس عند الجغرافيين و المؤرخين قديما وحديثا"، مجلة المناهل تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، الرباط-المغرب، ع. 23، س. 1402هـ / 1982، ص ص 9-26.
312. القاضي محمد، "معركة وادي المخازن 1578م" مجلة الوعي الإسلامي تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ع. 391، س. 35، س. 1419هـ/1998م، ص ص 39-38.
313. القدوري عبد المجيد، "البحر في المتخيل المغربي"، مجلة الملتقى للأبحاث والدراسات، المغرب، ع. 4، س. 1999م، ص ص 5-24.
314. الكيلاني إبراهيم، "مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة الأيوبية والمملوكية والعثمانية"، مجلة التراث العربي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، سوريا، مج. 13، ع. 49، س. 1992م، ص ص 33-63.
315. لزغم فوزية، "الحركة العلمية بالمغرب في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي على ضوء كتاب روضة الأس العاطر الأنفاس، للشيخ أحمد المقرئ"، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة نواكشوط فريق بحث المعارف للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع. 42، س. 2020م، ص ص 243-278.
316. لقبايبي توفيق محمد، "جوانب من تاريخ الإقتصاد المغربي في العهد السعودي (قطاع السكر أنموذجا)"، مجلة ضفاف تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، المغرب، ع. 1، س. 2013م، ص ص 79-98.
317. مبرك فيصل، "سلطة مقدمي الجهاد بتطوان وشفشاون خلال القرن 16 ميلادي" مجلة أفكار وأفاق تصدر عن جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، الجزائر، مج. 7، ع. 2، س. 2019، ص ص 201-221.
318. محمد أبو رحاب محمد السيد، "قصر البديع السعودي بمدينة مراكش في ضوء المصادر والبقايا الأثرية"، المجلة العلمية لكلية الآداب، بسوهاج-مصر، ع. 32، س. 2011م، ص ص 827-880.
319. محمد السويكت بن فهد، "مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية"، مجلة جامعة الملك سعود تصدر عن كلية الآداب جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية، مج. 19، ع. 1، س. 2006م، ص ص 177-221.

320. مزين محمد، "مراكش وذهب السودان"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض، المغرب، ع. 8، س. 1992م، ص ص 114-92.
321. المشهداني ياسر عبد الجواد، "النفوذ البرتغالي وأثره على الهند الإسلامية (904-920هـ/1498-1514م)"، مجلة التربية والعلم تصدر عن كلية التربية - جامعة الموصل، العراق، مج: 14، ع. 2، س. 2007، ص ص 43-23.
322. المعاشي مراد، "دور الفقهاء في التصدي لبعض المستحدثات خلال العهد السعودي(التبغ أنموذجا)"، مجلة ليكسوس الإلكترونية متخصصة في التاريخ والعلوم الإنسانية، المغرب، ع. 21، س. 2018م، ص ص 54-45.
323. معروف للاصفية، عائشة كنتوري، "زراعة وصناعة السكر بالمغرب من خلال نصوص تاريخية ق 10-16م"، مجلة أمل، المغرب، مج. 22، ع. 43، س. 2014م، ص ص 77-67.
324. المنصوري عثمان، "المنتجات الفلاحية كمادة للتبادل التجاري في المغرب القرن 16م"، مجلة أمل، المغرب، مج. 3، ع. 9، س. 1997م، ص ص 28-11.
325. (—)، "بعض قضايا البحث الديمغرافي في الفترة الحديثة (القرن 16م أنموذجا)"، مجلة كناش متخصصة في الديمغرافيا التاريخية تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الأول، المغرب، ع. 1، س. 1992م، ص ص 90-83.
326. (—)، "تأثير الضرائب على النشاط التجاري بالمغرب القرن السادس عشر الميلادي"، مجلة أمل، المغرب، مج. 2، ع. 6، س. 1995م، ص ص 51-35.
327. (—)، "تاريخ المرأة المغربية في العصر الحديث مقارنة أولى"، مجلة أمل، المغرب، ع. 13-14، س. 1998م، ص ص 164-150.
328. مهدي سيد أحمد، "دعوى المهدوية: العوامل والآثار"، مجلة أنثروبولوجية الأديان، يصدرها مخبر أنثروبولوجيا الأديان ومقارنتها دراسة سوسيو أنثروبولوجيا جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، مج. 13، ع. 1، س. 2017، ص ص 121-104.
329. المودن موسى، "معركة وادي المخازن بالقصر الكبير - معركة المصير -"، مجلة ليكسوس مجلة إلكترونية متخصصة في التاريخ والعلوم الإنسانية، المغرب، ع. 35، س. 2020م، ص ص 58-43.

330. ناجيه عمر، " الجوار وامتداداته التاريخية بين المغرب وغرب الصحراء الكبرى والسودان الغربي من خلال النشاط التجاري "، مجلة البحث التاريخي تصدر عن الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب، ع. 13-14، س. 2017، ص ص 189-217.
331. نجاه المريبني، " من الملوك الشعراء أبو العباس أحمد المنصور السعدي "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض، المغرب، ع. 8، س. 1992، ص ص 73-91.
332. نصر الله علي صدام، " الخصوصية الجغرافية لمنطقة المغرب الأقصى وآثارها التاريخية"، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة البصرة، العراق، مج. 36، ع. 3، س. 2011، ص ص 129-142.
333. هريود العيساوي محمد أحمد، " الأبعاد السياسية الإدارية والإقتصادية لدولة الأشراف السعديين للفترة (915-1070هـ/1509-1659م) دراسة تاريخية "، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية تصدر عن كلية الآثار جامعة سامراء، العراق، مج. 6، ع. 17، س. 2019، ص ص 135-150.
334. يحي بصراوي، " الحضور المغربي في المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي "، دورية كان التاريخية تصدر عن مؤسسة كان التاريخية، الكويت، ع. 27، س. 2015، ص ص 9-17.

سابعا: المقالات والدوريات الأجنبية.

335. Azevedo Mea Elvira, " Les Juifs du Maroc-Un pont entre deux rives ? " La Revue de Sémiotique Méditerranéenne des Formes Civilisationnelles, Maroc, N° 7-8. année. 2011, p p52-68.
336. Bouachan Mouhcine, " Le Maroc et l' Angleterre à l'époque saàdienne: L' ambassade de Abdel Wahed Ibn Massaoud Anoun ", Revue " enlightenment " pour la Recherche humanitaire et Sociale. Délivré par l'Institut des Sciences Humaines et Sociales, Centre Universitaire aflu, Alger, vol.15, 2020, p p 442-454.
337. Brahim Harakat, " Les Makhzen sa'adien ", Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, , Maroc, N°15-16, 1973, pp 43-60.
338. BROWN J.A.O.C, " 'Orientalism', 'Occidentalism' and Anglo-Moroccan relations in the 16th and 17th: a case study in historicizing concepts of discourse ", SOAS Journal Of Graduate Research University of London, vol.1, 2005, p1-19.

339. Cory Stephen, " The Man Who Would Be Caliph: A Sixteenth-Century Sultan's Bid " **The International Journal of African Historical studies**, Published By: Boston University African Studies Center, Vol.42, No.2, 2009, p179-200.
340. Delafosse Maurice, " Les Relations Du Maroc Avec Les Soudan A Travers Les Ages ", **Hespéris Tamuda** ,T.IV, 2 Trimestre, paris, 1924, p p153-174.
341. Delafosse Maurisse, " LES debuts des troupes noire du MAROC " ,**HESPERIS-Tamuda** , vol. iii, paris, 1923, pp 1-12.
342. Dziubunski Andrzej," L'armée et la flotte de guerre marocaines à l'époque des sultans de la dynastie saadienne ", **Hespéris Tamuda**, v.xiii, paris, 1972 , pp61-94.
343. F. élie de la primaudaie, " Le Commerce et la Navigation De L' Algérie ", **Revue Algérienne et coloniale**, T.ii, paris, Juin 1860, p p1-389.
344. Levtzion Nehemia, Roland Oliver: " The Western Maghrib and Sudan ", **The Cambridge History Of Africa**, publisher Cambridge university press, v.3, 1977, pp331-462.
345. Meunier jean, " Les grand Riad et les bâtiments Saadiens du badi 'à Marrakech selon le plan publié par windus " , **Hespéris-Tamuda**, vol. XLIV, paris, 1957, pp 129-138.
346. Meunier jean, " Les grand Riad et les bâtiments Saadiens du badi 'à Marrakech selon le plan publié par windus " , **Hespéris-Tamuda**, vol. XLIV, paris, 1957, p p129-138.
347. Mostafa Nachoui, " Histoire des épidémies au Maroc: Des pestes à la covid-19 " , **Revue Espace Géographique et société Marocaine** , Maroc, N°40, Septembre 2020, pp5-32.
348. Paul Berthier, " La Canne à sucre richesse de l'ancien Maroc",**Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles –Lettres**, Paris, N.2, 1964, pp376-386.
349. Rosenberger Bernard, " Les juifs au Maroc dans la première moitié du xvième siècle " , **Hespéris-Tamuda**, vol. xxxii, paris, 1999, pp111-160.
350. Vajda Georges," Un recueil de textes judeo-marocaines " , **Hesperis tamuda**, 1 ére partie, 3^e-4^e trim, t .xxxv, paris, 1948, pp 311-358.

ثامنا: المؤتمرات والملتقيات

351. استيتو محمد، " من وسائل مواجهة الفقراء للمجاعات في المغرب خلال العصر الحديث: (نماذج من القرنين 16 و17م) "، الأيام الوطنية العاشرة: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، [د.ط.]، (المغرب: الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2002م)، ص ص 247-269.
352. بن شريفة محمد، " ملامح من شخصية محمد الأول "، ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر، الوسط الطبيعي، التاريخ، الثقافة أيام 13-14-15 مارس 1986م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 02، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1988م)، ص ص 325-338.
353. دادي مارية، " ورقة حول شخصية السلطان المولى محمد الأول "، ندوة الحركة العلمية إلى أواخر القرن التاسع عشر أيام 9-10-11 ديسمبر، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بوجدة، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 3، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1995م)، ص ص 18-21.
354. رزوق محمد، " ملاحظات حول الوجود المغربي بالسودان الغربي خلال فترة أحمد المنصور الذهبي (1578-1603م) "، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع و الدولة عبر تاريخ المغرب، ج.2، [د.ط.]، الدار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بعين الشق، جامعة الحسن الثاني، 1409هـ-1989م، ص ص 287-291.
355. العجلوي الموساوي، " دار السكة بمراكش في العهد السعودي التمويل المعدني وتقنيات الصناعة النقدية "، أشغال الملتقى الثاني 1990م بعنوان " مراكش خلال العصرين المريني والسعدي "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، ع.8، س.1992م، ص ص 105-116.
356. علي المجاطي زكي، " تطورات البنية الإقتصادية لتارودانت عبر التاريخ "، تارودانت حاضرة سوس، أعمال الأيام الدراسية 7-8-9 أبريل 1988م، ط.2، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1997م)، ص ص 55-107.
357. المنصوري عثمان، " تأثير الحروب والكوارث على النشاط التجاري بمغرب القرن السادس عشر "، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج.2، [د.ط.]،

(الدار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الحسن الثاني بعين الشق، 1989م)،
ص ص 167-175.

358. المهناوي محمد، " المغاربة والبحر خلال القرن السادس عشر "، أعمال ندوة البحر في تاريخ المغرب، أيام 24 و25 و26 أكتوبر 1996م، (المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية والجمعية المغربية للبحث التاريخي، 1996م)، ص ص 19-33.

359. (—)، " دور التجارة الأوروبية في تعزيز الهياكل السياسية بمغرب القرن السادس عشر من خلال نموذج السلاح الناري "، ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج.2، (الدار البيضاء: كلية الآداب و العلوم الإنسانية - عين الشق، 1989م)، ص ص 177-203.

تاسعا: الرسائل الجامعية

360. الإدريسي الفقيه، الحياة في عهد الدولة السعدية: مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب، ج.2، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس، 1994-1995م.

361. استيتو محمد، الكوارث الطبيعية في تاريخ مغرب القرن 16م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا شعبة التاريخ الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، 1987-1988م.

362. آيت حبوش حميد، الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الجزائر والمغرب الأقصى من خلال رحلتي الوزان والتمقروتي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه للعلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس - الجزائر، 1434-1435هـ/2013-2014م.

363. بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغبيين الأوسط و الأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين (633-962هـ/1233-1554م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -، 1434-1435هـ/2013-2014م.

364. بن قומר جلول، معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا البرتغال-إسبانيا-فرنسا (986هـ-1578م/1012هـ-1603م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة

الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة غرداية-الجزائر، 1431هـ-1432هـ/2010-2011م.

365. حسين الموسوي إيناس كاظم، الدولة السعدية في عهد الخليفة أحمد المنصور الذهبي (986-1012هـ/1578-1603م)، رسالة قدمت لنيل درجة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب - قسم التاريخ، جامعة ذي قار العراق، 2016-2017م.

366. حفيان رشيد، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013-2014م.

367. داوادي دواد، العلاقات التجارية بين المغرب ودول غرب أوروبا المتوسطة خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تخصص: التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة غرداية- الجزائر، 1433-1434هـ/2012-2013م.

368. دكاني نجيب، الإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري 10هـ السادس عشر ميلادي 16م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2001-2002م.

369. رحمونة بليل، القناصل والفتصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010/2011.

370. عبد الرحمن قدوري، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 9 و10هـ/15 و16م دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان الجزائر، 2010-2011م.

371. عبد الرحمن مؤذن عبد العزيز، كسوة الكعبة: وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى- مكة المكرمة، 1981-1982م.

372. عمر بلشير، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6 إلى 9هـ / 12-15م من خلال كتاب (المعيار) للونشريسبي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران - الجزائر، 2009-2010م.
373. غربي الحواس، السيادة السعدية بالبلاد السودانية (1519-1660م) دراسة سياسية وعسكرية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 1429-1430هـ/2008-2009م.
374. قاسم فيصل، الحركة التجارية بين موانئ بلدان المغرب خلال العهد العثماني، مذكرة مكملة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2013-2014م.
375. كمال بن سنوسي، مصادر البحث في الموسيقى الأندلسية بالمغرب العربي - جمع ودراسة-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تخصص الفنون الشعبية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -، الجزائر، 2015-2016م.
376. محمد البياتي بان علي، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (القرن 3- 5/9-11م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في آداب في تاريخ المغرب الإسلامي، كلية التربية للبنات - قسم التاريخ، جامعة بغداد -العراق، 2003-2004م.
377. محمد عيوني، دور الرقيق في الحياة السياسية والثقافية ببلاد المغرب والأندلس خلال القرنين 4 و5 الهجريين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص حضارة إسلامية، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية، جامعة الجزائر 1، 1433-1434هـ/2012-2013م.
378. مختار بونقاب، الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرنين 18م 19م، رسالة مرشحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2015/2016م.
379. مداح عبد القادر، التواصل الصوفي بين الطرق الصوفية في المغرب الأقصى وغرب الجزائر 1518-1830م الطريقة الهبرية نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم

في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجبيلي ليايس سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2017م.

380. هوارى موسى، تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (من القرن 1-7هـ/13-7م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2015-2016م.

عاشرا: القواميس والمعاجم.

381. ابن عزوز حكيم محمد، "الناصر ابن عبد الله الغالب"، معلمة المغرب، ج.22، [د.ط.]، (المغرب: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا، 1426-2005م)، ص 7376-7377.

382. (—)، "بني رزين"، معلمة المغرب، ج.5، [د.ط.]، (المغرب: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا، 1413هـ/1992م)، ص 1527-1528.

383. (—)، "داود بن عبد المومن"، معلمة المغرب، ج.12، [د.ط.]، (الرباط: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا، 1410هـ/1989م)، ص 3947.

384. بابتي عزيزة فوال، موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، ج.4، [د.ط.]، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1971م).

385. بن سالم القحطاني جابر، موسوعة جابر لطب الأعشاب، ج.1، 3، ط.2، (الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 1429هـ/2008م).

386. بن عبد الجليل عبد العزيز، "الغيطة"، معلمة المغرب، ج.19، [د.ط.]، (المغرب: مطابع سلا، 1425هـ/2004م)، ص 6370.

387. (—)، "مادة الملحون"، معلمة المغرب، ج.21، [د.ط.]، (المغرب: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1426هـ/2005م)، ص 7254-7255.

388. بنعبد الله عبد العزيز، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، ج.4، [د.ط.]، (المحمدية: مطبعة فضالة، 1401هـ/1981م).

389. بوسلام محمد، "العمامة"، معلمة المغرب، ج.18، [د.ط.]، (المغرب: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا، 1424هـ/2003م)، ص 6182-6183.

390. بوشارب أحمد، " انماي "، معلمة المغرب، ج.3، ط.2، (الرباط، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر دار الأمان، 1435هـ/2014م)، ص 867.
391. حلاق حسان، عباس صباغ، المعجم في المصطلحات: الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية المصطلحات الإدارية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعائلية، ط.1، (بيروت: دار العلم للملايين، 1999م).
392. ديمتري جورج صاوة، قاموس كتاب الأغاني للاصبهاني: قاموس موسيقى واجتماعي لقصص المطربين والعاظفين، [د.ط.]، (بوسطن: دار بريل للنشر في ليدن المحروسة، 2015م).
393. وكالة رشيد، محمد الرفاص، وآخرون، أطلس المغرب، [د.ط.]، (باريس: Edition tous droite réservés les éditions j.a aux éditions du jaguar، 2003م).
394. رمضان محمد، " مادة النحل "، معلمة المغرب، ج.22، [د.ط.]، (سلا: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1410هـ/1989م)، ص ص 7419-7420.
395. رينهات دوزي، تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم النعيمي، (العراق: دار الرشيد للنشر، 1980م).
396. الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج.1، 4، 5، 6، ط.15، (لبنان: دار العلم للملايين، 2002م).
397. زهر الدين صالح، موسوعة معارك العرب، تق: العماد مصطفى طلاس، اللواء الركن رياض تقي الدين، ط.1، (بيروت: دار الندوة الجديدة، 1420هـ/2000م).
398. شويخات أحمد مهدي وآخرون، الموسوعة العربية العالمية، ج.5، 8، 9، 14، 18، 21، 26، ط.2، (المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م).
399. صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، [د.ط.]، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ/2000م).
400. عبد الكريم الخطيب مصطفى، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط.1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1416هـ-1996م).
401. قاسم محمود، موسوعة الحضارات المختصرة، ط.1، (مصر: المكتبة الأكاديمية، 1433هـ/2012م).

402. كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، ج.1، [د.ط.]، (دمشق: مؤسسة الرسالة، 1414هـ/1993م).
403. كنون عبد الله، موسوعة مشاهير رجال المغرب، مج.5، ط.2، (القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1414هـ/1994م).
404. الكيالي عبد الوهاب وآخرون، موسوعة السياسة، ج.2، 4، 5، 7، [د.ط.]، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، [د.س.]، ص 709).
405. لانجر وليم، موسوعة تاريخ العالم، تر: محمد مصطفى زيدة، ج.4، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963م).
406. محمد نصار حسين وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، ط.1، (بيروت: المكتبة العصرية، 1431هـ/2010م).
407. محمود محاسيس نجاة سليم، معجم المعارك التاريخية: معارك، غزوات، حروب، ثورات، وقعات، أيام، فتوحات، مذابح عبر العصور التاريخية منذ فجر التاريخ وحتى عام 2005م، ط.1، (عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2011م).
408. المغراوي محمد، " الحسبة بالمغرب "، معلمة المغرب، ج.10، [د.ط.]، (سلا: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1410هـ/1989م)، ص ص 3403-3408.
409. مقلد الغنيمي عبد الفتاح، موسوعة المغرب العربي، ج.6، ط.1، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1414هـ/1994م).
410. منصور زينب، معجم الأمراض وعلاجها أول معجم شامل بكل مصطلحات الأمراض المتداولة في العالم وتعريفاتها، [د.ط.]، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2009م).
411. نبهان يحي محمد، معجم مصطلحات التاريخ، ط.1، (عمان: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، 2007م).
412. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط.2، (بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1400هـ/1980م).
413. هوتسما م.ت، وآخرون، موجز دائرة المعارف الإسلامية، تر: إبراهيم زكي وآخرون، ج.1، ط.1، (الإمارات: مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1418هـ/1998م).
414. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية، ج.11، ط.2، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1408هـ-1988م).

إحدى عشر: المواقع الالكترونية:

415. الموقع الالكتروني:

-https://tarikh5.blogspot.com/2020/07/blog-post_33.html.

الساعة: 14:47. اليوم: 2022/06/03.

416. الموقع الالكتروني:

-<https://www.montadamahdi.net/essaydetails.php?eid=5424&cid=47>

الساعة: 19:53. اليوم: 2022/06/04.

الفهنا برسین

- 1- فہم برسین، الإعلامین.
- 2- فہم برسین، الإیمانکن، والملائکین.
- 3- فہم برسین، القبائلک، والجماعیات



فَهَيْسَ مِنْ الْأَعْلَاءِ هَيْسٌ



-(١)-

- أبو سعید الثالث: ص 249.
- أبو عنان المرینی: ص 248.
- إبراهیم بن عبد الله الحسانی: ص 219.
- إبراهیم حرکات: ص 52، 60، 74.
- إبراهیم علی حسن: ص 33، 65، 66.
- ابن القاضي: ص 52، 66، 152، 149، 204، 208.
- ابن المبارك: ص 37.
- ابن حدو: ص 24.
- ابن زید عبد الرحمن: ص 32.
- ابن عامر: ص 24.
- ابن عسکر: ص 246.
- ابن قرقوش: ص 63، 64، 166.
- إبنی سعد: ص 34.
- أبو القاسم الزیانی: ص 35، 36.
- أبو القاسم الغزفی: ص 248.
- أبو جعفر العاقل الصنهاجی: ص 79.
- أبو حسون الوطاسی: ص 40، 115، 243.
- أبو علی حرزوز: ص 238.
- أبي البرکات الثاني: ص 70.
- أبو عبد الله بن الشيخ أبي الحسن البکری: ص 129.
- أبو عبد الله محمد بن عیسی الصنهاجی: ص 76.
- أبو الحسن المرینی: ص 121.
- أبو العباس الوطاسی: ص 116، 117.
- أبو حمو الزیانی: ص 114.
- أبو سلیمان داود: ص 61.

- أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله: ص 21، 32، 37، 38، 71، 73، 74، 75، 99، 159، 161، 162، 259، 263.
- أبو فارس: ص 24، 60، 107.
- أبو يعقوب يوسف المريني: ص 248.
- أحمد الأعرج: ص 38، 40، 73، 75، 162، 168، 246.
- أحمد المنصور: ص 41، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 54، 55، 56، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 85، 86، 87، 88، 89، 91، 94، 95، 96، 97، 101، 102، 104، 105، 106، 107، 110، 111، 112، 113، 118، 119، 120، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 132، 133، 134، 135، 137، 139، 140، 142، 148، 149، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 163، 164، 165، 166، 169، 178، 179، 180، 182، 183، 184، 188، 189، 190، 191، 194، 195، 196، 198، 201، 203، 204، 205، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 223، 224، 225، 226، 227، 229، 231، 239، 240، 242، 245، 247، 249، 250، 251، 252، 254، 255، 256، 257.
- أحمد بابا التبتكتي: ص 135.
- أحمد بن علي المنجور: ص 51.
- أحمد بن يحيى الهوزالي: ص 119.
- آدموند هوكان: ص 109.
- أرنول دو ليسل: ص 231.
- إسحاق الأول: ص 122.
- إسحاق الثاني: ص 126، 132، 133، 137.
- إسماعيل العلوي: ص 241.
- الأفراني: ص 32، 33، 34، 35، 39، 46، 49، 60، 67، 118، 127، 160، 164، 165، 166، 178، 188، 214، 223، 226، 238، 239.
- ألكسندر السادس: ص 26.

- إيزابيث الأولى: ص 108، 109.
- أنطوان دو بوربون: ص 103.
- أنطونيو دي صالدانيا: ص 49، 50، 64، 112، 169، 183، 210، 229.
- إيزابيلا دي كاستيليا: ص 26.

- (ب) -

- بدر الدين القرافي: ص 129.
- بن أبي القاسم: ص 32.
- بن أبي بكر: ص 32.
- بن أبي محمد: ص 32.
- بن إسماعيل: ص 32.
- بن الحسن: ص 32.
- بن الحسن السبط: ص 32.
- بن الحسن المثنى: ص 32.
- بن الشيخ: ص 129.
- بن بكر: ص 34، 35.
- بن زرقون: ص 49، 133، 214.
- بن عبد الجليل: ص 256.
- بن عبد الله الأشتر: ص 32.
- بن عبد الله الكامل: ص 32.
- بن عرفة: ص 32.
- بن علي: ص 32.
- بن علي بن مخلوف: ص 32.
- بن قاسم: ص 32.
- بن محمد المهدي (النفس الزكية): ص 32.
- بركات بن محمد: ص 37.

- (ج) -

- جودا باشا: ص 130.
- جيريير دولابالم: ص 106.
- جيل جيرار: ص 106.

- (ح) -

- حسن الوزان: ص 28، 175، 176، 177، 179، 219، 230، 232، 234، 235، 240، 242.
- حليلة بنكرعي: ص 219.
- الحرة مسعودة: ص 43.
- الحكم الرضي: ص 201.
- الحميدي: ص 254.

- (د) -

- داود بن عبد المؤمن: ص 61.
- دون سيبيستان: ص 49، 54، 57، 58، 101، 107.
- دون كريستوف: ص 96.
- ديبكثودي طوريس: ص 230، 242.
- الدالي: ص 137.

- (ر) -

- رمضان باشا: ص 62.
- روبير بوردو: ص 104.
- رياس: ص 183.

- (ز) -

- زهرة بنت الشيخ عبد الله الكوش: ص 246.

- زیدان: ص 32، 33، 35، 36، 60، 224، 247.

- (س) -

- سلیم الثاني: ص 45.

- سليمان القانوني: ص 72، 93، 116، 117.

- (ش) -

- شارل التاسع: ص 104.

- شقرون بن هبة الله: ص 51.

- (ط) -

- طوماس ويندهام: ص 108.

- (ع) -

- عائشة بنت أبي بكر الشبانية: ص 60.

- عائشة بنت أم محمد بن عبد الله الإدريسي: ص 246.

- عبد الرحمان السعدي: ص 138.

- عبد الله الغالب: ص 41، 44، 45، 62، 63، 64، 84، 93، 100، 103، 104، 108،

109، 118، 139، 154، 156، 168، 223، 228، 247.

- عبد الله الغزواني: ص 246.

- عبد الملك: ص 41، 45، 46، 47، 48، 53، 54، 55، 56، 84، 115، 209.

- عبد المؤمن: ص 61، 65.

- عبد الواحد الحميدي: ص 51، 254.

- عبد الواحد عنون: ص 96، 265.

- عثمان المنصوري: ص 60، 218.

- عثمان بن عفان: ص 200.

- علي بن راشد: ص 23.

- علي بن محمد التمغروطي، ص 251.

- علج علي: ص 119.
- عمر بن الخطاب: ص 200.
- العريفة بنت ابن نحوا: ص 238.

- (غ) -

- غيوم بيار: ص 105، 231.

- (ف) -

- فاطمة الزهراء: ص 32.
- فرانسوا الأول: ص 103.
- فرديناند دي أراغونا: ص 26.
- فرناند بروديل: ص 218، 220.
- فيليب الثاني: ص 64، 111، 112.
- الفشتالي: ص 126، 148، 165، 182، 183، 203، 240، 251، 252، 254، 255، 256.
- الفونصو الخامس: ص 99.

- (ق) -

- قاسم الزرهوني: ص 238.
- القيصر تيتوس: ص 206.

- (ل) -

- لورانس مادوك: ص 165.
- لويس التاسع: ص 103.

- (م) -

- مارمول كرىخال: ص 219، 241، 244.
- محمد (فتحا) بن الشرف: ص 35.
- محمد أسكيا: ص 121.
- محمد الأعرج الثاني: ص 122.
- محمد الأوراني: ص 137.
- محمد الشفخ: 21، 35، 38، 39، 40، 41، 43، 44، 61، 66، 67، 68، 72، 75، 84، 92، 93، 98، 100، 103، 112، 115، 116، 117، 122، 154، 156، 160، 161، 162، 168، 178، 200، 201، 207، 210.
- محمد المهناوي: ص 84، 181.
- محمد الناصر: ص 108.
- محمد بن المبارك: ص 37.
- محمد بن فحى: ص 129.
- محمود باشا: ص 49، 132، 133، 214.
- محمود كعت: ص 138.
- مراد الثالث: ص 46، 73، 119، 120.
- مرزوق رفس: ص 112.
- مررم: ص 249.
- مسعودة الوزكففة: ص 45، 229، 247.
- المأمون: ص 62، 66، 67، 68، 74، 75، 97.
- المتوكل: ص 41، 47، 54، 55، 57، 58، 59، 61، 85، 93، 94، 100، 101، 109، 112، 118، 139، 154، 165، 182.
- المسنصر: ص 200.
- المقرى: ص 34، 76، 311.
- المنسى سلفمان: ص 121.
- المنسى موسى: ص 121.

- (ن) -

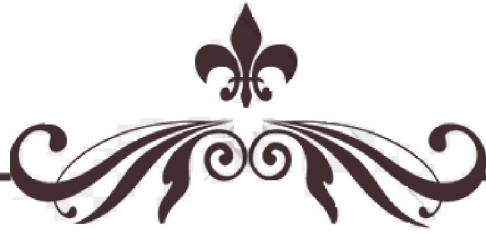
- الناصر بوشنتوف: ص 39.
- الناصري: ص 33، 34، 36، 48، 66، 119، 135، 159، 160، 223، 225، 229.

- (هـ) -

- هنري الثالث: ص 105.
- هنري الرابع: ص 104، 106.
- هنري روبرنس: ص 111.

- (ي) -

- يحي بن تافونت: ص 38.
- يوحنا الثالث: ص 54.



فَهَيْبَةُ سَيِّدِ الْأُمَمِ كُنْ وَوَالِي الْمَلِكَاتِ



- (أ) -

- إديكيس: ص 185.
- أزغار: ص 69، 172، 173.
- أزمور: ص 24، 27، 39، 54، 57، 100، 176، 177، 187.
- إسبانيا: ص 25، 54، 58، 59، 64، 65، 81، 87، 91، 93، 94، 95، 96، 97، 103، 106، 107، 112، 113، 119، 124.
- إسطنبول: ص 114، 115.
- آسفى: ص 39، 100، 188، 201، 202.
- أصيلا: ص 54، 58، 167، 187.
- أغادير: ص 27، 78، 109، 180، 188، 195.
- أغمات: ص 186.
- الأطلس الكبير: ص 144، 194.
- الإنجليز: ص 86، 87، 95، 97، 100، 105، 108، 109، 110، 111.
- الأندلس: ص 29، 31، 47، 53، 54، 82، 83، 91، 107، 110، 121، 128، 148، 149، 169، 182، 183، 193، 198.
- الإيطالي: ص 97، 155، 157، 178، 212.

- (ب) -

- بادس: ص 26، 84، 93، 192.
- بريطانيا: ص 105، 108، 112، 113.
- البرتغال: ص 22، 23، 25، 27، 28، 29، 31، 34، 37، 38، 39، 41، 44.
- البندقية: ص 178.
- بولعون: ص 186.

- (ت) -

- تادلة: ص 180، 273.
- تارودانت: ص 33، 51، 125، 158، 162، 163، 176، 182، 186، 190، 234.

- تارودني: ص 131.
- تازة: ص 65، 144، 245.
- تافزة: ص 24.
- تامسنا: ص 67، 273.
- تامكروت: ص 33.
- تانسيفت: ص 130، 145، 188، 203.
- تطوان: ص 23، 188، 194، 202.
- تغازا: ص 122.
- تفيلالت: ص 177.
- تكمادرت: ص 33.
- تكورارين: ص 69.
- تكوداست: ص 173.
- تلمسان: ص 35، 44، 62، 68، 94، 114، 115، 128، 193.
- تمبكتو: ص 133، 178، 186، 201.
- تندبي: ص 131.
- تندوف: ص 130.
- تنسيطة: ص 24.
- توات: ص 163، 191.
- تونس: ص 21، 28، 45، 46، 70، 94، 103، 191، 192، 193، 218، 247.
- تيدسي: ص 37، 185، 273.
- تيوت: ص 158.

- (ث) -

- ثورديسلاس: ص 26.

- (ج) -

- جبال اداو إزكواغن: ص 176.
- جبال الأطلس: ص 186، 195، 206.

- جبال الريف: ص 146، 143، 223.
- جبال إيغليانغيل: ص 176.
- جبال بني بوشبيت: ص 171.
- جبال غمارة: ص 63، 64، 164.
- جبال هنكيسة: ص 176.
- جبل ايلالن: ص 179.
- جبل بني جنفن: ص 172.
- جبل بني مراسن: ص 173.
- جبل بني يازغة: ص 178.
- جبل زلاغ: ص 148، 171.
- جبل سكيم: ص 173.
- جبل طارق: ص 83، 91، 143، 146.
- جبل مدغرة: ص 66.
- جبل مسطا: ص 173.
- جبلي تانزيرا: ص 186.
- جزيرة مالطة: ص 208.
- جزر الكناري: ص 124، 169.
- جزيرة أرجوين: ص 96.
- جزيرة كريت: ص 169.
- جنوة: ص 175.
- الجبل الأخضر: ص 24، 175.
- الجزائر: ص 22، 28، 31، 44، 46، 47، 59، 62، 70، 85، 88، 92، 102، 115، 118، 119، 120، 143، 180، 183، 191، 192، 193، 218، 223، 255، 259.
- الجزيرة الأيبيرية: ص 25، 175، 206.

- (ح) -

- حاحا: ص 38، 162، 172، 173، 185، 233، 241.

- حصن سانتكروز: ص 27.
- حلق الوادي: ص 46، 85.

- (خ) -

- خليج غنيا: ص 187.

- (د) -

- درعة: ص 33، 35، 68، 122، 159، 162، 178، 187، 201.
- دلس: ص 21.
- دكالة: ص 25، 31، 150، 161، 173، 177، 180، 193، 201، 225، 247، 273.

- (ر) -

- الرباط: ص 27، 78، 86، 193، 202، 203.

- (ز) -

- زاكورة: ص 33.
- زرواغة: ص 186.

- (س) -

- سبتة: ص 23، 27، 58، 112، 143، 171، 188، 248.
- سبو: ص 92، 144، 145، 174، 188، 194، 227.
- سجماسة: ص 33، 44، 68، 78، 88، 122، 158، 186.
- سلا: ص 145.
- سوس: ص 145، 158، 159، 161، 163، 164، 167، 168، 169، 170، 171، 180، 186، 195، 199، 200، 201، 205، 207، 211، 214، 219، 220، 222، 225، 233، 253، 274.
- الإسبان: ص 28، 29، 41، 44، 45، 46، 58، 63، 64، 65، 84، 87، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 100، 102، 104، 105، 106، 107، 109، 110.

111، 112، 114، 115، 116، 124، 146، 155، 157، 170، 183، 189، 193،
194، 195، 202، 205، 206، 223، 239، 240، 242، 255، 262.

- السودان الغربي: ص 49، 50، 73، 86، 88، 91، 103، 112، 120، 121، 122،
123، 124، 125، 126، 127، 129، 130، 133، 134، 135، 137، 138، 139،
140، 142، 165، 178، 190، 191، 195، 205، 214، 245، 261، 265، 271.

- (ش) -

- شبه جزيرة أيبيريا: ص 26.

- شنقيط: ص 146.

- شفشاون: ص 202.

- (ص) -

- صقلية: ص 45، 119، 169.

- صنغاي: ص 60، 122، 123، 126، 131، 134، 137.

- (ع) -

- عين صالح: ص 146.

- العرائش: ص 46، 58، 78، 85، 92، 94، 95، 96، 101.

- (غ) -

- غرناطة: ص 26، 202، 206، 242، 248.

- (ف) -

- فاس: ص 21، 22، 23، 28، 29، 31، 35، 36، 37، 40، 41، 43، 46، 47، 51،
54، 59، 60، 63، 66، 67، 68، 71، 74، 75، 78، 88، 92، 93، 98، 99، 103،
107، 114، 115، 116، 118، 119، 144، 145، 148، 158، 159، 160، 161،
171، 174، 178، 179، 180، 182، 185، 186، 188، 192، 193، 202، 203،
204، 205، 211، 213، 222، 223، 224، 225، 227، 230، 231، 232، 238،
240، 242، 243، 245، 273.

- فشتالة: ص 40.

- فونتي: ص 100.

- (ق) -

- قانس: ص 96، 107.

- قبرص: ص 169.

- قرطبة: ص 70.

- قشتالة: ص 59، 68، 103.

- القسطنطينية: ص 45، 46، 55، 117، 119، 120.

- القصر الكبير: ص 49، 101، 167.

- القصر الصغير: ص 27، 103.

- (ك) -

- كارابارا: ص 131.

- كاغو: ص 127، 129، 131، 137.

- (ل) -

- لشبونة: ص 64.

- ليبيا: ص 21، 191.

- (م) -

- مازاكان: ص 39، 100.

- ماسا: ص 27.

- مراکش: 24، 27، 29، 30، 35، 39، 40، 43، 47، 51، 58، 59، 60، 62، 68،

70، 72، 74، 75، 79، 82، 108، 120، 126، 130، 135، 150، 157، 158،

169، 173، 178، 181، 182، 185، 186، 187، 188، 190، 199، 200، 201،

202، 203، 204، 207، 209، 210، 211، 215، 216، 223، 224، 228، 229،

237، 241، 249، 250، 254.

- مصر: ص 67، 70، 116، 117، 122، 129، 169، 200.
- مكة: ص 67، 70، 71، 115، 251.
- مكناس: ص 40، 62، 63، 68، 144، 185، 199، 202، 211.
- مليلية: ص 65، 179، 180، 223.
- موكادور: ص 27.
- ملوية: ص 22، 144.
- المحمدية: ص 158، 168.
- المدينة المنورة: ص 67، 71.
- المعمورة: ص 92، 93، 194.
- المغرب: ص 66، 70، 71، 73، 75، 78، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 119، 120، 122، 123، 125، 126، 135، 138، 139، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 150، 153، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 163، 164، 167، 168، 170، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 206، 209، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 265، 269، 273.

- (ن) -

- نهر أبي رقرق: ص 193.
- نهر اللوكوس: ص 145.
- نهر النيجر: ص 86، 123، 131، 133.
- نهر أم الربيع: ص 145، 186، 188.
- نهر تنسبفت: ص 145.
- نهر واد مرتيل: ص 194.

- (ه) -

- هكسورة: ص 199.
- هولند: ص 91، 96، 100، 106، 107، 181، 183، 190.

- (و) -

- وادي اللبن: ص 223.
- وادي المخازن: ص 43، 48، 53، 55، 56، 57، 58، 59، 64، 66، 72، 73، 81، 86، 94، 101، 105، 107، 110، 118، 119، 125، 164، 195، 207، 208، 212، 213، 223، 245، 259، 265، 269.
- وادي سبو: ص 92، 188.
- وياغو: ص 82.
- طنجة: ص 27، 58، 187، 225.
- وهران: ص 93.



فَهِيَ مِنْ الشَّعْبِ وَالْقَبَائِلِ

- (أ) -

-ازداجة: ص 201.

-آل فرحون: ص 24.

-الأتراك: ص 46، 48، 71، 81، 242.

-الادارسة: ص 202.

-الدولة العباسية: ص 80، 203، 242.

-الأموي: ص 71، 202.

-الأيبيري: ص 21، 25، 54، 99، 103، 143، 172، 177، 184، 186، 207، 215،

262، 263، 269.

-إمارة دبو: ص 24.

-أورية: ص 201.

-أوريغة: ص 201.

-آيت عياض: ص 173.

- (ب) -

-برنو: ص 83.

-بن عامر: ص 203.

-بنو رزين: ص 246.

-بنو زيان: ص 21.

-بنو عبد الوادي: ص 21.

-بنو مرين: ص 22، 117، 196، 197، 241.

-بنو هلال: ص 203.

-بنويستيثن: ص 159.

-بنو العباس: ص 203.

-بنو المنظري: ص 23.

-بنو راشد: ص 23.

-بنو سعد: ص33، 34، 35.

-بنو معقل: ص 63، 203.

-بنو هانتاة: ص 24.

-البتير: ص 201.

-البرانس: ص 105، 179، 201، 202.

-البربر: ص 112، 138، 171، 192، 200، 201، 202، 203، 210، 244.

- (ح) -

-الحفصيون: ص 21، 47، 71، 72.

- (ج) -

-جزولة: ص 37، 101، 182، 184، 189، 202، 244.

-جراوة: ص 22، 201.

- (خ) -

-الخوارج: ص33، 202.

- (د) -

-الدولة الحمادية: ص 202.

-الدولة السعدية: ص 210، 213، 217، 243، 246، 249، 262، 263، 266.

-الدولة العثمانية: ص41، 44، 56، 60، 71، 77، 81، 84، 86، 87، 89، 90، 92، 103،

114، 115، 116، 117، 118، 140، 141، 183، 192، 193، 213، 260،

262، 263.

-الدولة العلوية: ص35، 83.

- (ز) -

-زناتة: ص 201.

-زيان: ص 201.

-الزنوج: ص 190، 194، 209، 212، 216، 243، 246، 249، 259.

- (ش) -

- الشياظمة: ص 38، 164، 276.

- (ص) -

- صنهاجة: ص 29، 76، 80، 134، 202.

- (ض) -

- ضرية: ص 201.

- (ع) -

- عجيسة: ص 201.

- عرب الخلط: ص 69.

- العبيد: ص 50، 83، 84، 125، 126، 127، 136، 137، 138، 141، 145، 152،
153، 190، 191، 194، 195، 200، 211، 212، 216، 217، 218، 219، 241،
265.

- العثمانيون: ص 21، 25، 41، 45، 46، 48، 56، 69، 81، 93، 94، 95، 96، 115،
116، 117، 118، 119.

- (ف) -

- فلامنك: ص 185، 216.

- الفاطميون: ص 71، 80، 181، 202، 251.

- (ق) -

- قبائل شراقة: ص 148.

- (ك) -

- كتامة: ص 201، 246.

- كنور: ص 83.

- (ل) -

- لمطة: ص 201.

- لواتة: ص 201.

- (م) -

- مصمودة: ص 173.

- مغراوة: ص 201.

- المرابطين: ص 29، 38، 68، 85، 104، 105، 128، 129، 235، 242.

- المماليك: ص 71.

- الموحدين: ص 21، 29، 71، 73، 93، 104، 128، 129، 151، 235، 242.

- (ن) -

- نفوسة: ص 201.

- (هـ) -

- هنتاتة: ص 24، 39، 184، 203.

- الهالليون: ص 203.

- (و) -

- الوطاسيون: ص 22، 23، 24، 25، 31، 34، 38، 39، 40، 41، 93، 99، 100،

115، 116، 122، 196، 197، 203، 204، 223، 225.

- (ي) -

- اليهود: ص 26، 208، 209، 210، 211، 212، 222، 223، 225، 226، 230، 231،

238، 239، 264، 265.

- يفرن: ص 201.



فہمین سن الخیریات



الإهداء

شكر و عرفان

مقدمة: أ-ق

الفصل التمهيدي: لمحة موجزة عن قيام الدولة السعدية.

- أولاً: الوضع العام للمغرب الأقصى قبيل ظهور الدولة السعدية: 31-21
 أ-: الوضع السياسي: 27-21
 1-1: التفكك والتجزء: 25-21
 2-1: الغزو الأيبيري: 27-25
 ب-: الوضع الإقتصادي: 28-27
 ج-: الوضع الإجتماعي: 30-28
 د-: الوضع الفكري والثقافي: 31-30
 ثانياً: قيام الدولة السعدية: 41-32
 أ-نسب الأشراف السعديين ودخولهم إلى المغرب الأقصى: 36-32
 ب-تأسيس الدولة السعدية: 41-36

الفصل الأول: الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور: (الإصلاح والتحديث).

- أولاً: التعريف بشخصيته: 53-43
 أ-: مولده ونشأته: 53-43
 1-: صفته: 50-48
 2-: ثقافته: 53-50
 ب-: معركة وادي المخازن 1578م: 59-53
 1-السياق التاريخي للمعركة: 59-53
 2-أسباب اندلاع معركة وادي المخازن: 56-53
 أ- الأسباب الخارجية: 56-53
 ب- الأسباب الداخلية: 54
 3- مجريات المعركة: 56-54
 4- نتائج المعركة: 58-56
 ج-: مباحثته وخلافته بالسلطة: 59-58
 د-: وفاته: 59
 ثانياً: سياسته الداخلية: 61
 - دوره في القضاء على الثورات والتمردات الداخلية: 69-61

- أ- القضاء على ثورة داود بن عبد المؤمن (987هـ/1579م): 61-62
- ب- القضاء على ثورة بن قرقوش (996هـ/1589م): 63-64
- ج- القضاء على ثورة الناصر بن عبد الله الغالب (1003-1004هـ/1595-1596م): 64-67
- د- القضاء على ثورة ولده المأمون (1010هـ/1601م): 67-68
- هـ- تمرد العرب الخلط: 68-69
- ثالثا: نظام الحكم في دولته وأهم الإصلاحات التي استحدثها: 70-89
- أ- الجانب السياسي: 70-81
- 1- الخلافة: 70-73
- 2- ولاية العهد: 73-75
- 3- الوزراء: 75-76
- ب- الجانب الإداري: 76-81
- 1- الديوان: 77-78
- 2- القضاء: 78-79
- 3- ختم الرسائل السلطانية (الطغراء): 80
- 4- تشفير الرسائل: 80-81
- ج- الجانب العسكري: 81-89
- 1- الجيش: 81-83
- أ- الجيش النظامي: 81
- ب- جيش المتطوعين: 81
- ج- جيش العبيد: 81-83
- 2- الأسطول: 83-87
- 3- الشرطة: 87-89

الفصل الثاني: العلاقات الخارجية للدولة السعودية في عهد أحمد المنصور.

- أولا: علاقات الدولة السعودية مع القوى الأوروبية: 91-113
- أ- إسبانيا: 91-97
- ب- البرتغال: 98-102
- ج- فرنسا: 102-106
- هـ- هولندا: 106-107
- د- إنجلترا: 108-113
- ثانيا: علاقات الدولة السعودية مع الدول الإسلامية: 114-140
- أ- الدولة العثمانية: 114-120

| | |
|---|---------|
| ب-السودان الغربي: | 120-140 |
| أ-غزو بلاد السودان في عهد أحمد المنصور الذهبي: | 122-140 |
| 1-1: دوافع غزو بلاد السودان الغربي: | 122-124 |
| 1-2: الدوافع الدينية والسياسية: | 125 |
| 1-3: الدوافع الإقتصادية: | 126 |
| 1-4: الدوافع العسكرية: | 126 |
| 1-5: الدافع المباشر: | 126 |
| ب-غزو السودان الغربي: | 127 |
| 1-1: مسألة غزو السودان وموقف المجلس الإستشاري منها: | 127-129 |
| 1-2: مراحل الحملة العسكرية (999هـ/1591م): | 130-134 |
| أ-الحملة العسكرية الأولى: | 130-133 |
| ب-الحملة العسكرية الثانية: | 133-134 |
| ج-: نتائج الحملة على السودان الغربي: | 134-140 |
| 1-سلبات الحملة العسكرية: | 134-137 |
| 2-إيجابيات الحملة العسكرية: | 137-140 |

الفصل الثالث: مظاهر الحياة الإقتصادية زمن أحمد منصور الذهبي.

| | |
|---------------------------------------|---------|
| أولاً: النظام العقاري وطرق الإستغلال: | 142-152 |
| أ- جغرافية المغرب الأقصى: | 142-147 |
| 1-الموقع الجغرافي: | 142-143 |
| 2- التضاريس: | 143-147 |
| أ-الجبال: | 144 |
| ب-الهضاب: | 144 |
| ج-السهول: | 144 |
| د- الأنهار: | 144-145 |
| هـ- المناخ: | 145-146 |
| و- السواحل: | 146 |
| ز التربة: | 146-147 |
| ب- النظام العقاري: | 147-152 |
| 1-أراضي الملكية الفردية: | 147-148 |
| أ-أراضي الجيش: | 148 |
| 1-الأراضي السلطانية: | 148 |

| | |
|---------------------|--|
| 149-148..... | ب- الأراضي الجماعية: |
| 149..... | ج-أراضي الأحباس: |
| 149..... | 1-الأوقاف الخاصة: |
| 150-149..... | 2-الوقف الرسمي: |
| 152-150..... | ج-أدوات الإنتاج وطرق الإستغلال: |
| 151-150..... | 1-أدوات الإنتاج: |
| 152-151..... | 2-طرق الإستغلال: |
| 151..... | أ-في القطاع الخاص: |
| 152-151..... | ب-في القطاع الجماعي: |
| 152..... | ج-في أملاك الدولة و الأحباس: |
| 166-153..... | ثانيا: النظام المالي والسياسة الجبائية: |
| 160-153..... | -العملة: |
| 160-153..... | -أنواع المعاملات النقدية: |
| 155-153..... | أ-النقود الذهبية: |
| 155-153..... | 1-المحلية: |
| 156-155..... | 2-الأجنبية: |
| 156..... | ب-النقود الفضية: |
| 156..... | 1-المحلية: |
| 156..... | 2-الأجنبية: |
| 158-157..... | ج-النقود النحاسية: |
| 159-158..... | هـ-النقود الحديدية: |
| 159..... | ب-مداخل بيت المال: |
| 166-159..... | 1-الموارد الجبائية: |
| 160-159..... | أ-النائبة: |
| 163-161..... | ب-الجبائية الشرعية: |
| 163..... | د-الضرائب التجارية: |
| 163..... | 1-المكوس: |
| 163..... | 2-الجزية: |
| 163..... | 3-الركاز أو خمس المعادن: |
| 163..... | 4-المؤونة أو المؤونة: |
| 164-163..... | 5-الذعائر الزجرية: |

| | |
|--------------|--|
| 165-164..... | 6-الغنائم: |
| 166-165..... | 7-مداخيل السودان: |
| 172-167..... | ثالثا- النشاطات الزراعية وتربية الحيوانات: |
| 172-167..... | أ-النشاط الزراعي: |
| 167..... | 1-الحبوب: |
| 170-167..... | 2-زراعة قطب السكر: |
| 171..... | 3-إنتاج الخضر والفواكه: |
| 171..... | -الخضر: |
| 172-171..... | -الفواكه: |
| 176-172..... | ب-تربية المواشي والدواجن والثروة السمكية: |
| 173-172..... | 1-تربية المواشي: |
| 174..... | 2-تربية الدواجن: |
| 175-174..... | 3-الثروة السمكية: |
| 176-175..... | 4-تربية النحل: |
| 178-176..... | رابعا- النشاطات الصناعية والحرفية: |
| 178-176..... | أ. صناعة النسيج: |
| 177-176..... | 1-الحيالك: |
| 177..... | 2-البرانس: |
| 177..... | 3-الزرابي: |
| 178-177..... | 4-الأغطية: |
| 178..... | 5-صناعة الجلد: |
| 181-178..... | ب-الصناعة المعدنية: |
| 179-178..... | 1-الذهب: |
| 179..... | 2-الفضة: |
| 179..... | 3-الحديد: |
| 180..... | 4-النحاس: |
| 180..... | 5-ملح البارود: |
| 181-180..... | 6-الملح: |
| 181..... | 7-معادن أخرى: |
| 184-181..... | ج-صناعة الأسلحة: |
| 196-184..... | خامسا: النشاط التجاري: |

أ- التجارة الداخلية: 187-184.....
 ب-التجارة الخارجية: 196-187.....

الفضل الرابع: مظاهر الحياة الإجتماعية في عهد أحمد المنصور الذهبي.

أولاً: تركيبية المجتمع السعودي و النمو الديمغرافي: 216-198.....
 أ-تركيبية المجتمع السعودي: 216-198.....
 1-العنصر المحلي: 201-199.....
 أ-البربر: 200-199.....
 1-البربر البرانس: 199.....
 2-البربر البتر: 200-199.....
 ب-العرب: 201-200.....
 2-العنصر الأجنبي: 216-201.....
 أ- الأندلسيون: 206-201.....
 ب-اليهود: 209-206.....
 ج-العثمانيون: 212-209.....
 د-الأوروبيون: 214-212.....
 هـ-السودانيون: 216-214.....
 ب- طبقات المجتمع السعودي: 217-216.....
 ج-النمو الديمغرافي: 221-217.....
 ثانيا: الأوضاع الصحية: 227-222.....
 أ-الكوارث الطبيعية: 227-222.....
 1-الأوبئة: 224-222.....
 2-المجاعات: 226-224.....
 3-باقي الكوارث: 227-226.....
 4-الأمراض المختلفة: 227.....
 ب-الصحة: 231-227.....
 1-طرق مواجهة الكوارث الطبيعية: 228-227.....
 2-بناء المستشفيات: 229-228.....
 3-دور الوقف في تطوير العلاج: 230-229.....
 4-طرق العلاج: 231-230.....
 ثالثاً: الأظعمة: 237-232.....
 رابعاً: اللباس: 243-238.....

| | |
|--------------|-----------------------------|
| 247-243..... | خامسا: المرأة: |
| 248 | سادسا: الإحتفالات والأعياد: |
| 250-248..... | أ - المولد النبوي الشريف: |
| 251-250..... | ب- رمضان: |
| 251..... | ج- العيد: |
| 251..... | د- الحج: |
| 252 | و- عاشوراء: |
| 257-253..... | سابعا: الموسيقى: |
| 263-259..... | الخاتمة: |
| 278-265..... | الملاحق: |
| 318-280..... | قائمة المصادر والمراجع: |
| 342-320..... | الفهارس: |
| 328-321..... | فهرس الأعلام: |
| 337-330..... | فهرس الأماكن والبلدان: |
| 342-339..... | فهرس الشعوب والقبائل: |
| 350-344..... | فهرس المحتويات: |

1- الملخص باللغة العربية:

تعالج هذه الدراسة أهم فترة من تاريخ الدولة السعدية، ألا وهي فترة السلطان أحمد المنصور الذهبي (986-1012هـ/1578-1603م)، والذي تميّز عصره بكثير من الخصائص والتحوّلات، مقارنة بباقي سلاطين الدولة السعدية. حيث ترصد لنا هذه الدراسة أهم تلك التحوّلات التي طبع بها عهده، على شتى المستويات؛ فعلى المستوى العسكري والسياسي فقد شهد المغرب صراعا شديدا تمثل في معركة وادي المخازن (986هـ/ 1578م)، والتي اعتبرت نقطة تحول كبير في تاريخ المغرب الحديث. حيث وضعت حدا للأطماع الأيبيرية خلال الفترة السعدية، كما أكسبت المغرب سمعة طيبة في حوض المتوسط، وخاصة الجانب الغربي منه، حيث استطاع المنصور من خلالها إرساء دعائم دولته، وذلك بالعمل على إحداث إصلاحات عميقة وشاملة على المستوى الداخلي. وفي سبيل تحقيق ذلك عمل على توفير الأمن والإستقرار النسبيين، بعد فترات من الإضطرابات والتمردات، وقد نجح في تحقيق ذلك. فقد أصبح المغرب الأقصى مقصدا وقبلة للعديد من الأشقاء والأجانب.

أما على المستوى الإقتصادي فقد عمل المنصور على إنعاش الحياة الإقتصادية، إذ قام بإدخال التطورات في مختلف الأنشطة الإقتصادية. فعلى مستوى الزراعة عمل المنصور على إصلاح الأراضي الزراعية، وبناء السدود والقناطر، كما استفاد من خبرة الأندلسيين واليهود، في سبيل تطوير الزراعة، خاصة مع الإمكانيات الزراعية التي يحتوي عليها المغرب الأقصى. أما في الجانب الصناعي فقد عمل على توفير المعادن الثمينة وتنويعها، خاصة مع غزوه للسودان الغربي، والذي فتح له آفاقا جديدة، حيث حصل المنصور على ذهب السودان، بالإضافة إلى جلب اليد العاملة إلى المغرب الأقصى، فكثرت المصانع بالدولة السعدية؛ كمصانع قصب السكر، وكذا مصانع السلاح. أما تجاريا، فقد شهد هو الآخر حركة تجارية واسعة، خاصة في ظل توفر الأمن والإستقرار، بالإضافة إلى استرجاع الموانئ التجارية من الإسبان، وبذلك اتسع نطاق المعاملات التجارية مع الدول الأجنبية، وعم الرخاء والرفاه.

أما على المستوى الإجتماعي فقد شهد المجتمع السعدي تحولات على مستوى تركيبة المجتمع، حيث توافد على المغرب الأقصى العديد من العناصر الأجنبية، وفي مقدمتهم الأندلسيون واليهود، وكذا العنصر العثماني، والأوروبي والسوداني؛ والتي ساهمت في بناء المجتمع السعدي. كما ترصد هذه الدراسة بعض الكوارث الطبيعية التي شهدها المغرب الأقصى خلال فترة المنصور، والتي انعكست على الإقتصاد وكذا المجتمع، حيث تراجع النمو الديمغرافي للسكان. كما ترصد لنا هذه الدراسة أهم التطورات والتحديثات التي شهدها المجتمع السعدي على مستوى اللباس الرسمي للدولة، وكذا الإحتفالات الدينية، والموسيقى.

الكلمات المفتاحية: أحمد المنصور الذهبي، الدولة السعدية، الإقتصاد، المجتمع.

2-Résumé en français:

Cette étude traite de la période la plus importante de l'histoire de l'État saadien, à savoir la période du Sultan Ahmed al-Mansur al-dhahabi(986-1012 Ah/1578-1603 ad), dont l'ÉPOQUE était caractérisée par de nombreuses caractéristiques et caractéristiques, par rapport au reste des Sultans de l'État saadien, où cette étude surveille pour nous la plus importante de ces transformations, qui a marqué son règne, à de nombreux niveaux au niveau politique Le Maroc a été témoin de la bataille de l'Oued Al-makhazen(986 Ah/ 1578 après jc), qui est considéré comme un tournant dans l'histoire du Maroc moderne, car il a mis fin aux ambitions ibériques au cours de la Le Maroc a également acquis une bonne réputation dans la région méditerranéenne, à travers laquelle Mansour a pu établir les fondements de son État, où il a travaillé pour apporter des réformes profondes et globales au niveau interne, et en particulier dans la région méditerranéenne. Le moyen d'y parvenir était d'assurer une sécurité et une stabilité relatives, après des périodes de troubles et de rébellions, et il a réussi à y parvenir car le Maghreb est devenu une destination et un baiser pour de nombreux étrangers.

Sur le plan économique, al-Mansour a travaillé à la reprise de la vie économique, car il a introduit des développements dans diverses activités économiques, sur le plan agricole, al-Mansour a travaillé à la réforme des terres agricoles, à la construction de barrages et d'aqueducs, et a également bénéficié de l'expérience des Andalous et des Juifs afin de développer l'agriculture, en particulier avec le potentiel agricole contenu au Maroc, mais sur le plan industriel, il a travaillé à fournir des métaux précieux et à les diversifier, en particulier avec son invasion de l'ouest du Soudan, qui lui a ouvert de nouveaux horizons, où Al-Mansour a obtenu l'or du Soudan en plus d'apporter de la main-d'œuvre.au Maroc, il y avait de nombreuses usines au Maroc telles que des usines de canne à sucre ainsi que des usines d'armes. Quant au côté commercial, il a également été témoin d'un large mouvement commercial, en particulier à la lumière de la disponibilité de la sécurité et de la stabilité, en plus de la récupération des ports commerciaux des Espagnols, élargissant ainsi le champ des transactions commerciales avec les pays étrangers, et répandre la prospérité et le bien-être.

Sur le plan social, le Maroc a connu des transformations au niveau de la structure de la société, car de nombreux éléments étrangers ont afflué au Maroc, notamment des Andalous, des Juifs, ainsi que des éléments Ottomans, européens et soudanais.ces éléments expatriés ont contribué à la construction de la communauté saadi. cette étude suit également certaines des catastrophes naturelles dont le Maroc a été témoin pendant la période Mansour, qui se sont reflétées sur l'économie ainsi que sur la société, où la croissance démographique de la population a diminué. cette étude suit également pour nous les développements et mises à jour les plus importants dont le Maroc a été témoin au niveau de la tenue vestimentaire officielle de l'État, ainsi que des célébrations religieuses ainsi que de la musique.

Mot-clés : Ahmed al-Mansur Al-Dahab, État de Saadiya, économie, société.

3-Abstract in English:

This study deals with the most important period of the history of the Saadian state, namely the period of Sultan Ahmed al-Mansur al-dhahabi(986-1012 Ah/1578-1603 ad), whose ERA was characterized by many characteristics and features, compared to the rest of the Sultans of the Saadian state, where this study monitors for us the most important of these transformations, which marked his reign, at many levels at the political level Morocco witnessed the Battle of Wadi Al-makhazen(986 Ah/ 1578 ad), which is considered a turning point in the history of modern Morocco, as it put an end to Iberian ambitions during the Morocco has also gained a good reputation in the Mediterranean region, through which Mansour was able to establish the foundations of his state, where he worked to bring about deep and comprehensive reforms at the internal level, and in The way to achieve this was to provide relative security and stability, after periods of unrest and rebellions, and he succeeded in achieving this as Maghreb became a destination and a kiss for many foreigners.

On the economic level, al-Mansour worked on the recovery of economic life, as he introduced developments in various economic activities, on the agricultural level, al-Mansour worked on the reform of agricultural lands, the construction of dams and aqueducts, and also benefited from the experience of Andalusians and Jews in order to develop agriculture, especially with the agricultural potential contained in Morocco, but on the industrial side, he worked on providing precious metals and diversifying them, especially with his invasion of western Sudan, which opened new horizons for it, where Al-Mansour obtained Sudan's gold in addition to bringing Labor to Morocco, there were many factories in Morocco such as cane factories sugar as well as weapons factories. As for the commercial side, he also witnessed a wide commercial movement, especially in light of the availability of security and stability, in addition to the recovery of commercial ports from the Spaniards, thus expanding the scope of trade transactions with foreign countries, and spreading prosperity and well-being.

As for the social level, Morocco has witnessed transformations at the level of the structure of society, as many foreign elements have flocked to Morocco, especially Andalusians, Jews, as well as the Ottoman, European and Sudanese elements.these expatriate elements have contributed to building the Saadi community. this study also monitors some of the natural disasters that Morocco witnessed during the Mansour period, which reflected on the economy as well as society, where the demographic growth of the population declined. this study also monitors for us the most important developments and updates that Morocco has witnessed at the level of official dress of the state, as well as religious celebrations as well as music.

Keywords : Ahmed al-Mansur Al-Dahab, Saadiya state, economy, society.